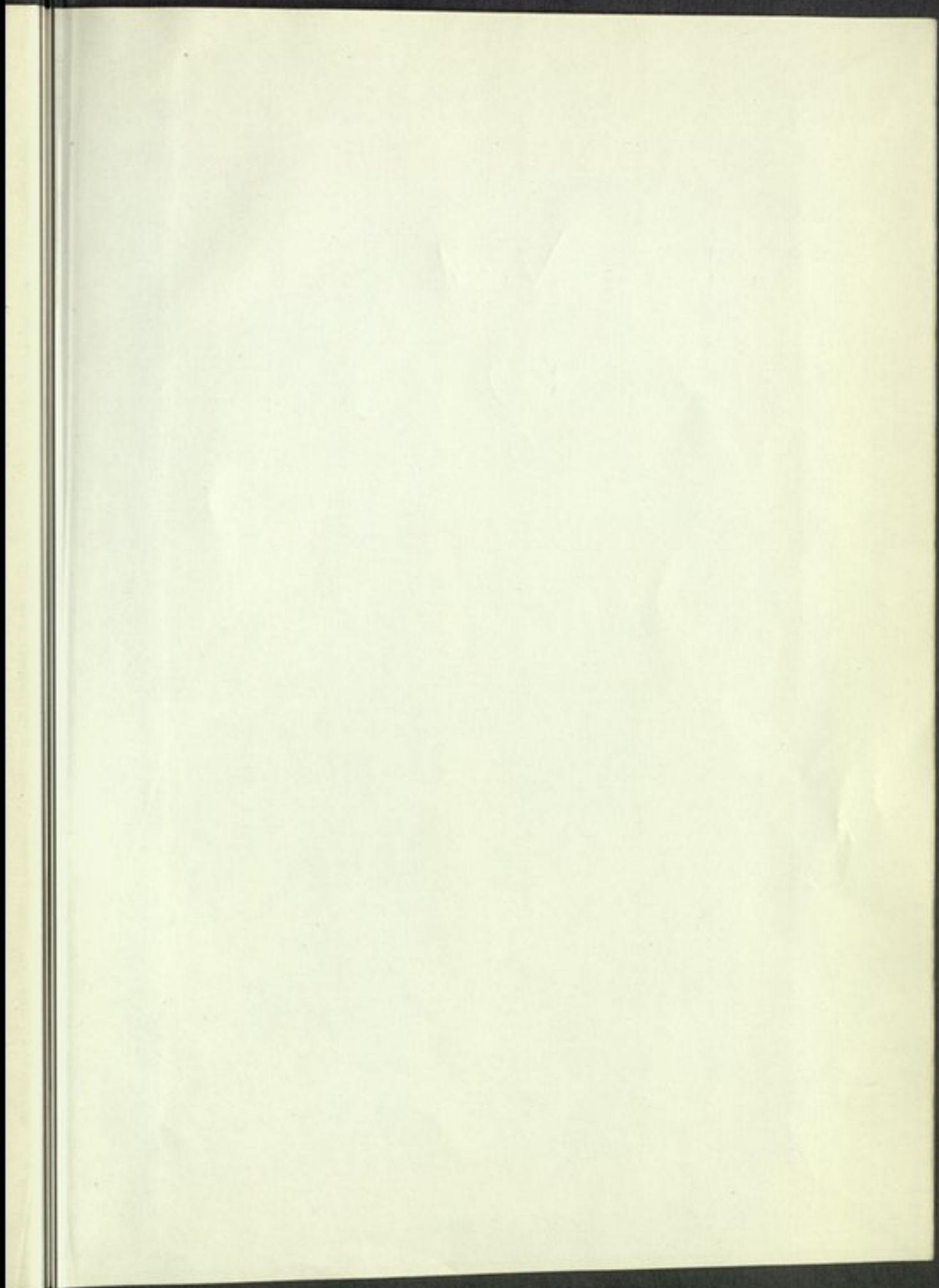


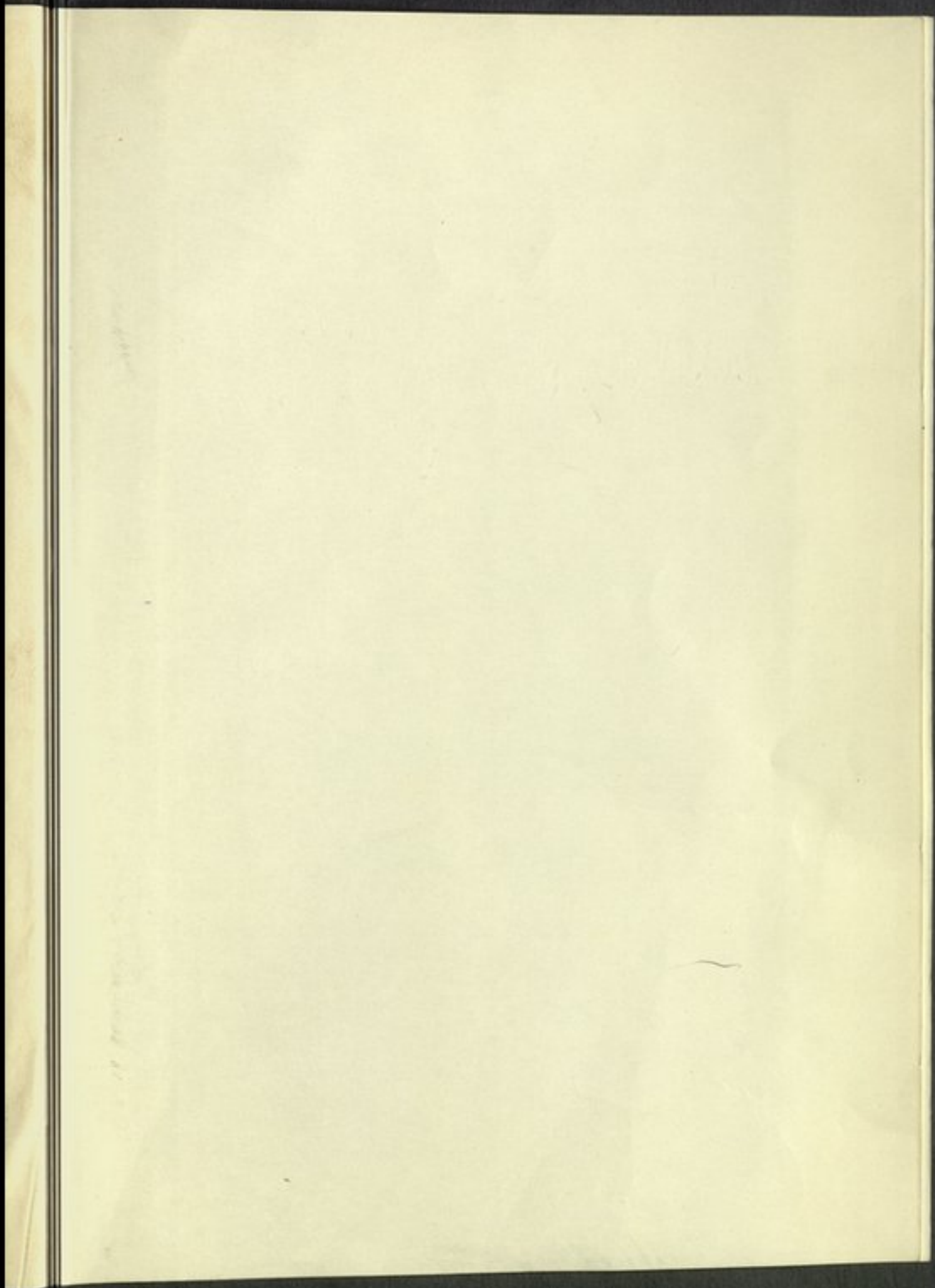
P. 27

A. U. B. LIBRARY

1875



محدث
في تاريخ العرب



المطبعة الجامعة العراقية

مع طائفة تقيت المذنب

١٩٥٥

سأعدت وزارة المعارف العراقية مالياً على طبع هذا الكتاب

953
A391m A
v.1
c.1

الدكتور صالح أحمد العلي

استاذ بكلية الآداب والعلوم

محاضرات

في تاريخ العرب

الجزء الأول

الدول العربية قبل الإسلام ، النظم البدوية ، حياة الرسول
والدعوة الإسلامية في مكة



مطبعة المعارف - بغداد

١٩٥٥



المقدمة

ان هذا الكتاب هو في الاصل مجموعة المحاضرات التي القيت على طلاب كلية الآداب والعلوم ، ثم نقحت ووسعت بعض فصولها لتكون كتابا منسجما متناسقا فيه تلخيص وعرض ، واضح بقدر الامكان للمحاولات التي قام بها سكان الجزيرة العربية لانشاء دول ذات نظام سياسي ، والحضارات والنظم التي ظهرت في هذه الدول أو عند القبائل العربية قبيل الاسلام ، وآثار كل حضارة ونظام على مجرى تاريخ الجزيرة ، وخاصة على احوالها عند ظهور الاسلام الذي له الأثر الأكبر لا في تاريخ الجزيرة العربية وفي عقائدنا ونظمنا فحسب بل في تاريخ الإنسانية عموما .

لقد نشر في اللغة العربية واللغات الأجنبية عن تاريخ الجزيرة قبل الاسلام وبعده عدد غير قليل من الابحاث التي تختلف في قدمها وفي مدى تفاصيل معلوماتها ، فبعض هذه الابحاث كتب عامة قديمة كبلوغ الأرب للالوسي وتاريخ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ، وبعضها كتب عامة حديثة مفصلة كتاريخ العرب لجواد علي ، أو مقتضبة كتاريخ العرب لفيليب حتى ، وتاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان ، وتاريخ العرب قبل الاسلام لمبروك نافع . كما ظهرت في العربية بعض الدراسات المفصلة عن بعض نواحي حضارة تلك الفترة كفجر الاسلام لاحمد امين ، والحياة العربية من الشعر الجاهلي ، والمرأة العربية لمحمد احمد الحوفي ، والنظم الاجتماعية والسياسية عند الساميين لمحمد محمود جمعة ، والاساطير العربية قبل الاسلام لمحمد عبدالمعيد خان ، والحيرة ليوسف غنيمه وآل غسان لتولدكه ، كما ظهر في اللغات الأوروبية عدد غير قليل من الدراسات المفصلة عن بعض هذه الدول . ولكن هذه الابحاث بعضها عتيق ، وبعضها يكاد يكون نادرا ، وبعضها مفصل أو مقتضب . فمحاواتي هذه هي تقديم بحث شامل

منسجم يرضى الطالب والمتقف الذي يريد أن تكون له فكرة عن تاريخ الجزيرة
دون أن يكون له وقت للتبحر في الموضوع .

لقد أكدت ، بقدر ما تمكنتني المصادر ، على نواحي الحضارة والحياة الاجتماعية
والاقتصادية والدينية ، أما النواحي السياسية فقد بحثت بقدر ما يظهر امد كل من
تلك الدول ومدى امتدادها الزماني والمكاني ، دون ايجاز مخل أو تفصيل مضلل .
ولما كان سقوط أى دولة لا يعنى فناء شعبها أو اندثار حضارتها ، لذا حاولت تتبع
آثار حضارة كل دولة وتراثها ، وذلك كيما ابرز الاستمرار التاريخي وتطوره ،
مما قد يساعد على الفناء ضوء على جذور وأسس كثير من افكارنا وثقافتنا ونظمنا
ومؤسساتنا .

ولابد من التأكيد على اننا لا يسكننا رسم صورة كاملة لمختلف نواحي هذه
الحضارات أو تتبع خطوات تطورها ، نظرا لان معلوماتنا لما تزل غير وافية وغير
موزعة بانتظام على الزمان والمكان ، فلدينا كمية طيبة نسبيا من المعلومات عن اليمن
وبعض الدول الشمالية القديمة ، وعن احوال العرب في الحجاز وبعض مناطق
نجد والبحرين عند ظهور الاسلام ، ولكننا نكاد نجهل تماما تاريخ المناطق
الآخري . وقد كان هذا الاختلاف في كمية المعلومات الموثوقة المتوفرة لدينا ، هي
الدافع الرئيسي الذي حملني على ان لا اسمي هذا الكتاب تاريخا ، بل اطلق عليه
(محاضرات) التي تدل على انها ليست تاريخا شاملا متسقا ، بل هي بحث المواضيع
التي تتوفر عنها المعلومات .

وقد بحثت مبادئ الاسلام وخطوات الدعوة الاسلامية وانتشارها بتفصيل
واف نسبيا ، نظرا لاهميتها الكبرى في كياننا الذاتي وفي تاريخ العالم ، ويكاد
يكون القسم الثاني من هذا الجزء وصفا للاحوال التي ظهر فيها الاسلام ،
والاسس التي قام على آثارها أو انقاضها وكن لها تأثير في سيره ، وهذا هو السبب
الذي فصلت فيه البحث عن الدين الجاهلي .

حاولت في بحثي عن الاسلام دراسة خطوات تطوره الزمني في فترة نشوءه ،

(ب)

ووصف تاريخ نشوء وتطور وانتشار العقيدة الاسلامية ، دون تحليل هذه العقيدة ، لان بحثي في التاريخ لا في العقائد . وقد كان اعتمادي الرئيسي على القرآن الكريم ، لانه الكتاب الاعظم الذي يرسم معالم الدين ويوضح حدوده . وقد حاولت ان اجلو معانيه كما فهمت آنذاك وبصرف النظر عن التأويلات والتحليلات التي قام بها العلماء المسلمون المتأخرون .

لقد حاولت اعطاء الصورة التي اعتقد ان المصادر تصورهما تلك الفترة ، وان اقتصرت على تنظيم المادة وعرضها ثم تحليلها ومحاولة ايجاد الصلة بينها وبرايز ارتباطاتها مع الحوادث والمؤسسات الاخرى . واذا كانت بعض مظاهر هذه الصورة تخالف بعض ما افهه الناس واعتقدوه ، فان ذلك راجع الى المصادر التي حاولت استيعابها واختيار ما اراه صحيحا دون ان تكون لي فكرة سابقة احاول الدفاع عنها أو نقضها .

وقد حملني تحدد نطاق الكتاب وحججه على الاقتصار على ايراد ما اعتقد بصحته أو بأنه أقرب الى الصواب ، واغفلت ذكر كافة الامور أو الآراء والحوادث التي اعتقد ان معلوماتنا العامة وتفكيرنا ومنطق الحوادث لا يؤيد صحتها . لذا أهملت بحث العرب البائدة مثلا ، لان الاخبار التي لدينا عنهم غير مضبوطة أو مستمدة . وقد قصرت عملي على الوصف والتحليل وتجنبنا اصدار الحكم على حسن أو قبح أية حادثة أو مؤسسة ، كما تحاشيت مهاجمة أو الدفاع عن أية مؤسسة .

وقد اتبعت في كتابة المصادر طريقتان متباينتان ، اولاهما اتبعتها في بحث الدول العربية القديمة ، عدا مكة ودولة المناذرة ، والثانية في بقية فصول الكتاب ، فقد اكتفيت في بحث الدول العربية القديمة بذكر المصادر الرئيسية التي اعتمدت عليها ، في هامش مطلع كل فصل ، اما باقى اجزاء الكتاب فقد كنت اذكر مصدر كل خبر أو حادثة أو رأى في هامش الصحيفة التي تحويه . ويرجع هذا التباين الى ان معلوماتنا عن الدول القديمة كاليمن وبطرا وتدمر مستمدة من مكتشفات

الآثار اولا ، ومن اشارات الكتاب الاغريق والرومان القدماء ثانيا ، وقد استوفى
بحث كل منها بعض المؤلفين المحدثين •

اما دولتها العباسية وكندة والمناذرة فمع ان المصادر الرئيسية لاخبارها هي
الكتب العربية ، فان في كل منها دراسة وافية قام بها واحد من المؤرخين المحدثين ،
وليس هناك ما يسكن في الحال الحاضر اضافته وتعديله على ابحاثهم ، لذا اكتفيت
بالاشارة الى هذه الابحاث الرئيسية الحديثة في هامش بداية كل فصل •

اما الفصول الخاصة عن مكة وعن الحياة البدوية ونظمها فان اعتمادنا الاول
فيها على الكتب العربية التاريخية والادبية ، لذا اشرت الى مصدر كل خبر ، اللهم
الا في بعض النقاط التي فصل البحث فيها بعض المؤلفين المحدثين ، فاكفيت
بالاشارة الى مباحثهم دون أن اورد كافة المصادر التي اعتمدوا عليها ، وقد اجلت
فهرس أسماء الكتب وطبعاتها الى نهاية الجزء الثاني تحاشيا من التكرار •

واني اذ أرجو أن يكون في هذا الكتاب بعض الفائدة للمهتمين بهذه الفترة
من التاريخ ، أرى من الصعب ذكر أسماء كافة من أعاننى على اخراج هذا الكتاب
سواء من رجال وزارة المعارف أو اخواني وطلابي ، فلهم منى خالص
انشكر والتقدير •

صالح احمد العلي

كلية الآداب والعلوم

الفصل الأول

الساميون

يتميز معظم سكان الشرق الأوسط منذ أقدم الأزمنة ببعض الصفات المشتركة التي ميرتها عن سكان البلاد الأخرى التي تقع وراء جبال طوروس وزاغرس . فاللغات التي يتكلم بها هؤلاء السكان تشترك في كثير من الخصائص وقواعد اللغة كما ان عاداتهم الاجتماعية وأفكارهم السياسية وأساليب حياتهم فيها كثير من التشابه منذ أقدم الأزمان . وهذا مما حمل الناس على الاعتقاد بأن هذا التشابه يرجع الى تحدرهم من أصل واحد ودعوهم بالجنس السامي (١) .

وتسميتهم بالساميين ترجع الى أزمنة قديمة ؛ فقد جاء في التوراة (٢) انه كان لنوح ثلاثة أولاد تحدر منهم البشر بعد الطوفان ، هم سام وحام ويافت ؛ فسكن الساميون وهم أحفاد سام في الشرق الأوسط . وانقسموا بعد تكاثرهم الى أقسام فرعية وقبائل . ولا ريب ان هذا التصنيف يوضح قدم الخصائص المشتركة التي يتميز بها سكان الشرق الأوسط . غير انه من الصعب أن نجزم بالقيمة التاريخية لقصة التوراة وأولاد نوح خاصة وان الشرق الأوسط جاءته موجات متعددة من أقوام غريبة استوطنت فيه وتكلمت بلغة أهله وتعودت بعاداتهم .

غير ان ما جاء في التوراة عن أصل الساميين ظل مقبولا عند الناس واعتمد عليه النسابون العرب في كتبهم عن الانساب ، فكررنا ما قالته التوراة مع اضافة بعض التعديلات الفرعية .

وفي منتصف القرن التاسع عشر ألف المستشرق الافرنسي ارنست رينان كتابا عن أديان الساميين أكد فيه على أن الساميين جنس منحدر من أصل واحد

(١) راجع ما كتبه كوك في الفصل الرابع من الجزء الاول في تاريخ كمبردج القديم بالانكليزية .

(٢) سفر التكوين ١٠-١٢ .

مشترك يتميز أفراده بتشابه لغاتهم وبتراكيب عقليتهم وبنظرتهم الجزئية للأشياء وتأثرهم بالغيبيات وميلهم إلى البساطة في التفكير والوحدانية في الدين ؛ وذكر أن ظهور الأديان الموحدة الثلاثة الكبرى (اليهودية والمسيحية والإسلام) بين الساميين يرجع إلى طبيعة تفكيرهم . وقد أكد بأن هذه الميزات التي تتصف بها العقلية السامية ترجع إلى عوامل بيولوجية ووراثية في الجنس وانهم بذلك يختلفون أساسيا عن الآريين^(٣) . ولا ريب أن رينان كان متأثرا بالنزعة القومية القومية المتطرفة وبالروح الاستعمارية التي سادت الأوروبيين آنذاك مما دفعهم إلى الاعتقاد بأن الساميين يختلفون في التركيب البيولوجي عن الغربيين . وانهم أخط من الأوروبيين في العقلية . وقد أخذ بنظرية رينان هذه عدد غير قليل من الفلاسفة والعلماء والساسة . وظل كثيرون يعتقدون بها حتى السنوات الأخيرة .

غير أن علماء الأثر، بيولوجيا ودارسي الشعوب المدققين انتقدوا نظرية رينان ومشايبه وبرهنوا على أنه لا يوجد شعب يمكن أن ^{يدين} ينحدر من على نقاوة دمه . إذ إن الهجرات المستمرة والتزاوج قد أدى إلى اختلاط دماء الشعوب . وهكذا فإن الشعوب القاطنة في الشرق الأوسط أو في غيره من البلاد لم يكونوا منزولين عن العالم كما أنهم لم يحافظوا على نقاء دمهم . أضف إلى ذلك أن اختلاف طرق تفكير الشعوب لا يرجع إلى اختلاف تركيب دماء أفرادها . بل إلى الظروف الجغرافية والاجتماعية التي أدت بعقولها إلى أن تعمل بالشكل الذي تعمل فيه^(٤) .

فإذا ما تحدثنا عن الجنس السامي فانتنا لا ندعى نقاء دمه ؛ كلا بل نقصد مجموعة من البشر الذين يتميزون بحضارة ذات عناصر مشتركة تميزهم عن غيرهم من الأمم . وخاصة في اللغة التي هي أهم ما يميز الساميين . وعلى هذا فإن تقسيم الشعوب يستند على أسس لغوية وحضارية أكثر مما يستند على أسس بيولوجية .

ولا ريب أن الساميين يتكلمون بلغات مختلفة ؛ ولكنها تشترك في خصائص

(٣) « تاريخ عام للغات السامية » باريس ١٨٥٥ (بالفرنسية) .

(٤) انظر في ذلك : كاسيرر « مقالة عن الرجل » (بالانكليزية) .

جوليان هكسلي وهدين « نحن الأوروبيين » بالانكليزية .

عديدة مشتركة تميزها عن غيرها من اللغات وتحمل على الاعتقاد بأنها منحدره من أصل واحد . ومن أهم هذه الخصائص وجود عدد كبير من الكلمات المشتركة بينهم وان الأساس ^{صحيح} فعل الماضي ، وان تصريف الافعال يتشابه فيها ، وهي تعتمد على السواكن لا الحركات ، وأصل الكلمات مكونة من ثلاثة أحرف في الغالب ، والفعل هو أساس الجملة ويعتمد عليه الاسم والضمير ، هذا الى ان للاسماء فيها ^{صحيح} صيغتين : المذكر والمؤنث ، وليس فيها صيغة نالفة كال Neuter gender الموجودة في اللغات الاوربية ؛ واللغة بصورة عامة بسيطة مباشرة لا تستعمل الافعال المساعدة وقلما تستعمل حروف الربط (٥) .

ولقد ظهرت نظريات متعددة عن أصل الساميين ، فمن أقدمها نظرية المستشرق الايطالي أغناس جويدى الذى قارن بين اللغات السامية المتعددة فوجد ان أغلب الكلمات التى تبدل على السهول والمياه والنباتات مشتركة بين هذه اللغات . فاستنتج من ذلك ان هذه اللغات كان يتكلم بها فى الاصل أقوام يسكنون فى مناطق سهلية غزيرة المياه والنباتات ، وارتأى بأن العراق هو أقرب منطقة فيها هذه الظواهر ولذلك استنتج بأن أصل الساميين من العراق (٦) . ومما قد يؤيد نظريته هو ان التوراة تذكر ان سفينة نوح رست بعد الطوفان على الجودى فى شمال العراق ، ومنها انتشر الناس بعدئذ .

غير ان هذا الاستنتاج يثير عدة اعتراضات : فمن ذلك انه لا يبين لماذا يهاجر

(٥) فيليب حتى : تاريخ سوريا ص ٦٢ (بالانكليزية) .

(٦) ان بحث جويدى عن الاصل الاول للشعوب السامية ، نشر اول مرة بالاطالية فى مذكرات اكااديمية لنسى سنة ١٨٧٩ أما بحث بارتون فقد نشر بالانكليزية فى فيلادلفيا سنة ١٩٣٤ بعنوان « الاصول الاجتماعية والحامية للساميين » أما كايثانى فقد نشر بحثه بالاطالية بكتابه « الحوليات الاسلامية » و « دراسات فى التاريخ الشرقى » ميلانو ١٩٠٧ ، ١٩١١ .

وتجد خلاصة وتقدما لهذه الآراء بالفرنسية فى كتاب « الساميون ودورهم فى تاريخ الدين » للاستاذ ديلا فيدا (بالفرنسية) ، كما تجد تلخيصا وتقدما لآراء كايثانى فى كتاب « شمال نجد » لالواموزيل بالانكليزية وفى كتاب « تاريخ العرب قبل الاسلام » للدكتور جواد على الجزء الاول .

الناس من هذه المناطق الخصبة كالعراق الى المناطق الصحراوية الجرداء التي نجد انها آوت أنفس اللغات السامية منذ أقدم الأزمان ؟ هذا الى انه منذ أقدم الأزمنة التاريخية نجد ان الاقوام السامية تهاجر من الجزيرة الى العراق ، لا العكس كما يدعى جويدي . يضاف الى هذا ان جويدي لم يطلع على الاستكشافات الجغرافية الحديثة التي أظهرت ان في الجزيرة العربية مناطق كانت وفيرة المياه كثيرة المزروعات .

ومع سعة اطلاع جويدي على اللغات السامية الا انه كان يجهل فقه اللغات الاخرى وخاصة الحامية التي يتكلم بها سكان افريقية الشرقية والشمالية وتشارك مع اللغة العربية ببعض الخصائص .

وقد درس بارتون اللغة الحامية وقارنها بالسامية فوجدتها تشترك في بعض الكلمات والصيغ ؛ فاستنتج ان الساميين والحاميين كانوا متحدرين من أصل واحد تفرعوا منه ، وادعى ان أنسب منطقة ملائمة لسكني « الاصل » هي شرق افريقية ، في منطقة الصومال والاريتريا حيث يسهل عبور الساميين الى بلاد العرب من باب المنذب وكذلك الانتشار في افريقية والواقع انه قد جرت اتصالات تاريخية مستمرة بين اليمن وافريقية الشرقية مما أكسب **هذين الاقليمين** بعض الصفات اللغوية والجسمية المتشابهة .

غير ان الكلمات والقواعد المشتركة بين السامية والحامية أقل مما تكفي لحملنا على الاعتقاد باشتراكهم في الاصل . واذا كان سكان اليمن يشبهون بعض الشبه سكان الصومال ، فان سكان العراق أبدا ما يكونون **عن** سكان افريقية والكلمات المشتركة قد يرجع أصلها الى الاتصال التجاري **الذي** الاشتراك في الجنس ، لذلك لم يسلم المفكرون بصحة هذه النظرية .

وقد اعتقد فريق من العلماء ان أصل الساميين من جزيرة العرب ، ولعل أعظم من دافع عن هذا الرأي وأوضحه هو المستشرق الايطالي كياتاني الذي يتلخص رأيه بأن أصل الساميين من الجزيرة العربية . وهو يبني اعتقاده هذا على ان الآثار القليلة المدروسة في الجزيرة العربية تدل على وجود آثار المياه والنباتات

فيها . فقد وجد برترام توماس بقايا بحيرة في الربع الخالي عند منخفض أبو بحر ، وآثار نباتات وحيوانات من جبل العترا هذا الى ان وادي الرمة لا يزال مليئا بالصخور الرسوبية والحصى مما يدل على أنه كان في القديم مجرى نهر غزير المياه ، كما ان الأفيلة كانت تعيش في الالف الثانية في شمال سوريا ، أما الاسود فكانت كثيرة في العراق ، وربما شمال الحجاز . والواقع ان الجيولوجيين قد قرروا ان مناخ العالم في العصور الجيولوجية كان يختلف عما هو عليه الآن ، ففي عصر الميوسين كان مناخ الجزيرة العربية يشبه مناخ الهند اليوم من حيث الدفء وكثرة الرطوبة وغزارة المياه مما يساعد على سكنى البشر . فهو لذلك يرجح ان الساميين كانوا في الاصل يقطنون الجزيرة العربية ، فلما تغير المناخ تدريجيا نقص السكان وتحولوا الى حياة البداوة . وهاجر منهم عدد الى أطراف الجزيرة حيث الخصب ووفرة المياه . والواقع اننا نجد ان العرب منذ أقدم العصور التاريخية المعروفة كانوا أوفر الامم حظا من الصفات والعادات الاجتماعية ولغتهم أقرب اللغات السامية الى الاصل وأنتاها .

لقد ظلت العلاقة بين سكان الجزيرة العربية وأطرافها وثيقة طوال الازمنة التاريخية ، حيث كانت تجرى هجرات متعددة ، بعضها موسمية أو محدودة كهجرات الرعاة الذين يتجولون وراء المراعي فيدخلون العراق وسوريا لمدة مؤقتة خاصة في فصل الصيف والربيع ثم يعودون الى الجزيرة ، وفي بعض الاحيان يستقرون في الهلال الخصيب ، خاصة عندما تساعدهم الظروف السياسية على ذلك . وفي بعض الاحيان تجرى هجرات واسعة تحمل عددا كبيرا من الناس الى بلاد الهلال الخصيب . وأبرز هذه الهجرات الكبيرة هي :-

(١) هجرة الاكاديين الذين استوطنوا العراق حوالي سنة ٣٥٠٠ ق.م . وكونوا الدولة الاكادية التي استطاعت في عهد ملكها سرجون الاول أن توحد العراق ، وتمت نفوذها الى أعلى دجلة .

(٢) هجرة العموريين الى العراق ، والسكانيين والفتيقيين الى سوريا (حوالي سنة ٢٥٠٠ ق.م .) .

(٣) هجرة الآراميين الذين انتشروا في سوريا وفلسطين وشمال العراق ،

والعبرانيين في فلسطين (حوالى سنة ١٥٠٠ ق.م) .

(٤) هجرة الأنباط والتدمريين (حوالى سنة ٥٠٠ ق.م) .

(٥) الموجة الاسلامية في القرن السابع الميلادى .

وبوصول الساميين الى بلاد الهلال الخصيب بدأوا يتركون حياة البداوة والاستقرار تدريجيا ويختلطون مع الامم الاخرى التى تقيم فى هذه البلاد ، مما كان يؤدى دائما الى تصادم مؤسساتهم الاجتماعية وحضارتهم مع مؤسسات وحضارات الشعوب الاخرى ، ويتج من هذا التصادم ظهور مدنات جديدة مزدهرة يطفى عليها الطابع السامى ، الا انها تصبح مختلفة الى حد غير قليل عن حضارة اخوانهم من أهل الصحراء . والواقع ان ازهى عصور الهلال الخصيب هى التى تعقب الهجرات السامية اليها .

ونظرا لتعدد حضارة الهلال الخصيب ووفرة المعلومات عن تاريخها ، فانها تدرس عادة بصورة مستقلة . أما بحثنا هذا فسيقصر على تاريخ البلاد العربية التى تخرج منها الموجات السامية وتغذى الشرق الاوسط بالعنصر السامى وحضارته ، والتى احتفظ سكانها بمظاهر الحياة السامية ، وخاصة اللغة وتقاليد البدو بدرجة أنقى مما هى فى بقية البلاد نظرا لقلّة العناصر الدخيلة التى أتت وتستوطن بلادهم .

وشبه جزيرة العرب^(٧) مستطيلة الشكل ، يبلغ طولها من رأس الخليج

(٧) لقد درس سبرنجر فى كتابه « جغرافية الجزيرة العربية القديمة » (بالألمانية) ما ورد فى كتب القدماء عنها وحاول تعيين أماكنها ، وتجد خلاصة لها فى كتاب الدكتور جواد على . كما درس لامنس فى كتابه « مهد الاسلام » (بالفرنسية) اقليم الحجاز ، ولعل أوفى ما كتبه العرب فى العصور الوسطى هو كتاب « صفة جزيرة العرب » للهمداني ، وقد اعتمد عليه كثيرا ياقوت الحموى فى كتابه « معجم البلدان » .

ومع كثرة السياح والكتّاب الحديثين عن جزيرة العرب الا أنه لا يوجد بحث مفصل شامل عنها ، ولكن تجد خلاصة لها فى كتاب « دليل جزيرة العرب »

الفارسي الى العقبة حوالى ألف ميل ، ومن البحر العربى الى أطراف الهلال
الخصيب حوالى ألف ومائتى ميل . وهى هضبة مرتفعة فى الغرب وتنحدر
تدرجيا نحو الشرق ، حتى تصبح كالسهل عند سواحل الخليج الفارسى .

ويمتد على طول الجزء الغربى منها سلسلة من الجبال تدعى « السراة » ،
توازى البحر الاحمر ، ويزداد ارتفاعها فى الشمال ، ثم تنخفض فى الوسط ،
حتى تصبح كالتلال المنقطعة ، ثم تعود الى الارتفاع فى الجنوب حيث يصبح
ارتفاعها حوالى ١٢ ألف قدم كما تكون عريضة فتصبح كالهضبة . ويمتد من
وسط الجزيرة سلسلتى جبال اجا وسلمى أو جبل شمر ، وهى تبلغ حوالى
٥٥٠٠ قدم فى الارتفاع . كما توجد سلسلة أخرى من الجبال التى تمتد موازية
للساحل بحر عمان ، تدعى الجبل الاخضر ويبلغ ارتفاعها حوالى ١٠ آلاف قدم .

تحصر السلسلة الغربية (السراة) بينها وبين البحر الاحمر سهلا ساحليا
ضيقا شديد الانحدار نحو البحر يقطعه عدد غير قليل من الاودية التى قلما يستفاد
من مياهها الشتوية للزراعة ، نظرا لشدة انحدارها ، ولكن توجد فى فوهات
الوديان موانئ متعددة أهمها الحوراء ، ويشع ، وجدة فى بلاد الحجاز ،
والحديدة ومخا فى بلاد اليمن .

أما سطح الهضبة الوسطى فتكون من النفود وهى أرض صلبة تكسوها
قشرة ترابية تثبت فيها بعض النباتات البرية والاعشاب وخاصة فى الربيع بعد
سقوط الامطار . وفى هذه الهضبة توجد منطقة الدهناء وهى اراضى تكسوها
تلول من الرمال الناعمة البيضاء والحمراء التى تغير مواقعها بتأثير العواصف
والرياح ، وتكون قاحلة جرداء لا نبات فيها ولا ماء ؛ وهى تكون عريضة فى
الشمال حيث يبلغ طولها من الشرق الى الغرب ١٨٠ ميلا ، ومن الشمال الى
الجنوب ١٤٠ ميلا ، ثم يمتد منها ذراع مواز للخليج الفارسى ، ويدعى الصمان ،
ويبلغ عرضه حوالى خمسين ميلا وهو يمتد حتى يتصل بالربع الخالى الذى يمتد

بالانكليزية الذى نشرته الاميرالية البريطانية واعتمد عليه كثيرا حافظ وهبة فى
كتابه « جزيرة العرب فى القرن العشرين » .

تجد خلاصة واضحة عن جغرافية الجزيرة فى كتاب فيليب حتى (تاريخ

في جنوب الجزيرة ، ولم يمر به أي أوربي حتى سنة ١٩٣٢ حيث مر به برترام توماس ثم فلبى ووصفاه بأنه من منبسط من الأرض الرملية والجيرية فيها يقايا بحيرات مالحة وآثار مياه البحر .

” وفي القسم الغربي من الهضبة عدد غير قليل من البراكين الهامدة والخامدة ، وتدعى الحرات ، وأشهرها حرة خيبر ، وحرة سليم ، وحرة يثرب ؛ وأغلب هذه الحرات خصبة وهي مراكز للحضارة .“

يقطع هذه الهضبة عدد من الوديان ، وأهمها وادي الرمة الذي يسير من قرب الزبير متجها نحو الشرق حتى ينتهي عند خليج العقبة . ووداي سرحان الذي ينحدر من الشمال إلى الجنوب الغربي حيث ينتهي عند البحر الميت . ووداي بيشة الذي يمتد في عسير من الشرق إلى الغرب حتى ينتهي في البحر الأحمر . ووداي اليمامة الذي يمتد موازيا للبحرين والراجح ان هذه الوديان كانت في الأزمنة القديمة مجارى أنهار .

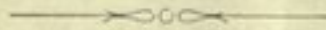
ان مناخ الجزيرة صحراوي ، حار جدا في الصيف ، وبارد في الشتاء ، وتسقط الثلوج على جبال اليمن ، كما تتجمد المياه أحيانا في الطائف وفي اليمن . وأمطاره قليلة جدا ، وهي تسقط في فصول الخريف والشتاء والربيع ، بدفعات غير منتظمة ، أما اليمن فتسقط فيها أمطار غزيرة في الصيف تأتي بها الرياح الموسمية من منطقة شرقى افريقية .

ان مياه الامطار قليلة لا تكفى للزراعة ، بل تنبت الاعشاب والنباتات البرية وأهمها الأثل والغضا والطلح .

غير ان المياه الباطنية تتوفر في معظم أنحاء الجزيرة ، وتكون أحيانا قريبة من سطح الأرض ووافرة لدرجة تكفى للزراعة ولاستيطان عدد غير قليل من الناس ، وتدعى هذه المناطق الواحات . وتتوفر المياه أيضا في بطون الأودية وفي اليمن كذلك ؛ وهذا مما يساعد على الزراعة والاستقرار ونشوء الحضارات . ولعل أهم المزروعات هو النخيل الذي يوجد منبثا في مختلف الواحات ، ويكثر بصورة خاصة في خيبر والمدينة ، وفي البحرين (وخاصة عند هجر) وفي اليمامة ، كما تكثر زراعة الشعير في فدك ووادي القرى وخيبر والمدينة والبحرين ، والحنطة في اليمامة ، والذرة في عسير ، والكروم في الطائف واليمن ، وأشجار

الفاكهة في الطائف وفي عدد غير قليل من أودية الحجاز وفي اليمن • وتعيش
الافاويه كالمز والمز المكاوي والصمغ في أودية اليمن وحضرموت بكثرة •
يطلق على سكان الجزيرة العربية اسم العرب ، وقد ذكر هذا الاسم لأول
مرة في التاريخ في نقوش ترجع الى زمن سلمانصر الثالث (حوالى سنة
٨٥٠ ق م) ، ثم يتردد ذكرهم منذ ذلك الوقت في النقوش الآشورية والبابلية
بأشكال مختلفة

Arubu, Arebi, Aribi, Urbi, Arbi Arabaian, Arabyaya' Arabya
وقد وردت ايضا في نقش بهستون المدون في زمن دارا الاول ، كما ورد ايضا
في أماكن مختلفة من التوراة في سفر ارميا ، وحزقياء ، واشعيا ، والتواريخ ،
وقد ذكره ايضا بعض الكتاب اليونان كايستخولوس وزينوفون •
وتعنى هذه الكلمة في اللغات السامية الجذب أو القحولة ، ويبدو ان الدول
القديمة اطلقت هذه الكلمة على سكان الصحارى القاحلة وخاصة اهل بادية الشام
الذين كانوا يحتكون مع دول الهلال الخصيب ، ثم اتسع استعمال هذه الكلمة
حتى أصبحت تطلق على كافة سكان الجزيرة العربية بما فيهم سكان المناطق
الخصبة كاليمن والواحات (٨) •



(٨) راجع في ذلك فيليب حتى « تاريخ العرب » ص ٢٧-٤٦ • وكذلك
مقال الاستاذ طه باقر عن صلات بلاد الرافدين في الجزيرة المنشور في العدد
الثاني من المجلد الخامس من مجلة سومر •

الفصل الثاني

(١)

اليمن

تقع اليمن في الطرف الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية ، تمر بها من الشمال الى الجنوب سلسلتان جبليتان تحصران بينهما هضبة عريضة ، وينحدر سطحها نحو البحر بشدة تاركا سهلا ساحليا ضيقا يقطعه عدد من الوديان المنصبة في البحر . وتسقط على هذه البلاد أمطار وافرة في الصيف تأتي بها الرياح الموسمية من شرق افريقية ، وقد ساعدت هذه الامطار على نشوء نهيرات الصغيرة والسيول التي يستفاد منها في الزراعة التي ازدهرت في هذه البلاد . وقد أدى ذلك الى استقرار الناس ونشوء المدن والمدنية .

ومن أهم المنتجات اليمنية العطور والافاويه والبخور التي كانت لها أهمية كبرى عند الناس في التاريخ القديم حيث كانت تستعمل في المعابد والطقوس الدينية ، وللتحنيط ، كما كانت تستخدم أحيانا في الاطعمة ، هذا الى أن العطور كانت تستخدمها النساء بكثرة ~~X~~ ويكفي للاستدلال على مدى أهميتها أن نذكر ان معبدا لآمون في مصر استعمل في أوائل القرن الثاني عشر ٢١٥٩ جرة في سنة واحدة ، وان الكلدانيين كانوا يحرقون سنويا في معبد بعل بابل عشرة آلاف تالنت ، وان الاسكندر أرسل ٥٠٠ تالنت هدية لاستاذة أرسطو ~~X~~ وكانت اليمن وحضرموت تزرعان أهم أنواع الافاويه والعطور العالمية وتعتبران أكبر مصدر لها في العالم القديم . وقد ساعدت زراعة الافاويه على ازدهار تجارتها مع البلاد الأخرى ، وخاصة بلاد الهلال الخصيب وبلدان البحر المتوسط حيث كانت تصدر اليهم هذه المنتجات ، كما ان وقوعها على طريق الهند ساعد على جعلها

(١) أهم مراجعنا في هذا الفصل على كتاب « سناد الاسلام » لقلبي (الاسكندرية سنة ١٩٤٦) ، و « تاريخ العرب » لفيلب حتى ، و « جزيرة العرب قبل محمد » لاوليري (بالانكليزية) ، و « تاريخ العرب قبل الاسلام » لجرجي زيدان ، و « تاريخ العرب قبل الاسلام » للدكتور جواد علي .

(٢) فرياستارك « المداخل الجنوبية لجزيرة العرب » ص ١٠ (بالانكليزية) .

مركزا هاما لتجارة الترانسيت ، ولسيطرة بحاريها على ملاحاة البحر العربي والبحر الاحمر . ومن المعلوم ان الملاحاة فى البحر العربي تعتمد على الرياح التى تسير من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى فى فصل الصيف ثم تسير بالعكس فى الشتاء ، ولم يكن يعرف هذه التبدلات فى اتجاه الرياح سوى الملاحين اليمانيين ، مما ساعدهم على احتكار الملاحاة فيه حتى القرن الثانى قبل الميلاد . وقد أدت هذه الاحوال الطبيعية الملائمة الى ظهور المدن وازدهار المدنية منذ أقدم الازمنة فظهرت فيها دول ، أقدم ما نعرفه منها هى الدولة المعينية التى تشكلت فى الجوف وكانت عاصمتها قرناو أو معين .

وقد لاحظ بعض الباحثين ، وخاصة ونكلر وهومل ودوفرتي ، ان بعض مظاهر الحضارة المعينية تشبه حضارة البابليين ، فالاله شماش وعشتروت البابلية ، يشبه اسمها الاله شمس وعثر اليمانية ، كما ان النقوش والاختام المعينية تشبه ما عند العراقيين القدماء ، والمكاتب اليمانيين يشبهون الملوك الكهنة السومريين . وقد استتجوا من ذلك ان اصل المعينيين من العراق . غير ان هذا التشابه الجزئى فى مظاهر الحضارة لا يكفى أن يكون دليلا قاطعا على كونهم جاؤا من العراق ، اذ يجوز أن يكون الساميون العراقيون قد جاؤا من اليمن ، أو قد يكون العراقيون واليمانيون قد جاؤا من أصل واحد فى محل ما ، أو قد يكون التشابه فى مظاهر الحضارة نتيجة الاختلاط الذى كان بين البلدين منذ أزمنة سحيقة .

وقد اختلف الباحثون فى بداية نشوء دولتهم وذلك لان الآثار القليلة الباقية عنهم تذكر وجود خمسة أسر معينية حكمت معين . تتكون كل أسرة من عدد من الملوك المتسلسلين . ولكن لا توجد أية صلة بين كل أسرة من هذه الأسر وبين الأسرة التى تليها . وقد اختلف الباحثون فيما اذا كانت هذه الأسر متعاقبة ومتسلسلة أو ان هناك ملوكا حكموا المعينيين لم تصلنا أخبارهم .

ويرجح المؤرخون ان أولى هذه الأسر بدأت فى الحكم حوالى سنة ١١١٠ ق.م . وكانت الظروف الدولية مؤاتية لها . ففى مصر لم يتمكن ملوك الأسرة الحادية والعشرون الضعفاء من التدخل فى شؤون الجزيرة العربية ؛ وفى العراق كان يحكم بابل ملوك ضعفاء ؛ وفى آشور كان تغلات فلاسر منشغلا فى حروبه فى شمال العراق . وقد ساعدت هذه الظروف المعينيين على تثبيت ملكهم

W. H. P. P. P.

ومد نفوذهم التجارى فى الشرق الاوسط ؛ فامتد نفوذهم فى عهد الأسرة الثانية الى حضرموت فى الجنوب ؛ كما امتدت تجارتهم ونفوذهم الاقتصادى الى شمال الحجاز حيث أقيمت مستعمرة معينة يرجح انها كانت مرتبطة بدولة اليمن . وقد أدى هذا التوسع الى احتكاك المعينين بآشور والفينيقيين .

ويظهر انه فى نهاية عهد الأسرة الثانية بدأ احتكاكهم بحضرموت وقبان فى الجنوب . كما بدأ يتردد فى النقوش ذكر قبيلة خولان وذكر السبأيين الذين أصبحوا فيما بعد ورثة المعينين .

يرجع تاريخ القتبانيين الى سنة ١٠٠٠ ق.م. على الأقل ، وكانوا يسكنون فى الطرف الجنوبى الغربى من اليمن وعاصمتهم تما ، وهى قرب باب المندب ، وقد كشفت آثارها قبل بضع سنوات . ويذكر بعض كتاب الرومان انه كان فيها ٦٥ معبدا .

استفاد القتبانيون من موقعهم الجغرافى ومجاورتهم لحضرموت التى تنتج خير أنواع البخور ، فجنوا ثروة كبيرة وصارت لهم قوة عظيمة حددت من نفوذ المعينين وكانت نظم ادارتهم تشبه النظم المعينية على ان الضربة النهائية التى قضت على المعينين جاءت من السبأيين الذين ازدادت قوتهم حتى استطاعوا أن يقضوا على الدولة المعينية وسيطروا على اليمن ويحدوا من نفوذ القتبانيين . الا ان المعينين ظلوا محتفظين بكيانهم الاجتماعى حتى بعد انقضاء دولتهم اذ وجد لهم ذكر فى الآثار المصرية فى القرن الثانى ق.م. وفى ديلوس حيث امتدت تجارتهم .

بدو من الوثائق القليلة الباقية ان نظام الحكم فى معين كان ملكيا مقيدا ، فكان الملك يدعى مزود ، ومعناه المقدس ، والملك ورائى وقد يشارك الابن أباه فى الحكم ، ولكن يحيطه مجلس استشارى يعاونه فى الحكم ويحد من سلطانه .

وكانت المدن التابعة لدولتهم تتمتع باستقلال ذاتى ، أما ادارتها فكانت بيد رؤساء ينتخبون لمدة سنة قابلة للتجديد ويعاونهم مجلس من المشايخ ، ويظهر انه كان لهؤلاء الرؤساء مكانة سامية ، اذ كانت تدون أسماءهم فى سجلات المدينة أو المعابد ويذكرهم المؤرخون فى وثائقهم ، حتى ان بعض الملوك كانوا يؤرخون توليتهم ويحددونها بذكر الرئيس الذى كان قائما آنذاك .

كان المعينيون يمتنون الزراعة والتجارة ، وفيهم عدد من القبائل البدوية
يرعون الماشية ولا تختلف نظمهم عن نظم البدو .

والمجتمع المعيني ارسقراطي يستخدم العبيد ؛ وفيه عدد من الطبقات التي
تميز عن بعضها . وهم متدينون يعيرون رجال الدين أهمية كبيرة . وللمرأة
حرية واسعة .

لقد كان المعينيون يستعملون في كتابتهم الحروف ؛ ومن المحتمل انهم اول
من اخترع الألفباء ثم انتقلت منهم الى سينا والفنقيين ثم نقلت الى اليونان .

انتشر المعينيون في بلاد واسعة متبعين تجارتهم حتى بعد انقراض دولتهم .
فقد وجد ذكر للمعنيين في مصر والعراق وسوريا وديابوس . وقد ذكرهم الكتاب
اليونانيون والرومان فأشار بليني الى وجودهم مع سبأ ووصفهم بطليموس بأنهم
شعب قوى . وقال ديودورس بأنهم كانوا يأتون بالافاويه . ولا ريب ان ذكر
هؤلاء الكتاب الاغريق والرومان في القرون القريبة من ميلاد المسيح دليل على بقاء
المعنيين محتفظين بنشاطهم الاقتصادي حتى بعد أن دالت دولتهم ، وكانت لهم
مستعمرة واسعة في شمال الحجاز .

ورد ذكر السبأيين في النقوش الآشورية حيث يذكر كل من تغلات فلاسر
(٧٤٥-٧٢٧ ق م) وسنحاريب وأسرحدون (٧١٥-٦٨٥ ق م) بأنهم أخذوا
الجزية من يعمر وكرب ايلو ملوك سبأ . كما ذكرت في التوراة (في سفر
التكوين ٧ x) سبأ جنوب جزيرة يقطان تعطي المر والجوهر والذهب ، وان
بليسي التي تزوجت سليمان كانت ملكة سبأ ؛ وان لم يكن هناك دليل قاطع بأن
هذه الملكة كانت في اليمن .

لا تذكر المصادر التاريخية شيئا واضحا عن أصل السبأيين ؛ ومن المحتمل
أنهم كانوا في الاصل قبائل بدوية يتجولون في الشمال ؛ ثم انحدروا نحو
الجنوب الى اليمن حوالي سنة ٨٠٠ ق م . كعادة العرب في التجوال ، أو نتيجة
ضغط الآشوريين عليهم من الشمال ؛ واستقروا أخيرا في اليمن وأخذوا يتوسعون
فيها مستفيدين من ضعف المعنيين وقوتهم العسكرية فامتدوا الى الجوف .

ويمكن تقسيم حكمهم في اليمن الى ثلاث فترات متميزة كان يطلق على

رؤسائهم في الفترة الاولى لقب مكرب وهي كلمة دينية تعنى المقدس . ثم تلتها فترة أخرى أصبح يسمى الرؤساء فيهم ملوك سبأ ثم في الفترة الثالثة كانوا يلقبون ملك سبأ وريدان .

وأول مكارب سبأ هو سمح على (حوالي ٨٠٠-٧٨٠ ق م) الذي لا يعرف عن حكمه الا خبر واحد هو انه قدم هدية من البخور والمر للاله المقه الذي أرشد القبيلة بعد تجوالها الى « أرض فيها اللبن والعسل » . وقد أعقبه ابنه يدع ايل ضريح الذي بنى معبدا للمقه في صرواح عاصمة مكارب سبأ ؛ كما بنى معبدا آخر للمقه وكذلك لعثر في مأرب ؛ وهذه أول اشارة لمأرب مما يدل على انها كانت آنذاك مدينة كبيرة مهمة . وقد تلا هذا المكرب يشعمر وتر الذي بنى معبدا لآله القمر حوباس في دابر التي كانت تقع بين مأرب والجوف في وادي خريد . وقد ولي بعد هذا المكرب ابنه يدع ايل بين الذي حصن مدينة نشق في الجوف عند حدود الدولة المعينية ، مما يدل على أنه كانت هناك حروب مع المعينيين . غير ان النقوش لا تذكر شيئا من هذه الحروب . وقد تولى بعد هذا المكرب سمح على يناف ويشعمر وتر وكرب ايل بين الذين قدموا لسنحاريب واسرحدون . ليست لدينا اخبار أخرى عن هؤلاء المكارب . مما قد يدل على انهم لم يقوموا بفتوحات تستحق الذكر وانهم انصرفوا الى الحياة السلمية واهتموا بالزراعة والاعمار والسدود .

وقد ولي بعد كرب ايل بين ابنه (أو ابن اخيه) ذمر على وتر الذي قام بتشييد سد مأرب الذي يعتبر أعظم سد شيدي في الجزيرة العربية ومن أعاجيب العالم القديم . وقد ظل ذكره يتردد بين الناس وأشير اليه في القرآن فقال تعالى « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ، فاعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط وائل وشئ من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور . وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليلى وأياما آمنين . فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور » (سورة سبأ ١٥-١٩) وقد وصف هذا السد العالم

اليمني الهمداني في كتابه « الأكليل » . كما وصف بقايا عدد من السياح
المحدثين منهم ارنو وهالفى وكلازر .

والسد (٣) طوله ٨٠٠ ذراع وعرضه ١٥٠ ذراع بنى على مقطع وادى أذنة
الذى تتجمع فيه معظم مياه السيول التى تتكون من الامطار الساقطة على الجبال
الواقفة أطراف صنعاء ، وهو مبنى بالتراب والحجارة ينتهى أعلاه بسطحين مائلين
على زاوية منفرجة تكسوها طبقة من الحصى تمنع انجراف التراب عند تدفق
المياه . ويستند هذا السد من طرفيه على جبلين ؛ وعند كل من هذين الجبلين
تفرع القنوات وتدعى ميزاب وعلى فتحة كل قناة سد آخر ذى فتحة مبنى
بالحجارة ، فالسد يحصر المياه الآتية من السيل ويجمعها فتصبح كالخزان ،
وترتفع المياه حتى تصل مستوى عالياً يقارب مستوى الجبلين ، ثم تفتح فوهات
القنوات فيدخل منها الماء لارواء سطح الجبلين ، فاذا اكنفوا سدوا هذه القنوات
بأبواب من خشب وحديد .

على ان ما بناه ذمار على لم يرو كل الاراضى ، لذلك اكمله ابنه يتعمر بيان
فأشأ سدا جديدا يدعى حبادر (أو حبايد) ووسع سد رجاب . وقد جعلت هذه
السدود منطقة مأرب غنية بالزراعة .

وقد اضيفت الى السد اضافات متعددة حتى اتخذ شكله النهائى على عهد
شمر يرعش (٣٠٠ م) وقد أدى اضطراب الاحوال فى أواخر عهد الحميرين
الى اهماله وحدوث تصدع فيه وقد حاول ابرهة اصلاحه ولكنه تخرب فيما بعد
وكان لتخريبه تأثير فى اغراق الاراضى . ويروى العرب عن سبب تخريبه
أفابص خرافية ويعزون الى هذا التخريب سبب هجرات الغساسنة والمناذرة
والأزد . ولا ريب انهم مغالون فى هذا ؛ إذ أن تخريبه أدى الى تدمير الزراعة
فى المنطقة المزروعة حول مأرب فقط .

لقد ازدادت أهمية مأرب ببناء هذا السد وأصبحت عاصمة للسبانيين بدل

(٣) راجع كتاب « تاريخ العرب قبل الاسلام » لجرى زيدان
ص ١٤٨-١٤١ وقد اعتمد فيه على وصف ارنو وتجد وصفا لبقايا السد فى كتاب
« رحلة فى البلاد العربية السعيدة » لنزبه المؤيد العظم .

صرواح واتخذها يشعمر بيان قاعدة عسكرية قام منها بفتوحات دون اخبارها في نقوش على السد فاحضع القتبانيين وقتل عددا كبيرا منهم ثم توجه شمالا الى معين وأخضعها كما أخضع قبائل أخرى في نجران كالمحامر وعامر فقتل عددا كبيرا من رجالهم وغنم منهم غنائم كبيرة غير انه لم يقض على معين .

وقد خلفه في الحكم ابن عمه (أو ابن أخيه أو حفيده) كرب ايل وتار (٦٢٠-٦١٠) الذي كان اول من اتخذ لقب الملك ؛ وحالف هذا الملك يدع ايل ملك حضرموت وداروايل ملك قتيبان واستعان بهما في حروبه ، فهاجم مملكة اوسان التي كانت قد ظهرت في الجنوب الغربي من اليمن واستفادت من ضعف القتبانيين فوسعت رقعتها وتحكمت في حضرموت وسيطرت على الطرق التجارية الآتية منها . وقد استطاع كرب ايل وتار من القضاء على هذه المملكة واخضاع عدد من القبائل التي كانت تحالفها كالمحامر ، وامن له هذا الانتصار السيطرة على طرق تجارة البخور والافاويه الآتية من الجنوب .

ثم توجه كرب ايل ~~الى~~ الى معين وحلفائها في الشمال ، فهاجم نشان والمناطق المجاورة لها . وقد حاول المعينيون أن يدرأوا خطره بالتحالف مع القبائل الموجودة في الشمال ضده ، ولكنه عاجلهم وهاجم المحامر وعامر واوهاب اللامي كن يسكن بحران وغنم منهم غنائم كبيرة .

وقد ساعدت الظروف الدولية كرب ايل وتار على القضاء على خصومه ، ذلك ان مصر لم تكن قد استغافت من تأثير غزو الآشوريين لها في أواخر القرن السابع قبل الميلاد وكانت آشور منشغلة في صد هجمات البابليين والكاشيين كما ان بابل كانت منشغلة في حروبها مع الآشوريين ثم مع اليهود في فلسطين كل هذا ساعد الملك السبائي على توطيد كيان الدولة السبائية وتأمين سلامتها وأمن السلم لاحفاده الذين ظلوا يتعاقبون في الحكم على البلاد حتى سنة (٣٧٥ ق م٠) .

غير انه تعاقب على حكم الدولة السبائية فيما بعد ملوك ضعاف واستغلت ذلك القبائل التي تسكن الهضبة وخاصة حاشد وبكيل فرعى همدان ، وخولان وبنى ذى ريدان وزادوا من نفوذهم وسطوتهم واشتبكوا فيما بينهم بحروب طويلة زادت في اضعاف نفوذ السبائين ، وأدت الى استقلال حضرموت واوسان . غير ان

ظهور هذه القبائل أدى الى تناقص أهمية الهضبة الوسطى وانتقال مركز الحضارة منها .

وفي ذلك العهد كانت روما قد أخذت تمد نفوذها في الشرق الاوسط ، فاستطاع بومبي أن يستولى على سوريا وفلسطين ، ثم قضى يوليوس قيصر على دولة البطالسة في مصر ، فلما تولى اغسطس زمام الحكم في روما وأدرك ما تصرفه روما سنويا من الاموال على البخور والافاويه ، أراد أن يضم الى امبراطوريته البلاد التي تنتج هذه المتوجات ، ويبدو انه اعتقد بضعف اليمانيين وعجزهم عن مقاومة الرومان ، فأوغز الى واليه في مصر اليوس كالوس بتجريد حملة لاحتلال اليمن سنة ٢٥ ق.م . ولا تزال نحتفظ بأخبار هذه الحملة بفضل ما دونه سترابو عنها ، فقد سلكت الطريق البرى ، وأخذت لها دليلا نبطيا سار بها عبر الحجاز الى حريد الذي هو الوادى الوحيد الذى تتوافر فيه المياه الدائمة ثم تقدمت الحملة فاحتلت اسكا (نسا أو نشق) واثرولا (بئيل أو البيضاء) وغنم منها غنائم كبيرة ثم تقدم الى مارسيايا (مأرب ؟) التي كان يحكمها الرامانيون وملكهم الاساروس (على ما يقول سترابو) . وقد لقي مقاومة شديدة اضطرته أن يتركها ويعود راجعا بعد أن حاصرها ستة أيام . وقد لاقى جيشه فى طريق عودته الاهوال من الامراض والعطش . ويعزى الرومان سبب فشل الحملة الى عوامل المناخ . ولا ريب ان هذا تبرير لفشلهم اذ الراجح ان سبب فشلها مقاومة اليمانيين .

لم تستطع هذه الحملة أن تؤدى الغرض الذى جاءت من أجله ، فظلت اليمن خارج الامبراطورية الرومانية ؛ غير انها فى نفس الوقت لم تؤد الى قطع العلاقات اذ استمرت تجارة الافاويه مع الرومان وكان يقوم بها اليمانيون . ويبدو ان حملة اليوس كالوس قد أحدثت بعض الاتعاش السياسى والعسكرى فى دولة سبأ ، فضعف خصومهم ، وزاد نفوذ الاسرة الحاكمة ، فلم يبق من يخاصمها سوى حاشد وقد استطاع ملوك سبأ أن يمدوا نفوذهم الى حضرموت كما يظهر من ألقابهم . غير ان الدمار الذى أصاب مأرب من جراء الحملة حملهم على نقل عاصمتهم الى ذمار فترة من الزمن .

لقد كان السبأيون يعتمدون فى الملاحة فى المحيط الهندى والبحر العربى

ظفر

صبا لوكي

على حركة الرياح الموسمية ويسهرون سفنهم حسب اوقاتها ، التي تبدل حسب
المواسم تبداً تاماً ، وقد احتفظوا لانفسهم بمواعيد هذه الرياح ، واعتبروها سرا
لم يبيحوا به لغيرهم ، مما مكنتهم من احتكار تجارة الهند التي كانت تأتيهم بأرباح
طائلة . غير انه في أواخر القرن الثاني ق.م . استطاع هبارخوس ، وهو أحد
الملاحين الرومان أن يتعلم مواعيد هذه الرياح الموسمية ثم علمها بدوره الى غيره
من اليونان ؛ فأخذت السفن المصرية والرومانية تبحر بنفسها في المحيط الهندي
وتجلب البضائع من جنوب آسيا والهند من دون حاجة الى وساطة السبائين ؛
وهكذا لم يعد هؤلاء يحتكرون التجارة وأخذت البضائع الهندية تسير في الطريق
البحري من المحيط الهندي الى البحر الاحمر وتنزل بضائعها في الموانئ المصرية
أو في العقبة رأساً . وقد أدى هذا الى تناقص أهمية الطريق البري الذي كان
يسير من عدن مخترقا الهضبة اليمانية الى وسط الحجاز ، كما أدى الى تضائل
أهمية الهضبة اليمانية الوسطى وانحطاط مدنها التي كانت تعتمد كثيراً على التجارة
المارة بها ؛ ولكنه أدى في نفس الوقت الى ازدياد أهمية المدن اليمانية الواقعة على
ساحل البحر الاحمر ، فانتعش الحميريون الذين كانوا يسكنون في المنطقة
الساحلية وازدادت قوتهم ؛ فكونوا لهم دولة عاصمتها ظفار استطاعت أن تمد
نفوذها حتى تمكنت من القضاء على دولة سبأ . وقد تم تأسيسها تدريجياً .

وأول ذكر للحميريين في آثار اليمن يأتي من سنة ١١٥ ق.م . حيث تذكر
النقوش « ملك سبأ وذو ريدان » وريدان هي ظفار عاصمة الحميريين ، (وهي تقع
على بعد مائة ميل من مخا) وهذا يدل على ان الحميريين كانوا منذ ذلك الوقت
ذوي كيان سياسي متميز ؛ وكانوا يسكنون المنطقة الساحلية ، وقد ساعدتهم موقعهم
الساحلي على المساهمة في الحركة التجارية وتوثقت علاقتهم بالاجانب ، ثم صار
لقبهم من سنة ٢٧٥ م . « ملك سبأ وريدان وحضرموت واعرابهم من الجبال
وتهامه » مما يشير الى توسع نفوذ اليمن وامتدادها الى تلك المنطقة ، ثم استطاعت
حمير أن تنتزع الحكم من السبائين وتصبح أسرتها هي الحاكمة في اليمن .
ينسب بعض المؤرخين العرب للملوك الحميريين فتوحات واسعة فيروون
ان فتوح ناشر النعم وصلت اسبانيا واروبا ، وان شمر يرعش امتدت فتوحاته
فشملت العراق وايران حتى وصل الى تركستان ، وانه بنى سمرقند التي سميت

بأسمه وان اسعد كرب فتح اذربيجان والقسطنطينية (٤) . ولا ريب ان تواريخ الدول المعاصرة لا تذكر شيئا عن هذه الفتوحات ، مما يدل على كونها أساطير ومخترقات ، غير انها تدل على الاثر الذي تركه قوة الحميريين العسكرية في النفوس ؛ ومن الثابت ان الحميريين استولوا على بلاد الحبشة في القرن الاول قبل الميلاد .

وفي عهد الدولة الحميرية بدأت المسيحية تنتشر في اليمن ، وكان انتشارها تدريجيا على ايدي المبشرين المسيحيين وخاصة اليعاقبة الذين جاؤا من الحبشة وأنشأوا لهم كنائس في عدن ووظفار ونجران وربما ساعد على نشر المسيحية ايضا الارساليات النسطورية من الحيرة وارساليات من سوريا (٥) وأخذوا يبشرون منها الدعاية المسيحية حتى استطاعوا أن ينصروا عددا من أهل اليمن وفي سنة ٣٤٠ م هاجم الاحباش اليمن واستولوا عليها ، ووجدت المسيحية فيهم سندا قويا لها .

غير ان الحكم الحبشي لم يدم طويلا ، اذ أن رجال الدين المتعصين للوثنية تعاونوا مع اليمانيين على مقاومة الاحباش النصارى الغزاة ، واستطاعوا اخراجهم سنة ٣٧٨ واعداد الوثنية الى مكاتها الاولى . وقد كانت هذه الحملة الحبشية الاولى محاولة لانتزاع التجارة من اليمن ونشر الدين المسيحي ، وهى بمثابة حركة استطلاع مهدت للاستعمار الحبشي فيما بعد .

أدى خروج الاحباش الى أن تفقد المسيحية سندا قويا لها ، كما ان الملوك الحميريين ، وكانوا قد لجأوا الى يثرب عند الغزو الحبشي ، تأثروا بالديانة اليهودية التي كانت منتشرة في يثرب ؛ غير انه ليس هناك دليل على اعتناقهم اياها فان ملك كرب الذي طرد اليهود كان يعبد « ذى سماوى بعسل السماوات والارض » كما تنص النقوش التي بقيت من عهده . ويظهر من هذا النص ان اليمانيين قد أخذوا يعتقدون باله عظيم هو رب السماوات والارض ، الا أنهم لم يتركوا آلهتهم الاخرى كما انهم لم يدينوا باليهودية التي تعتبر الالهة يهود ، لا بعلى كما يدعو هذا النقش .

(٤) راجع في ذلك كتاب التيجان من ملوك حمير ، المنسوب لوهب بن منبه .

(٥) انظر الفصل السابع من كتاب « جزيرة العرب قبل محمد » لاوليرى .

وقد جاء بعد ملك كرب ابنه أبو كرب أسعد الذي يدعو المؤرخون العرب
أسعد كامل تبع وينسبون اليه فتوحات واسعة وصلت بها جيوشه الى تركستان
ولا ريب ان هذه الاخبار هي من باب الاساطير ، اذ لا توجد اشارة اليها في
تواريخ الامم المعاصرة له ، ولكنها تدل على مدى ما تركه قوة الحميريين العسكرية
في أذهان الناس . ويبدو ان توسع أبو كرب لم يتجاوز يثرب التي زارها هذا
الملك ردا لجميل اهلها الذين آووه واباه ، وربما أراد بذلك أن يتعاون مع
اليهودية ضد الاحباش والنصارى .

وقد أعقبه شرحبيل يعفر الذي عمر بعض ما خرب من سد مأرب سنة ٤٥٠
نتيجة الفيضانات والاهمال . ثم تعاقب فيها على حكم اليمن بضعة ملوك لم تكن لهم
آثار بارزة الى أن جاء ذو نواس الذي كان شديد التعصب على المسيحية فعزم على
اجتائها من اليمن وطلب من النصارى ترك دينهم فلما أبوا أحرقهم بالنار في
اخدود حفره لهم وقد أشار القرآن الى هذه الحادثة . قتل أصحاب الاخدود .
النار ذات الوقود . اذ هم عليها فعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود .
وما نعموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد . (سورة الروح ٤-٨) .

ويروي ان ذو نواس دان باليهودية وتسمى يوسف أو فحاص وان مقاومته
للمسيحية كانت نتيجة تعصب ديني ، وقد تكون هناك دوافع أخرى لاضطهاد
المسيحية : منها ان المسيحية في الشرق كانت تجد سندها في الدولتين البيزنطية
والحبشية ، وان انتشارها قد يؤدي الى تزايد نفوذ البيزنطيين والاحباش في
اليمن ، أو على الأقل قد يكونوا بمثابة ركن خامس للبيزنطيين عند حدوث أي
غزو بينما لم يكون اليهود أي خطر للاستيلاء على اليمن . ولعل اليهود هم الذين
حرضوا ذو نواس على اضطهاد المسيحية انتقاما من البيزنطيين الذين قاموا باضطهاد
اليهود في بلادهم آنذاك . وجدير بالملاحظة ان ذي نواس أول ملك ذكر بأنه
يهود ، وانه لم يكن متعصبا لليهودية ، فلم يضطهد الوثنية التي ظلت منتشرة
حتى ظهور الاسلام .

غير ان اضطهاد ذي نواس للمسيحيين أثار البيزنطيين الذين اعزوا الى
الاحباش بالهجوم على اليمن ، فجهز الاحباش حملة بقيادة ارباط استطاعت أن
تقضي على الدولة الحميرية وتنصر للنصارى . وقد اتبع الاحباش سياسة لينة مع

اليمانيين ، واعتمدوا على الامراء المحليين في الادارة ؛ فعين ارباط سميغ اشوع
والحميري على اليمن ؛ ولكنه لما مات أعقبه ابرهة الذي أراد اتباع سياسة سلفه فعين
على كندة رجلا من ابنائها يدعى يزيد بن كبشة ، ولكن هذا اثار على ابرهة ،
مما حمل الاخير على تجريد حملة ضده ، ثم ألقى القبض عليه وقتله .

واهتم ابرهة كذلك في اصلاح البلاد ، فعمر سد مأرب الذي كان قد
انصدع ، وحشر للعمل فيه العمال من أهل البلاد ، وصرف على ذلك مبالغ طائلة ؛
وقلما انتهى من اصلاحه أقام احتفالا عظيما دعى اليه مندوبين من كافة الدول
المجاورة ؛ وقد سجل جهوده واحتفالاته في نقش اكتشف في السنين الاخيرة ،
وألقى ضوءا هاما على أحوال ذلك الزمن (٦) .

ثم جرد ابرهة حملة للاستيلاء على مكة ؛ ولكن الحملة تدمرت عند مكة ،
ومات ابرهة ، وقد أشار القرآن الى ذلك بقوله تعالى « ألم تر كيف فعل ربك
بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم في تضليل ، وأرسل عليهم طيرا ابابيل ، ترميهم
بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول » .

لم يرض بعض أهل اليمن باحتلال الاحباش لبلادهم ، فاستجدوا بالدولة
الساسانية التي كانت عدوة البيزنطيين ؛ فانجدهم انوشروان بقوة أبحرت من
الخليج الفارسي ونزلت في جنوب اليمن واستطاعت أن تطرد الاحباش منها ،
وبذلك تحررت اليمن ، وقد أصبح سيف بن ذي يزن حاكما عليها ، وكان هو
الذي استنجد بانوشروان . وقد ظلت القوة الساسانية في اليمن ، وكانت تقم
في صنعاء (٧) .

ثم ان سيف بن يزن قتل ، فتولى الحاكم الساساني أمر ادارة اليمن تسانده
القوة الساسانية غير ان الاضطرابات التي حدثت آنذاك في الدولة الساسانية جعلت
مركز هذا الوالي ضعيفا منعزلا ، فقوى نفوذ العشائر والامراء المحليين ، وحصروا
نفوذ هذا الوالي في صنعاء وما يجاورها .

٦ لقد كتب سدني سميت في نشرة مدرسة اللغات الشرقية (١٩٥٤) مقالة قيمة عن حكم الاحباش وأحوال الجزيرة في القرن السادس الميلادي .
(٧) انظر في ذلك الطبري ج ٢ ص ١١٥ فما بعد . ابن هشام : سيرة النبي ج ١ ص ٦٥ فما بعد .

ثم ادعى الاسود العنسي النبوة ، وحرّض الناس ضد الفرس ، ثم تمكن من القضاء عليهم ، ولكن هذا لم يدم طويلا ، اذ سرعان ما دهمه المسلمون وقضوا على حركته ، بعد أن اغتاله بعض اليمانيين المعارضين له . وهكذا أصبحت اليمن جزءا من الدولة الاسلامية .

وقد ساهم كثير من اليمانيين في الفتوح الاسلامية ، فاندسوا الى الجيوش الاسلامية منذ عهد أبي بكر ، ثم استوطنوا الامصار الاسلامية كالقوفة والشام والفسطاط ، وشارك كثير منهم في فتح الاندلس والاستقرار فيها ، وساهموا في تكوين الحضارة الاسلامية التي نبتت في هذه الامصار ، مما سنبجته بالتفصيل في الجزء الثاني .

قائمة أسماء الملوك المعينين حسب ترتيب فليبي^(٨)

اليقع وقه

وقه ايل صديق

أبو كرب يشع

عم يشع نعت

فترة عشرين سنة لا نعلم ملوكها

صدق ايل ملك حضرموت ومعين

اليقع يشع

حفن ذرح

اليقع ريام

حوف عنت

أب يدع يشع

وقه ال ريم

حفن صدق

اليقع يقش

فترة عشرين سنة لا نعلم ملوكها

يضع ال صديق

وقه ال يضع

اليضع يشر

حفن ريام ووقه ال نبت

فترة عشرين سنة لا نعلم ملوكها

أب يدع ريام

خال كرب صديق

حفن يضع

فترة عشرين سنة لا نعلم ملوكها

يضع ال ريام

تبع كرب

حكم اليضع وقه سنة ١١٢٠ ، ودام حكم كل ملك عشرين سنة .

وقد رتب البرايت قائمة ملوك معين بشكل آخر ، فان الملوك الاربعة
الاول في قائمة فلبى ، يعتبرهم البرايت تولوا الحكم بين اليضع يفسح ويضع ال صديق،
كما انه يرى أن اليضع وقه حكم سنة ٢٥٠ ق.م. ، وان اليضع يضع (اول ملوك معين)
برايه حكم حوالي سنة ٤٠٠ ق.م. (٩) .

(٩) نشر البرايت قائمته في نشرة مجلة المدرسة الامريكية في
الشرق Bsasoor سنة ١٩٥٠ .

ملوك سبا حسب ترتيب فلمي (١٠)

يدع ال وتر	المكازب :
◦ ذمر على بين	سمه على
✓ كرب ال وتر	يدع ال ذرح
	يشعمر وتر
فترة عشرين سنة لا نعلم اسماء ملوكها	يدع ال بين
	يشعمر وتر
الكرب يهنعم	✓ كرب ايل وتر
✓ كرب ال وتر	ذمر على وتر
	كرب ال بين
وهب ال (من بليل)	سمه على ينف
انمار يهنعم	يشعمر بين
ذمر على ذرح	✓ كرب ايل وتر
نشاكرب يهنعم	المملوك :
	✓ كرب ايل وتر
فترة ثلاثين سنة	سمه على ذرح
	✓ كرب ايل وتر
ناصر يهنعم	- الشرح
وهب ال يحز	يدع ال بين
✓ كرب ال وتر يهنعم	يكرب ملك وتر
(ثم اغتصب العرش يريم ايمن	يشع امر بين
وابنه علهان نهقان)	✓ كرب ال وتر
مزعم ينهب	سمه على ينف
- الشرح يحصب	- الشرح
(ثم تعقبه فترة ذكرت فيها اسماء	◦ ذمر على بين
ملوك لا نعلم ترتيبهم أو زمن حكمهم)	

ملوك سبأ وذو ريدان :
ذمار على يحابر
يزل بيان
نشاكرب يمين يرحب
تاران يعب يهنعم
وتر يهنم
ذمار على يحابر (الثاني)
ذمار على بيان
ياسر يهصدق

وقد اعتبر بداية حكم سبه على سنة ٨٠٠ ق.م ، وقد حكم كل مكرب
عشرين سنة وهو رقم كفي .
تفق قائمة فلبى على ملوك سبأ مع قائمة هومل ، الا فى بعض الامور ، منها
ان هومل يضع كرب ايل وتر الاول بعد الشرح ، ويعتبر اسمه على ينف مؤسسا
لاسرة جديدة ، ويحذف اسم يدع ال وتر وذمر على بين ، ويرى ان الكرب يهنعم
أعقب كرب ال وتر مباشرة (١١) .

وقد نشر فلبى مقالة فى مجلة الميوزيون الفرنسية عدل فيها هذه القائمة عن
المكرب ، فأضاف سبه على ينف بعد يدع ال ذرح ، وذمر على ذرح بعد يدع
ال بين ، وذمر على ينف بعد ينعم بين ، كما اعتبر بداية حكم سبه على
سنة ٨٢٠ ق.م .

ملوك سبأ وذو ريدان وحضر موت ويمنات

نوف	يريم يرحب
لاهى عشت يتين	الاحتلال الحبشى الاول
معد يكرب ينعم	
ذو نواس	ملكرب يهنم
	أبو كرب أسعد
غزو الاحباش	ورو عمار ايمن
سميفع اشوع	شرحيل يعفر
معد يكرب وابرهة	معد يكرب
غزو الفرس	عبد كلال
دخول الاسلام	شرحيل يكيف

(١١) نقلت قائمة هومل من كتاب الدكتور جواد على ج ٢ ص ١٤٧-١٤٩ .

الفصل الثالث

(١)

بطرا

لقد كان الهلال الخصيب منذ أقدم العصور التاريخية مركزا لحضارة راقية ، فقد ساعدت خصوبة أرضه ووفرة المياه فيه على رقي الزراعة وازدهام السكان وظهور المدن وتكوين الحكومات ؛ وأدى هذا الى رقي المدينة والصناعة والتجارة . ومع وفرة منتوجات بلاد الهلال الخصيب ، ورفى بعض صناعته ، الا أنه كان محتاجا الى استيراد بعض البضائع ، وخاصة من الهند وشرق افريقيا وجنوب البلاد العربية ، كالبخور والعطور والبهارات والافاويه والعاج والمصنوعات الحريرية ؛ وكان يصدر بدوره بعض الفائض من منتوجاته وخاصة المنسوجات والمصنوعات الزجاجية .

ولما ازداد رقى الحضارة اليونانية والرومانية ، زاد الطلب على بضائع بلاد الهند وجنوب البلاد العربية ، وصار الهلال الخصيب مركزا لتجارة الترانسيت الى بلاد البحر المتوسط .

وكانت التجارة الهندية^(٢) تأتي عن طريقين اولهما طريق الخليج الفارسي فتفرغ بضائعها عند رأس الخليج الفارسي حيث تنقل الى العراق ومنها الى سوريا فالبحر المتوسط (وفي بعض الاحيان كانت البضائع تفرغ في موانئ البحرين

(١) رجعنا في بحث الانباط بصورة خاصة الى كتاب « بطرا والانباط » لكامير (بالفرنسية) ؛ وكتاب « مدن القوافل » لروستوفزيف بالانكليزية و « بطرا : تاريخها وآثارها » لكندى (بالانكليزية) هذا بالاضافة الى كتابي جواد على وجرجي زيدان .

(٢) راجع عن طرق التجارة بالاضافة الى ما ذكر اعلاه كتاب ورمنجتن « تجارة الامبراطورية الرومانية مع الهند » ؛ وكتاب جارلسورث « الطرق التجارية والتجارة في الامبراطورية الرومانية » . وسليمان حزين « جزيرة العرب والشرق الاقصى » وكذلك ما كتبه روستوفزيف في الجزء الاول من كتابه « التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للعالم الهليني » ، وكذلك ما كتبه في الجزء السابع من تاريخ كمبردج للعصور القديمة .

وخاصة كره Gerrhae التي تقع في مكان لم يعين بعد في منطقة البحرين ثم تنقل عبر الصحراء العربية الى العراق أو الى سوريا أو الى فلسطين ومصر .

أما الطريق الثاني فكان من البحر العربي فالبحر الاحمر ومنها الى الموانئ المصرية الواقعة على ساحل البحر الاحمر الغربي ، أو الى ميناء العقبة حيث تنقل منها الى سوريا وموانئ البحر المتوسط ؛ ولا ريب ان الطريق الاول المار عبر الخليج الفارسي الى العراق كان أفضل لانه أقصر وأقل كلفة وليس فيه جزر مرجانية كالبحر الاحمر ؛ لذلك كان أكثر طروفا وخاصة عندما يكون الهلال الخصيب تحت حكم امبراطورية واحدة لا تتدخل في عرقلة الطرق التجارية .
R

الا أن الطرق البحرية كانت في العصور القديمة معرضة الى كثير من الاخطار الطبيعية أو البشرية كالمواصف والدوامات والحيوانات البحرية أو الشعاب المرجانية ، لذلك كان التجار يفضلون الطرق البرية بقدر المستطاع .

فكانت السفن الآتية الى الخليج الفارسي تفرغ أحيانا حمولتها عند البحرين في ميناء كره Garrhae وتنقل منها برا الى العراق ، أو الى سوريا عبر الصحراء ، أما السفن الآتية الى البحر العربي فكانت تنهى رحلتها في ميناء عدن حيث تنقل بعدها البضائع عبر اليمن فالحجاز ومنها الى مصر وفلسطين أو سوريا . وكانت الطرق البرية لا بد وأن تقطع صحراء البلاد العربية ، سالكة الوديان أو القفار ؛ وأهم المضاعف التي تلاقيها هي قلة المياه ، فالآبار هي العامل الاول الذي يقرر اتجاه القوافل ومحطاتها في الصحراء ، لذلك كانت كافة محطات القوافل حول الآبار . وتتوقف أهمية هذه المحطات على وفرة مياه آبارها والاراضي القاحلة التي تحيط بها أو وقوعها على تشعبات الطرق .

وقد كان شمال الحجاز منذ أقدم الازمنة ذا أهمية كبيرة لطرق القوافل ، وذلك لكون تلك المنطقة تقع عند طرف الهلال الخصيب ، تلتقي فيها الطرق الآتية من كره شرقا ، واليمن جنوبا ، وسوريا وفلسطين شمالا ، ومصر غربا . لذلك كانت تنشأ فيها مدن في محطات القوافل ؛ وتتفش هذه المدن خاصة عندما يحدث اضطراب في الهلال الخصيب وينفصل العراق عن سوريا ، وقد رأينا كيف أن

المعنيين انشأوا لهم مستعمرة عند العلاء في الطرف الشمالى من البحر الاحمر لتكون محطة لقوافلهم البرية التى تنقل تجارتهم الى الهلال الخصيب أو الى مصر .
وكثيرا ما كانت القبائل العربية التى تجوب تلك المناطق تترك حياة التجول وتستقر حول الآبار وتقوم بتأمين القوافل المارة بها ، وقد تقوم بحراستها .

ومن هذه المناطق التى اتخذت محطة للقوافل وادى موسى فى شرقى الاردن ؛ فقد كانت هذه المنطقة تتوفر فيها المياه والآبار ، فتصلح لان تكون محطة للقوافل تحميها الجبال التى كانت تحيط بها . ولسنا نعلم عن تفاصيل تاريخها فى القديم ، سوى أن الادوميين قطنوها منذ القديم ، وأنشأوا فيها بضعة مدن ، ولكن القبائل البدوية فى الجزيرة قامت بعدة هجمات على الادوميين فأقصتهم تدريجيا وحلت محلهم . فلما جاءت الامبراطورية الآشورية احتلت سوريا وفلسطين وبذلك وحدت الهلال الخصيب وجعلته خاضعا لامبراطورية واحدة قوية نشرت الامن والسلم فى ربوعه ، الامر الذى ساعد على انتماش الطريق التجارى المار بالعراق ، ولا بد ان هذا أدى الى ضعف التجارة التى كانت تمر من غربى الجزيرة . وقد أدرك اليمانيون ، وربما القبائل التى كانت تسكن غربى الجزيرة قوة الآشوريين وخطرهم ، فراحوا يتوددون اليهم ويرسلوا لهم الهدايا ، ولعلمهم كانوا يستهدفون من ذلك ضمان مرور تجارتهم فى بلاد الامبراطورية الآشورية . ولكن ليس هناك دليل على ان الآشوريين احتلوا هذه الاماكن أو أدخلوها ضمن امبراطوريتهم . فظلت تلك المناطق تتمتع بالاستقلال ، ولا بد أنهم أصابهم بعض الضعف لتحول التجارة الى طريق العراق ، اذ اتنا لا نسمع شيئا عن سكانها سوى ان آشور بانيبال أرسل ضدهم حملة دون أن يخضعهم .

فلما جاء الاسكندر المكدونى أرسل بقيادة أحد قواده حملة توغلت فى بلادهم ولكنها لم تستطع اخضاعهم ، فلما مات الاسكندر انقسمت امبراطوريته الى عدة أقسام ، وقد كانت مصر من نصيب بطليموس وسوريا من نصيب سلوقس ، وكان هذان الحاكمان متنافسين فحاول سلوقس قطع التجارة عن مصر ، بلاد خصمه بطليموس ، لذلك أراد احتلال بلاد الانباط التى كانت تسيطر على طرق التجارة البرية ، فأرسل حملة مكدونية من ٤٠٠٠ راجل و٦٠٠ فارس ، ولكنها أفيتت وشتت ، واضطر الذين سلسوا الى مصالحة الانباط . ثم أرسل

السلوقيين حملة أخرى لعقابهم ، فانسحب الانباط الى معاقلهم في الجبال والصحارى ، ثم فاضوا السلوقيين بالصلح ، ودفعوا لهم مبلغا من المال ، فوافق السلوقيون على الصلح بعد أن أدركوا أنه ليس بمقدورهم الاستيلاء على تلك البلاد .

وقد أدرك البطالسة أهمية بلاد الانباط وأثرها على التجارة الخارجية المصرية ، كما أدركوا صعوبة الاستيلاء على تلك البلاد الجبلية الصحراوية ؛ لذلك عزموا على أن يتركوا لهم استقلالهم ولكن يجعلوهم تحت نفوذهم ، فاستولوا على المدن الفينيقية وفلسطين التي كانت تنهى إليها القوافل النبطية ، كما أرسلوا حملة احتلت أراضي اللحيانيين الواقعة في الطرف الشمالي من الحجاز ، ثم أنشأوا في الاردن ، عند أطراف بلاد الانباط ، عدة مستعمرات يونانية . وبذلك أحاطوا ببلاد الانباط وهيمنوا على منافذ الطرق التجارية (٣) .

وبجانب هذا شجع البطالسة تجارة البحر الاحمر ، وأنشأوا على سواحله المصرية ^{الطونسية} والمحطات والطرق ، الامر الذي أدى الى اضعاف التجارة البرية المارة ببلاد الانباط . وقد أدرك الانباط هذا الخطر الذي يتهددهم فقاموا ببعض النشاط في القرصنة والانتقاض على السفن في البحر الاحمر بقصد عرقلة التجارة البحرية .

ثم ان البطالسة ضعفوا في القرن الثاني ق.م . واسترجع منهم السلوقيون سوريا ، فحاول هؤلاء أن يجلبوا الانباط الى جانبهم ، وقد استفاد الانباط من ذلك ، ونشطت تجارتهم مع سوريا ، وذهب تجارهم الى صور وديلموس حيث وجدت آثارهم هناك ، وربما امتد نشاطهم التجاري الى المدن السورية الاخرى *

ثم ضعف السلوقيون واضطربت احوال الشرق الاوسط عامة والهلال الخصيب خاصة ، فاحتل البارثيون العراق ، واستقلت امارات متعددة في شمال الهلال الخصيب وسوريا ، وكانت هذه الامارات متخاصمة ، فاضطرب الامن وتعرقلت التجارة المارة بالعراق فاستردت طرق التجارة في غربي الجزيرة

(٣) راجع في ذلك مقال روستوفزيف بعنوان « بطليموس الثاني والجزيرة العربية » المنشور في مجلة الآثار المصرية سنة ١٩٢٧ .

أهميتها ، وعادت بطرا الى الازدهار ، والواقع أن معظم أخبارها وآثارها المكتشفة تأتي من هذه الفترة ✕

حاول الانباط الاستفادة من عدم وجود دولة قوية في الهلال الخصيب وأرادوا بسط نفوذهم على البلاد المجاورة ؛ واضطر ملوكهم الاول : الحارث الاول ١٦٩-١٤٦ والثاني ١١٠-٩٦ ق.م. وعبادة الاول (٩٠ ق.م.) الى الاشتباك بعدة حروب مع دولة الهيروديين اليهودية التي تأسست في فلسطين ، وقد استطاع هذا الملك الاخير أن يستولى على جنوب شرقي سوريا بما فيها حوران وجبل الدروز .

ومن أشهر ملوك الانباط الحارث الثالث (٨٧-٦٢ ق.م.) الذي استطاع أن يكسر اليهود في عدة مواقع ويحاصر القدس ، ثم استنجد به اهل دمشق وطلبوا منه أن يتولى أمرهم بدل السلوقيين المقوتين ، وقد لبى نداءهم وخلصهم من السلوقيين ، وقد رحب به أهل دمشق وسموه محب الهلينيين Philhellenic وهكذا استطاع أن يبسط سيطرته على قلب سوريا .

ولما جاء القائد الروماني بومبي الى الشرق حاول احتلال بلاد الانباط فأرسل حملة ضدهم ، ولكن الحارث الثالث استطاع صد تلك الحملة والاحتفاظ باستقلال بلاده ، رغم أنه خسر ما كان قد حصل عليه في سوريا .

لقد ادخل الحارث الثالث الحضارة الهلينية في بلاد الانباط ، فقد سك النقود على الطراز الهلني وأخذ العيار البطليموسي للعملة ، وجاء بمعماريين سوريين شادوا له قبرا يعتبر حتى اليوم من آيات الفن الرائع ، وتسمى تلك البناية اليوم « الخزنة » ، كما أنشأ مسرحا ، وصارت بطرا في زمنه مدينة تشبه المدن الهلينية لها طرق عظيمة وأبنية جميلة .

ثم ان روما أخذت تمد نفوذها الى الشرق ، فاستولت على آسيا الصغرى فسوريا ثم مصر ، وبذلك استحوذت على حوض البحر الابيض المتوسط وسيطرت على موانئه التي هي منافذ للتجارة النبطية ، وقد أدرك الانباط خطر الامبراطورية الرومانية ، فسمعوا الى التقرب منها ، لذلك نجد أن ملكهم مالك الاول (٥٠-٢٧ ق.م.) أنجد يوليوس قيصر بقوة عندما حاصر هذا الاسكندرية ، كما ساعد ابنه

عبادة الثالث (٢٨-٩ ق م) حملة اليوس كالوس ضد اليمن وأمدّها بادلاء من الانباط . ورغم فشل هذه الحملة ، الذي عزاه الرومان الى سوء نية الادلاء الانباط وتضليلهم لهم ، فقد ظلت العلاقات بين الانباط والرومان طيبة ، واستطاعوا أن يحافظوا على سلطانهم في جنوب فلسطين وشرقي الاردن وجنوب شرقي سوريا وشمال الجزيرة ، وأنشأوا بضعة خانات ومحطات للقوافل ، وقلاعاً في وادي العرابة لتكون مركزاً للحاميات التي تحمي القوافل .
+

غير ان مجيء الرومان أدى الى نشر الامن في ربوع البلاد ، كما ان الاباطرة منذ عهد اغسطوس اتبعوا سياسة السلم ، واتفقوا مع البارثيين الذين كانوا يحكمون العراق . وهكذا عادت حياة السلم والطمأنينة في بلاد الهلال الخصيب ، وأخذت التجارة الخارجية تسلك تدريجياً طريق العراق ، وهو الاقصر ، الامر الذي أدى الى انتعاشه ، أما الطريق المار بغربي الجزيرة ، والذي تقع في نهايته بطرا ، فقد أخذت أهميته تتضاءل تدريجياً ، وقد تبع هذا الانحطاط بطرا التي كانت تقع على الطرف الشمالي من هذا الطريق ، والتي كانت تعتمد على التجارة الغربية في كيانها .

وفي سنة ١٠٦ م جاء تراجان الى الشرق لاعادة تنظيمه ، فأرسل ضد بطرا حملة استطاعت أن تستولي عليها دون مقاومة ، وبذلك قضى على دولة الانباط ثم جعلها جزءاً من المقاطعة العربية Arabia Provincia التي أنشأها في الطرف الجنوبي من سوريا لتحميها من هجمات البدو ، وجعل عاصمتها بطرا التي تحول اليها طريق التجارة ، فانتهت بذلك حياة بطرا ولم نعد نسمع لها دوراً أو ذكراً في التاريخ .

مدنية الانباط

لقد نشأت مدينة بطرا كمحطة للطرق التجارية ، فلا عجب أن تكون التجارة وخدمة القوافل العمل الرئيسي للانباط والاساس الذي قامت عليه مدينتهم . وقد مدوا نفوذهم الى ما يجاورهم من البلاد والمدن فحصنوها وأقاموا فيها حاميات للقوافل وأماكن لاستغلال المناجم ، وأصبحت مدينتهم في القرن الاول قبل الميلاد المدينة الرئيسية للقوافل ، وسوقاً عظيماً ، فسيطرت على طرق غزة وبصرى

ودمشق وأيلة . وقد حفرروا الآبار ، وأقاموا مشاريع المياه ، وحولوا بعض المناطق الصحراوية الى أراضى زراعية .

ولا ريب ان القوافل فى القديم كانت تتطلب كثيرا من الحاجيات ، ففضلا عن اعلاف الحيوانات ومأكولات البشر ، فانها كانت تتطلب السروج والأكسية للحيوانات والاكياس للبضائع والأسلحة للحراس ، وكل هذا يستلزم تزويدهم بمتوجات النساجين والنجارين والحدادين والزراع ؛ وهكذا كانت محطات القوافل أسواقا . وكثيرا ما كان يقوم أصحاب تلك المحطات ببعض المعاملات التجارية من بيع وشراء واقراض ، لذا كانت تنشط الحركة فى هذه المحطات ، وتصبح مراكز تجارية ؛ وهكذا سرعان ما أصبحت بطرا مركزا تجاريا واقتصاديا ، يساهم أهلها فى التجارة والاقراض . وقد امتد نشاطهم التجارى الى مناطق واسعة ، فقد وجدت آثار تجارتهم فى سلوقية وموانىء سوريا والاسكندرية ^١ وديلوس ورودى .

وأهم السلع التى كانوا يتاجرون فيها الافاويه (من اليمن) ، والحرير من الصين ، والحناء من عسقلان ، والزجاج ، وصبغ الأرجوان من صيدا وصور ، واللؤلؤ من الخليج الفارسى والخزف من روما ؛ هذا بجانب ما كانت تنتجه بلادهم من الذهب والفضة والقار وزيت السمسم .

ويروى ديودورس انه كانت لهم قوانين تمنع زراعة الأشجار وبناء البيوت أو استعمال الخمور لانها تؤدي الى الخضوع ، فاذا صح هذا فانه لابد وان يمثل أدوار حياتهم الاولى حيث كانوا أقرب الى البداوة ، يمتنون الرعى والتجارة ، أما فى الأدوار المتأخرة ، عندما اتسع حكمهم ، فقد أخذوا يشيدون البيوت والمسارح والابنية الفخمة للقصور والمعابد ودوائر الحكومة ، وكثير منها منقور فى الصخر ؛ ولا تزال بقايا موجودة فى الرقيم موقع بطرا ، فى وادى موسى ، وهى من أروع الابنية والآثار ، مشيدة على الطراز الهلينى ، وتشهد على مدى تأثيرهم بالحضارة الهلينية التى كانت سائدة فى الشرق الادنى آنذاك ، كما تدل على رقى الذوق الفنى والرخاء وتقدم المدينة .

ان الانباط من عرب شمال الجزيرة ، ولعلمهم أقرب الدول القديمة الى

عرب الحجاز • فأغلب الاسماء التي كانت شائعة عندهم تشبه الاسماء المستعملة عند العرب عند ظهور الاسلام مثل حارثة ومليكة وجذيمة وكليب ووائل ومغيرة وقصي وعدى وعائذ وعمر وعميرة ويعمر وكعب ومعن وسعد ومسعود ووهب الله وتيم الله وعلى •

كما ان تركيب لغتهم يشبه تركيب النحو العربي المعروف لدينا فالفاء تستعمل للترتيب (بنية فبناته) ومن لاسم الموصول (جاء من يعلم) والياء للمضاف اليه (تيم الله) ؛ كما كانوا يستعملون صيغة الماضي في الدعاء بدل المضارع فيقولون (لعن ذو الشرى) كما يفعل العرب ، وبذلك يختلفون عن الآراميين الذين يستعملون صيغة المضارع فيقولون (يلعن ذو الشرى) •

غير انهم كانوا يستعملون في الكتابة والمكاتبات الرسمية والمعاملات التجارية اللغة الآرامية التي كانت سائدة آنذاك في كل بلاد الشرق الاوسط ، فكأنه كانت لهم لغة للخطابة ولغة للكتابة ، مثلما لدينا اليوم لغة عامية ولغة فصحي • والراجح ان كثيرا من تجارهم كان يعرف الاغريقية واللاتينية •

لقد استعمل الانباط الخط الآرامي المشتق من الفينيقى ، ولكنهم حوروه وصقلوه تدريجيا ، حتى أصبح خطا قائما بذاته • ومنه انحدر الخط العربي الكوفي (٤) •

عبد الانباط آلهة متعددة ، كان أعظمها لديهم ذو شرى ، وكان له صنم من صخرة سوداء مستطيلة ، ولا نعلم أصله ، وقد ذكر الكتاب الاغريق انه اله الشمس وانهم كانوا يقيمون له في عيده احتفالات يشربون فيها الخمر ، وكان يعتبر حامى ملوكهم •

وقد عبد الانباط ايضا اللات (وكانت آلهة القمر) والعزى ، كما عبدوا الاله هبل ، وكذلك اتاركيتس (عشروت) ؛ وقد أشار سترابو الى بعض الاحتفالات الدينية التي كان يقيمها الانباط ويقدمون فيها الخمر •

لقد ظلت عبادة ذو شرى حتى ظهور الاسلام في شمال الحجاز ، أما العزى

(٤) انظر المقال الذي كتبه يحيى خليل نامى في مجلة كلية الآداب للجامعة المصرية سنة ١٩٣٥ عن تطور الخط العربي •

والنلات وهبل فقد عدت في مكة والحجاز ، ويروى ابن الكلبي ان عمرو بن لحي هو الذي ادخل عبادة الاصنام الى مكة ، وانه جاء بها من الانباط (٥) ، وهو خير يظهر مدى اعتقاد الناس بانتر الانباط في عبادة مكة عند ظهور الاسلام .

ملوك الانباط (٦)

- * الحارث الاول ١٦٩ ق م
- * مالك ؟ ١٤٦ ؟
- * الحارث الثاني ٩٦-١١٠
- * عبادة الاول ٨٧-٩٦
- * ريبال الاول ٨٧
- * الحارث الثالث ٦٢-٨٧
- * عبادة الثاني ٤٧-٦٢
- * مالك الاول ٣٠-٤٧
- * عبادة الثالث ٩-٣٠
- * الحارث الرابع ٩-٤٠ م
- * مالك الثاني ٤٠-٧٥ (أو ٣٨-٧١)
- * ريبال الثاني ٧١-١٠٦

(٥) الاصنام ص ٨ .

(٦) اعتمدنا في هذه القائمة على كتاب بطرا وبلاد الانباط لكاميرر . وقد نقل جرجي زيدان في كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام (ص ٦٩) عن دوسو قائمة تشبهها الا في امرين : اولهما هو انه وضع زيديل مكان مالك ، وجعل آخر ملوك الانباط مالك الثالث الذي حكم ، في راية من سنة ١٠١-١٠٦ .

الفصل الرابع

(١)

تدمر

نشأت تدمر في بادية الشام حول منبع ماء يقع في منتصف المسافة تقريبا بين الفرات من جهة ، وبين دمشق وحمص من جهة أخرى ، وهو يبعد حوالي ١٥٠ ميلا عن كل منها . وقد أصبحت محطة للقوافل السائرة بين العراق والشام . ولا يعلم على وجه التحقيق منشأها ؛ فاسمها عند اليونان والرومان Palmyre مشتق من التمر وهو لا يبين أصل هذه المدينة ، وتدعى التولارة ان النبي سليمان قد بنى تدمر^(٢) ، وقد اعتقد بعض العرب بذلك فقال النابغة الذبياني على لسان سليمان :

وخيس الجن اني قد اذنت لهم بينون تدمر بالصفاح والعمد
على انه لا يمكن الجزم بأن المدينة التي بناها سليمان يقصد منها هذه التي تقع في بادية الشام ، خاصة وان سليمان لم يمتد حكمه الى هذه البلاد والظاهر ان هذه المدينة نشأت منذ أقدم الازمان من استقرار بعض البدو في الواحة التي تكونت حول البئر ، وصارت محطة للقوافل . وقد ورد ذكرها في نقوش تغلات فلاسر التي دون فيها أخبار حملته ضد العموريين في سنة ١١١٥ ق.م . ، كما ذكر ملاس بأن التدمريين ساعدوا نبوخذ نصر في هجومه على القدس وأمدوه بـ ٨٠٠٠ من رماة النبال وقد استفاد التدمريون من قيام الامبراطورية الاخمينية التي وحدت الشرق الاوسط فنشط بذلك الطريق التجاري بين الهند والعراق وتركيا وسوريا .

(١) بالاضافة الى كتب جرجي زيدان ، وفيليب حتى ، وجواد علي فقد اعتمدنا على كتاب « مقالة عن تاريخ تدمر » للاستاذ فيغريه (باريس ١٩٣٢) (بالفرنسية) وكتاب « مدن القوافل » لروستوفزيف (بالانكليزية) وكذلك المقالات التي نشرها سيريج في مجلة سوريا (بالفرنسية) .

(٢) حزقيال ١٩/٤٧ ، ٢٨/٤٨ .

وظلت هذه المدينة محتفظة بمكاتها الطيبة في عهد السلوقيين الذين وحدوا سوريا والعراق وشجعوا الطريق التجاري الذي كان يمر بالعراق وتدمر منافسة للبطالسة الذين أرادوا أن تمر التجارة الهندية عن طريق البحر الاحمر ومصر . ولكن انقراض الدولة السلوقية وقيام الدولة البارثية في العراق وايران أضرا بها ، لانه فصل العراق عن سوريا وهدد التجارة ؛ الا ان هذا لم يدم طويلا ، لانه سرعان ما جاءت الدولة الرومانية الى الشرق فسيطرت على سوريا وفلسطين ثم مصر . وقد حاولت هذه الامبراطورية في عهد اغسطوس ان تتبع سياسة السلم فهادنت البارثيين ، وعادت التجارة الهندية تسير عن طريق العراق .

كانت علاقة تدمر بالرومانيين طيبة ، فتمتعت باستقلال ذاتي كبير ؛ غير ان تراجان حاول الاستيلاء عليها والقضاء على استقلالها ، كما انه هاجم البارثيين وعاد العداء بين الرومان والبارثيين ، فاضطربت التجارة وسامت أحوال تدمر ولكن هذه الحال لم تدم طويلا ، اذ أن توفي تراجان ، تولى منصب الامبراطور هادريان الذي عاد الى اتباع سياسة اغسطوس السلمية ، واعطى اهل تدمر حقوق الايطاليين ، ومنحهم استقلالاً ذاتياً ، وسمح لمجلس شيوخهم أن يقرر الضرائب التي يرتأيها ، ثم اعثت تجارتها من الضرائب . لذلك أخذت تدمر تزدهر ، وصاروا يكترون من سمية اولادهم باسماء رومانية ، وقدموا للرومان قوات من الخيالة التي كانت تحارب بالنبال ؛ واتسع نشاطهم التجاري وازدادت ثروتهم وكثر العمران في بلادهم ، حتى ان أكثر الأبنية العظيمة المكشوفة في تدمر ترجع الى عهد هادريان . وقد وجدت نقوش تذكر تدمر « تدمر الهديانية » الامر الذي يدل على العلاقة الوثيقة بين تدمر وروما .

ثم انشغل الرومان في مشاكلهم الداخلية وفي صد الغزوات الجرمانية التي كانت تهدد امبراطوريتهم في أوروبا ، الامر الذي أضعف نفوذهم في الشرق . وقد اغتمم التدمريون هذه الفرصة وأخضعوا القبائل المجاورة لهم ووسعوا رقعتهم فلما قام الساسانيون واحتلوا العراق وحلوا محل البارثيين اتبعوا سياسة التوسع ؛ فجهز سابور الاول حملة احتلت تدمر وانطاكية وأسرت الامبراطور الروماني فالريان ٢٦٠ م ثم توغلوا في آسيا الصغرى ، الا ان أديسة قام بنصر الرومان

بفهاجم الساسانيين وكسرهم وطاردهم فقدد الرومان أعماله ومنحوه لقب
Dux orientis

ثم انه استولى على الرها ونصيبين وحاول احتلال طيسفون ، ولعله كان
يسهدف من ذلك تأمين السيطرة على طرق التجارة الهندية والعراقية التي
اضطربت بعد ظهور الساسانيين ؛ الا انه لم يستطع احتلال طيسفون ، ثم قتل في
شخص نسيجة مؤامرة يقال ان ابن اخيه دبرها . والحق انه كان حاكما قديرا ،
كان يحترمه أهل تدمر لما له من شجاعة وبذل وسخاء ولما كان يقدمه من هدايا
في الاعياد وغيرها .

و قد خلفه في الحكم ابنه وهب اللات وكان ضعيفا فتولت الوصاية عليه امه
زنوبية . وهي من الشخصيات النسائية البارزة في تاريخ الشرق الاوسط القديم ؛
فهي سورية الاصل تربت تربية راقية ودرست الفلسفة الافلاطونية المحدثة ، ثم
جاءت بلاط تدمر ، فتزوجها أذينة . ولما قتل أصبحت وصية على ولدها
وهب اللات وأخويه خيران وتيم الله وأمسكت أعنة الحكم في تدمر وكانت تتفن
الأرامية والاعربية واللاتينية ، وترعى العلوم والآداب فعاش في بلاطها الفيلسوف
لونجينوس وأخذت تقلد البلاط الساساني بما فيه من أبهة وفخخة . وكانت
قوية الجسم جميلة أنيقة تحب الصيد وركوب الخيل . وأرادت أن تستغل
ضعف الرومان في الشرق وانشغالهم في الازمات الداخلية في روما وعزمت على
توسيع حدود بلادها ، فأرسلت حملة بقيادة زبدا لغزو مصر وتأمين سيادتها على
الشرق الأوسط ، والسيطرة على تجارة شرق البحر المتوسط ، ولتحرم روما من
المخطة التي كانت تمونها بها مصر . ثم أعلنت نفسها امبراطورة فاستقلت عن
الرومان . غير ان مصر قاومت هذه الحملة مقاومة شديدة ، كما ان الرومان
أرسلوا اسطولاً الى انطاكية يهددون فيه مؤخرة هذه الحملة ، فاضطرت زنوبية
الى سحب جيوشها من مصر .

ثم جردت زنوبية حملة أخرى على آسيا الصغرى ، واستطاعت أن تتوغل
فيها وكانت الجيوش الرومانية منشغلة في حروبها مع الجرمان في حوض
الدانوب ؛ فاضطر الامبراطور أورليان أن يهادن زنوبية ويعترف لها بما استولت
عليه ، كما ندل على ذلك النقود . ولكنه بعد أن أنهى مشاكله في الغرب ، تقدم

بجيش قوى الى الشرق لمحاربة زنوبية ؛ وقد حاولت أن تدافع فى جنوب آسيا الصغرى ، ولكنها خشيت أن يهاجمها الساسانيون من الشرق . فاضطرت الى الاستحاب الى حمص واشتبكت مع الرومان فى معركة انكسرت فيها ثم انسحبت الى تدمر حيث حاصرها أورليان واستطاع أن يأسرها ويفتح تدمر . وقد حاولت زنوبية أن تفلت من أسرها وتستنجد بالساسانيين ولكنها لم تفلح .

أما تدمر فبعد أن فتحها أورليان عاملها معاملة حسنة مستهدفاً بذلك أن يجعلها مركزاً أمامياً لمجابهة خطر الغزو الساسانى ، فاكفى بأن أبقى فيها حاكماً رومانياً وحامية صغيرة وفرض عليها غرامة ، ولكن تدمر سرعان ما ثارت ضده فاضطر الامبراطور الرومانى الى أن يعود ثانية لفتحها ونهبها وأخذ زنوبية أسيرة الى روما حيث قضت بقية حياتها بالقرب منها .

وقد أدت هذه الحروب المستمرة الى اضعاف تدمر ، كما أن سيطرة الساسانيين على طرق التجارة الهندية أدى الى انحطاط تدمر ، فلم نعد نسمع لها ذكراً فى التاريخ حتى الفتح الاسلامى حيث مر بها خالد بن الوليد فدانت له بالطاعة ، ثم لجأ اليها مروان بن الحكم واتخذها قاعدة لحركاته بعد أن اختاره الامويون خليفة على أثر عزل معاوية الثانى .

الحضارة التدمرية

ليست لدينا معلومات واضحة عن تدمر الا منذ العصر الرومانى ، حيث تذكر الوثائق التاريخية التى تعطينا تفاصيل عن التنظيمات التدمرية وتطورها . ويبدو من هذه المعلومات ان سكان تدمر كانوا مكونين من المواطنين والعبيد والاجانب . فأما الاحرار فكانوا مكونين من عدد من العشائر ، ينتسب أفراد كل منها الى جد واحد ، ولدينا من أسماء هذه القبائل بنى انوبات ، بلتى ، بلعا ، برسعه ، جدبعل ، جنجن ، زيدبعل ، حثار ، هالا ، حفى ، حشاش ، يديب ، قمر ، مجدات ، مية ، معزيان ، متابعل ، عطار ، بنى بعل ، شمعون ، شيزا ، تيم ، تيمرسون .

ولم تكن هذه القبائل متكافئة فى مركزها الاجتماعى ، اذ كانت بعض القبائل تعتبر أشرف من غيرها وأسمى مكانة ، وقد احتكرت الوظائف الادارية . الا أن

كل قبيلة كانت تتمتع ببعض الاستقلال في شؤونها الخاصة ، ولها مجلس خاص ، وكانت الخصومات تحتم أحيانا بينها . ولدنيا أخبار عن منازعات حدثت بين بني فمر وبني متبول . وكثيرا ما كانت هذه المنازعات تؤدي الى تكوين محالفات بين القبائل المتنازعة . وأغلب أفراد العشائر كانوا يتسمون بأسماء سامية ، والقليل منهم يتسمى بأسماء اغريقية .

ولما نشطت الحركة التجارية في تدمر ، لم يقتصر التدمريون على نقل البضائع أو تزويد القوافل المارة بهم ، بل أخذوا يقومون بالتجارة في أنفسهم ؛ وهكذا ازداد عدد التجار فيهم ، وكونوا لهم وكلاء وجاليات في بابل وفولوكاسبا (وهي مدينة بالقرب من الكوفة على ما يظهر) وكرخ ميسان ، وفي الشام والمدن الفينيقية ومصر وروما حيث كان لهم معبد خاص يقدمون فيه الذبائح . وامتد نشاطهم الى داسيا (رومانيا الحالية) والغال (فرنسا) واسبانيا . ولا ريب ان التجارة قد ساعدتهم على الاحتكاك بالاجانب ووسعت أفق نظرهم ، كما أدت الى استعمال عدة لغات في بلادهم ؛ فانتشرت الآرامية والاغريقية التي كتب بها معظم وثائقهم . كما استعملت الرومانية في مكاتبتهم الرسمية في العصر الروماني .

أما الاجانب فكان أغلبهم من الاغريق والبيد المحررون ، ولم تكن لهم مكانة كبيرة في المجتمع ؛ غير أنه كان هناك عدد من الفرس ، وكانوا يعتبرون من الارستقراطية ويعاملون كأنهم من أهل المدينة لا كأجانب ؛ كما كان هناك بعض الرومانيين وخاصة من الموظفين . وبجانب هذا كان يوجد عدد من التجار الذين يقيمون في المدينة لمدة موقته وقيمون في خانات خاصة . ويكونون خاضعين الى موظف خاص . وتقيم الجاليات الاجنبية عادة بفنادق خاصة بها ، ولكل فندق رئيس يشرف على شؤون تلك الجالية .

وقد تأثرت أذواقهم وأبستهم وفنهم بالمؤثرات الخارجية ، فكانت أبستهم من السراويل والاردية وهي تشبه الالبسة البارثية وزخرفتها متأثرة بالذوق الفارسي ؛ كما ان فنونهم كانت متأثرة بالفن البابلي والفارسي والفن اليوناني .

وقد عبد التدمريون آلهة متعددة تزيد على الاربعة ، أعظمهم ثلاثة هي الاله بعل الذي كان يعتبر الالهة وطنيا وعبادته معروفة عند الساميين من أقدم

الازمنة ؛ ويتلو هذا الاله بعل سمين أى بعل السماء ، وكان يعتبر حامى الزراعة وأصله معبود الفينيقيين والسوريين ؛ ثم الاله يرحبل اله القمر ؛ وكانت هذه الالهة الثلاثة ترسم في الغالب مجتمعة بحيث يكون الاله بعل في الوسط والاله بعل سمين هي اليمين والاله يرحبل في اليسار ، وكانت تعبد عادة مجتمعة في معبد واحد . وفي زمن الرومان ازدادت مكانة الاله بعل سمين ، وصار يوصف بالاله الطيب الرحيم ، وأخذ ينافس بعل في مكائته وهناك اشارة الى ملك بعل وهو كالرسول للالهة .

وبجانب هذه الالهة عبد التدمريون الاله شماش وعشروت ونانينا ونرجال وهي آلهة بابلية الاصل ؛ كما عبدوا الالهين حداد وعشروت السورية ؛ والشمس واللات وعنى القوم وارسو (وكان يعتبر حامى القوافل ويرسم على هيئة جمل) كما عبدوا الاله العزيز (وكان يمثل نجمة الصباح وشكله جميل ويعبد عادة مع اله الشمس) واكبول .

وقد كون رجال الدين طبقة قوية معقدة كان بعض أفرادها يقيم في المعابد الرئيسية وبعض الآخر يقيم في الحرم القبلي ، وكانت وظائفهم شرفية لا وراثية ؛ وهناك اشارات الى رجال دين يرأسون الموائد الدينية ولهم عدد كبير من الاتباع . وكانت تقام عادة حفلات دينية فخمة في بعض الاعياد ، تشرب فيها الخمر وتمد فيها موائد فخمة للطعام ؛ كما كان دفن الموتى يجرى باحتفالات تنصب فيها موائد الاكل .

ليست لدينا عن تنظيحات تدمر معلومات واضحة قبل القرن الاول حيث تكثر الوثائق . وتظهر هذه الوثائق انه كان في تدمر مجلس للشيوخ يدعى boule ومجالس للعشائر يدعى كل منها demos ، وان الاسماء اليونانية لهذه المجالس تدل على مدى تأثير تنظيم المدينة بالنظم الاغريقية . وكان مجلس الديموس يضم كافة أفراد العشائر البالغين ؛ أما البولي فكان يضم من كان يتميز بالجاه والثروة والسن ، وكان لهذا المجلس رئيس وسكرتير وللرئيس مركز هام في تمشية أمور الدولة . (واقصد ازداد نفوذ مجلس البولي في القرن الثاني وتناقص نفوذ مجلس الشيوخ) ولكن في زمن اذينة تناقص نفوذ كلا المجلسين .

وكان للمدينة رئيس (أراخون) يتولى ادارتها وموظف يدعى متقن المدينة ، وموظف للمالية يدعى procurator ، وموظف مسؤول عن الاسواق Agoranomos وظيفته تشبه وظيفة المحاسب في الاسلام ، وموظف مسؤول عن المنازعات والشؤون القضائية Juridicus وقائد للجيش Argapad وقائد للحامية strategos ومعلوماتنا عن اختصاصاتهم وعلاقاتهم مع بعضهم قليلة جدا ، وأكثرها من عهد هادريان ، فلا نعرف عن تطورها شيئا كثيرا .

كانت السيادة عادة في يد الأراخون الذي كثيرا ما كان يجمع بين هذا المنصب ومنصب الستراتيجوس . وقد ركز أذينة معظم السلطات بيده وبيد ورود الذي كان يشغل منصب متقن المدينة . ويشرف على ادارة دوائر المدينة . وقد أدى تركيز السلطان بيد أذينة وورود الى اضعاف سلطة مجلس العشائر وابولى والى اضعاف نفوذ الأرستقراطية .

وكانت للمدينة قوة من البوليس لحماية القوافل والطرق من غزوات البدو الذين كانوا يهددون بها دائما . وهي مكونة من رماة النبال والخيالة أو الهجامة ، وتساعد راسنها عادة الى الزعماء والاعنياء ؛ ولا نعلم فيما اذا كانت قوة البوليس هذه تجمع من أهل ندمر أم انها كانت تجمع من المنطوقة الماجورين ؛ وهي على كل حال كانت بوضع تحت حماية الالهين أرسو والعزير .

وبجانب هذا كانت توجد قوة من الميشيا تعسكر عند الآبار والمناطق الهامة من الصحراء . وفي عهد الاضطرابات والحروب كانت تنشأ قوة أخرى يقودها الستراتيجوس لتشارك في الحروب والدفاع عن المدينة والقيام بحملات ؛ ولدينا نقش يذكر أن الكردوس الواحد والعشرين كان مرابطا في دورايوروبوس (جرابلس) ، ولكننا لا نعلم فيما اذا كان معنى هذا انه كان للتدمريين أكثر من عشرين كردوسا أم ان كلمة الكردوس لها مفهوم خاص عندهم ، أو ان الكردوس الواحد والعشرين لا يعني انه كانت هناك ٢١ كردوسا .

د ثرال بينهما ندمر قائمة بين دمشق والفرات في منتصف الطريق بينهما تجتلب أسياح إليها ؛ وأبرز ما في هذه الآثار معبد بعل ، وهو مقام على مرتفع من

الأرض أمامه قوس هائل وطريق عريض طوله ١٢٤٠ ياردة وعلى جوانبه ٣٧٥ عمودا طول كل منها ٥٥ قدما ، ولا يزال منها ١٥٠ عمودا قائما مبنى معظمها من المرمر الأبيض وبعضها من الجرانيت السماقي ، وكانت هذه الأعمدة مرتبطة ببعضها . وهذا الطريق هو الشارع الرئيسي في المدينة وتتفرع منه الطرقات الفرعية وعلى جوانبه الحوانيت والمخازن المنقمة بالبضائع .

ولا ريب ان معبد بعل لم يكن المعبد الوحيد في المدينة ، بل هناك عدة معابد اخرى منبثة فيها كانت مبنية بالحجارة وتزينها مختلف النقوش والصور وبعض التماثيل ؛ كما ان هناك عدد من الخانات التي تنزل فيها القوافل ويقم فيها الاجانب ، وهي ابنية ضخمة واسعة . اما المقابر فلا تزال بقايا بعضها قائمة في اطراف المدينة كالابراج العالية ، وفيها غرف منقوشة وصور ملونة ومنحوتات كثيرة ؛ والعادة ان يدفن الميت في اعلاها . ومعظم ابنتها الفخمة على الطراز الهلنستي .
أما بيوت الشعب فالراجح انها كانت مبنية بالطين فلم يبق من آثارها شيء .

لقد كان التدمريون يشربون من مياه الآبار ، وكانت الزراعة لديهم قليلة ؛ ولكن بعد تقدمهم في المدينة اعاروا الزراعة بعض الاهتمام ، فبنوا بعض السدود لحصر مياه السيول وجمعها ، ولا يزال من آثارها سد يبلغ طوله نصف ميل بني بين تلين لحصر مياه الامطار وتكوين مستودع من الماء يكفي للزراعة .

الا ان اهتمامهم الاكبر كان منصرفا الى التجارة ؛ وقد تحدثنا عن امتداد تجارتهم وجالياتهم في ميسان (عند البصرة الحالية) وفولوكاسكرته (عند النجف) وسلوقية (سلمان باك) ودورايبوربوس (جرابلس) والشام والمدن الفينيقية ومصر وروما وداسيا (رومانيا) والغال (فرنسا) واسبانيا ؛ كما انهم عقدوا معاهدات مع القبائل المقيمة على ضفاف الفرات ، واعطوا بعض شيوخهم الهدايا والاموال لتأمين مرور القوافل بسلام ، ولعل دولة المناذرة قامت في الاصل بتشجيعهم لحماية الطرق التجارية خاصة بعد ضعف البارثيين .

وقد اكتشفت نقش يبين مقدار ضرائب الكمرك المفروضة على البضائع التي تمر بتدمر ، ويتبين من هذا النقش ان أهم هذه البضائع هي الانسجة الصوفية

وصنع الارجوان والحرير والزجاج والاعطوري وزيت الزيتون والفواكه المجففة
كالتين والجزور والجبن والخمر ؛ ويستنتج من هذه القائمة المنوعة ان تجارتهم
كانت تشمل متوججات دول متعددة كالصين والهند وبابل والمدن الفنيقية
وبلاذ الجزيرة •

فلسطين

منذ ان وجدت فلسطين تحت سلطة الفراعنة ، فقد اشتهرت بمنتجاتها الزراعية
والتجارية التي كان يفتخر بها المصريون . فمنذ ان كانت فلسطين تحت
السيادة المصرية ، فقد اشتهرت بمنتجاتها الزراعية والتجارية التي كان
يفخر بها المصريون ، ومنذ ان كانت تحت سلطة الفراعنة ، فقد اشتهرت
بمنتجاتها الزراعية والتجارية التي كان يفتخر بها المصريون ، ومنذ
ان كانت تحت سلطة الفراعنة ، فقد اشتهرت بمنتجاتها الزراعية والتجارية
التي كان يفتخر بها المصريون ، ومنذ ان كانت تحت سلطة الفراعنة ،
فقد اشتهرت بمنتجاتها الزراعية والتجارية التي كان يفتخر بها المصريون .



منذ ان وجدت فلسطين تحت سلطة الفراعنة ، فقد اشتهرت بمنتجاتها
الزراعية والتجارية التي كان يفتخر بها المصريون ، ومنذ ان كانت
تحت سلطة الفراعنة ، فقد اشتهرت بمنتجاتها الزراعية والتجارية التي
كان يفتخر بها المصريون ، ومنذ ان كانت تحت سلطة الفراعنة ، فقد
اشتهرت بمنتجاتها الزراعية والتجارية التي كان يفتخر بها المصريون .
ومنذ ان كانت تحت سلطة الفراعنة ، فقد اشتهرت بمنتجاتها الزراعية
والتجارية التي كان يفتخر بها المصريون ، ومنذ ان كانت تحت سلطة
الفراعنة ، فقد اشتهرت بمنتجاتها الزراعية والتجارية التي كان يفتخر
بها المصريون .

الفصل الخامس

(١)

الفساسنة

لم يكن من الممكن لروما ، حتى بعد استيلائها على تدمر ، أن تبسط سيطرتها التامة على بادية الشام نظرا لطبيعتها الصحراوية وقلة المياه فيها ، لذلك ظلت هذه المنطقة ميدانا للقبائل العربية التي كانت تتجول فيها وتتخذ من مرابعها ديارا لها . وقد لجأ الى هذه المنطقة بعض القبائل العربية التي هاجرت من العراق فرارا من حكم الساسانيين الذين يبدو انهم لم يحسنوا معاملة العرب ، فهاجرت تنوخ واستقرت في الشمال ، كما سكنت قضاة في أطراف حوران والجولان ؛ ولسنا نعلم عن تاريخ هذه القبائل في سوريا ما يمكن الوثوق بصحته . غير انه يبدو ان الرومان لم يسيئوا معاملتهم بل استعان بهم بعض الاباطرة في حروبهم ضد الفرس ، الا أنهم لم يعترفوا لهم بأن يشكلوا دولة سوى الفساسنة الذين هاجروا ، على ما تقول المصادر العربية ، من اليمن ؛ وبعد ان أقاموا مدة في جنوب الحجاز وفي يثرب ، تقدموا الى سوريا الجنوبية وأزاحوا الضجاعة الذين كانوا مقيمين في تلك المنطقة وعاونوا الرومان في حروبهم معاونة فعالة حملت الرومان على أن يمنحوا امراءهم ألقابا رسمية عالية ويعترفوا لهم ببعض السيادة في المناطق التي يقيمون فيها .

وقد أراد الرومان بذلك أن يستفيدوا منهم في ضبط حدود سوريا الشرقية المفتوحة ، وأن يمدوا بواسطتهم نفوذهم على القبائل العربية ، ويجعلوهم دولة حاجزة بين سوريا والساسانيين ، ويستخدموهم لمساعدتهم في حروبهم وحملاتهم في الشرق الاوسط .

(١) اعتمدنا في بحث الفساسنة على كتاب نولده كه « امراء غسان » الذي ترجمه بندلي جوزي وقسطنطين زريق (بيروت ١٩٣٣) بالاضافة الى كتب جرجي زيدان وفيليب حتى وجواد علي .

وليس لنا عن أصلهم وتاريخهم الا اول معلومات يوثق بها فان المؤرخين العرب غير مجمعين على تاريخهم وعدد ملوكهم وسنى حكمهم ، اذ ان بعض هؤلاء المؤرخين يذكرون قائمة طويلة من أسماء ملوكهم لا تذكرها المصادر البيزنطية ، ولعل المصادر العربية كانت تدخل فى هذه القائمة الطويلة اسماء الامراء القدماء ومشايخهم . أما البيزنطيون فاكفوا فقط بذكر من كان له علاقة بهم ومن اعترفوا بسلطانه .

وقد اجتمعت الاخبار التاريخية على ان جد هذه الاسرة هو جفنة ، ولكن لا ريب ان جبلة هو اول ملوكهم البارزين الذين اعترف بهم البيزنطيون ، وتروى المصادر البيزنطية ان جبلة هذا غزا فلسطين فى سنة ٤٩٧ م .

وقد تلاه ابنه الحارث بن جبلة ، ويطلق عليه العرب أحيانا الحارث بن أبى شمر . وقد حارب الحارث هذا المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة وانتصر عليه فى سنة ٥٢٨ م ، كما انه أبلى بلاءا حسنا فى قمع ثورة السامريين سنة ٥٢٩ م ، وعلى أثر هذه الخدمات منحه جستنيان لقب فيلارك وبطريق ، وأقر له سلطته على القبائل العربية فى أطراف سوريا ؛ وكان غرضه من ذلك أن يقيم خصما بوجه المنذر بن ماء السماء الذى سرعان ما هاجم سوريا وعات فيها . وكان لقب بطريق من أسمى الألقاب البيزنطية ، اذ أن طبقة البطارقة كانت تعد عند البيزنطيين أعلى الطبقات الاجتماعية بعد الامبراطور ، وعلاقتهم بالقيصر تشبه علاقة الكرادلة بالبابا .

وفى سنة ٥٣٨ قامت بين الحارث وبين المنذر أمير الحيرة حرب على الارض المعروفة بـ Strata وهى الارض الواقعة حول الطريق المستدة من دمشق الى تدمر حتى مدينة سروج . فقد ادعى أمير الحيرة ان القبائل العربية النازلة فى تلك الاراضى خاضعة لسلطته وهى تدفع له الجزية ، فنازعه الامير الغساني هذه السلطة ونشب القتال بينهما وكانت هذه الحرب من الاسباب التى عادت فأججت نار المنازعات بين الدولتين بعد أن كادت تنطفى .

وفى سنة ٥٤١ م حارب الحارث فى العراق بجانب الروم وعبر نهر دجلة على رأس جيشه ثم عاد فارتد الى مركزه السابق عن طريق أخرى غير الطريق

التي اتبعها معظم الجيش البيزنطي ، ولم يحصل في حملته هذه على نتائج تذكر
الامر الذي أثار شكوك البيزنطيين في اخلاصه .

ثم تجددت الحرب في سنة ٥٤٤ م بينه وبين المنذر ملك الحيرة ووقع في
هذه الحرب أحد أبناء الحارث في يدى المنذر فقدمه ضحية للعزيز . وقد استمر
القتال في فترات متقطعة بين الفساستنة والمناذرة الى أن أحرز الحارث بن جبلة
انتصارا حاسما في سنة ٥٥٤ م في معركة قرب قنسرين قتل فيها المنذر وهي الموقعة
التي يدعوها العرب يوم حليلة .

سافر الحارث في سنة ٥٦٣ م الى القسطنطينية لمفاوضة البيزنطيين فيمن
يخلفه من أولاده في عمالته على سوريا وفي ما يجب اتخاذه من التدابير لمقاومة
عمرو بن هند ملك الحيرة وقد أثرت مظاهر البذخ والترف في القسطنطينية تأثيرا
كبيرا على الحارث ، كما انه أحدث بدوره تأثيرا قويا على سكان العاصمة وبالاخص
على جوستين ابن اخى القيصر الذي كان مضطرب العقل ولما تسلم جوستين هذا
منصب الامبراطورية كان أهل البلاد يخوفونه بالحارث بن جبلة كلما
اساء التصرف .

وكان الحارث بن جبلة من المؤيدين للمذهب يعقوبى ، واستطاع أن يقنع
البيزنطيين بتعيين يعقوب البردعى ونيودورس (وهما منشئى هذا المذهب) اساقفة
في المقاطعات السورية العربية فتوطدت بذلك دعائم المذهب يعقوبى وربما كان
في تأييده لهذا المذهب مدفوعا بعوامل سياسية لان أكثرية رعيته كانوا من اتباع
هذا المذهب .

وقد توفي الحارث بن جبلة سنة ٥٦٩ بعد أن حكم اربعين سنة ؛ وأعقبه
في الحكم ابنه المنذر الذى بدأ حكمه بالهجوم على المناذرة وانتصر عليهم في موقعة
عين اباغ التي تبعد ثلاث مراحل عن الحيرة . غير ان البيزنطيين لم يحسنوا
السياسة معه وخاصة لتطرفه في تأييد المونوفستية ودبروا مؤامرة لاغتياله فثار
عليهم ، واغتمت المناذرة الفرصة فهاجموا سوريا وعانوا بها فاضطر الروم على
مفاوضة المنذر ومصالحته سنة ٥٧٨ م .

ثم زار المنذر القسطنطينية سنة ٥٨٠ م ، فاستقبل فيها بكل احترام وتبجيل ،

وانعم عليه القيصر طيباريوس بالتاج ، مع ان الروم لم يكونوا ينعمون قبلا على عمالهم من العرب الا بالاكليل . وقد وصل خبر هذه الحادثة الى اسبانيا فذكره بعض مؤرخيها المعاصرين . وقد اغتتم فرصة وجوده في عاصمة الروم فسعى لنيل العفو عن أصحاب مذهبه وعمل على توطيد السلام بينهما .

غير ان رجال الدين في الدولة البيزنطية وهم من المذهب الارثوذكسي كانوا يمتنون المذهب يعقوبي ، لذلك أخذوا يحرضون الامبراطور على المنذر وكان يساعدهم في ذلك بعض كبار رجال الدولة من المتسكين بالمذهب الارثوذكسي . وقد حدث أن قام موريسوس حاكم سوريا بهجوم على الفرس يعاونه المنذر ، ولكنه لم ينجح فيه فعزى فشله الى خيانة المنذر ، فزاد هذا من ايغار صدور البيزنطيين عليه ودبروا مؤامرة ضده ، فأوعز الامبراطور الى ماجنوس حاكم الروم في سوريا بالقبض على المنذر ؛ فارسل الحاكم البيزنطي يدعو المنذر لحضور حفلة تدشين بعض الكنائس في حوارين ، فلما جاء المنذر التقى القبض عليه وارسل منفيًا الى القسطنطينية ونقل منها الى صقلية حيث قضى نجه فيها بعد أن أمضى في الحكم ثلاثة عشر سنة .

لم يكنف الروم بنفى المنذر فحسب بل عمدوا ايضا الى قطع الاعانة السنوية التي كانوا يقدمونها لاسرته ، فكان ذلك دافعا آخر لانارة الغساسنة فقام أبناء المنذر الاربعة وشقوا عصا الطاعة على دولة الروم ، ثم اوغلوا تحت قيادة أخيهما الاكبر - النعمان - في الصحراء وأخذوا يشنون منها الغارات على أراضي الدولة فيسطون على أموالها وينهبونها ويعيثون في داخل البلاد فسادا ووجهوا هجمات عنيفة موفقة ضد بصرى التي كانت أكبر قاعدة عسكرية بيزنطية في جنوب سوريا .

وقد اضطر القيصر طيباريوس ازاء هذا الى تجهيز حملة بقيادة ماجنوس للقضاء على ثورة النعمان ولكن ماجنوس استعمل الحيلة والدهاء فارسل يطلب من النعمان مفاوضته ثم التقى القبض عليه وأخذته اسيرا سنة ٥٨٤ م .
↑

وعلى أثر هذا الحادث تصدعت احوال العرب في سوريا وتفككت عرى وحدتهم حتى اختارت كل قبيلة منهم أميرا لها . ولا ريب في ان هؤلاء الامراء

كانوا من المشايخ الذين تقلص قسم كبير من سلطتهم ونفوذهم في أيام الحارث
والمنذر فانسحبوا الى الصحراء أو انتقلوا الى بلاد الامبراطورية الفارسية .

وقد ولد زوال دولة الفساسة بعض الاخطار في سوريا ، ذلك ان القبائل
العربية البدوية أخذت تطاحن وتتازع فيما بينها ، كما أخذ بعضهم يهاجم السكان
المتحضرين فينبهوا مواشيهم ويدمروا مزارعهم . وقد حملت هذه الاحوال الروم
على التفكير في اعادة تعيين عامل جديد مكان المنذر ، وفضلوا أن يكون هذا العامل
من آل جفنة نظرا لما كان لهؤلاء الامراء في الماضي من الهيبة في قلوب جميع القبائل
البدوية . غير أن المؤرخين السوريين والبيزنطيين انقطعوا عن رواية أخبار آل
جفنة بعد المنذر . لذا فان المصدر الوحيد لأخبارهم هو ما جاء في دواوين الشعراء
المعاصرين رغم ما في هذه الدواوين من الابهام وعدم تحديد زمان كل
أمير يذكره .

من المصادر التي تحفظ لنا شيئا من نسب آل جفنة بضعة أبيات تنسب الى
النابغة الذيباني يقول فيها :

هذا غلام حسن وجهه	مستقبل الخير سريع التمام
للحارث الأكبر والحارث	الاصغر والاعرج خير الانام
ثم لهند ولهند وقد	أسرع في الخيرات منه امام
خمسة اباء همو ما هم	هم خير من يشرب صوب الغمام

فمن هذا نرى ان الشاعر يذكر في هذه الايات ثلاثة رجال من آل جفنة
وامراتين وتختلف الروايات في البيت الثاني فمنهم من يذكر الحارث الأكبر
والحارث الاعرج والاصغر ، ومنهم من يذكر الحارث الأكبر والحارث الاعرج ،
والحارث ، ومنهم من يذكر الحارث الأكبر والحارث الاصغر والحارث الاعرج ،
ومنهم من يذكر الحارث الأكبر والحارث الاصغر والحارث ، ومنهم من يذكر
الحارث الاصغر والحارث الاوسط والأكبر ، مما قد يحملنا على الاعتقاد ان
الاعرج هذا كان اسمه الحارث فلعلها أم المدوح وزوجته
والراجع ان الحارث الأكبر المقصود به هو ابن الحارث ابن جبلة وان الحارث
الاصغر ابنه أما الاعرج فهو ابن الاصغر وأبو الغلام المدوح .

والحارث الاصغر هذا هو الحارث الوهاب الذي مدحه علقمة في قصيدته
الشهيرة التي مطلعها :

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب
ويبدو من هذه القصيدة ان الحارث كان قد انتصر على بعض القبائل العربية
وأسر كثيرا من رجالها منهم أحد أخوة الشاعر نفسه .

وقد مدح النابغة عمرو بن الحارث الاصغر في قصائد منها التي مطلعها :
اهاجك من أسماء رسم المنازل بروضة نعى فذات الاجاول
وفي قصيدة :

كليني لهم يا أمية ناصب وليل أفاقيه بطيء الكواكب
وقد أشار النابغة في القصيدة الاولى الى ان الحارث تهدد بني مرة بن عوف
التي كانت تنزل في شمال الحجاز . كما أشار النابغة في قصيدة أخرى الى أحد
ملوكهم الذي أراد الاستيلاء على وادي القرى :

انطمع في وادي القرى وجنابه وقد منعوا فيه جميع المعاصر
وهذا يدل على امتداد نفوذ الغساسنة الى شمال الحجاز واطراف نجد .
ومن أمراء غسان كذلك النعمان بن الحارث الذي مدحه النابغة بعدة
قصائد منها التي يقول فيها :

وان يرجع النعمان نفرح ونبتهج ويات معدا ملكها وربيعها
كما رثاه بقصيدته التي يقول فيها :
دعاك الهوى واستجهلتك المنازل وكيف تصابي المرء والشيب شامل
بكي حارث الجولان من فقد ربه وهوران منه موحش متقائل
ويشير النابغة في بعض هذه القصائد الى ان النعمان فلك بقبيلة أسد ، وأراد
غزو فزارة ، وكلتا القبيلتان كانت تسكنان شمال الحجاز وفي أطراف خيبر .
وقد تلا النعمان ولداه عمرو وحجر اللذين مدحهما النابغة وأشار اليهما
حسان بقوله :

ملكا من جبل التلج الى جانبي أيلة من عبد وحر
ايا فارس من دارهم فتناهوا بمدا عصام بقر
ثم صاحبا بني غسان اصبروا انه يوم مصاليت صبر

ويبين البيت الاول مدى امتداد سلطانهم ، وهو دليل على مدى قوتهم .
ولما احتل الساسانيون سوريا سنة ٦١٣ م قضاوا على ملك بني جفنة ، ففر
بعض أمراءهم الى بلاد الروم والتجأ البعض الآخر الى داخل الصحراء .
ويبدو ان هرقل لما استعاد سوريا من الفرس سنة ٦٢٩ م لم يرجع للفساسنة
حكمهم ، وظلت الحدود السورية الجنوبية مفتوحة ، فاعتدت بعض القبائل على
التجارة البيزنطية دون أن تلقى مقاومة تذكر .

تروى المصادر العربية ان الفساسنة حاربوا المسلمين مرارا بجانب الروم
وان خالد بن الوليد أوقع بهم سنة ٦٣٤ م فى مرج الصفر جنوبى دمشق وان
جيلة بن الأيهم قاتل خالد بن الوليد فى دومة الجندل ، واشترك فى موقعة
اليرموك ، الا أن الراجح ان جيلة كان أميراً من بقايا أمراء الفساسنة ولم يكن له
ملك كبير ، وقد انضم فيما بعد الى العرب ، ثم عاد وانضم الى الروم بعد أن حكم
عليه عمر بأن يلطم قصاصاً للطمه اعرايباً عند الطواف حول الكعبة فى الحج .
لقد كانت سلطة أمراء غسان تمتد على كل القبائل البدوية التى كانت تنزل
فى فلسطين ومنطقة الاردن وأطراف الشام .

على انا لا نرى قط اشارة الى أن الفساسنة كانوا يمتلكون أيا من الاماكن
المحصنة أو من المدن التى كانت مراكز للجيش كدمشق وبصرى أو كدمر التى
حصنها جستنيان .

كانت الجابية بالجولان قاعدة ملكهم وفيها معسكرهم ومقرهم ، ومع ان
المؤرخين البيزنطيين والسريان كانوا يذكرون حرقاً الفساسنة أو معسكر
الفساسنة ، الا انه ليس هناك دليل على ان معسكرهم هذا أصبح مدينة كالحيرة
اذ كانوا يتقلون أحيانا ، وقد اتخذوا جلق عاصمة لهم أمداً من الوقت .

يذكر حمزة الاصفهاني عدداً من الابنية والقصور وقنوات الماء التى أقامها
الغسانيون غير ان المصادر الاخرى لا تؤيد قائمته . ويذكر حسان بن ثابت فى
شعره فخامة الحياة فى قصور الغسانيين ولكن لم تكشف الحفريات القليلة حتى
الآن عن هذه الآثار ، ومن الجدير بالملاحظة انه لم يظهر فيهم أى شاعر ، كما ان
الشعراء الذين قصدوهم قليلون ، ومع انهم دانوا بالمسيحية ورعوا المذهب
اليقوي ، الا انا تشك فى عمق فهمهم لهذا الدين .

الفصل السادس

(١)

المناذرة

لقد كانت حدود العراق الغربية مفتوحة للصحراء ، لذا كانت القبائل العربية تستطيع التوغل فيه دون أن تصادف حاجزا جغرافيا يصددها . وكانت مثل هذه الهجرات تزداد بصورة خاصة عندما تكون الحكومات القائمة في العراق ضعيفة . ولم يكن يعيق هذه القبائل حاجز ، الا نهر الفرات الذي يفصل الصحراء عن المناطق الخصبة في العراق . غير ان نفوذ هذه القبائل لا يصبح واضحا الا عندما تكون الحكومات المسيطرة على العراق ضعيفة ، حيث تستطيع القبائل العربية آنذاك التوغل الى الداخل والتمتع بنفوذ قوى ، أو أن تؤثر في أحوال السكان وطرق التجارة . ومع انه ليست لدينا أخبار دقيقة مفصلة عن هذه القبائل الا أن الاشارات القليلة المبشرة في الكتابات تدل على مدى أثرهم .

ويبدو ان القبائل المقيمة في غربي الفرات استفادت من ضعف الدولة البارثية في أواخر عهدها ، فأخذت تتمتع باستقلال كبير ؛ ولما كانت الطرق التجارية المارة بين سوريا والعراق عبر وادي الفرات تمر من منطقتها ، لذا اضطر التدمريون والتجار وأصحاب القوافل أن يسترضوا هذه القبائل فيدفعوا لرجالها مبالغ كبيرة لقاء حمايتهم للقوافل ، أي انهم اعترفوا ضمنا بنفوذهم وسلطانهم .

ويروى الرواة العرب ان هذه القبائل التي استوطنت أطراف الفرات هم من التوخيين^(٢) الذين هاجروا من اليمن بعد انكسار سد مأرب . ولا ريب ان ادعاهم هذا غير صحيح ، لأن سد مأرب بقى الى منتصف القرن السادس الميلادي ، كما ان الأزدي كانت تسكن بعيدا عن منطقة سد مأرب ، وليس لدينا دليل ثابت على ان أصلهم من اليمن ، أو انهم كانوا ينتمون جميعا الى قبيلة واحدة . والارجح

(١) لا ريب ان كتاب الحيرة ليوستف غنيمية (بغداد ١٩٣٦) هو اوسع ما كتب عنها باللغة العربية وعليه كان اعتمادنا .

(٢) طبرى ج ٢ ص ٢٧ .

انهم كانوا قبائل عدة استقرت « تنوخت » في وادي الفرات ، برئاسة شخصيات قوية واستغلت ضعف الدولة البارثية ، فتمتعت باستقلال ذاتي ، وقامت بحماية القوافل المارة في وادي الفرات ، وانشأت لها علاقات وثيقة مع تدمر .

ويذكر المؤرخون العرب من ملوكهم الاول مالك بن فهم وعمرو بن فهم وجذيمة الابرش^(٣) الذي عاش في اواخر عهد الدولة البارثية وشهد انحلالها وسقوطها ؛ وقد استفاد من ذلك فوسع نفوذه على الضفة الشرقية للفرات ، كما حاول أن يمد نفوذه الى البحرين جنوبا والى بادية الشام غربا . فلما ظهرت الدولة الساسانية لم يخاصمها كما فعلت معظم القبائل العربية المقيمة بالعراق ، بل حالفها . وقد أقر له الساسانيون بالسلطة ، وتركوه يتمتع بالحكم في منطقة غرب الفرات . ولعل الساسانيين أدركوا ما يجنوه من هذه المحالفة في تأمين حدودهم الغربية وايقاف توغل البدو في العراق ، كما يحتمل انهم أرادوا استخدامه في حروبهم المنتظرة ضد الروم .

وقد استفاد جذيمة بدوره من محالفته الساسانيين ، فأمن لنفسه صداقة الدولة القوية التي أصبحت منذ ذلك الوقت أعظم دولة في الشرق مدة أكثر من ثلاثة قرون ، وهكذا نجا من المصير الذي آلت اليه الحضرة أو القبائل العربية التي قاومت حكم الساسانيين كقضاة فأخرجت من العراق .

ويبدو ان جذيمة تأثر بالاضاع المحيطة به فأراد أن يصيغ ملكه بصيغة دينية فتبأ وتكهن على ما يروى الطبري . وأوجد لنفسه صنمان هما الضيزنان . غير ان حكمه لم يدم طويلا ، اذ قتل غيلة على يد ملكة عربية تدعى الزباء . ومن المحتمل ان الزباء المقصودة هي ملكة تدمر ، وان كانت الروايات العربية لا تنص على ذلك صراحة . وتنسج حول مقتله قصصا طريفة لعلها أساطير مختلفة^(٤) .

(٣) طبري ج ٢ ص ٢٨-٢٩ ، المسعودي : مروج الذهب ج ٢ ص ٩٠
فما بعد . السمكري : المحبر ص ٣٥٨ .

(٤) الميداني : مجمع الامثال ج ١ ص ٢٤٣ المسعودي : مروج الذهب
ج ٢ ص ٩٠ فما بعد : جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٣ ص ٩٨-١٠١ .

وبسوت جذيمة انتقل الملك الى ابن أخته عمرو بن عدى^(٥) الذي يعتبر مؤسس أسرة آل لخم أو آل نصر التي انحدر منها ملوك المناذرة . وقد اتبع عمرو بن عدى سياسة جذيمة في الانضمام الى جانب الساسانيين ، واستفاد من سقوط الحضرم ، وهي الدولة العربية الاخرى في العراق . فأصبح أكبر أمير عربي بجانب الساسانيين ، وزاد نفوذه على العرب في العراق واتخذ مقرا له في الحيرة التي أصبحت منذ ذلك الوقت عاصمة المناذرة . ولا ريب ان لموقع الحيرة أهمية كبرى ، فهي تقع مكان تقترب فيه الصحراء من طيسفون ، هذا الى انها تقع قريبة من المكان الذي يصب فيه الفرات بالبطائح ، فهي لذلك مهمة من الناحية العسكرية والتجارية حيث تتحكم في الطريق التجاري بين الصحراء و طيسفون وفي الطريق النهري المار في نهر الفرات .

وقد أعقب عمرو ابنه امرىء القيس^(٦) (٢٨٨-٣٢٨) ، وكانت أحوال الدولة الساسانية في زمنه مضطربة ، اذ هاجمها الرومان واقطعوا منها بعض المقاطعات ؛ كما جرت فتن كثيرة وخلافات على المرش ، كما ان الدولة الرومانية كانت تعاني اضطرابات كثيرة . وقد ساعدت هذه الاحوال امرىء القيس على ازدياد نفوذه وتوسيع سلطانه ، فأخضع القبائل العربية في بادية الشام والجزيرة ، كما يدل على ذلك النقش الذي اكتشف على قبره في وادي الصفا بسوريا والذي يذكر فيه انتصاراته وترجمته^(٧) . هذا قبر امرىء القيس بن عمرو ملك العرب كلهم ، الذي تقلد التاج ، وأخضع قبيلتي أسد ونزار وملوكهم ، وهزم مذجح الى اليوم ، وقاد الظفر الى أسوار نجران مدينة شمر وأخضع معدا ، واستعمل بنيه على القبائل وأتابهم عنه لدى الفرس والروم ، فلم يبلغ ملك مبلغه الى اليوم . توفي سنة ٢٢٣ في يوم ٧ بكسلول . وفق بنوه للسعادة ، ويقابل تاريخ وفاته سنة ٣٢٨ م^(٧) .

وقد اعتقب امرىء القيس عدة ملوك لم تكن لهم أعمال بارزة الى أن جاء

(٥) طبري ج ٢ ص ٥٩ ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ١ ص ١٢٧ .

(٦) طبري ج ٢ ص ٦٥ .

(٧) جرجي زيدان ص ١٩٠ .

النعمان الاعور أو السائح^(٨) الذي كون له جيشا قويا مكونا من كتيبتين هما الشهباء والدوسر^(٩) ، وقد اشتهرت الاخيرة بقوة بطشها ، ومن المحتمل انها نظمت على أسس تنظيم الجيش الفارسي . وكانت تقيم عنده في الحيرة قوة فارسية مكونة من ألف جندي ولا ريب ان هذه القوة العسكرية قد أعانتها على تقوية نفوذه عند القبائل العربية .

وقد بنى النعمان الخورنق ، وهو قصر فخم تردد ذكره في كتب الشعر والأدب العربي ، واسمه في الغالب فارسي معناه موضع الأكل وقد ظل الى العصر العباسي ، كما بنى السدير الذي لعله جناح من الخورنق^(١٠) .

وقد دفع يزدجرد بابنه بهرام جور الى النعمان ليشرف على تربيته ، فقام بذلك خير قيام وأصبح من مهرة الصيادين . فلما مات يزدجرد وأراد الفرس اقصاء بهرام جور ، أنجده النعمان بقوة مكنته من استرداد العرش ، وبذلك زادت مكانته في البلاط الساساني .

لا نعلم شيئا محققا عن نهاية النعمان ، اذ تروى الروايات العربية انه في نهاية عمره صدف عن زخرف الحياة الدنيا ، فغادر الحيرة وانطلق سائحا ، فلم يعلم عن مصيره شيئا .

ولما توفي النعمان أعقبه عدة ملوك ساعدوا الساسانيين في حروبهم مع البيزنطيين ، وحاولوا توطيد نفوذهم على قبائل الجزيرة العربية ، واشتبكوا مع بعض هذه القبائل في عدة معارك . ومن أبرز هؤلاء الملوك هو المنذر بن ماء السماء^(١١) (٥١٤-٥٦٣) الذي عاصر حكم قباذ وساعده في حروبه الاولى ضد

(٨) طبري ج ٢ ص ٧٢ ابن الاثير ج ١ ص ١٥٩ .

(٩) الميداني ج ١ ص ١٢٤ ابن الاثير ج ١ ص ١٥٩ طبري ج ٢ ص ٧٢

ابن الاثير ج ١ ص ١٥٩ .

(١٠) ياقوت الحموي . معجم البلدان مادة خورنق ومادة سدير .

وانظر ايضا ما كتبه لامنس عن الخورنق في دائرة المعارف الاسلامية ، وكذلك

يوسف غنيمه : الحيرة ص ١٩-٢٤ .

(١١) طبري ج ٢ ص ٨٦-٩٢ .

البيزنطيين ولكن العلاقة ساءت بينهما ولعل ذلك راجع الى أن قباذا كان قد ناصر
المزدكية واتخذها دينا رسمياً^(١٢) فأراد فرضها على المناذرة ، فأبى المنذر بن ماء
السماء الاعتراف بها ، الامر الذي أغضب قباذ . فعزله وولى مكانه الحارث بن
عمرو بن حجر الكندي على الحيرة . وقد لجأ المنذر الى القبائل العربية في
الصحراء وظل لاجئاً عندهم الى أن مات قباذ وتولى مكانه أنوشروان فقاوم
المزدكية ، ثم أرجع المنذر الى حكم الحيرة . وقد انتقم المنذر بن ماء السماء لنفسه
فتبع الكنديين ، وأثار عليهم القبائل وأوقع بهم في يوم مرينا وفي يوم أواره .
والواقع ان دولة كندة كما ستحدث عنها فيما بعد ، انقسمت على نفسها وتفككت
بعد موت الحارث ، وأتاح تفككها الظروف للمناذرة في التوسع بالجزيرة حتى
أصبحوا أقوى الدول العربية في الجزيرة وأصبح اسم ملوكهم يتردد ذكره
عند الشعراء .

اشترك المنذر بن ماء السماء في الحروب التي وقعت بين الساسانيين
والبيزنطيين ، فأيد الساسانيين واشتبك مع الحارث بن جبلة في عدة حروب انكسر
في أولها ولكن نأر لنفسه وأعاد الهجوم على الغساسنة فاتصر عليهم وأسر منهم
أربعمائة قدمهم ضحايا للآلهة العزى . ثم تجددت الحرب بينه وبين الحارث بن
جبلة الذي هاجم المناذرة واستطاع ابنه أن ينتصر على المناذرة في موقعة عين أباغ
التي قتل فيها المنذر نفسه كما تحدثنا من قبل .

وفي زمنه قوى نفوذ النصرانية في الحيرة فكانت زوجته هند نصرانية واليها
ينسب دير هند ويقال ان المنذر نفسه تنصر .

والى المنذر ينسب الغريطين ويوم البؤس والنعيم^(١٣) .

وقد تلاه ابنه عمرو بن هند ، وكان ملكاً طموحاً قوى الشكيمة ، عاون
الساسانيين في حروبهم ضد البيزنطيين ، واستغل اضمحلال دولة كندة ، فوسع
نفوذه وسلطانه في الجزيرة ، واشتبك مع تغلب وتميم وطى بمعارك كسرهم فيها .

(١٢) راجع عن حكم قباذ والمزدكية . كرستنس : ايران في العهد
الساساني : الفصل السابع (بالفرنسية) وكذلك حكم قباذ والمزدكية (بالفرنسية) .

(١٣) الميداني : مجمع الامثال ج ١ ص ١٠٧ .

وقد قصده عدد من الشعراء الجاهليين كطرفة والاعشى والنابغة ومدحوه بقصائد عدة ؛ ولكنه قتل أخيرا على يد الشاعر التغلبي عمرو بن كلثوم الذي لم يتحمل ، فيما يقال ، محاولة عمرو بن هند اذلال أمه .

✳ وقد تلا عمرو بن هند على امارة الحيرة عدد من اخوته أبرزهم أبو قابوس النعمان بن المنذر^(١٤) الذي عاش النابغة الذبياني في كنفه ومدحه بعدة قصائد مشهورة ، كما قصده عدد من الشعراء البارزين وخاصة المنخل الشكري وطرفة بن العبد ، ويبدو من قصائد هؤلاء مدى روعة بلاط النعمان وأثره في نفوس العرب .

وقد امتد سلطان النعمان جنوبا الى منطقة البحرين ، ولعله امتد غربا الى جبال طي حيث بسط نفوذه عليهم ، ويبدو انه استفاد في ذلك من وهن أمر منافسيه الغساسنة وكانت قوافله ولطائمه تذهب الى الحجاز . وقد أدى هذا التوسع الى احتكاكه مع كثير من القبائل العربية فاشتبك مع بني يربوع في يوم طخنة كما اشتبك مع بني عامر بن صعصعة وقد كسر جيشه في كليهما^(١٥) .

وقد سادت العلاقة بين أبي قابوس وبين بلاط كسرى لاسباب يختلف المؤرخون في ذكرها فمنهم من يدعى انها بسبب سجن النعمان أبو قابوس لرجل اسمه عدى من مقربي كسرى ثم قتله ، فاستغل ذلك خصوم النعمان واوغروا صدر كسرى عليه^(١٦) . ولكن أبو حنيفة الدينوري ينقل في كتابه الاخبار الطوال كتابا منسوبا الى كسرى ابرويز يقول فيه « . . . فان النعمان واهل بيته واطنوا العرب واعلموهم توكتفهم خروج الملك عنا اليهم وقد كانت وقعت اليهم في ذلك كتب فقتلته ، ووليت الامر اعرابيا لا يعقل من ذلك شيئا ، ولعل الدافع الاساسي هو ما جاء في هذا الكتاب ، وان قصة عدى ، ان صحت فقد اتخذت حجة عليه^(١٧) .

(١٤) ياقوت : معجم البلدان مادة عزى .

(١٥) الطبري ج ٢ ص ١٤٦-٧ .

(١٦) طبري ج ٢ ص ١٥٠ ، الاغانى ج ٢ ص ٢٨ .

(١٧) الدينوري : الاخبار الطوال ص ١٠٧-٩ .

التي كسرى القبض على النعمان وسجنه وبذلك انتهى حكم المناذرة في الحيرة ، وعين مكانهم رجلا من طي اسمه أياس بن قبيصة^(١٨) ، ويبدو ان أياس لم يكن محبوبا ولم يتمكن من املاء مركز المناذرة ، اذ كان هؤلاء قد ثبتوا سلطانهم ونفوذهم في الحيرة ، فلم يطق اهل الحيرة احتمال أياس لذلك اضطر الفرس الى اسناده بحامية فارسية قوية تشد ازره ، ولكن يبدو انه لم يستطع أن يجلب قلوب الناس اليه ، فظلوا كارهين للفرس .

أدى زوال أسرة المناذرة الى خسران الساسانيين الواسطة المهمة التي كانت تفف أمام العرب وتسيطر عليهم وتسنعهم من الاعتداء على الامبراطورية الساسانية . فلما زال هذا الحاجز وقفت القبائل العربية وجها لوجه أمام الامبراطورية الساسانية ، ولم تمد هناك قوة تصدهم ، فأخذوا يقومون بالغزوات على أطراف الحدود العراقية ، وساعدهم على ذلك الاضطراب الداخلي والحروب المتعددة والفتن والمنافسات على العرش وضمف الأكاسرة ، فتوغل بعضهم الى داخل بلاد العراق .

ولعل أهم هذه الحروب هي حرب ذي قار التي وقعت بين الفرس وبين العرب من بني بكر وخاصة شيان ويذكر العرب انها وقعت عقب زوال أسرة المناذرة من الحيرة ، وكنتيجة مباشرة لها وذلك لان النعمان أودع سلاحه عند هاني ، بن مسعود الشيباني فأراد كسرى استرجاعه بالقوة ولكن هاني رفض وتسب القتال بينهما وكانت نتيجته انكسار الجيش الفارسي^(١٩) .

ورغم صغر القوة الفارسية التي اشبكت في القتال ، الا أن أهميتها كبيرة فهي أول اصطدام مسلح مباشر بين العرب والفرس ، وهي أول معركة تنتصر فيها القبائل العربية على الجيش الفارسي ، مما أعطاهم الثقة بأنفسهم فجراً القبائل الأخرى على الهجوم المباشر على بلاد الساسانيين الغنية ، وكانت بمثابة حركة استطلاعية ومقدمة للفتوح الاسلامية التي اكتسحت امبراطورية الساسانيين .

(١٨) طبري ج ٢ ص ١٥٢ . أغاني ج ٢ ص ٢١ .

(١٩) طبري ج ٢ ص ١٤٧ . أغاني ج ٢ ص ١٣١ فما بعد ابن الاثير

ج ١ ص ١٩٦-٧ .

فلا عجب أن يروى عن النبي انه قال « هذا يوم اتصف به العرب من العجم
وبى نصروا » .

وعلى أثر معركة ذى قار التي وقعت في أطراف بادية الحيرة . فقد أقصى
الفرس أياس بن قبيصة عن حكم الحيرة ، وعينوا عليها حاكما فارسيا يحكمها
بصورة مباشرة^(٢٠) ، الا ان هذا لم يؤد الى تحسين العلاقة بين العرب والفرس .

أما المناذرة فقد حاول احد اولاد النعمان واسمه المنذر الغرور أن يؤسس له
دولة في البحرين وقد نجح فعلا في ذلك وحدث من توغل النفوذ الفارسي في
الجزيرة العربية ، ولكن نفوذه لم يكن مكيئا اذ كان لرؤساء القبائل سلطان قوى
حد من سلطان المنذر ، ولما جاء الاسلام بسط سلطانه على الجزيرة قاومه المنذر
ولكن المسلمين تمكنوا من دحره وتشتت قواته . فانصاعت البحرين الى الاسلام
ولم تعد نسمع منذ ذلك الوقت عن المناذرة شيئا كما سنفصل ذلك في الجزء الثاني .

أما الحيرة فلم يعد لها ذكر حتى جاء خالد بن الوليد العراق فهاجمها وتمكن
من احتلالها بعد مقاومة بسيطة وفرض عليها مبلغا من المال تؤديه للمسلمين .
يذكر المؤرخون انه ٩٠ ألف درهم^(٢١) وهو مبلغ ضئيل بالنسبة الى واردات
العراق التي كانت تبلغ مائة مليون درهم . والواقع انهم لم يبدو مقاومة فعالة
وأسرعوا في مفاوضة خالد والاستسلام له ، وليس في الاخبار ما يظهر انه كانت
تقيم فيها آنذاك جالية فارسية ؛ بل ان وفد المفاوضات مع خالد كانوا من
البحريين النصارى .

ويبدو من حوادث غزوات خالد ان الحيرة كانت آنذاك مدينة صغيرة وفيها
بعض القلاع والحصون والقصور المنبئة حولها وفيها كانت المقاومة ، كما كان
حولها عدد كبير من الادييرة المسيحية . هذا الى بعض الترع والقنوات التي كانت
تمتد حولها والتي لا بد انها كانت تروى الحقول والمزارع حولها .

وقد تأثرت الحيرة من انشاء الكوفة قربها ولكنها لم تندثر اذ ظلت الحياة
فيها قائمة نشطة فاستفاد أهلها من الفتوح الاسلامية ومن نصرانيتهم . فقاموا بكثير

(٢٠) طبرى ج ٢ ص ١٥٦ ، ابن الاثير ج ١ ص ١٩٩ .

(٢١) طبرى ج ٤ ص ٥ .

من الاعمال التجارية وشراء الغنائم والصيرفة وربما أعمال البنوك^(٢٢) ، كما كانت مدينتهم مركزا للهو ومحلات شرب الخمر والأنس . هذا الى أن الصناعة فيها ظلت قائمة وخاصة صناعة البسط والوشى . وقد نزلها عدد من الخلفاء العباسيين عند مجيئهم الكوفة ونظم الشعراء من القصائد في وصفها^(٢٣) .

ولما انشئت الدولة العباسية وبدأت حركة الترجمة قام سكان الحيرة بقسط وافر من ترجمة الكتب الى اللغة العربية ، وبهذا قدموا أساس الحركة العلمية في الاسلام . كما انهم قاموا بالتعليم وتظهر الكلمات التي استعملوها في الترجمة مدى تفهمهم للغة العربية وأسرارها . ومدى قابلية اللغة العربية على الاستعمال في الفلسفة والعلوم والفنون .

تقع الحيرة عاصمة دولة المناذرة في أطراف العراق في منطقة سهلة منبسطة قريبة من الصحراء ، هواؤها جاف عذب صحي ، ويجري بالقرب منها نهر الفرات الذي يتفرع في أطرافها الى عدة فروع وتأخذ منه جداول وترع تروى تلك المنطقة ، فنجعلها من أخصب مناطق العراق وأكثرها اتجا . وكانت بعض هذه الأنهار تصل الى الحيرة وخاصة نهر الحيرة ونهر برفس ونهر كافر . وتتجمع هذه الأنهار في مجتمع الأنهر . أو ما يدعوه الآراميون فرنا والعبرانيون حاشير^(٢٤) وهي تصب في بحر النجف الذي كان مليئا بالماء وتصل اليه السفن البحرية فيما يذكر المسعودي^(٢٥) . وهكذا اجتمع في هذه المنطقة نقاوة هواه الصحراء وخصب العراق وتجارة البحر . فلا عجب أن اتخذ المناذرة مقرهم فيها وقد دعى هذا المقر الحيرة . وهو في الأغلب مشتق من الكلمة الآرامية حرنا ومعناها المعسكر والمقام . وهي قد تشير الى انها كانت في البداية معسكرا لهم . وقد اتخذها آل لخم عاصمة لهم ؛ وليست لدينا تفاصيل عن أصلها أو عن تطوراتها التاريخية ، ولكن يبدو من ثنايا الاخبار عن تاريخ المناذرة ان أغلب

(٢٢) ابن سلام : كتاب الاموال ص ٢٥٣ ، البيروني : الجماهير في معرفة الجواهر ص ٦٨-٦٩ .

(٢٣) أنظر يوسف غنيمه : الحيرة ص ١٢ فما بعد .

(٢٤) راجع المقال الذي كتب عن الحيرة في دائرة المعارف الاسلامية ، وما كتبه الواموزيل في كتابه « الفرات الاوسط » ص ٢٨٧ فما بعد (بالانكليزية) .

(٢٥) مروج الذهب ج ١ ص ١٠٣ .

سكانها من العرب البدو • ويقسم المؤرخون سكانها الى ثلاثة أقسام عرب الضاحية والعباد والاحلاف^(٢٦) فأما عرب الضاحية فهم من القبائل العربية التي استقرت في الحيرة أو في أطرافها • وكانت تسكن اما بيوت الشعر والخيام وتمتنن الرعى ، أو تستقر وتبنى البيوت • ويطلق النسابون عليهم تنوخ والراجح ان تنوخ ليست في الاصل قبيلة واحدة كما يزعم النسابون • بل هي مجموعة قبائل تجمعت و « تنوخت » وكونت وحدة وعلى ممر الايام ظن النسابون انها قبيلة تربط أفرادها رابطة الدم • ولا نعلم بالضبط من هي القبائل التي اشتركت وكونت تنوخ وان كان من المحتمل أن يكونوا من مختلف القبائل المجاورة كطي وتميم وأسد أو صعاليك القبائل الأخرى •

أما العباديون فهم قوم من النصاري على الأرجح ينتمون الى قبائل شتى ويجمعهم الدين وعبادة الله والزهد ، ويبدو انه يشيع في تسميتهم اسم عبد • وقد عرفوا فيما بعد بنصرانيتهم وبظهور بعض الشعراء منهم كعدي بن زيد • وقد لعب العباديون دورا كبيرا في مفاوضة خالد بن الوليد وفي مساعدة المسلمين عند الفتح الاسلامي^(٢٧) •

أما الاحلاف فهم القبائل العربية التي حالت المناذرة واعترفت بسيادتهم وتجوأت في أطراف الحيرة أو استقرت عندها • وهم غير ثابتين ، ويتوقف عددهم على مدى امتداد حكم المناذرة وتجوّل القبائل • والراجح انه في أواخر أيام المناذرة كان أهم الاحلاف تغلب التي هاجرت بعد حرب البسوس في أيام عمرو بن هند واستقرت على ضفاف الفرات شمال الحيرة ، وكذلك وبكر وخاصة بنى عجل وشيبان •

وبجانب هؤلاء فقد كان النبط وهم سكان العراق الاصليين من بقايا البابليين والسريان وكانوا يمتنون الزراعة والفلاحة^(٢٨) •

(٢٦) طبرى ج ٢ ص ٥٩ •

(٢٧) انظر الاغانى ج ٢ ص ١١٦ ج ٨ ص ٧٦ ج ١١ ص ١٥٦ ابن أبي اصيبعة : طبقات الاطباء ج ١ ص ١٣٥ ، ١٨٤ يوسف غنيمه ص ١٦ •

(٢٨) المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ١١٩ •

يضاف الى ذلك اليهود الذين استقروا بعد السبي البابلي في هذه المنطقة وأنشأوا لهم مدارس وكان لجالياتهم رئيس خاص (راس جالونا) وفي هذه المنطقة كتب التلمود البابلي الذي يعتبر من أعظم كتب الفقه اليهودية^(٢٩) .
وبجانب هذا فقد أقام الفرس جالية لهم في الحيرة ، ولعل عددا من أصحاب المهن والتجار أقام فيها ايضا .

وبامتداد التجارة الحيرية انتشر الحيريون في مختلف البلاد ويروى بعض المؤرخين العرب « انك لا ترى بلدا في الارض ليس فيه حيري^(٣٠) » . ولعل هذا الانتشار قديم ولكن مصادرنا عنه قليلة .

وقد أبدى المناذرة للساسانيين مساعدات فأيدوهم عند تأسيس دولتهم وساعدوهم في الحروب ضد البيزنطيين ، وصدوا القبائل العربية وضبطوها وحاولوا جلبها الى جانب الفرس . وقد قدر الفرس هذه الخدمات العظيمة وهذا الاخلاص ، فمنحوهم قسما وافرا من الاستقلال ولم يتدخلوا في شؤونهم الداخلية أو يعرقلوا أعمالهم وأباحوا لهم أن ينشئوا بلالطهم كثيرا من التقاليد والمراسيم بل ان يزدجرد أرسل ولى عهده بهرام جور ليتربى في الحيرة ، الامر الذي قوى من مركز المناذرة وتمتعهم بنفوذ خاص في البلاط الساساني . بل انهم كانوا في بعض الاحيان يلعبون دورا هاما في الشؤون الساسانية . وقد رأينا كيف ان المناذرة كانوا العامل الاول في تغلب بهرام جور على خصومه وتسليمه عرش الأكاسرة .

وقد عزز هذا جانب ملوك المناذرة وقوى من مركزهم ونفوذهم ، فكانوا يلبسون التيجان ولعلمهم كانوا يقيمون ستارة تحجبهم عن زوارهم ، فلا يظهرها شخصيا الا لأشد المقربين اليهم ، وقد اتخذوا لهم حجبا ، وكانت تحيتم الخاصة بهم (ابيت اللعن) . وكانت لهم روادف وهم كالوزراء في الاسلام . فكان الملك اذا ركب يركب الرديف وراه واذا اجلس جلس الرديف عن يمينه . واذا شرب

(٢٩) نيومان : الحياة الزراعية ليهود العراق حسب ما جاء في التلمود (بالانكليزية) .

(٣٠) الهمداني : مختصر كتاب البلدان ص ٥١ .

سقى الرديف بكأسه وبعده ، واذا غاب خلفه وكانت مقصورة على بنى يربوع •
ولما أراد النعمان أبو قابوس تحويلها الى الحارث الدارمي ناز بنو يربوع عليه
مما يدل على أهميتها^(٣١) •

أما جيشهم فقد رأينا ان النعمان السائح اتخذ جيشا نظاميا كون منه كسيتين
هما الدوسر والشهباء ، فأما الدوسر فيبدو انها نظمت على الطراز الفارسي وانه كان
لها قائدان كما قد يستدل من اسمها ، وقد ظلت الى عهد أبي قابوس حيث كانت
تعتبر أحسن الكتائب وأشدّها بطشا ؛ وكانت تجمع من مختلف القبائل العربية
وخاصة من قبيلة بكر •

وأما الشهباء فلا نعلم عن أصلها شيئا • ويرى المؤرخون العرب ان اسمها
مشتق من البياض لان جنودها كانوا بيض الوجوه • ولكن يوسف غنيمه يرى
انها مشتقة من شاه باي أي موطأ الملك • فكأنها قد نظمت على الطراز الفارسي
ايضا وانها كانت كالحرس الملكي • والواقع ان هذه الكتيبة كانت في زمن أبي
قابوس مكونة من اخوته وبنى عمه واتباعهم واعوانهم •

وبجانب هذا فقد كان للمناذرة الرهائن وكانوا حوالي خمسمائة رجل
يأخذهم الملك رهائن من قبائل العرب ليقيموا عنده سنة ويستعملهم في حروبه
وغزواته • وهم يتبدلون كل سنة •

ثم الصنائع وكانوا خواص الملك والمقربين اليه وهم من بنى قيس بن ثعلبة
وبنى تيم اللات من بكر ولا بد ان هؤلاء قد نشأوا مؤخرا أي بعد هجرة بكر الى
أطراف العراق •

ثم الوضائع وهم حوالي ألف رجل من الفرس يضعهم كسرى تحت تصرف
ملك المناذرة في الحيرة ويتبدلون كل سنة^(٣٢) •

لقد رقيت الصناعة في الحيرة رقيا كبيرا فازدهرت فيها صناعة الانسجة •

(٣١) أغاني : ج ١٢ ص ١١ •

(٣٢) الميداني : ج ١ ص ٨٧ أنظر ايضا غنيمه ص ٩٨ •

وقد ذكر عدد من الشعراء في أشعارهم نساجي الحيرة فقال عمرو بن كلثوم :
إذا لا ترجى سليمي أن يكون لها من بالخورتق من قين ونساج
كما اشتهرت الحيرة حتى العهد الاسلامي بالوشى بالقصب والتطريز بخيوط
الذهب اشتهر عندهم ايضا نسيج الانماط والنطوع الحاربية وقد ذكرت في الشعر
ايضا فقال النابغة :

والادم قد خيست فتلا مرافقها مشدودة برحال الحيرة الجدد
وقال آخر :

عقما ورقما وحاريا يضاعفه على قلائص أمثال الهجانيع
وقال امرؤ القيس :

فلما دخلناه أضفنا ظهورنا الى كل حارى جديد مشطب

واشتهرت ايضا صناعة الاسلحة فاكسبت السيوف الحيرية سمعة بين
العرب . كما ان الصياغة لا بد وانها ازدهروا لتموين بلاط المناذرة بحاجاته من
الحلى والزينة والادوات وكذلك لتموين الناس بما يحتاجونه .

وقد عرفوا كذلك فى التجارة والتنجيد ، وفى صناعة الخزف وأواني الفخار
والنقوش^(٣٣) . وان المكتشفات التى ظفرت بها بعثات الآثار فى الحيرة وخاصة
بعثة تالبوت رايس ورتلنكر لخير دليل على تقدمها فالآثار التى كشفوها فى أطلال
الحيرة سنة ١٩٣١ وجدوا أن معظم الغرف مزينة بزخارف من جص منقوش
نقوشا جميلة ، ومصبوغا بألوان لطيفة بهية ، وأغلبها زخارف من رسوم الازهار
والفواكه والبقول . وهى مزيج من الطراز الفارسى والرومانى^(٣٤) .

أما البناء فقد رقى رقىا عظيما ، فبنوا كثيرا من القصور وأهمها الخورتق
الذى بناه النعمان الاعور لكى يقيم فيه بهرام جور . وقد أكثر الشعراء والكتاب
من ذكره ونسجوا حول بنائه الاساطير . وقد بقى هذا القصر حتى العصر العباسى
ولكن ليس لنا تفاصيل وافية عنه .

أما السدير فقد تردد ذكره ايضا مقرونا بالخورتق وكان على ما يقال مكونا

(٣٣) راجع عن صناعة الحيرة ما كتبه يوسف غنيمه ص ٨١-٩٥ .

(٣٤) لقد نشر تالبوت رايس نتائج حفرياته فى مجلة الجمعية الملكية

لآسيا الوسطى سنة ١٩٣٢ .

من ثلاث غرف ولعله أساس طراز البناء الاسلامي المعروف بالحيري ذي الكمين،
والذي يتكون من ايوان في صدره غرفة وفي جانبيه غرفتين وهو الذي ظل
مستعملا في العراق حتى السنوات الاخيرة .

وبجانب هذا توجد قصور أخرى منها قصر سنداد . والقصر الابيض
وقصر الفرس وقصر الزوراء التي بناها النعمان المنذر . وقصر العدسيين وهو أول
ما فتحه المسلمون^(٣٦) ، وقصر بني ببيعة ، هذا بجانب عدد كبير من الاديرة^(٣٧) .
وقد ذكرت معظم هذه القصور عند الفتح الاسلامي .

دان سكان الحيرة الاول بعبادة الاصنام ، فقد روى أن جذيمة الابرش قد
تكهن وكان له صنمان يدعيان الضيزين^(٣٨) . وقد ظل هذان الصنمان حتى أيام
المنذر بن ماء السماء حيث نقلهما وأقامهما على باب الحيرة^(٣٩) ، ينحني لهما
الداخلون الى المدينة . كما كانوا يحلقون بسبد وهو صنم كان في الحيرة^(٤٠) .
ولا نعلم تفاصيل عن هذه الآلهة أو عبادتها . وبجانب هذا فقد كانوا يعبدون
العزى ، وقد رأينا كيف ان المنذر بن ماء السماء ضحى لها بأربعمائة من
الاسيرات الغسانيات .

وقد امتدت اليهم بعض الاديان الفارسية ، فقد حاول قباز بنشر الديانة
المزدكية ، ولما حاول المنذر مقاومته أقصاه عن الملك وأتى بالحارث الكندي مكانه
كحي يعينه هذا على نشرها ، ولكن ذلك لم يدم إذ أن أنوشروان أعقب قباز فاضطهد
المزدكية وأعاد المنذر الى العرش . ومن المحتمل ان الزرادشتية كانت موجودة
خاصة بين الجالية الفارسية وربما دان بها بعض سكان الحيرة .

-
- (٣٦) طبرى ج ٤ ص ٥ فما بعد . انظر ايضا ياقوت : معجم البلدان مادة
قصر ويوسف غنيمه ص ٢٩-١٩ .
(٣٧) عن اديرة الحيرة انظر : الشابشتي : كتاب الديارات طبع كوركيس
عواد ، وياقوت الحموي مادة دير ويوسف غنيمه ص ٤١-٤٩ .
(٣٨) طبرى ج ٢ ص ٢٩-٣٠ .
(٣٩) ابن سيده : المخصص ج ١٣ ص ١٠٤ .
(٤٠) أغاني : ج ٢ ص ٢٠ .

على ان أهم الديانات التي انتشرت في الحيرة هي المسيحية . ولا شك ان بداية التبشير المسيحي في العراق ترجع الى القرن الاول المسيحي ، حيث جاء انسان من تلامذة المسيح لنشر الدعوة فيه ، وأنشأوا لهما مقرا في كسكر (عند واسط) . وقد أخذت المسيحية تنتشر ببطء نظرا للعقبات التي كانت تواجهها . وقد امتدت الى الحيرة . ويدعى الطبرى ان امرى القيس أول من تنصر من ملوك الحيرة ؛ ولكن أخبار تنصر الملوك لا تأتي واضحة الا من عهد المنذر بن ماء السماء الذي تنصر وبنى عدد من الاديرة وتزوج بهند وهي نصرانية ينسب اليها دير هند .

وقد حدثت منافسة بين الساطرة واليعاقبة على اجتذاب الحيريين اليهم ، ولكن الساطرة تفوقوا على اليعاقبة ، فانتشر مذهبهم ، وكان لهم في الحيرة اسقفية وانتركوا في المجامع الكنسية التي كانت تعقد في طيسفون مركز البطريركية . على ان اليعاقبة أنشأوا لهم ايضا مركزا دينيا في عاقولا (الكوفة) في طرف الحيرة (٤١) .

ومن مظاهر انتشار المسيحية في الحيرة كثرة الاديرة التي كانت منبثة في أطراف الحيرة وقد ذكر في الاخبار أكثر من عشرين ديورا فيها . وقد كشفت الحفريات على آثار عدد من هذه الاديرة والآثار المسيحية . وكانت هذه الاديرة مراكز للتعليم الديني . فتخرج منها عدد من رجال الدين المسيحيين الذين احتلوا مكانة عظيمة في تاريخ الكنيسة ، ولا بد ان هذا قد ساعد على رقي نظام التعليم عندهم ، ولدينا بعض الاوصاف للنظام التعليمي في الحيرة من القرن الثاني الهجري حيث كان يتميز باستعمال المختصرات وطريقة الاسئلة والاجوبة (٤٢) .

(٤١) عن المسيحية في الحيرة أنظر : لابور : المسيحية في الشرق في العهد الساساني .

ناو : العرب النصارى في الجزيرة وسوريا في القرن السابع والثامن .
كرستنسن : ايران تحت حكم الساسانيين (وكلها بالفرنسية) .
يوسف غنيمه : الحيرة ص ٢٩ فما بعد .

اوليرى : جزيرة العرب قبل محمد ص ١٢٥-١٥٠ (بالانكليزية) .

(٤٢) أنظر ما كتبه ماكس مايرهوف في مقدمة كتاب المقالات العشرة في العين لحنين بن اسحق والفصل الذي كتبه في كتاب تراث الاسلام عن الطب والعلوم .

وكان التعليم الديني يتطلب معرفة للفلسفة ومباحثها التي تتعرض للخالف وطبيعته وصفاته وطرق المعرفة ؛ لذلك أخذوا يتداولون الابحاث الفلسفية ويدرسون الفلسفة اليونانية التي كانت قد عالجت هذه المواضيع . والواقع انهم درسوا وترجموا كثيرا من الكتب الفلسفية والدينية الى اللغة السريانية التي كانت شائعة عندهم . ولما بدأ العرب بحركة الترجمة الى العربية من العصر العباسي الاول ، قام سريان الحيرة بالدور الاول فيها . فنقلوا مئات الكتب ، حتى ان حين واحد ينسب اليه أكثر من مائة كتاب مترجم الى العربية . ولم يكن عملهم مقصورا على الترجمة فحسب بل وعلى الشرح والتأليف والدرس سواء في الفلسفة أو الطب أو العلوم الاخرى وهكذا كان لهذه المدينة الأثر الاول في نقل ثرات الفكر اليوناني الى العرب وفي ترويض اللغة العربية وجعلها أداة ممتازة للتعبير عن الفلسفة والعلوم (٤٣) .

ملوك المناذرة اللخميون (*)

اسم الملك	مدة حكمه
١ - عمرو بن عدى	يوسف غنيمة ٢٨٨-٢٦٨
٢ - امرىء القيس الاول	كوسن دى برسفال ٣٢٨-٢٨٨
٣ - عمرو الثاني	٣٧٧-٣٢٨
٤ - أوس بن قلام العمليقي	٣٨٢-٣٧٧
٥ - امرىء القيس الثاني	٣٩٠-٣٦٨

(٤٣) راجع الفهرست لابن النديم ففيه قائمة طويلة باسمها ما ترجم الى العربية .

ماكس مايرهوف : من الاسكندرية الى بغداد (فصل في كتاب التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية) .

أحمد أمين : ضحى الاسلام : الجزء الاول .

(*) نقلنا هذين الجدولين من كتاب الخيرة ليوسف غنيمة ص ٢٤٢-٣ .

وهي تطابق القائمة التي أوردها جرجي زيدان في كتابه (ص ١٨٥-١٨٦) .

مدة حكمه	اسم الملك	
٤١٨-٣٩٠	٤٣١-٤٠٣	٦ - النعمان الاول السائح
(**) ٤٦٢-٤١٨	٤٧٣-٤٣١	٧ - المنذر الاول
٤٩١-٤٧١	٤٩٣-٤٧٣	٨ - الاسود
٤٩٨-٤٩١	٥٠٠-٤٩٣	٩ - المنذر الثاني
٥٠٣-٤٩٨	٥٠٤-٥٠٠	١٠ - النعمان الثاني
٥٠٥-٥٠٣	٥٠٧-٥٠٤	١١ - أبو يعفر علقمة
٥١٣-٥٠٥	٥١٤-٥٠٧	١٢ - امرئ القيس الثالث
٥٦٢-٥١٣	٥٦٣-٥١٤	١٣ - المنذر الثالث بن ماء السماء
٥٧٤-٥٦٢	٥٧٨-٥٦٣	١٤ - عمرو بن هند
٥٧٩-٥٧٤	٥٨١-٥٧٨	١٥ - قابوس
_____	٥٨٢-٥٨١	١٦ - فيشهرت
٥٨٣-٥٨٠	٥٨٥-٥٨٢	١٧ - المنذر الرابع
٦٠٥-٥٨٣	٦١٣-٥٨٥	١٨ - النعمان أبو قابوس
٦٣١-٦١٤	٦٣٢-٦٢٨	١٩ - المنذر الغرور

(**) يضيف برسيغال ملكا اسمه النعمان قبل حكم الاسود (٤٦٢-٤٧١)
حكم الحارث الكندي بين ٥٢٩-٥٣١ .

الفضل السابع

(١) كندة

لقد نشأت كندة في الجزيرة العربية وبسطت نفوذها على القبائل الموجودة فيها بالمحالفات والمصاهرات أو بالقوة . وحاولت توحيد هذه القبائل ونشر السلم والأمن . وقد امتد حكمها فترة من الزمن الى الحيرة نفسها ، كما ظهر فيها أعظم شاعر جاهلي وهو امرئ القيس .

ويبدو من اسماءهم « شرحيل ومعد يكرب » . انهم في الاصل من جنوب الجزيرة العربية ، ويؤيد هذا قول امرئ القيس :-

تطاول علينا الليل دمون دمون انا معشر يمانون وانا لاهلنا محبون

وليس لدينا معلومات عن أصلهم أو البلد الذي جاؤا منه ، اذ ان النقوش والمصادر الاغريقية لا تذكر بوضوح اسم قبيلة كندة في الجنوب ، سوى نقش في مأرب يذكر قبيلة اسمها (كدت) تقطن حضرموت ، الا أنه من الصعب الجزم بأن المقصود بهم قبيلة كندة . ومع اننا نعلم ان قبيلة كندة كانت تسكن عند ظهور الاسلام في حضرموت ، الا ان هذا لا يستلزم حتما أن يكون أصل كندة من حضرموت اذ يجوز أن تكون قد جاءت الى حضرموت بعد سقوط دولتهم .

أما الاخبار العربية عن نشأتهم فمتباينة اذ أن ابن خلدون يروي بأن التبابعة حاربتهم ، وأما ياقوت الحموي فيروي ان حربا نشبت بين حضرموت والسكون وبين كندة انكسرت فيها كندة واضطرت الى الانسحاب . وقد أدى انكسارها الى التفافها حول ملك واحد^(٢) ، ولكن ليس في النقوش ما يؤكد هذه الاخبار .

(١) اعتمدنا في البحث عن كندة على ما كتبه أبو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغانى ج ٨ ص ٦٠-٧٣ وابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء ص ٢٧-٥٦ ، واليعقوبي في كتاب التاريخ ج ١ ص ١٧٦-١٨١ ، وعلى كتاب اوليندر عن « مملكة كندة وأسرة آكل المراد » (بالانكليزية) ص ١٠٠ .

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ١ ص ٢٤٧ .

ولعل الكنديين كانوا في جنوب اليمن ثم هاجروا بعد الانحطاط الذي أصاب اليمن من جراء تحول الطريق التجاري . غير اننا لا يمكن أن نعين بالضبط زمن هجرتهم سوى اشارة في معجم البلدان لياقوت يذكر فيها عدة ملوك سبقوا حجر بنحوالى قرن أو قرن ونصف من الزمن ، ولما كان حجر قد ظهر في القرن الخامس ، فنكون أول هجرة الكنديين في منتصف القرن الثالث .

وليس لدينا من أخبار ملوكهم الاوّل شيئاً سوى أسماء وسنى حياتهم التي يذكرها اليعقوبى . فهو يقول بأن مرتع بن معاوية حكم (٢٠) سنة وابنه ثور مات فى سن مبكرة ثم تلاه معاوية ثم الحارث الذى حكم (٤٠) سنة ثم وهب الذى حكم (٢٠) سنة .

ويجمع المؤرخون العرب على ان حجرا كان اول ملوكهم ، ولكننا لا نعلم شيئاً ثابتاً عن كيفية تعيينه فان ابن الكلبي يقول بأن تبع عينه عندما كان فى طريقه الى العراق . ويروى ابن الكلبي بأن حسان تبع هو الذى عينه ، غير اننا لا نعلم بالضبط من هو حسان تبع . ولعل كلمة تبع كانت لقباً للملوك العظام ، ومهما يكن فإن هذه الروايات تدل على وجود علاقة قوية بين كندة ودولة حمير .

ويبدو ان حجرا وسع سلطته بطريق الزواج ، فيروى ابن الكلبي بأنه تزوج هند بنت ظالم بن وهب بن الحارث ، كما تزوج بامرأة من حمير وبزوجة ثالثة هي أم أياس بنت عوف بن محلم الشيباني .

يبدو ان حجرا اتخذ مقراً له فى غمر كندة ، وقام منها بحملات ضد القبائل الساكنة فى الحجاز وشمال الجزيرة العربية والبحرين بل وصل فى فتوحاته الى حدود دولة المناذرة منتزعا منهم بعض اراضيهم^(٣) . كما أنه بسط نفوذه على بعض اجزاء اليمامة حيث عين ابنه معاوية حاكماً عليها . ومن المحتمل ان بعض الفتوحات التى روى أنه قام بها قد نسبت اليه خطأ ، وانها فى الحقيقة فتوحات حفيده الحارث .

ليس لدينا دليل على تاريخ حكم حجر سوى ان حفيده مات سنة ٥٢٨ ،

(٣) ابن الاثير : الكامل ج ١ ص ٣٧٥ .

ويمكننا أن نقدر على أساس هذا التاريخ انه عاش في الثلث الاخير من
القرن الخامس .

وقد أعقبه ابنه عمرو المقصور الذي سمي بهذا الاسم لاقتصاره على ملك
أبيه ، على ما يقول ابن الكلبي ، أى ان سلطته كانت محدودة جدا ومقصورة على
قبيلة كندة ، اذ فقد سلطته على قبائل ربيعة التي ظهر فيها في هذا الوقت قائدا
جديد هو كليب التغلبي . على انه حافظ على علاقته الطيبة مع الحميريين ، كما كان
مرتبطا مع المناذرة بأواصر الصداقة والقربى ، اذ كانت ابنته زوجة المنذر بن ماء
السماء وأم النعمان الاسود الذي حكم الحيرة مدة أربع سنوات .

الا أن علاقته مع الفساسنة كانت غير وثيقة . فقد اشتبك مع الحارث بن
أبي شمر في حروب قتل فيها .

وقد أعقبه الحارث بن عمرو الذي يعتبر أقوى ملوك كندة وأبرزهم ، كما
ان معلوماتنا عنه أوسع وأوضح ، كما ان ذكره ورد في الكتب البيزنطية ، فيقول
ثيوفانس بأن رومانوس حاكم فلسطين في عهد الامبراطور انستاسيوس كسر
سنة ٤٩٧ م قائدين عربيين ، فطرد الحارث بن جبلة وأسر الحارث ، وبعد أربع
سنين قام أخوه معد يكرب بهجوم انتقامي على فلسطين ، الامر الذي حمل
انستاسيوس على أن يعقد صلحا مع الحارث بن عمرو لتأمين المدن السورية .
ولعل هذا الحلف موجه ضد الساسانيين والمناذرة ؛ ويشير ملالاس الى تاريخ
وفاة الحارث .

وقد حكم الحارث مدة طويلة من الزمن تزيد على الاربعين عاما وقد توسط
الحارث بين بكر وتغلب وعقد بينهما صلحا انتهت به حرب البسوس التي دامت
بينهما اربعين سنة انهكتهما جميعا ، وقد بسط سيادته على قبيلة بكر بعد ذلك .

وقد استغل الحارث فرصة ضعف ملوك المناذرة وسوء علاقتهم مع
الساسانيين في زمن قباذ . فاستطاع أن يصبح ملكا على الحيرة مدة من الزمن بتأييد
من قباذ . ويبدو أن قباذ كان يريد أن يستغل نفوذ الحارث لاختضاع القبائل
العربية ، وخاصة بكر وتغلب التي أخذت تنزح الى أطراف العراق ، على ان

الحارث لم يتخذ الحيرة مركزا له بل كان يتجول أطرافها ولعل ذلك راجع الى كره أهل الحيرة له والواقع انهم لم يذكروا اسمه في قائمة ملوكهم . ويقال أن قبازا حاول اقناعه باعتناق المزدكية ولكنه لم يفلح ، فعزله .

كما انه حاول على أثرها أن يتفق مع البيزنطيين ، كما تدل على ذلك الاقوال التي وصفه بها ثيوفانس وملاياس عند موته ، ولكن ليست لدينا معلومات واضحة عنه وعن علاقته بالحارث بن جبلة الذي عينه جستنيان ملكا على العرب البيزنطيين . ويشير امرؤ القيس الى مطاردة أنوشروان له .

الا يا عين بكى لى شينا وبكى لى الملوك الذاهيينا
ملوكا من بنى حجر بن عمرو يساقون العشية يقتلوننا
فلو فى يوم معركة اصيوا ولكن فى ديار بنى مرينا

وقد ارتبط الحارث مع عدة قبائل برابطة الزواج فتزوج أم قطام بنت سلمة بن الحارث بن معاوية فولدت له حجرا ، واختها اسماء فولدت له شرحبيل ومعد يكرب ، وجاريتهما فولدت له سلمة ، كما تزوج بنت عوف بن محلم فولدت له عمرو .

ولى الحارث ابان حكمه اولاده على القبائل التي يحكمها بعد أن احتفظ لنفسه بحكم كندة . وتتفق أغلبية الروايات على انه :

عين حجرا على أسد وكنانة وغطفان ، وهم يقطنون عند وادى الرمة بين جبل شمر وخيبر .

وعين شرحبيل على بكر وحنظلة والرباب وتميم ، وهم يقيمون فى شرقى نجد بين الفرات والبحرين .

وعين سلمة على تغلب والنمر بن قاسط ومساكنهم بادية الشام .
ومعد يكرب على قيس عيلان وهم يقطنون فى تهامة وأطراف الحجاز .
ومن هذا يتجلى مدى سعة سلطان الحارث وامتداد حكمه الى نجد وأطراف الحجاز والبحرين واليمامة .

لقد كانت مناطق حجر ومعد يكرب عند حدود الدولة البيزنطية ، لذا كانت لهما علاقة بها ؛ وقد ذكر ثيوفانس بأنهما قاما بحملة ضد فلسطين .

لقد كان حجر أكبر اخوته ، وكانت له بعض الاقدمية عليهم كما تدل على ذلك رواية ابن الكلبي التي يقول فيها بأن حجرا تقدم بجيش من كنانة وربيعه لاختضاع قبيلة أسد التي ثارت عليه .

وتختلف الروايات في كيفية مقتله ، فيروى ابن الكلبي والشيثاني وابن السكيت ان حجرا ارسل جباناً لاخذ الاتاوة من أسد ، فرفضت هذه القبيلة ، فتقدم اليهم حجر بجيش من ربيعة وقيس وكنانة ، وأسر رؤسائهم وقتل كثيراً منهم بالعصا ، فسموا عبيد العصا ثم نهب أملاكهم وأمرهم بترك تهامة ، ولكن عبيد بن الابرص ألقى بين يديه قصيدة استعطفه فيها ، فعفا عنهم . ثم أن كاهنا لأسد تنبأ بموت حجر فقويت معنوياتهم وركبوا خيولهم وأعادوا عليه الكرة فقتلوه ، ودعوا كنانة وقيسا لمناصرة اخوانهم بدل أن يناصروا أجنبيا فنارت هاتان القبيلتان ونهبت متاع حجر . ويقول أبو عمرو الشيثاني بأن حجرا شعر بخطر أسد فارسل ثقله الى بعض التميميين ووعد قبيلة أسد أن يتركها اذا سمحت له بمغادرة البلاد فرفضوا بذلك ولكن بعض الاسديين قتلوه في طريق عودته . ويروي السكيت ان حجرا زار أباه عند موته ، ثم عاد الى بني أسد فظلمهم ، فلما سمع بنو أسد بموت الحارث ابى حجر ثاروا ضد حجر وأسروه ثم قتله علباء . ويروي ابن الهيثم ان حجرا جهز جيشا ليحارب أسدا ولكن علباء عاجله فقتله . ويروي يعقوبى ان علباء هذا هو قائد الاسديين .

أما ابن قتيبة فيقول بأن حجرا ظلم أسد فتدمرت منه ، وشعر بالخطر فطلب من حنظلة المساعدة ولكن هذه اتخذت موقف الحياد ، مما أضعف مركز حجر فانكسر في المعركة ولكنه قتل أثناء هروبه . وقد أشار امرؤ القيس الى قتل علباء لحجر بقوله :

وقصدة علباء بن قيس بن كاهل منية حجر في جوار ابن جدان

أما شرحبيل وسلمة فقد حكما ربيعة وتميم اللتين كانتا تقطنان شرقي نجد . وقد دب الخلاف بين الاخوين بعد موت أبيهما ، وربما كان المنذر بن ماء السماء أثر في توسيع شقة الخلاف بينهما ، اذ يروى انه دس لكل من الاخوين من يفهمه ان الآخر يريد الاتفاق مع المنذر مما أثار ضغينتهما وقد أدى هذا الخلاف الى اشتباكهما في القتال .

أما معد يكرب فيقال أنه جن .

وقد حاول امرؤ القيس ، وهو أصغر اولاد حجر ، أن يثار لمقتل أبيه ويسترجع الملك ويعيد شتات الكنديين ومن الغريب ان المؤرخين لا يذكرون أى أحد من اخوته حاول التار لمقتل حجر . وامرؤ القيس لقب به . أما اسمه الاصلى فمختلف فيه ، فهو يروى حنجدج أو عدى ومليكة وسليمان ؛ واما مختلف فى اسمها فمنهم من يقول انها فاطمة اخت كليب والمهلhel التغليين ومنهم من يقول ان اسمها علباء . وقد ولد فى بنى أسد كما تدل على ذلك كثرة ورود اسماء بلادهم فى شعره . وقد غضب عليه أبوه لسبب يختلف الرواة فى ايراده فان الكلبى يروى ان أباه غضب عليه لانه أحب الشعر وابن قيسه يروى ان سبب ذلك ما ذكره امرؤ القيس بما حدث فى يوم دارة جلجل . ولعل سبب غضبه عليه تكلمه فى زوجات ابيه ، فانضم الى صعاليك العرب من طى وبكر وكلب . ويروى ابن سلام بأنه التجأ بعد طرده الى عمه شرحبيل فى بنى دارم وظل هناك الى أن قتل شرحبيل ، أما ابن الهيثم فيدعى بأن امرؤ القيس كان مع ابيه عند هجوم بنى أسد عليه وانه فر على حصانه ، ويروى ابن الكلبى بأنه ذهب الى دمون فى السامة بينما يذكر الهمداني انها فى حضرموت حيث كان لكندة تار فيها . وقد ذكر امرؤ القيس دمون فى شعره مرتين .

كأنى لم ألهو بدمون مرة ولم أشهد الغارات يوماً بعندل
تطاول علينا الليل دمون دمون انا بعشر يمانون وانا لاهلنا محبون
ويضيف ابن الكلبى الى انه عند مقتل ابيه أرسل اليه رسول يبلغه الخبر وقد أشار الى ذلك بشعره :

أتانى وأصحابى على رأس صيلع حديث أطال النوم عنى فأنعما
فقلت لعجلى بعيسد ما به ابن لى وبين لى الحديث المجمعما
فقال ابيت اللعن عمرو وكاهل اباحا حمى حجر فأصبح مسلما

وصيلع على قول ياقوت تقع فى جنوب جزيرة العرب .

أما الهيثم بن عدى فيقول بأن امرؤ القيس كان فى حنظلة عند قتل أبيه ويلاحظ ان بقية اولاد حجر لم يحاولوا التار لابيهم ولم ينضموا الى امرؤ القيس فى محاولته .

حاول امرؤ القيس أن يجلب تغلبا وبكرا الى جانبه وقد أشار الى الصعب بن
عكابة في شعره :

يحملننا والاسد النواهلا وحى صعب والوشيج الذابلا

ويقول ابن قتيبة انه استنجد بندي جدان الحميري ولكن يلاحظ ان امرؤ
القيس لا يشير في شعره الى أي حميري .

ومهما يكن فقد عرفت قبيلة أسد باستعدادات امرؤ القيس ، وحاولت
تفادي الحرب ، فأرسلت كبار رجالها يسترضوه ولكنه امتنع عن مقابلتهم ثلاثة
أيام فلما سألوا عن السبب اخبروهم بأنه يستعد للحرب . ويقول ابن الكلبي بأن
بنو أسد لما قطعت أملها من استرضائه هاجرت من دارها فلم يلقها امرؤ القيس
وهاجم كنانة للتأثر من أبيه وقد أشار في ذلك بشعره :

ألا يا لهف هند أثر قوم هم كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدهم بنبي أبيهم وبالاشقين ما كان العقاب
وأفلتهن علباء جريضا ولو أدركته صفر الوطاب

وقد لحق امرؤ القيس بأسد وقتل بعضهم ، ولكن بكرا وتغلبا أبنا أن
تستمررا بمطاردتهم لانهما رأتا انه قد أخذ بثأره . وقد ذهب امرؤ القيس الى
أزد شنوعة يطلب معوتها فرفضت معاونته ضد حليفها أسد فذهب الى مرند
ذو جدن أحد أقيال اليمن . ولكن مرندا مات وخلفه قرمل الذي تلتكأ في ذلك
وحاول أن يصدده فقال :

واذ نحن ندعو مرند الخير ربنا واذا نحن لا ندعى عبيدا قرمل

وقد اضطر قرمل بعد هذا أن ينجده بقوة سار بها للانتقام من أسد . وقد
مر بوادي بيشة فوقف يستخير ذا الخلصة . فلما كانت الاستخارة ضد ما يريد
ضرب الصنم وقال :

لو كنت ياذا الخالص الموتورا مثلي وكان شيخك المقبورا
لم تنه عن قتل العداة زورا

ولكنه لم يستطع أن ينتقم من أسد لان المنذر بن ماء السماء كان قد بسط
نفوذه على الجزيرة فاحتمت به أسد ، وخشى من معه من الجيش بطش المنذر

وتفرقوا الا عددا قليلا من المخلصين ، فأخذ ينتقل في القبائل يطلب معونتهم وعونهم دون جدوى . فذهب الى أباد وطى وجديلة ونهبان والى السموأل الذى أشار عليه بالذهاب الى امبراطور البيزنطيين . وقد أشار فى شعره الى استجاده العشائر ، وخاصة المعلى الجديلى :

كأنى اذ نزلت على المعلى نزلت على البواذخ من شمام
فما ملك العراق على المعلى بمقتدر ولا الملك الشامى
أصد نصاص ذى القرنين حتى تولى عارض الملك الهمام
أقر حى امرى القيس بن حجر بنو تيم مصابيح الفلام

وقد سار الى القسطنطينية مارا بعلبك وحمص وحماة وشيزر كما ذكر ذلك فى شعره :

لقد انكرتني بعلبك وأهلها ولا بن جريج كان فى حمص أنكرا
تقطع أسباب اللبانة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا

لا يذكر امرؤ القيس فيما حفظ من شعره شيئا عن مقابلته للقيصر ولكن الكتب العربية تروى بأن قيصر تلقأ فى مساعده ، وكان فى القسطنطينية بعض أنصار بنى أسد أثاروا عليه القيصر ، فأعطاه حلة مسمومة تسم جسمه منها بعدما لبسها . ولا ريب ان فى حديثهم هذا مسحة اسطورية وهو يدل على ان القيصر لم ينجده فمات هناك . ولعل القيصر لم يرد أن يغامر بارسال جيش مع عربى ليس له من يسنده ليحارب لمصلحة هذا العربى فقط ، لا لمصلحة الروم أنفسهم . هذا الى ان الفساسنة كانوا لما يزالوا محالفين للروم يقومون لهم ببسط النفوذ على القبائل ويعينوهم فى حربهم ضد المناذرة والساسانيين .

لا تدل الاخبار على انه كان لكندة مستوى راق من الحضارة المادية ، أو انهم ادخلوا الى الجزيرة دينا أو ثقافة جديدة . كما ان نظمهم البدوية لم تكن تختلف كثيرا عن نظم القبائل الاخرى . غير انهم اتجوا أعظم شاعر عربى جاهلى هو امرؤ القيس الذى ادخل فى الشعر العربى فنونا وأبوابا جديدة . ولا ريب ان ظهوره فى كندة يدل على ان الحركة الادبية ونظم الشعر كان راقيا فيها . ومن المحتمل انهم كانوا موثلى الشعراء وملجأهم . فلما انقرضت دولتهم توجه الشعراء صوب المناذرة يقصدونهم . والواقع ان كل الشعراء الجاهليين البارزين

نشأوا في مناطق كانت كندة تبسط نفوذها عليها • هذا الى أن هؤلاء الشعراء لم يقصدوا المناذرة الا بعد سقوط دولة كندة •

لم يحاول الكنديون في تنظيمهم السياسي أن يغيروا النظم السياسية القبلية ؛ فتركوا كل قبيلة تحتفظ بتنظيماتها وتقاليدها بل ورؤسائها مكثفين بالاعتراف برئاستهم العليا • وبذلك كونوا نوعا من الاتحاد Confederation كانت كندة رأسه ومنظمته وموجهته فنظامها الذي اتبعته أقرب الى مجلس هيئة الامم ، أدى الى نشر الامن والسلم والحد من الخصومات والحروب الطاحنة في الجزيرة • فلما انقضت دولة كندة حلت دولة المناذرة محلها مدة قصيرة ثم سقطت ففككت القبائل البدوية واستقل كل منها في شؤونها الداخلية وأخذت تتبع مصالحها الخاصة ، وكثيرا ما كانت تحارب القبائل الاخرى • مما أدى الى اضطراب الامن والنظام وارهاق كثير من القبائل وتركها بحالة اعياء الامر الذي ساعد الاسلام في محاولته لضم الجزيرة العربية اليه •

الفصل الثامن

مكة

اهميتها :

ان لمكة أهمية كبيرة في التاريخ العربي والاسلام ، فقد ولد فيها النبي وعاش
وبلغ رسالته لمدة عشرة سنوات ^{سنة} ، وكانت لاوضاعها الدينية والاجتماعية الاثر
الاكبر في تكوين آرائه ومعتقداته . فقد أقر الاسلام بعضها ، وعدل بعضها ،
وهاجم الكثير مما كان سائدا فيها من معتقدات وأوضاع . فمعرفة احوالها اذا
ضرورية لفهم الاساس الذي قام عليه الاسلام الاول . وقد كانت في مكة عند
ظهور الاسلام ادارة خاصة لا تعتمد على السلطة التنفيذية بل على الافئدة ؛ كما
كانت مركزا تجاريا نشطا وسع افق نظر أهلها وأعانهم على الاطلاع على البلاد
المجاورة واحوالها ؛ هذا الى انها كانت من اكبر المراكز الدينية في الجزيرة ،
يؤمها عدد كبير من مختلف انحاء الجزيرة من القبائل المختلفة ، وقد ساعد هذا
على اكساب أهلها سعة نظر ومرونة في معاملتهم الناس . فكانت مكة مدرسة دربت
اداريين استطاعوا بعد الفتح الاسلامي أن يديروا الامبراطورية الجديدة
بنجاح وتوفيق .

مناخها :

وتقع مكة في منطقة جافة مناخها قارى حار جدا في الصيف وكان
القرشيون يعذبون بعض المسلمين الاول بايقافهم في رمضاء الصيف تعذبا لهم .
غير ان جفاف المناخ أدى الى جعلها صحية فكانت خالية من الاوبئة ، وخاصة
الملاريا التي كان يعاني منها سكان المناطق ذات المياه الوفيرة كخيبر ويشرب .
وامطارها قليلة وقد تمر سنوات بدون أن يسقط أى مطر لذلك كانت
مياها شحيحة . وأصبح السكان يعتمدون على مياه الآبار للشرب ، ولكن معظم

هذه الآبار ذات مياه مالحة ، ومنها بشر زمزم • وقد ألفت قلة المياه على المسؤولين عن ادارة مكة عبء ايجاد المياه لها ، فحفروا فيها كثيرا من الآبار^(١) ، وعينوا رجلا اودعوا له مهمة تدبير سقاية الحجيج ، وكثيرا ما كانوا يضطرون الى مزج الماء بالزبيب كيما يجعلوه صالحا للشرب^(٢) .

غير انه اذا سقطت الامطار ، وخاصة في الشتاء واوائل الربيع ، فانها تكون غزيرة وتسيل المياه من الجبال الى الوديان والشعاب ، مكونة سيولا قوية جارفة تهدد الابنية في بطون الوديان ، وكثيرا ما كانت تجرف الكعبة ، وقد حاول البعض لايقاف السيول اقامة بعض السدود كى تقى محلاتهم ، فمن ذلك ردم بنى جمح و ردم آل عبدالله ، ثم أقام عمر بن الخطاب سدا كبيرا استعان فى بنائه بمهندسين وبنائين من الفرس^(٣) .

لا تكفى هذه المياه للزراعة ، لذلك كانت مكة « فى واد غير ذى زرع » على أن قد تنبت بعض الاعشاب مدة قصيرة من السنة فتكفى لرعى المواشى ، وقد تنبت بعض الشجيرات الصحراوية فى الجبال المحيطة بها • ويروى ان قصى عندما أراد بناء الكعبة اقتطع شجيرات كانت قائمة هناك^(٤) . غير ان هذه لم تكن تكفى لسد حاجة السكان فى المواد الغذائية • لذلك كانوا يضطرون الى استيراد الأغذية من البلاد الاخرى وخاصة عن الطائف واليمامة ؛ ولكن المواد الغذائية تتوفر فيها ، وقد أشار القرآن الى ذلك « رب اجعل هذا البلد آمنا وارزق أهله من الثمرات » (البقرة ١٢٦) •

التجارة :

وقد أدت هذه الاحوال الجغرافية بسكانها الى الاتجاه نحو التجارة ،

(١) الازرقى : اخبار مكة ج ١ ص ٦٤-٦٥ ج ٢ ص ١٧٢-١٨٣ خاصة •

(٢) كذلك ج ١ ص ٦٥ •

(٣) راجع عن السدود : الازرقى ج ٢ ص ١٤٢-٤ أما عن الردم فراجع

بما ذكره فى ص ١٦٥-٦ •

(٤) ابن اسحق : فى الطبرى ج ٢ ص ١٨٤ سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٢٧ •

وساعدها على ذلك كونها واقعة على الطريق التجارى البرى بين اليمن والهلل
الخصيب ، وهو فضل طريق البحر الاحمر المعرضة سفنه لخطر الجزر
المرجانية الكثيرة . وقد أصبحت منطقتها حرما مقدسا منع قتل الحيوان فيه أو
قطع الشجرة وكانت مساحته عند ظهور الاسلام تبلغ حوالى ١٢٥ ميلا مربعا^(٥) .
وكانت تتخذ القوافل محطة منذ قديم الزمن ، ولا ادل على قدسية هذا المكان من
تسميته فى كتب اليونان باسم مكارابو التى تعنى بلغة الحميرين المقدس .

ويدو ان أهميتها التجارية قد جلبت أنظار الدول المجاورة ، وخاصة
البيزنطيين اليها ، فاستولى عليها ألبوس كالوس من طريقه الى اليمن^(٦) ، كما ان
قصيا عندما قام بانتزاع ملك مكة من خزاعة ، استعان بقضاة^(٧) التى نشأ فيها
والتي كانت ضمن نطاق حكم البيزنطيين ؛ وقد حاول أبرهة الاستيلاء عليها بتحريض
من البيزنطيين كما ان عثمان بن الحويرث الاسدى اعتمد على مساندة البيزنطيين
عندما حاول أن يضع مكة تحت نفوذهم^(٨) . ويروى الطبرى فى تفسير آية
« ألم غلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون » ؛ بأن قريشا كانت تميل الى
الفرس^(٩) ولعل ذلك راجع الى ارتياهم فى نوايا الروم .

وقد أخذت أهمية مكة بالازدياد منذ القرن الخامس عندما سقطت الدولة
الحميرية بيد الاحباش ونشبت بين الفرس والبيزنطيين حروب دامية مما عرقل
التجارة العالمية المارة بالعراق ، وحمل البيزنطيين على الاهتمام بطريق البحر
الاحمر الذى لم يكن تحت النفوذ الساسانى . ومع ان أنوشروان ارسل حملة
احتلت اليمن ، الا أنه لم ينجح فى ايقاف التجارة ، لان اليمن كانت بعيدة عن
بلاد الفرس فلم يكن بمقدور الملك الساسانى أن يوطد نفوذه فيها ويقضى على

(٥) انظر فى حدود الحرم : الازرقى ج ٢ ص ١٠٤ .

(٦) انظر ص ١٧ .

(٧) الازرقى : ج ١ ص ٥٧-٥٨ طبرى ج ٢ ص ١٨٣ . ويقول ابن قتيبة
ان قيصر (ملك البيزنطيين) هو الذى أعانه ، المعارف ص ٢٧٩ .

(٨) مصعب الزبيرى : نسب قريش ص ٢١٠ .

(٩) الطبرى : مجمع البيان فى تفسير القرآن ج ٢١ ص ٣-٤ .

تجارة البيزنطيين • لذلك ظلت التجارة نشطة بين اليمن وسوريا تمر في مكة •
على ان المكين لم يكتفوا بأن تكون مدينتهم ممرا للقوافل فقط ؛ بل ساهموا
بأنفسهم في النشاط التجاري ، ولا ادل على ذلك من كثرة التعابير المالية والتجارية
التي استعملها القرآن كالحساب والميزان والقسطاط والذرة والمنقال والقرض^(١٠) ،
وقد ساعدها ذلك كونها مركزا دينيا يحججه سنويا عدد كبير من العرب ، وبذلك
يتيحون للمكين سوقا تجارية للمبادلة والاستهلاك • كما انهم مدوا تجارتهم الى
الاقطار الاخرى في سوريا واليمن والحشة والعراق •

العراق :

فأما مع العراق فقد كانت تجارتهم خاصة مع الحيرة ، والواقع ان المناذرة
استطاعوا أن يمدوا نفوذهم التجاري الى أواسط وجنوب وغربي الجزيرة العربية ،
وكانوا يرسلون قوافل تجارية الى الاسواق الرئيسية ومنها عكاظ ، وكانت تسمى
اللطائم ، وهي تحمل المسك والمنسوجات ، وربما بعض المنتوجات الحيرية التي
يستعملها العرب • وكانوا يأخذون لها الأدلاء والخفراء ويؤمنوها من هجمات
القبائل الساكنة على طول الطريق التجاري^(١١) • وبجانب هذا فقد كان التجار
المكينون أنفسهم يذهبون الى الحيرة ليتاجروا معها حتى بعد انقراض دولة المناذرة ،
ولدينا أسماء بعض من ذهب كأبي سفيان وابن جدعان وغيلان بن سلمة والمغيرة بن
شعبة ومسافر بن أبي عمرو والحارث بن كلدة الذي يقال أنه درس الطب هناك •

الشام :

فأما مع الشام فقد كانت علاقتهم وثقى حيث كانوا يصدرون لها بضائع الهند
واليمن ويستوردون منها الزيت والحبوب والخمر وربما الاسلحة والجواري

(١٠) لقد جمع توري وحلل « التعابير التجارية في القرآن » بكتاب موسوم
بهذا الاسم (بالانكليزية) •

(١١) راجع مصعب الزبيري ص ١٣٦ الاغناسي ج ١٩ ص ٧٥ ج ٢٠
ص ١٣٤ ابن سعد ج ٢ ص ٦ وقد بحث لامنس في كتابه « مكة في أيام الهجرة »
(بالفرنسية) وفي مقالته عن مكة في دائرة المعارف الاسلام احوال مكة ونشاطها
التجاري بالتفصيل •

والمسوجات • والواقع انه كان في مكة عند ظهور الاسلام عدد من الاغريق العبيد والمحررين منهم صهيب وسنان وزيد بن حارثة ربيب النبي • وكانت القوافل التجارية تذهب سنويا في الصيف وكل قافلة تضم اعدادا ضخمة من الرجال ، وكانت تجارتهم تذهب الى غزة حيث دفن هاشم جد النبي ، والى أيلة وبصرى ، فكانت الاولى ميناء فلسطين وربما كانت الثانية ميناء تنقل منه البضائع الى مصر • ولا يخفى انه كان للعرب تجارة مع مصر وكان المكيون يذهبون اليها كما نعلم ذلك من حياة عمرو بن العاص •

الحبشة :

ولم تؤثر غزوة أبرهة على تجارة مكة مع الحبشة كثيرا ، بل سرعان ما عادت الى الانتظام الذي كانت عليه في السابق ، فكانت أرض الحبشة متجرا لقريش يتجرون فيها ويجدون فيها رفاغا من الرزق واما ومتجرا حسنا^(١٢) وقد اختارها المسلمون الاول ملجأ لهم من اضطهادات قريش ، كما ذهب وفد من أهل مكة الى النجاشي يطلب ردهم • وقد ذهب اليها عمرو بن العاص كذلك^(١٣) . وكانت هذه التجارة تجرى بطريق البحر ، فكانت الجار ميناء المدينة^(١٤) والشعبية ميناء مكة^(١٥) . وقد تردد ذكر السفن والجوارى المنشآت في البحر في القرآن ، كما تردد فيه ذكر تجارة البحر وما اليها • والراجح ان المكيين لم يكونوا ملاحين أو ملاكين للسفن ، ويبدو أنهم كانوا يجهلون الملاحة ويتهيون ركوب البحر ، فأغلب السفن في البحر الاحمر لا بد وان كانت مصرية أو حبشية أو عدولية^(١٦) . ميناء الصومال • وقد بنى القرشيون الكعبة بأخشاب سفينة حبشية تحطمت على

(١٢) طبري ج ٢ ص ٢٣١ •

(١٣) طبري ج ٢ ص ٢٢٥ ج ٣ ص ١٠١ أغاني ج ٨ ص ٥٢ •

(١٤) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٥ ، البكري : معجم ما استعجم ص ٢٣٥ • ابن حوقل : المسالك والممالك ج ١ ص ٣١ •

(١٥) طبري ج ٢ ص ٢٢١ •

(١٦) أنظر عن الملاحة البحرية عند ظهور الاسلام كتابي : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ص ٢٢٧ فما بعد •

ساحلهم^(١٧) ، وجاء عدد غير قليل من اهل اليمن الى الحجاز بالبحر •

اليمن :

أما تجارة اليمن فكانت تجرى في الشتاء وكانت أغلبها من العطور والجلود والاقمشة والسيوف •

التجار :

لقد اشتهر المكيون بالتجارة فمن لم يكن تاجرا لم يكن عندهم بشي^(١٨) ، وقد قيل ان تسعة أعشار الرزق في التجارة • وكانت تجاراتهم متنوعة : وقد عدد بعض المؤرخين التجارات التي كان يمتنها أشراف مكة فهي منوعة فمنهم تاجر الأرز والحبوب والخياطة والحياكة والخمر والزيت والاسلحة والسيوف والنبل^(١٩) • ولم تكن التجارة مقصورة على الرجال بل شاركت فيها النساء ، ولعل أبرز مثل على ذلك خديجة زوجة النبي وهدى بنت عبدالمطلب • وقد نقل المهاجرون مهارتهم في التجارة معهم الى المدينة فجعلوها مركزا تجاريا ينافس مكة بعد أن كانت بلدا زراعيًا • وقد ضرب المثل بمهارة بعضهم في التجارة فقبل عن عبدالرحمن بن عوف انه كان يحصل الذهب من الحجارة^(٢٠) • ورغم أنهم جاؤا المدينة ولا مال لهم فقد استطاعوا بمدة وجيزة أن يحصلوا على ثروات طائلة ، فاستطاع عثمان أن يجهز في حملة تبوك ألف بعير^(٢١) ، وجهز عبدالرحمن بن عوف عددا من الجمال كذلك •

وكان بعض هؤلاء التجار يقوم بالتجارة لنفسه مستقلا ، ولكن الغالب ان التجارة الخارجية كان يساهم فيها عدد كبير ، فاتقافة التي هاجمها المسلمون في

(١٧) طبري ج ٢ ص ٢٠٠ الازرقى ج ١ ص ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٤ •

(١٨) أغاني ج ١١ ص ٦٧ •

(١٩) ابن قتيبة : المعارف ص ٢٤٩ •

(٢٠) ابن حنبل : المسند ج ٣ ص ٢٧١ ج ٦ ص ١١٧ •

(٢١) أغاني ج ١٣ ص ٥١ •

فردة بلغ خمسها عشرين ألفاً^(٢٢) ، أى ان تجارتها كانت حوالى مائة ألف ، كما ان القافلة التى هاجمها المسلمون فى بواط كانت مكونة من ألفين وخمسمائة بعير^(٢٣) ، ويقال ان القافلة التى أرادوا مهاجمتها فى بدر ، لم يكن من قريش بيت الاوله فيها شئ^(٢٤) . وكان أصحاب التجارة يسرون مع القافلة أو يرسلوا شريكاً لهم أو أجيلاً ، أو عبداً ، على ان القوافل كانت تنظم بصورة اجماعية ، فيعين لها رئيس وحراس وأدلاء وأناس يعملون فيها ، هذا الى عدد من التجار الذين يرافقونها ويمهد لسيورها عادة باتفاقات دبلوماسية مع رؤساء القبائل التى تمر فيها لكى لا تنهب أو يعتدى عليها . وكذلك تجرى اتصالات مع الدول التى تقصدها ، وتدعى هذه الاتفاقات بالايلاف ، وقد ذكرها القرآن فى سورة قصيرة خاصة ، ويروى ان اول من أخذ الايلاف هشام^(٢٥) .

وكان بعض التجار يتخذون لهم شركاء بشروط مختلفة^(٢٦) لا نعلم عن تفاصيلها شيئاً سوى شركة القراض التى يعطى فيها الفنى مالا لرجل يستعمله فى التجارة على أن يقسموا الربح بنسبة يتفقون عليها . ومن المحتمل أن بعضهم انشأ له فروعاً تجارية مع البلاد التى كان يتاجر معها ؛ هذا الى أن بعض أهل البلاد الأخرى انشأوا لهم فى مكة فروعاً تجارية مستقلة أو بالاشتراك مع المكيين . والراجح ان أغلب الحلفاء فى مكة كانوا من هؤلاء الوكلاء التجاريين ، ولدينا أسماء عديد منهم .

الصيرفة :

لم يقتصر نشاط أهل مكة على التجارة فقط بل قاموا بأعمال الصيرفة كذلك .

-
- (٢٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ قسم ٢ ص ٢٥ . المسعودى :
التنبيه والاشراف ص ٢١٠ .
- (٢٣) ابن سعد : ج ١ قسم ٢ ص ٢ . المسعودى : ص ٢٠٢ .
- (٢٤) ابن سعد : ج ١ قسم ٢ ص ٢ .
- (٢٥) طبرى : ج ٢ ص ١٨١ ، سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٤٧ .
المحبر : ص ١٦-١٧ .
- (٢٦) ابن سعد : ج ٤ ص ٣٢ ، ٥١ . ابن حنبل : ج ٤ ص ٦ .
طبرى : ج ٣ ص ٩٦ .

وقد استفادوا من موقعهم المتوسط بين الامبراطورية الساسانية التي تستعمل الفضة ، والبيزنطيين الذين كانت عملتهم ذهبية ، فأخذوا يقومون بأعمال الصيرفة . وكان لاستقلال مكة أثر في اعطائها حرية واسعة في مبادلة العملة بدون قيد ، اذ لم تكن تفرض على العملة سعرا رسميا ، بل كانت تقدر قيمتها بحسب وزنها باعتبارها معدنا . وهكذا كانت النقود ، وخاصة الكميات الكبيرة منها تقدر بالوزن كالقنطار والاقية والنش والمثقال ، وأغلب ما ورد في القرآن عن الثروات ، كان يقدر بالوزن لا بالعدد كالقناطير والمناقل . وكانت النقود التي ترد مكة فضية من الساسانيين واليمن ، أو ذهبية من الدولة البيزنطية^(٢٧) . ولا ريب أنه كان للدينار البيزنطي أهمية كبرى لدقة عياره وسكه وأهميته في التجارة الخارجية ، وخاصة مع الهند حيث كان يستخدم الذهب فقط في التبادل .

ولم تكن مهمة الصراف هينة . اذ كان عليه أن يكون ذا معرفة بالمعادن ليميز جيدها من رديتها ، كما كان عليه أن يعرف وزنها ، وأن يعرف الاسعار العالمية لكي يقدر سعر التبادل . وهذا أمر ليس بالسهل .

الربا :

لقد كان المثرون يقومون بأعمال التجارة والصيرفة بمفردهم أو يكونون شركا ولم تكن أعمالهم مقصورة على نوع واحد من التجارة . بل حينما وجدوا الربح . وفي كثير من الاحيان يقومون بالاقرض ولم يكن لهم على اقرضهم ضمان الا الثقة . اذ لم تكن هناك سلطة تجبر المدين على دفع دينه وهذا قد يحمل المدين على العصيان وعدم الدفع . لذلك قلما كانوا يدينون البدو لصعوبة استرجاع دينهم منهم . هذا الى أنهم كانوا يفرضون فوائد عالية على ديونهم ، وقد أشار القرآن الى ذلك في القرآن بقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون » (آل عمران ١٣١) كما حرمه ووصفه « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ، ومن عاد

(٢٧) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٥١ فما بعد .

فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » (البقرة ٢٢٧) « وما أتيتم من ربنا ليربو
في أموال الناس فلا يربو عند الله » (الروم ٣٩) •

لقد كان على الدائن أن يسترجع دينه بنفسه ، وهذا لا يتم الا بعد الجاح
شديد • وقد حفظ الأدب العربي كثيرا من الأقوال والاشعار التي تصور الجاح
الدائن وتهرب المدين •

يؤمنك منها طارق كل ليلة حيث كما وافى الغريم المداين^(٢٨)

وكل غريم حظه جحد ماله اذا شح يوما أو أساء التقاضيا^(٢٩)

من أفلس الناس من دين ومن حسب وأظلم الناس طرا للمساكين^(٣٠)

وقد حملت هذه المعاملة البعض على وسم التجار بأشنع الاوصاف فقالوا ان
التجار هم الفجار •

الطوبوغرافيا :

تقع مكة في وادى طويل تحيطه الجبال من معظم الجهات وتخفيه ، حتى
ان أبنيتها لا ترى للقادم الا اذا اقترب منها وأطل على الوادى ، وقد سهلت هذه
الجبال على أهلها مهمة الدفاع عنها^(٣١) • غير ان في هذه الجبال وديانا وشعابا
تجرى فيها السيول بعض الامطار ، وكثيرا ما تهدد أبنية مكة ، وقد أغرقت الكعبة
وهدمتها عدة مرات • كما ان هذه الشعاب كانت ملجأ لمن يكره أهل مكة أو
يكرهونه ؛ وقد اتخذ المسلمون من بعض هذه الشعاب لهم مركزا يقيمون فيه
طقوسهم الدينية وعباداتهم بآمن من أعين النظار^(٣٢) ، كما لجأوا اليها عندما
قاطعهم القرشيون •

(٢٨) البكري : معجم ما استعجم ص ١٢٦٨ •

(٢٩) أغاني : ج ١ ص ١٣ ، ٣٧ •

(٣٠) البحترى : الحماسة ص ١٤١٥ •

(٣١) الازرقى : ج ١ ص ٣٨ •

(٣٢) ابن هشام : السيرة ج ١ ص ٢٦٥ ، ٢٧٥ الطبري : ج ٢ ص ٢١٣

(عن ابن اسحق) •

السكان :

ويرجع تاريخ مكة الى عهود قديمة ، فقد ذكرها بطليموس باسم
مكرايو^(٣٣) ، أى المقدسة مما يدل على قدم قدسيته ، ويزعم بعض النسابين
العرب ان آدم نزل فيها ، ويذكر القرآن ان ابراهيم نزل فيها ودعى • رب اجعل
هذا البلد آمنا وارزقه من كل الثمرات •

وقد ورد ذكرها فى القرآن باسم مكة (الفتح ٢٤) ، وبكة (آل عمران ٩٦) ،
وأم القرى (الانعام ٩٢) (الشورى ٧) وقد أشار القرآن الى المناطق التابعة لها
وسماها حاضرى المسجد الحرام (البقرة ١٩٦) •

ويذكر الطبرى فى تفسير هذه الآية ان حاضرى المسجد الحرام هم عرفة
وعرنة ومرو ضجنان والرجيع ونخلتان^(٣٤) •

وتروى المصادر العربية انه كانت السيادة فى مكة فى القديم لجرهم ، ثم
انتزعا منهم خزاعة ، ثم انتزع قصى السيادة من خزاعة^(٣٥) ، وبذلك جعل
لقريش المكانة الاولى ، ولكنه ترك بعض الوظائف الدينية بيد أصحابها القدماء
كما ستحدث فى آخر هذا الفصل •

قريش :

لا نعلم تفاصيل عن مكانة قريش ونشأتها فى القديم ؛ فان النسابين العرب
يذكرون ان أصلهم يرجع الى ابراهيم الخليل ، حيث تحدروا من ابنه اسماعيل
الذى أسكنته أمه فى هذا الوادى غير ذى الزرع • ويختلف النسابون اختلافا
كبيرا فى شجرة النسب^(٣٦) ، ويظهر البعض ارتيابهم فى القيمة التاريخية للاسماء
التي تذكر بين عدنان واسماعيل •

(٣٣) جغرافية بطليموس الكتاب السابع (نقلا عن دائرة المعارف
الاسلامية مادة مكة) •

(٣٤) مجمع البيان فى تفسير القرآن : ج ٢ ص ١٤٩-١٥٠ •

(٣٥) الازرقى : ج ١ ص ٥٩-٦١ ، ابن سعد : الطبقات ج ١ قسم ١

ص ٤٠ ، ابن هشام : ج ١ ص ١١٧ ، ١٣٠ •

(٣٦) راجع فى اختلاف النسابين الطبرى ج ٢ ص ١٩١-١٩٤ •

ومهما يكن فإن القبائل الشمالية كلها تحدرت من نسل اسماعيل ، كما اختلفوا في تعيين أول من سمي باسم قريش ، وفي معنى هذه الكلمة ، وقد اجمل الطبرى ذلك في قوله « وقيل سميت قريش قريشا بقريش بن بدر بن يخلد بن انحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة ، وبه سميت قريش قريشا لا غير بنى النضر كانت اذا قدمت قالت العرب قد جاءت غير قريش ؛ قالوا وكان قريش هذا دليل بنى النضر فى أسفارهم وصاحب مبرتهم ، وكان له ابن يسمى بدرا •• وقال ابن الكلبي انما قريش جماع نسب ليس بأب ولا أم ولا حاضن ولا حاضنة ، وقال آخرون انما سمي بنو النضر بن كنانة قريشا لان النضر بن كنانة خرج يوما على نادى قومه فقال بعضهم لبعض انظروا النضر كأنه جمل قريش ، وقيل انما سميت قريش قريشا بدابة تكون فى البحر تدعى القرش ، فشبّه بنو النضر بن كنانة بها لانها أعظم دواب البحر قوة وقيل ان النضر بن كنانة كان يقرش عن حاجة الناس فيسدها بماله ، والقرش فيما زعموا التفتيش ، وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة فيسدونها بما يبلغهم •• وقيل ان النضر بن كنانة كان اسمه قريشا ، وقيل بل لم تزل بنو النضر بن كنانة يدعون بنى النضر حتى جمعهم قصي بن كلاب فقيل لهم قريش من اجل ان التجمع هو التقرش فقالت العرب تقرش بنو النضر أى قد تجمعوا ، أو قيل انما قيل قريش من اجل انها تقرشت عن الغارات •• وعن محمد بن سعد •• سميت قريش قريشا حين اجتمعت الى الحرم من تفرقتها فذلك التجمع التقرش ، قال عبدالمملك ما سمعت هذا ولكن سمعت ان قصيا كان يقال له القرشي ولم يسم قريشى قبله (٣٧) ، •

ويتبين من هذا النص ان قريش ليست اسم شخص بل هو اسم سمكة أو طوطم ، أو صفة أطلقت اما على (١) قريش بن بدر بن يخلد ، ويؤكد هذه الرواية مصعب الزبيرى (٣٨) وابن حزم (٣٩) • أو على (٢) النضر ويؤيد ذلك

(٣٧) الطبرى : ج ٢ ص ١٨٧ •

(٣٨) مصعب الزبيرى : نسب قريش ص ١٢ •

(٣٩) ابن حزم : جمهرة النسب ص ١٠ •

ابن دريد^(٤٠) وأبي الفرج الاصبهاني^(٤١) والازرقى^(٤٢) . أو على (٣) فهر
ويؤيد ذلك ابن الكلبي^(٤٣) ، ومصعب الزبيرى وابن قتيبة^(٤٤) وأخيرا يدعى
البعض انها تطلق على قصى^(٤٥) .

قصى :

ولا ريب ان اول رئيس بارز هو قصى الذى استطاع أن ينتزع السيادة
والادارة المكية من خزاعة ، بعد أن عاوته كنانة وقضاعة كما ستحدث عند البحث
عن نسب الرسول . وينسب اليه انه اول من قسم قريش الى بطون ، وميز بين
قريش الظوهر والبطاح^(٤٦) ، على اننا لا نعلم بالضبط طبيعة وماهية هذا التقسيم ،
ولا الاساس الذى استند عليه ، ولا فيما اذا كان قد اقتبسه من البلاد الاخرى أم
أنه كان قائما على تنظيم القبائل القائمة فى عصره . على انه من المؤكد ان الاسماء
التي ترددها كتب النسب لمن تحدر من النضر أو فهر عددها أقل مما يكفى
للاعتدال عليه فى القيام بحركات مؤثرة لانتزاع السيادة من خزاعة ؛ فان الاسماء
التي يذكرونها هي أجداد العشائر التي كانت فى زمن النبي ، ولا بد ان عددا
كثيرا من الاشخاص أغفلت اسماؤهم .

لقد كانت قريش عند ظهور الاسلام منقسمة الى قسمين هي قريش البطاح
وقريش الظواهر .

البطاح :

فاما قريش البطاح فهي البطون التي كانت تسكن فى مكة نفسها ، ويحتكر
رجالها الادارة والوظائف الكبرى ، ومنهم التجار والرأساليون والمشرون الذين

-
- (٤٠) ابن دريد : الاشتقاق ص ١٨ .
(٤١) الاغانى : ج ١ ص ١٢ .
(٤٢) الازرقى : ج ١ ص ٦١ .
(٤٣) الطبرى : ج ٢ ص ١٨٦ .
(٤٤) ابن قتيبة : المعارف ص ٣١ .
(٤٥) الازرقى : ج ١ ص ٦١ .
(٤٦) ابن سعد : الطبقات ج ١ قسم ١ ص ٢٥ . المسعودى : مروج
الذهب ج ٢ ص ٥٨ .

النضر

مالك

فهر

احمد

محارب

الحارث

غالب

قيس

تيم الادرم

لؤي

كعب

هشيب

عدي

مره

جمع

سهم

بقظة

تيم

كلاب

مخزوم

زيد

زهرة

قعي

عبد

عبد الدار

عبد العزي

عبد مناف

نوفل

عبد شمس

المطاب

هاشم

كانوا يقومون بالحرارة التجارية وهم فيما يروى محمد بن حبيب السكري هم بنو عبد مناف ، وبنو عبدالدار ، وبنو عبد بن قصي ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو تميم بن مرة ، وبنو مخزوم بن يقظة بن مرة ، وبنو سهم ، وبنو جمح أبناء عمرو بن هصيص ، وبنو عدي بن كعب ، وبنو حسل بن عامر بن لؤي ، وبنو هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر ، وبنو هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث بن فهر^(٤٧) . ويحذف المسعودي من هذه القائمة بنو هلال بن أهيب ، وهلال بن مالك ، ولكنه يضيف في مكان آخر من كتابه^(٤٨) بنو هاشم بن عبد مناف ، وبنو المطلب بن عبد مناف ، وبنو الحارث بن عبد مناف ، وبنو أمية بن عبد شمس ، وبنو نوفل بن عبد مناف ، وبنو الحارث بن فهر . ومما لا شك فيه ان هذه الاضافة الاخيرة تنطبق على عصر النبي ، وان قائمة السكري لا تنطبق كلها على زمن قصي اذ ان عبد مناف وعبدالدار وعبد هم أولاد قصي ، فلا بد انهم لم يكونوا عشائر في زمنه .

ولا ريب أنه كان هناك تداخل كبير بين هذه العشائر بنتيجة التزاوج ، وسأخذ عن عبدالمطلب وأولاده ، عند بحثنا عنه في حياة الرسول ، مثلا يوضح مثل هذا التداخل .

كما اننا لا نستطيع أن نقدر عدد أفراد كل عشيرة ، فان كتب النسب لا تذكر لكل عشيرة الا أفرادا قليلين ، وبعضهم لا يتجاوز أصابع اليد ، كبنو عبد بن قصي ، الامر الذي يحملنا على الاعتقاد بأن ما ورد في كتب الانساب من أسماء ، هي ناقصة جدا ، ولكن المصادر التي بين أيدينا ليس فيها أي دليل على عدد من حذف أو سبب حذفه .

الظواهر :

أما قریش الظواهر فهي التي كانت تسكن أطراف مكة وهي بنو معيص بن عامر بن لؤي ، وتيمم الادرم بن غالب بن فهر ، ومجارب ، والحارث ابنا فهر ؛ ويلاحظ انه ليس لهم صوت في الاحداث التي جرت عند ظهور الاسلام أو بعده .

(٤٧) المحبر : ص ١٧٦ .

(٤٨) مروج الذهب : ج ٢ ص ٥٨ ، ١٧٦ .

وبجانب هذا كانت الاحلاف ، وهم قبائل بدوية لم تمثل في النظام القائم بمكة ، ولم تنضم الى قبائلها ، وهم خاصة من كنانة وكانوا يشاركون المكيين في معظم حروبهم ، ويسمون الاحابيش^(٤٩) .

كما كان يقيم في مكة عدد غير قليل من الاجانب المنتمين الى عشائر أو أمم متنوعة ، ولكنهم استوطنوا مكة لاسباب متعددة ، وكثيرا ما يسكنوا الشعاب ، ولبعضهم حق دخول دار الندوة^(٥٠) .

التنظيم السياسي والرؤساء :

لقد أدى اجتماع الناس في مكة واستقرارهم في مكان واحد الى تضحية بعض مظاهر التكتل القبلي والى ظهور الفردية ، كما يتجلى ذلك في انتشار الاسلام بين مختلف القبائل ورغم معارضة المشركين كما ستحدث في الفصل الخاص في الدعوة الاسلامية ؛ وقد أدى الاستقرار والمصالح المشتركة الى تكيف الناس نحو المجتمع الجديد ، وخاصة في اوقات الشدائد والازمات التي تمس الغالية العظمى ، حيث كانوا يجتمعون ويتناقشون . ومع أنفة الناس من السلطة العليا وعدم رغبتهم للانصياع والخضوع في الاوقات العادية ، الا أنهم عند الشدائد كانوا لا يعارضون أتباع شخص أو أشخاص تقدمهم مواهبهم وقابلياتهم الى الصف الاول ليقودوا الناس . وقد اشارت الاخبار الى بعض هؤلاء الرؤساء ، كقصي ، وعبد مناف ، وعبدالمطلب ، الذين ستحدث عنهم بتفصيل أوفى عند البحث عن الرسول . وقد اشارت الاخبار الى هشام بن المغيرة الذي كان سيدا مطعاما ، ولما هلك نادى مناد بمكة اشهدوا جنازة ربكم^(٥١) ، وقيس بن عدي بن سهم الذي كان سيد قريش في زمانه^(٥٢) وعبدالله بن جدعان التيمي سيد قريش في الجاهلية وفي داره كان

(٤٩) انظر ص ٩٩ .

(٥٠) النهاية : ٤٤ ، ٥٩ أسد : ٣٨١ .

(٥١) المحبر : ص ١٣٩ ، ٤٢٧ الاشتقاق : ص ٦٣ ، ٩٤ المعارف : ص ٣٢
ولمحمد حميدالله مقالة قيمة عن ادارة مكة نشرها في مجلة الثقافة الاسلامية سنة ١٩٤٣ (بالانكليزية) .

(٥٢) جمهرة النسب : ص ١٥٦ .

حنف الفضول^(٥٣) ، كما كان أبو سفيان شيخ قريش وكبيرها وسيدها المطاع
الذى كان يقود القوافل ويتزعم الحروب ضد الرسول^(٥٤) . ويقول محمد بن
حبيب السكري « فلما هلك حرب بن أمية ، وكان حرب رئيسا بعد عبدالمطلب ،
تفرقت الرياسة والشرف في بني عبد مناف ، فكان في بني هاشم : الزبير وأبو
طالب والحزمة والعباس بنو عبدالمطلب ؛ وفي بني أمية : أبو احيحة وهو سعيد
بن العاص بن أمية وهوذ والعمامة كان لا يعتم أحد بسكة بلون عمامته اعظاما له .
وهو قول الشاعر :

فتاة أبوها ذو العمامة منهم ومروان ما اكفاؤها بكثير

وفي بني المطلب : عبد يزيد بن هاشم بن الاطلب ، وعبد يزيد هذا هو
المحض لاقدى فيه ، وفي بني نوفل المطعم بن عدى بن نوفل ، وفي بني أسد بن
عبدالعزى : خويلد بن أسد ، وعثمان بن الحويرث بن أسد^(٥٥) .

ولما لم يكن من السهل عمليا في الاوقات الاعتيادية جمع كافة الناس ومناقشتهم
في الامور العامة ، لذا كان لا بد من اختيار ذوى القابليات الخاصة ليقوموا بأمر بحث
الامور العامة ومناقشتها ، وقد اشار اليهم القرآن باسم الملأ .

دار الندوة :

كان هذا الملأ يجتمع منذ زمن مضى في دار الندوة التي كانت تقع قرب الكعبة
من جهة الشمال^(٥٦) ، ولعل الغرض من اقامتها قرب الكعبة هو اسباغ شئ من
الحرمة لها . ولم تكن دار الندوة من الابنية العامة ، بل هي ملك خاصة لبني
عبدالدار ، توارثوها حتى صارت لعكرمة بن عامر بن هشام الذى باعها لمعاوية بن
أبي سفيان بمائة ألف دينار^(٥٧) . وليس في الكتب اشارة الى سلطة مالكي دار

(٥٣) اشتقاق : ص ٨٨ نسب قريش : ص ٢٩١ اغانى : ج ٨ ص ٢-٣ .

(٥٤) الطبرى : ج ٣ ص ٤٤ ، ٧٧ .

(٥٥) المحبر : ص ١٦٤ .

(٥٦) الازرقى : ج ٢ ص ٧٤ .

(٥٧) ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ٢ ص ٥٢٤ ، ويقول مصعب

الزبيرى ان حكيم بن حزام اشتراها من هشام ثم باعها لمعاوية (نسب قريش
ص ٢٥٤) . انظر ايضا ابن الاثير : اسد الغابة ج ٢ ص ٤١ .

الندوة أو الرسوم التي كانوا يتقاضونها .
لقد كانت قريش لا تقضي أمرا الا في دار الندوة ، فهي أشبه بمجلس
السناتو ، تجري فيها المناقشات والمباحثات في الامور المهمة كالاشترك في الحروب
أو عقد المعاهدات والاتفاقات أو تجهيز القوافل وتنظيمها ، ويروى ايضا ان الفتيات
اذ بلغن أذخفن فيها فشقت جيوبهن^(٥٨) ومعنى هذا انه كان يجري فيها ما يشبه
عند الاغريق الاقرار بالوصول الى سن المواطنة والايجات .

يروى ابن جريج وابن اسحق انه لم يكن يدخلها من قريش من غير ولد
قصي الا ابن اربعين سنة للمشورة ، وكان يدخلها ولد قصي كلهم اجمعون ،
وحلفاؤهم^(٥٩) . ولا ريب ان هذا النص قد ينطبق على الاوضاع أيام قصي حيث
كان عدد اولاده محدودون معينون ولا يمكن أن ينطبق على أيام ظهور الرسول
حيث أصبح عدد أحفاد قصي يكونون عددا كبيرا . ويلاحظ ان كتب السيرة
رووا عن أحد اجتماعات دار الندوة للنظر في أمر المسلمين ، فقد حضرها ،
حسب ما روى ابن اسحق ، من بنى عبد شمس عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ،
وأبو سفيان بن حرب ؛ ومن بنى نوفل بن عبد مناف طعيمة بن عدى وجبير بن
مطعم والحارث بن عامر بن نوفل ؛ ومن بنى عبدالدار النضر بن الحارث بن كلدة ؛
ومن بنى أسد بن عبدالعزيز أبو البخري بن هشام وزمعة بن الأسود بن المطلب
وحكيم بن حزام ؛ ومن بنى مخزوم أبو جهل ؛ ومن بنى سهيم نبيه ومنبه أبنا
الحجاج ؛ ومن بنى جمح أمية بن خلف^(٦٠) ، أي من كل قبيلة بين الشخصين
والثلاثة .

ولكن ذلك لم يكن ليراعى بدقة ، فقد دخلها حكيم بن حزام وعمره خمسة
عشر سنة^(٦١) ، ودخلها أبو جهل وعمره ثلاثون سنة^(٦٢) .
لم تكن للملأ سلطات تنفيذية ، فكان لا بد أن تكون قراراته بالاجماع اذا

(٥٨) الطبري : ج ٢ ص ٢٤٢ . الاشتقاق : ص ٩٧ .

(٥٩) الازرقى : ج ١ ص ٦١ .

(٦٠) الطبري : ج ٢ ص ٢٤٣ . ابن هشام : ج ٢ ص ٩٣ .

(٦١) ابن عساكر : تاريخ دمشق ج ٤ ص ٤١٩ .

(٦٢) الاشتقاق : ص ٩٧ .

أريد تنفيذها ، ولكن بمقدور الاكثية اذا أقرت قرارا أن تقاطع معارضيهما أو تستخدم الضغط الاجتماعى ضدهم .

وبجانب هذا فقد كان لكل قبيلة ناد أو مجلس خاص تجرى فيه المسامرات والمناقشات ، وقد أشار القرآن الكريم الى النوادى فى بعض الآيات « فليدع ناديه سندع الزبانية » (العلق ١٧) « تأتون فى نادىكم المنكر » (العنكبوت ٢٩) .

الوظائف الدينية :

ونظرا لان مكة مركز دينى مهم يحججه سنويا عدد كبير من الناس ، فان هذا دعى الى ظهور عدة وظائف للقيام بما يتطلبه الحج ؛ ومع ان هذه الوظائف متصلة بالدين وأموره ، الا انها ليست وظائف دينية بالمعنى الدقيق ، بل تتطلب مهارة وأسلوبا خاصا وقابلية منظملة ومالا للقيام بخدمات العدد الكبير من الحجاج .

وكانت أغلب هذه الوظائف قديمة جدا ، ولما ظفر قصى سيادة مكة أبقى بعضها بيد أصحابها القدماء ويقول الطبرى انه بعد جرهم (وليت خزاعة البيت ، غير انه كان فى قبائل مضر ثلاث خلال : الاجازة بالحج للناس من عرفه وكان ذلك الى العوث بن مر وهو صوفة ، فكانت اذا كانت الاجازة قالت العرب اجيزى صوفة ، والثانية الافاضة من جمع غداة النحر الى منى ، فكان ذلك الى بنى زيد بن عدوان ، فكان آخر من ولى ذلك منهم أبو سيارة عميلة بن الاعزل بن خالة بن سعد بن الحارث بن وابش بن زيد ، والثالثة النسي ، للشهور الحرم فكان ذلك الى القلمس وهو حذيفة بن فقيم بن عدى من بنى مالك بن كنانة ثم بنيه ، حتى صار ذلك الى آخرهم أبى تمامة وهو جنادة بن عوف بن أمية بن قلع بن حذيفة ، وقام عليه الاسلام وقد عادت الحرم الى أصلها فأحكمتها الله وابطل النسي) (٦٣) .

ويروى الطبرى ايضا عن ابن اسحق ان قصيا قد أقر للعرب فى شأن حجهم ما كانوا عليه ، وذلك لانه كان يراه دينيا فى نفسه لا ينبغى له تغييره ، وكانت صوفة على ما كانت عليه حتى انقرضت صوفة فصار ذلك من أمرهم الى آل صفوان بن الحارث بن شجنة وورائه ، وكانت عدوان على ما كانت عليه ، وكانت النسأة

(٦٣) الطبرى : ج ٢ ص ١٩٩ . المسعودى : ج ٢ ص ٥٧ . ابن هشام :

من بنى مالك بن كنانة على ما كانوا عليه ومرة بن عوف على ما كانوا عليه فلم يزلوا على ذلك حتى قام الاسلام فهدم الله به ذلك كله^(٦٤) . ويقول محمد بن حبيب السكري ان ائمة العرب بعد عامر بن الضرب (العدواني) في مواسمهم وقضاتهم بعكاظ (بنو تميم) . وكان ذلك يكون في افضاهم كلها ، ويكون الرجال يلبان هذا من الامرين جميعا ، عكاظ على حدة ، والموسم على حدة ، فكان من اجتمع له الموسم والقضاء سعد بن زيد مناة بن تميم ، ثم تولى ذلك حنظلة بن زيد مناة بن تميم ، ثم تولاه ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم ، ثم مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، ثم ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ثم معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم ، ثم الاضبط بن فريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، ثم صلصل بن اوس بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جرودة بن أسيد ، ثم سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة ؛ فكان سفيان آخر تميمي اجتمع له الموسم والقضاء بعكاظ ، فمات سفيان فافترق الامر ، فلم يجتمع الموسم والقضاء لاحد منهم حتى جاء الاسلام ، فكان محمد بن سفيان بن مجاشع يقضى بعكاظ ، فصار ميراثا لهم فكان آخر من قضى بينهم الذي وصل الى الاسلام الأقرع بن حابس بن عقيل بن محمد بن سفيان وأجاز بالموسم بعد صلصل بن اوس العلاق بن شهاب بن لؤي ، من بنى عوافة بن سعد بن زيد مناة ، فكان آخر من أفاض بهم كرب بن صفوان بن جناب بن شجعة بن عطارد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة^(٦٥) .

النسي :

أما الأفاضة فستحدث عليها عند الكلام عن الحج ، وأما النسي فوظيفة يعلن فيها القائم عليها الأشهر الحرم . ومن المعلوم انه كانت هناك أربعة أشهر حرم لا يجوز فيها الحرب والقتال ، بل يسود السلم والامن ، وهي أحوال ضرورية للتنقل وممارسة التجارات وغيرها . وكانت أشهر الحرم في قريش هي ذى القعدة وذى الحجة والمحرم (للحج الأكبر) وصفر (للحج الأصغر والعمرة) . وقد

(٦٤) الطبري : ج ٢ ص ١٨٤ . انظر ايضا نسب قريش ص ٣٣ .

النعازف : ص ٣١ .

(٦٥) المحبير : ص ١٥٦-١٥٨ .

أشار القرآن الكريم الى الأشهر الحرم بقوله تعالى « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والارض منها أربعة حرم » (التوبة ٣٦)^(٦٦) ويظهر انه كان لقريش دور كبير في جعل العرب تحترم هذه الأشهر الحرم ، ولكنها لم تنجح نجاحا تاما في ذلك ، فلم تكن ختم وطى لترعاها^(٦٧) ، كما كانت لبعض القبائل الاخرى أشهر^(٦٨) حرم غير هذه ، فكان لغطفان البسل وهي ثمانية أشهر حرم لهم من كل سنة من بين العرب .

ولما كانت العرب تستخدم الأشهر القمرية ، وهي تختلف عن الأشهر الشمسية ، لذلك كان الاعتماد عليها قد يخل بأمور التجارة التي تجرى حسب فصول السنة ؛ لذلك « كانت العرب في الجاهلية تكبس في كل ثلاث سنين شهرا وتسميه النسي »^(٦٩) ، أي انه كان يضاف شهر في كل ثلاث سنوات لكي تتطابق السنة الشمسية مع القمرية ، وهذا يؤدي الى تغيير في الأشهر الحرم ، وكان المخصص بالنسي هو الذي يعين الشهر المضاف .

يروى الازرقى ان النسي كان في كندة ثم صار في بني مالك بين كنانة ؛ ولبنى القلمس منهم خاصة ، وقد ظلوا يقومون فيه حتى جاء الاسلام فحرمه^(٧٠) بعد فتح مكة على ما يظهر حيث نزلت الآية « انما النسي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما انزل الله » (التوبة ٣٧) ولا نعلم بالضبط الامور الاخرى الناجمة عن النسي والتي أوجبت اعتباره زيادة في الكفر .

يروى ابن اسحق ان قصيا كانت اليه الحجابة والرفادة والسقاية والندوة واللواء^(٧١) ، أي انه أخذ لنفسه الامور المالية والادارية والعسكرية ؛ وهناك

(٦٦) تفسير الطبري : ج ١٠ ص ٨٨ فما بعد .

(٦٧) المحبر : ص ٣١٩ . اليعقوبي : ج ١ ص ٢٢٧ .

(٦٨) ابن هشام : ج ١ ص ١٧٤-٥ .

(٦٩) المسعودي : ج ٢ ص ٢١٤ وأنظر عن النسي ما كتب عنه في دائرة

المعارف الاسلامية .

(٧٠) الازرقى : ج ١ ص ١١٨ .

(٧١) الطبري : ج ٢ ص ١٨٤ . ابن هشام : ج ١ ص ١٣٧ .

اشارات في الكتب الى وظائف أخرى لا نعلم ما موقف قصي منها ، وهل انه هو الذي أوجدها أم أقرها أم ظهرت بعده .

الحجابه :

فأما الحجابه فكان القائم بها يمتلك مفاتيح الكعبة ، فهو الذي كان يأذن للناس بالدخول في الكعبة ، والراجح انها لا تتطلب أن يكون صاحبها عالما في الدين ؛ كما لا ريب في انها كانت مورد رزق للقائمين بها . وقد أخذها قصي من خزاعة ، وقد صارت من بعده لابنه عبدالدار ثم لاولاد عبدالدار من بعده ، وقد أرجعها الرسول الى بنى عبدالدار^(٧٢) بعد فتح مكة تطبيقا لحكم الآية التي نزلت في ذلك « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها » (النساء ٥٨) .

عمارة البيت :

وقد أشار القرآن الى وظيفة أخرى هي عمارة البيت فقال تعالى « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله » (التوبة ١٩) .

الرفادة :

أما الرفادة فكانت « خرجا تخرجه قريش في كل كل موسم من أموالها الى قصي بن كلاب فيصنع منه طعاما للحاج يأكله من لم يكن له سعة ولا زاد ممن يحضر الموسم ، وذلك ان قصيا فرضه على قريش فقال لهم حين أمرهم به يا معشر قريش انكم جيران الله واهل بيته واهل الحرم وان الحاج ضيف الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة ، فاجعلوا لهم شرابا وطعاما أيام هذا الحج حتى يصدروا عنكم ففعلوا ، فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم فيدفعونه اليه فيضعه طعاما للناس أيام منى فجري ذلك من أمره على قومه في الجاهلية حتى قام الاسلام ، ثم جرى في الاسلام الى يومنا هذا فهو الطعام الذي يصنعه السلطان

(٧٢) الازرقسى : ج ١ ص ٦٢ ، ٧٧ ج ٢ ص ١٢ . نسب قريش : ص ٢٥١ . المعارف : ص ٣٢ .

كل عام بمنى للناس حتى ينفض الحجيج^(٧٣) . ؟ ويبدو ان مقدار هذه الضريبة يختلف تبعاً لثروة الدافعين وهي قد تصل مائة دينار^(٧٤) . وكانت هذه الوظيفة لبني عبدالدار ، ثم أخذها منهم هاشم فكان « يطعم الناس في كل موسم بما يجتمع عنده من ترافد قريش ، كان يشتري بما يجتمع عنده دقيقاً ويأخذ من كل ذبيحة من بدنة أو بقرة أو شاة فيجمع ذلك كله ثم يحرز به الدقيق ويطعمه للحجاج ، فلم يزل على ذلك من أمره حتى أصاب الناس في سنة جدب شديد ، فخرج هاشم بن عبد مناف الى الشام ، فاشترى بما اجتمع عنده من ماله دقيقاً وكعكاً فقدم به مكة في الموسم^(٧٥) . »

ونظراً لقلّة الاخبار ، فلا نستطيع أن نعين مقدار ما كان يجبي منها أو من كانت تسند اليه ، فيروى ابن سعد من أن وهب بن عبد بن قصي كان صاحب الرفادة^(٧٦) ، كما يروى مصعب الزبيري ان الرفادة كانت في يد حميد بن زهير من بني أسد بن عبدالعزيز^(٧٧) . ويروى البلاذري انها صارت من بعد هاشم المطلب ثم لعبدالمطلب ثم للزبير ثم لابي طالب ، ثم أخذها العباس وظلت في اولاده^(٧٨) .

وما دام بحث الرفادة يتصل بالمالية ، فجدير أن نشير الى مصادر أخرى من الواردات ، منها ما كان يؤخذ من الحجاج ، مما يمكن استدلاله مما رواه ابن دريد من أن (بنو لؤي بن شمسح (من ذبيان) ومن رجالهم طوليم ويلقب مانع الحرير ، وانما سمي بذلك لانه خرج في الجاهلية يريد الحج فنزل على المغيرة بن عبدالله المخزومي ، فأراد المغيرة أن يأخذ منه ما كانت قريش تأخذ ممن نزل

-
- (٧٣) الطبري : ج ٢ ص ١٨٥ . ابن هشام : ج ١ ص ١٤٤ ، ١٤٦ .
الازرقى : ج ١ ص ٦٢ ، ١٢٧ ويروى المسعودي أن عبدالمطلب أول من أقام
الرفادة والسقاية للحجاج (ج ٢ ص ١٢٧) .
(٧٤) ابن سعد : ج ١ قسم ١ ص ٤٥ .
(٧٥) الازرقى : ج ١ ص ٦٣ .
(٧٦) ابن سعد : ج ٣ قسم ١ ص ١٥٢ .
(٧٧) نسب قريش : ص ٢١٢ .
(٧٨) أنساب الاشراف : ج ٣ ص ٥٣٣ (مخطوطة القاهرة) .

عليها في الجاهلية وذلك سمي الحريم ، وكانوا يأخذون بعض ثيابه أو بعض بدنته التي ينحر فامتنع عليه ظويلم^(٧٩) ، ولعل هذه هي من الضرائب التي كانت تؤخذ من تأجير ثياب الحاج من الحلة ، إذ كان على الحاج من غير قبائل الحرس (وهم قریش وحلفائها) أن يؤجروا ثيابا خاصة ، أو يحجوا عرايا كما سنحدث عن ذلك عند البحث عن الدين .

ومن مصادر ماليتها كذلك ضريبة العشور على التجارات^(٨٠) ، وقد يعنى منها البعض لظروف خاصة مثلما اعفوا منها بحارة السفينة التي بنيت الكعبة من حطامها .

ومن مصادر ماليتها كذلك العطايا التي كانت تقدم للكعبة ، وكانت تودع في بني سهم^(٨١) .

السقاية :

أما السقاية فهي حياض من ادم كانت على عهد قصي توضع بفناء الكعبة ومنى وعرفة ، ويسقى فيها الماء العذب من الآبار على الابل ويسقاه الحاج^(٨٢) . وهي لا ريب مهمة في بلد كمكة يقل فيها الماء العذب الصالح للشرب ، وكانت مثل هذه الوظيفة تدر في تدمر ثمانمائة دينار سنويا ، ولعلها كانت تدر في مكة أرباها طيبة ؛ ومن المحتمل ان السقاية كانت تقتصر على الحجيج ، أما اهل مكة فلم يكونوا يدفعوا شيئا عن الماء ، وكانت السقاية عند ظهور الاسلام مودعة للعباس الذي كثيرا ما كان يمزج الماء بالزبيب^(٨٣) .

الامن والجيش :

وكانت مشكلة الامن من الامور الهامة التي توجب الاهتمام في مكة نظرا

(٧٩) الاشتقاق : ص ١٧٢ .

(٨٠) الازرقى : ج ١ ص ١٠١ . المسعودى : ج ٢ ص ٥٨ .

(٨١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٢ ص ٢٠٣ .

(٨٢) ابن سعد : ج ١ قسم ١ ص ٤١ ، ٤٥ .

(٨٣) ابن سعد : ج ٤ قسم ١ ص ١٦ . الازرقى : ج ١ ص ٦٥-٦٦ .

لكثرة الخلعاء والصعاليك وسراق الحجيج الذين قد تدفعهم نزعاتهم الخاصة وسوء الاحوال الى ارتكاب الجرائم كالسرقة أو عدم مراعاة قدسية الحرم ، يضاف الى ذلك الاخطار الخارجية التي قد تهدد مكة من الغزوات ، أو قد تقوم مكة نفسها بحرب ضد اعدائها . لذلك كانت مضطرة الى اعداد جيش لمواجهة الاخطار ، ومع ان اهل مكة كان أغلبهم تجارا الا انهم لم يغفلوا عن الاستعداد العسكري فكانوا يساهمون في الحروب التي تقوم بها مكة ، فضلا عن انهم عقدوا محالفات عسكرية مع القبائل كالفارة والحيا والمصطلق وبنى الحارث بن كنانة لكي تعاونهم في الحروب التي يشبونها . ويسمى هؤلاء الحلفاء الاحابيش^(٨٤) .

وبجانب هذا فقد كان المكيون يستخدمون المرتزقة وخاصة من السودان والاحباش الذين اشتهروا بحسن استعمالهم للحراب والسكاكين التي ترمى من مسافة ، ويدعى لامنس ان هؤلاء هم القسم الاعظم من الجيش المكي ، وانهم هم الاحابيش^(٨٥) . ويستتج من هذا ضعف شجاعة قريش وانعدام الروح العسكرية ، وهو رأى بعيد عن الصواب لان أخبار الحروب بين اهل مكة تظهر بوضوح ان قريش كانت تكون القسم الاكبر من الجيش وتقوم بالتقسط الاعظم من الحرب . وان منها المهاجرون الذين حاربوا مع الرسول في عدة وقائع ، كما ظهر منها عدد كبير من الرجال الذين قادوا الجيوش الاسلامية في معارك ناجحة ضد الروم والساسانيين في بلاد نائية .

ومما يتعلق بتنظيم الحروب عدة وظائف ، منها اللواء والقيادة والأعنة والحكومة .

فأما اللواء فكان العلم الذي يحمل في المعارك ، وتدور حوله المعركة ، وكان يسند الى بني عبدالدار ، وقد قتل منهم في غزوة أحد سبعة وهم يدافعون عنه^(٨٦) .

(٨٤) نسب قريش : ص ٩ . الاشتقاق : ص ١١٩ . ابن سعد : ج ٢ ص ٤٧ و ص ٧٠ .

(٨٥) أنظر في ذلك مقال لامنس عن الاحابيش والتنظيمات العسكرية في مكة الذي نشره في كتابه (العربية الغربية عند ظهور الاسلام) (بالفرنسية) .

(٨٦) نسب قريش : ص ٢٥١-٢٠٢ . الأزرقى : ج ١ ص ٦٣ .

أما القيادة فهي غير اللواء ، وكانت القيادة بيد بنى أمية^(٨٧) ، فقد قاد حرب بن أمية الناس في الفجار وفي ذات نكف ، كما قاد الناس في بدر عتبة بن ربيعة ، لان أبا سفيان كان في القافلة التي سببت المعركة وقاد أبو سفيان قريشا في أحد والخندق .

وهناك ذكر للإعنة ، ويكون صاحبها المقدم على خيول قريش في الحرب^(٨٨) .
والحكومة والاموال التي يسمونها لآلهتهم ، وكانت عند ظهور الاسلام للحارث بن قيس السهمي^(٨٩) .

لم تكن في مكة وظيفة لقاض أو حاكم يفصل في القضايا التي تشب بين الناس . فإذا حدث خلاف بين أفراد عشيرة واحدة فإن رئيس العشيرة هو الذي يحكم فيه . أما اذا حدث خلاف بين أفراد قبائل متعددة فإنهم كانوا يلجأون الى الكاهن أو الهاتف أو العايف أو الاستقسام بالانصاب والايثار . وكان تقدير قيمة الخسائر يدعى الاشناق وهي وظيفة كانت تقوم بها أسرة أبي بكر^(٩٠) .
وقد أورد محمد بن حبيب السكري أسماء عدد من الحكام في قريش^(٩١) .

غير انه حتى في حالة حكم الحكم بقضية ما فانه كان يترك ذلك لتراضي الناس وموافقتهم اذ لم تكن هناك سلطة تنفذ قرارات الحكام وقد أدى هذا الى غبن الضعفاء وكثرة المظلومين . وقد استفزت هذه الحالة الخطرة بعض الناس فكونوا حلف الفضول لمساعدة المظلومين وحمايتهم من الظالمين . وكاد هذا يتطور الى تكوين سلطة تنفيذية . ولكن مجيء الاسلام عوض عنه وحل محله في العمل .

(٨٧) الازرقمي : ج ١ ص ٦٣ ، ٦٦ .

(٨٨) ابن الاثير : أسد الغابة ج ٢ ص ١٠١ .

(٨٩) ابن الاثير : أسد الغابة ج ٣ ص ٢٠٦ .

(٩٠) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٢ ص ٢٠٣ .

(٩١) المحبر : ص ١٣٢-٣ أنظر ايضا نسب قريش : ص ٢٩١ .

في سنة 1870م في كنفه ورواه في سنة 1871م في كنفه
وغيره في سنة 1872م في كنفه ورواه في سنة 1873م في كنفه
في سنة 1874م في كنفه ورواه في سنة 1875م في كنفه

في سنة 1876م في كنفه ورواه في سنة 1877م في كنفه
في سنة 1878م في كنفه ورواه في سنة 1879م في كنفه
في سنة 1880م في كنفه ورواه في سنة 1881م في كنفه

في سنة 1882م في كنفه ورواه في سنة 1883م في كنفه
في سنة 1884م في كنفه ورواه في سنة 1885م في كنفه
في سنة 1886م في كنفه ورواه في سنة 1887م في كنفه

في سنة 1888م في كنفه ورواه في سنة 1889م في كنفه
في سنة 1890م في كنفه ورواه في سنة 1891م في كنفه
في سنة 1892م في كنفه ورواه في سنة 1893م في كنفه

في سنة 1894م في كنفه ورواه في سنة 1895م في كنفه
في سنة 1896م في كنفه ورواه في سنة 1897م في كنفه
في سنة 1898م في كنفه ورواه في سنة 1899م في كنفه

في سنة 1900م في كنفه ورواه في سنة 1901م في كنفه
في سنة 1902م في كنفه ورواه في سنة 1903م في كنفه
في سنة 1904م في كنفه ورواه في سنة 1905م في كنفه

1870-1871 في كنفه ورواه في سنة 1872م في كنفه
 1873-1874 في كنفه ورواه في سنة 1875م في كنفه
 1876-1877 في كنفه ورواه في سنة 1878م في كنفه
 1879-1880 في كنفه ورواه في سنة 1881م في كنفه
 1882-1883 في كنفه ورواه في سنة 1884م في كنفه
 1885-1886 في كنفه ورواه في سنة 1887م في كنفه
 1888-1889 في كنفه ورواه في سنة 1890م في كنفه
 1891-1892 في كنفه ورواه في سنة 1893م في كنفه
 1894-1895 في كنفه ورواه في سنة 1896م في كنفه
 1897-1898 في كنفه ورواه في سنة 1899م في كنفه
 1900-1901 في كنفه ورواه في سنة 1902م في كنفه
 1903-1904 في كنفه ورواه في سنة 1905م في كنفه

القسم الثاني

الحياة البدوية ونظمها

القسم الثاني

الحياة البدوية ونظمها

الفصل السابع

النظم البدوية قبيل ظهور الاسلام

اهميتها :

لقد انحلت قبيل ظهور الاسلام الدول العربية التي حاولت أن تقيم نظاما سياسيا عاما لا يقتصر على مجموعة صغيرة . وأصبح النظام القبلي هو السائد لا في الصحراء فحسب ، بل حتى في أغلب المدن الموجودة في أطراف الجزيرة .

في الدين الاسلامي :

ولم تقتصر النظم البدوية على تأثيرها في نظم الحياة عند ظهور الاسلام . بل كان لها تأثير في الاسلام نفسه . والواقع ان الاسلام وقف موقفا معاديا للبدو بصورة عامة فوصفهم بأنهم أشد كفرا ونفاقا . وأجدر ألا يعلموا حدود الله (التوبة ٢٩٤) . وقالت الاعراب آما قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم . (الحجرات ١٤ انظر ايضا سورة التوبة ٩٠ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ الاحزاب ٢٠ ، الفتح ١١ ، ١٦) والواقع ان الاسلام حارب كثيرا من معتقداتهم ونظمهم الاجتماعية ومثلهم الاخلاقية . غير انه في نفس الوقت أقر بعض هذه العادات واعترف بها حرفيا ، أو بعد تعديل بسيط ، كما سيظهر لنا من سياق البحث . وهكذا دخلت كثير من النظم البدوية كجزء من الاسلام ، وأصبحت قانونا يسير عليه المسلمون حيثما كانوا ومتى عاشوا .

في الدولة الاسلامية :

غير انه حتى المظاهر والنظم التي شن عليها الاسلام حربا ، لم يقض عليها تماما ، بل ظل العرب يدينون بها أمدا طويلا ، ذلك ان هؤلاء البدو كونوا مادة الاسلام الاولى والجزء الاعظم من الجيوش الاسلامية التي دحرت الفرس والروم وانشأت الامبراطورية الاسلامية ، حتى لقد كان الاسلام مقرونا بالعرب في أدواره الاولى ، وكان من الصعب التمييز بينهما . وكان للدور الذي لعبه هؤلاء البدو في الفتوح والانتصارات أثر في زيادة اعتدادهم بأنفسهم وبمثلهم

الاخلاقية والروحية وبلغتهم وثقافتهم . فأصبحت هذه جزءا هاما من المدينة
الاسلامية ومنها .

في الفكر الاسلامي :

ثم ان اللغة العربية والشعر الجاهلي كانا صدى لحياة البداوة وممثلين لها ،
يرسمان مثل البدو وغاياتهم كما كانت اللغة تعبر عن عواطفهم وخيالاتهم^(١) ،
وقد أصبحت اللغة العربية أداة التعبير في الامبراطورية الاسلامية ، وصار الشعر
الجاهلي مثلا يحتذى في طريقه نظمه وأسلوبه وأخيلته وأفكاره وظل كذلك أمدا
من الزمن . وبهذا ادخل المثل البدوية في الحياة الثقافية الاسلامية .

في تاريخ الاسلام :

ويلاحظ كذلك ان البدو كانوا أهم عنصر في الامصار الاسلامية التي كانت
أهم قواعد عسكرية وادارية في الامبراطورية الاسلامية . وقد تأثرت نظم هذه
الامصار في الانظمة البدوية سواء في النواحي الادارية أو المالية أو السياسية أو
القانونية . ولما ظهر الفقهاء في هذه الامصار دونوا معظم مظاهر الحياة فيها ،
وبذلك سجدوا كثيرا من النظم البدوية باعتبارها جزءا من النظم الاسلامية ، وقد
صارت بذلك هذه النظم البدوية جزءا من الشريعة الاسلامية المقدسة التي يسير
عليها المسلمون . والتي يقوم القسم الاعظم منها على ما دونه الفقهاء الامصار
الاول^(٢) .

في التاريخ عامة :

والواقع ان النظم البدوية لم تقتصر على الفترة التي سبقت ظهور الاسلام ،
بل يبدو ان تاريخها أبعد . اذ ان الاخبار القليلة التي لدينا عن نظم سكان الجزيرة
في العصور السحيقة توحى بأن نظمها كانت نظما بدوية ، ولم تقتصر على سكان

(١) انظر في ذلك أحمد أمين : فجر الاسلام ص ٦٢ فما بعد .

(٢) لقد وصفت في كتابي « التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في
البصرة في القرن الاول الهجري » تنظيمات احدى هذه الامصار وأشرت في مواضع
مختلفة الى علاقتها بالفقهاء .

الجزيرة فقط بل وامتدت الى الشعوب السامية ، ففي شريعة حمورابي وحياة
العبرانيين كثير من مظاهر النظم البدوية التي تشبه نظم البدو قبل ظهور الاسلام ؛
كما اننا لما نزل في الوقت الحاضر متمسكين بكثير من نظم البداوة في العراق
لا في الصحارى والارياف فحسب بل في المدن كذلك .

فدراسة النظم البدوية اذا مهمة جدا لفهم حياة الساميين عامة ، وكذلك
لفهم القرآن والاسلام والمدنية الاسلامية والشعر والثقافة العربية بل ولفهم
حياتنا الحاضرة ايضا .

عزلة الصحراء :

ونظرا لبيئة البدو الصحراوية التي لم تتغير منذ الازمنة التاريخية ، فقد
أصبح البدوى منعزلا عن الامم الاخرى ، فلم يؤثر احتكاكه المحدود بالامم
الاخرى من عاداته وأساليب حياته ، اللهم الا اذا خرج من الصحراء وسكن
المناطق الغزيرة المياه وشيد له الحضارة بعد ترك البداوة . والواقع ان المؤثرات
الاجنبية على الجزيرة العربية والتي وصفها وصفا طيبا كل من اوامرى في كتابه
عن الجزيرة العربية قبل محمد واحمد امين في فجر الاسلام ، كانت مقصورة
على أطراف الجزيرة وفي المناطق الزراعية التي تحضر اهلها ؛ كما ان هذه
المؤثرات لم تتوغل في المدنية البدوية ، بل ظلت في الغالب سطحية محدودة ،
فلم تتغلغل في الاعماق ، وظلت حياة البداوة تسم بطابع خاص لا يزول الا بعد
استقرار طويل في ارض معينة وممارسة الزراعة والاتصال الدائم مع
الامم الاخرى .

صفات البدوى :

ويسم البدوى بصفات عامة تميزه عن غيره ، ولكن يجدر قبل ذكرها أن
نؤكد انها نتيجة وراثية اجتماعية لا بيولوجية ، وانها تولدت في الغالب نتيجة
حياتهم الطويلة في الصحراء . هذا الى انها صفات عامة ، وبجانبها فوارق
فردية كبيرة .

فأما صفاتهم الجسمية فهم في الغالب ضعاف الاجسام ، متوسطو القامة ، ذوو
أنف أفنى ، وعيون سوداء لوزية مفتوحة ، وشعر مسترسل وجمجمة مستطيلة ،

سوى ان عرب الجنوب فهم من ذوى رؤوس مستديرة والشعر الاجعد ؛ ولهم قابلية كبيرة على الصبر وتحمل المشاق الجسمية من مشى طويل وغذاء يسير ، وهم يتميزون كذلك بالشجاعة والاقدام وانجاد الضعيف وحماية المرأة .

والبدوى عصبى المزاج ، مرهف الحس ، سريع التهيج ، يحب الحرية والمساواة ، ويتميز بالنظرة الواقعية ودقة النظر وقوة الذاكرة وقلما يهتم بما وراء الطبيعة والافكار الفلسفية العميقة ، هذا الى انه يميل الى وصف المرحبات ، وما البراعة التى اشتهر بها البدوى فى القيادة الا مظهر من مظاهر دقة الملاحظة والاهتمام بالمظاهر المادية .

ثم ان البدوى دقيق الملاحظة والحس ، يهتم بالجزئيات دون الكليات ، ويتميز تفكيره بالتنقل دون أن يهتم بالروابط بين الاشياء ، فاذا وصف بعيرا مثلا فقد يبدأ بذكر اذنه ثم ذيله ثم يعود الى وصف رأسه ورجله وسنامه ، وهو يدقق فى وصف كل من هذه الاجزاء تدقيقا رائعا ، ولكنه لا يتبع طريقا منطقيًا فى تسلسل الاجزاء التى يصفها ؛ هذا الى انك لو قرأت وصفه للبعير ولم تكن قد رأيت فانك قلما تستطيع أن تصوره من وصفه . ولا ادل على ما نقول من الشعر البدوى الذى نجد فى قصائده الطويلة يطرق عدة مواضع لا رابط بينها ولا تسلسل .

وخيال البدوى من نوع خاص فهو خيال تصورى لا سمعى ، صورته منتزعة من الواقع لا من ابتكار الخيال وأوضح مثل على هذا التشبيهات التى كانوا يذكروها :-

فيقول امرؤ القيس :

له ابطالا ظبى وساقا نعامة وارخاء سرحان وتقريب تنفل

ويقول طرفة :

كان حدوج المالكية غدوة خلايا سفين بالنواصف من دد

ويقول امرؤ القيس :

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

وهذه التشبيهات تختلف عن تشبيه الشاعر الهندى مشية البقر بمشية

المخمور بسكرة الشباب المغرور • أو تشبيه الولد ذاهبا الى أمه ساكنا كديب الخيال • أو قوله مخاطبا النجم « تعال مع مركبك الذي هو أسرع من طروق الخيال » وتشبيه شيلى القبرة بالفرح مجردا عن المادة •

ان هذه التشبيهات تختلف عن تشبيه شعراء البدو بعن الأرام بحب الفلفل ، والشحم بهداب الدمقس المقتل ، وجيد الفتاة بجيد الريم ، وفرع الشعر بقنو النخلة المتعكل أو آثار الطلول بالوشم ، أو الرماح بأشطان البشر •

حقا ان هذه صور جديدة جميلة ، ولكنها مستمدة من الواقع وليس فيها ابتكار : انها أقرب الى المقارنة واستثارة الذاكرة عن شيئين متباعدين ؛ بل حتى الاشخاص الخرافيين لم يتصورهم العرب خارقين شكلهم أو قدرتهم •

ونعيد الذكر بأن تصورهم بصرى وقلما يهتمون بالتصور السمعي كأصوات الطيور وغيرها (٣) •

القبيلة :

لقد كان النظام البدوي قائما على أساس القبيلة ، وهي جماعة من الناس ينتمون ، أو يزعمون انهم ينتمون الى جد واحد مشترك انحدروا منه ، ويسكنون عادة فى منطقة واحدة ، واذا انتقلوا ساروا سوية ، وهم يحملون واجبات مشتركة فى الدفاع ودفع الدية • ومع ان خير ما يميز القبيلة عن غيرها هو اشتراك افرادها فى دفع الدية ، الا انه من الصعب جدا تحديد عددها فالتقابل يختلف عددها ، والارجح ان عددها يتوقف على قدرتها على الدفاع وعلى قابلية المراعى على اعاشة مواشيها • فالقبيلة التى تقطن فى ارض ممرعة ، يمكن أن يتزايد عدد افرادها مع الاحتفاظ بوحدتها أما اذا زاد عددهم وعدد مواشيهم عما يمكن أن تحتمله الارض ، فانه ينخزع منها بعضها ويكونون لأنفسهم وحدة مستقلة تتخذ لها أرضا خاصة ، وتكون بذلك قبيلة مستقلة • الا انها تبقى متصلة بالقبيلة الأم برابطة النسب التى تعتر بها • أما اذا كانت هذه الوحدة المنخزعة صغيرة

(٣) أنظر فى ذلك أحمد أمين : فجر الاسلام ص ٣٧ فما بعد •

محمد عبدالمعيد خان : الاساطير العربية قبل الاسلام ص ٢٢ فما بعد •

لا تستطيع الدفاع عن نفسها أو الاحتفاظ بكيانها ، فانها تندمج بالقبائل الاخرى ،
والغالب انها تفضل الاندماج بأقرب القبائل نسبا منها . وهكذا فان عدد القبائل
غير ثابت ، بل قد يزيد أو ينقص وقد تظهر قبائل جديدة ، أو تندثر قبائل أخرى ،
اما بانضمامها الى قبائل أصغر منها ، اذا كانت كبيرة ، أو بانضمامها الى قبائل أخرى
اذا كانت صيرة لا تستطيع الدفاع عن كيانها .

ولا يمكن تحديد عدد أفراد كل قبيلة بالضبط ، فبعض القبائل صغيرة
جدا ، وقد ذكر السكري عددا من القبائل لا يزيد أفراد كل منها على أصابع
اليد ، كما ان هنالك قبائل كبيرة العدد^(٤) ؛ والغالب ان القبائل الكبيرة تقسم الى
أجزاء تدعى العشيرة والبطن والفخذ والفصيلة والرهط والحى ، ولكن حتى
هذه الاقسام لا يمكن تحديدها بالضبط .

تطورها في الاسلام :

لقد حافظ العرب على نظامهم القبلي عندما استوطنوا الامصار الاسلامية .
فكانت هذه الامصار مقسمة الى قبائل ، ولكل منها خطة خاصة يسكن أفرادها معا
فيها كما كانوا يستلمون عطاياهم سوية ، وعلى كل قبيلة عريف خاص بها ؛
والغالب ان افرادها يحملون مسؤوليات مشتركة . فيدفعون دية القتل غير العمد
الذي قد ترتكبه أحد أفرادها ، كما تكون لهم الشفعة أو حق الافضلية في شراء
البيت الذي يساع في خطنتهم ، ويرثون مال من لا وارث له في عشيرتهم ،
ويتحملون مسؤولية المشاعين والمتمردين في عشيرتهم . وهكذا صار نظام القبائل
هو أساس التنظيم الاجتماعي والاداري والمالي والجنائي في الامصار الاسلامية .

غير انه نظرا لان كلا من هذه الامصار الاسلامية كانت تضم قبائل كثيرة
متنوعة ، فقد اضطر الولاة أحيانا الى دمج القبائل الصغيرة بالكبيرة ، وعلى مر الايام
أخذت هذه الوحدات الصغيرة تفقد كيانها المستقل ، غير انه اذا كانت أفراد
الوحدات المندمجة شديدة التماسك فانها تحافظ على كيانها ، ولكن تصبح من
الناحية الادارية مندمجة في القبائل الكبيرة . واذ ذاك يقال ان عدادها مع القبيلة

الكبيرة^(٥) . ومن هذا يتبين ان الامصار وان كان تنظيمها قد قام على أسس قبلية ،
الا انه دخل فيها تعديلات غير قليلة .

نظرية سميث :

وقد حملت هذه التغييرات بعض المستشرقين وخاصة روبرتسن سميث على
الاعتقاد بأن الانساب العربية مختلقة كلها منذ زمن عمر لكي ينظم توزيع
العطاء^(٦) . ومما يقوى الشكوك في شجرات الانساب ان جميع ما خلف الينا منها
كتب منذ منتصف القرن الثاني فما بعد . فهي اذا متأخرة ، كما انها متأثرة باحوال
المدن التي كتبت فيها وخاصة الكوفة والبصرة ، فهي لا تعطى تفاصيل وافية أو
مضبوطة عن قبائل وانساب النواحي الاخرى من الجزيرة العربية كاليمن مثلا ،
هذا الى انها قد لا تمثل الاحوال التي كانت عليها قبل الاسلام ؛ يضاف الى ذلك
ان شجرات النسب التي يذكرها هؤلاء النسابون فلما تذكر أكثر من ستة آباء
بين أفراد القبيلة الذين عاشوا عند ظهور الاسلام وبين الجد الاعلى لكل قبيلة ،
واذا افترضنا ان كل جيل كان ٢٥ سنة ، كانت القبائل العربية حسب شجرات
النسب أو أغلبها قد تفرع منذ القرن الرابع الميلادي وهو أمر لا تقره الأدلة
التاريخية .

على انه اذا كان ما ورد في كتب الانساب المتداولة بين ايدينا عما يتعلق
بالعصور السحيقة قبل الاسلام غير مضبوط أو مغلوط ، فانه يجب ألا ننكرها
تماما ، أو نعتقد انها اختلفت كلها في زمن عمر لكي تخدم المسلمين في توزيع
العطاء ، وذلك لان الاخبار التاريخية عن حياة النبي وحروب الردة تؤيد وجود
هذه القبائل كوحدات مستقلة في معظم أنحاء الجزيرة ، هذا الى أن الشعر العربي
الجاهلي يرد فيه أسماء هذه القبائل ويلقى ضوئا هاما على العلاقات بينها ، بل
نذهب أبعد من هذا فنقول ان التوراة قد ذكرت بعض القبائل العربية كسليم مثلا ،
كما ان النقوش اليمانية التي ترجع الى القرون الاولى قبل الميلاد تذكر الادوار

(٥) في الفصل الاول من كتابي « عن التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية
في البصرة » شرح واف عن هذه التطورات .

(٦) روبرتسن سمث : القرابة والزواج عند العرب الفصل الاول

(بالانكليزية) .

المهمة التي لعبتها القبائل اليمانية كبكيل وحاشد وهمدان والتي ظلت الى العصر الاسلامي محتفظة بوحدتها .

أهمية النسب :

لقد كان الاهتمام بالنسب مهما منذ العصر الجاهلي ، اذ هو المرآة التي تظهر فيها نقاوة دم الفرد وارتباطه بالقبيلة . وقد ظل الاهتمام به حتى بعد مجيء الاسلام فأصبح أساسا للتنظيم المدني والاجتماعي في الامصار العربية وعند العرب ، بل حتى غير العرب كثيرا ما اضطروا عند سكناهم الامصار الى الانتساب الى القبائل العربية باعتبارهم موالى لها ، ثم أصبح كثير منهم على مر الايام يدعون بأنهم صرحاء في النسب . ولا أدل على الاهتمام بالنسب في الاسلام من الاحاديث التي تسب الى النبي والتي يحض فيها على حفظ النسب (٧) .

ولا ريب ان للاهتمام بالنسب في الاسلام أهمية كبيرة ، فهو يوضح علاقة الانسان بالعرب الفاتحين الارستقراطيين ، ويوضح العلاقة بالنبي وأصحابه الذين أصبح الانتساب اليهم فخرا ، أو بالخلفاء والولاة الذين قد يؤدي الاقتراب منهم الى بعض المنافع ، هذا الى أهميته في الوراثة اذ ان الارث يتقرر حسب النسب ، هذا الى أن الزكاة تمنى للاقربين الذين هم أولى بالمعروف (٨) . والمعروف الذي يحسن بالاعتياء أن يدفعوه الى الاقرباء تبعاً لما أمر الرسول « تعلموا أنسابكم ما تصلوا به أرحامكم » .

وان الأهمية الزائدة التي كانت للانتساب في صدر الاسلام جعلتها الى أن تمتد الى غير العرب فرتبت لهم على مر الايام شجرات من النسب أوصنتهم بأجداد العرب القدماء جدا .

اسماء القبائل :

ان اسماء القبائل العربية مستمدة اما من الآلهة الوثنية القديمة كزيد اللات ووهب اللات وسعد مناة وعبد شمس ، أو من أسماء أشخاص ولكن أغلبها

(٧) ابن حنبل : المسند ج ٢ ص ٣٧٤ .

(٨) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٦٣ .

مستمدة من أسماء حيوانات مثل بكر ، أسد ، بهثة (بقر الوحش) ، ثعلبة ، نور ، جحش ، جمعة (غنم) ، جعل ، حداء ، حمامة ، حنش ، الأرقام ، دؤل ، دب ، ذئب ، ضبة ، ضبيعة ، عنزة ، غراب ، فهيد ، فرد ، خندف ، فهيد ، كلب ، نعامة ، غير ، هوازن ، يربوع ، جراد ، طيبان ، عقاب ، أوس ، قريش ، حمير ، حنظلة ، صخر ، بدن .

الطوطمية :

ان كثرة أسماء الحيوانات في تسمية القبائل حملت المستشرق الانكليزي روبرتسن سميت الى الاعتقاد بأنها مظهر من مظاهر الطوطمية التي كانت سائدة عند العرب قبل الاسلام^(٩) .

والطوطم كائنات تحترمها بعض القبائل المتوحشة ويعتقد كل فرد من أفراد القبيلة بعلاقة نسب بينه وبين أحد منها يسميه طوطمه . والطوطم قد يكون حيوانا أو نباتا ، وهو يحمى صاحبه ويبعث اليه الاحلام اللذيذة كما ان صاحبه يحترمه ويقده ، فاذا كان حيوانا فلا يقدم على قتله ، واذا كان نباتا فلا يقطعه ولا يأكله الا في الازمات الشديدة . والقبيلة تسمى باسم الحيوان ، وتعتبره أبا لها وتعتقد انها من سلالته ، وهي تحترمه وتحرم لمسه أو النظر اليه والتلفظ به ، وتحفل بدفنه عند موته ، وتعتقد انه يدافع عن القبيلة عند الملمات^(١٠) .

وللتدليل على ان تسمية القبائل العربية بأسماء حيوانات هو مظهر من مظاهر الطوطمية يقول روبرتسن سمث بأن العرب اعتقدوا بأن بعض الحيوانات أصلها انسان ثم مسخت كالقرد والخنازير ولذلك حرمت أكلها ، ثم ان العرب عبدت بعض الاصنام التي تمثل الحيوانات ، فكان يغوث بشكل أسد ، ويعوق بشكل حصان ، ونسر بشكل نسر ، كما عبد الاسبيديون الفرس ؛ ولعل اسم ربيعة الفرس يدل على ان ربيعة كانت تعبد الفرس . كما ان الحمام كان بمكة مقدسا لا يجوز قتله^(١١) .

(٩) روبرتسن سمث : القرابة والزواج عند العرب الفصل السابع .

(١٠) راجع الاساطير العربية قبل الاسلام ص ٥٥-٨٥ .

(١١) جمعة : ص ١١٦ فما بعد .

على ان روبرتسن سميت متطرف في استنتاجاته ؛ فانه لم يعرف عن العرب انهم عبدوا الحيوانات نفسها أو اعتقدوا أنهم منحدرون منها ، وليس مسخ الحيوان دليل على قدسيته ، كما ان نحت الصنم على شكل حيوان لا يعنى انهم عبدوا الحيوان نفسه ، ما عدا الاسبذيين . وليس هناك دليل على ان القبائل التي كانت تعبد النسر أو الفرس وغيرها كانت تسمى بأسماء هذه الحيوانات أو تدعى انها متحدرة منها^(١٢) .

يقسم النسابون القبائل العربية الى قسمين كبيرين هما القبائل القحطانية أو العاربة وأصل موطنها جنوب الجزيرة ، وخاصة اليمن ، والمستعربة وموطنها وسط وشمال الجزيرة ويذكر بعضهم ان بين هذين الفرعين خصومات منذ أيام الجاهلية . والواقع ان الاجزاء الجنوبية من الجزيرة يختلف سكانها بعض الاختلاف عن سكان الاجزاء الشمالية . حيث ان رؤوسهم مستديرة وشعرهم مجعد وفي أنوفهم بعض القطسة متأية من اختلاطهم في الازمنة القديمة بسكان شرق افريقية بينما يتميز سكان الشمال بأن جماجمهم مستطيلة وشعرهم مسترسل وأنفهم اقنى ولهجاتهم تختلف بعض الاختلاف عن لهجة سكان الجنوب^(١٣) . الا انه ليس هناك دليل على الخصومات بين الطرفين بل ان الخصومات تنشأ عادة بين القبائل المتجاورة في محل السكن حتى ولو كانت من فرع واحد . بل الواقع ان أغلب أيام العرب التي ذكرت لنا في التاريخ^(١٤) نشبت بين قبائل بعدها النسابون متقاربة مع بعضها في النسب . ثم ان التقسيم الذي يذكره النسابون ليس دقيقا دائما فهناك بعض القبائل كفضاعة كانت في الاسلام تنسب مرة الى قحطان ومرة الى عدنان ولكن مثل هذه القبائل محدودة والغالب ان سبب تغير نسبتها ترجع الى العصر الاموي حيث اشتدت الخصومة بين المضريين واليمانيين فأخذت بعض القبائل تنحاز الى أحد الجوانب لاسباب خاصة مدعية بأنها ترتبط فيها بصلة النسب .

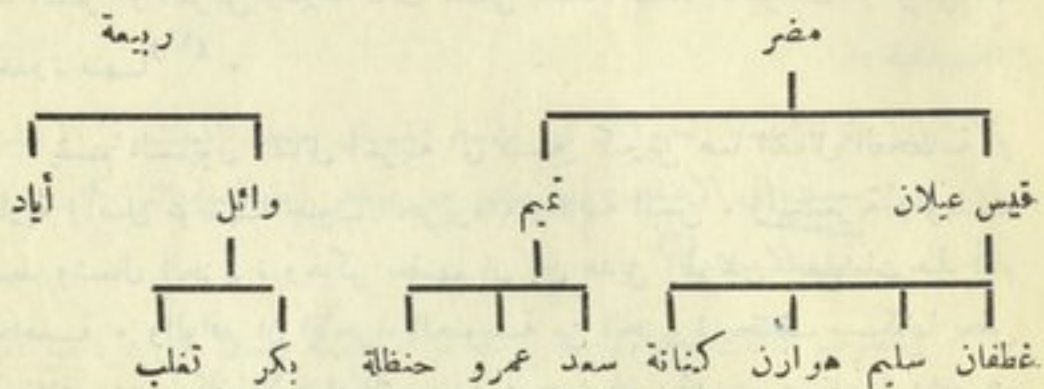
(١٢) راجع : جرجي زيدان : الانساب العربية القديمة .

(١٣) فيليب حتى : تاريخ العرب ص ٣٠ (بالانكليزية) .

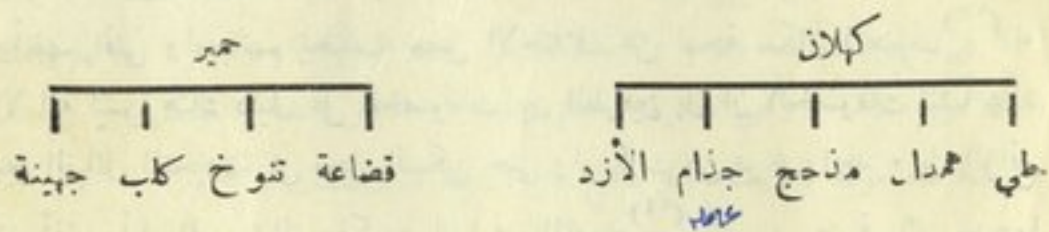
(١٤) راجع عن أيام العرب : ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ١

ان أهم القبائل على ما تقوله كتب النسب الشائعة هي المينة في
الجدول التالي (١٥) :-

القبائل الشمالية (العدنانية)



القبائل الجنوبية (القحطانية)



(١٥) انظر في كتب النسب : نسب قريش لمصعب الزبيرى ، جمهرة
انساب العرب لابن حزم ، الاشتقاق لابن دريد والانباء على قبائل الرواه لابن
عبدالبر . وقد نظم وستنفيلد جدولا مفصلا في انساب القبائل وتفرعاتها .

الفصل المأثر

التنظيمات الاجتماعية عند البدو

الصلبية :

تعتبر القبيلة الوحدة الاجتماعية التي يقوم عليها النظام البدوي . وهي تتكون من العرب الصلبة والحلفاء والعييد . فأما العرب الصلبة فهم جميعا متحدرين من أصل واحد مشترك هو الجد الأعلى للقبيلة ؛ لذا كانوا يعتبرون أنفسهم متساوين ، نظريا على الأقل . وكان كل فرد يعتز بشخصيته وفرديته ويرى لنفسه مكانته في القبيلة . الا انهم في الواقع يتباينون في صفاتهم الجسمية والخلقية مما يجعل للبعض مكانة خاصة يعترف لهم بها الناس . وأهم الصفات الخلقية التي تكسب المرء مكانة هي المروءة والشرف⁽¹⁾ ، وهي تعبيرات خلقية يصعب تحديدها بالضبط ولكن أهم متطلباتها هي الشجاعة وحب الحرية والتأثر وحماية الجوار والدفاع عن العرض . وهذه لا ريب صفات شخصية تكسب صاحبها الشرف والرفعة وتميزه عن الذليل المهان . ولكنها لا تورث فلا يكون ابن الشريف شريفا الا اذا حافظ بأعماله على صفات المروءة ومتطلباتها .

الحلفاء :

أما الحلفاء فهم ليسوا متحدرين من الجد الأعلى للقبيلة ولا تربطهم بأفرادها رابطة الدم ، ولكنهم لجأوا الى القبيلة ووضعوا أنفسهم تحت حمايتها أو حماية أفرادها . وقد يكون الحليف فردا أو قبيلة . فأما حلف القبيلة للقبيلة فستحدث عنه في الفصل التالي . أما حلف الافراد فان الغرض منه أن ينال حماية القبيلة التي يحالفها ويستطيع أن يعيش في كنفها بأمان . ومثل هؤلاء الحلفاء عادة غرباء يأتون الى القبيلة ليتاجروا معها ، أو ليتزوجوا احدى نساها ويسكنوا مع

(1) بشر فارس : الشرف عند العرب (بالفرنسية) ، مباحث عربية

قبيلة المرأة ؛ ولكنهم في الغالب من الخلاء وهم الذين ارتكبوا جرائم القتل في قبائلهم الاصلية ، أو أساؤا السلوك لدرجة أصبح وجودهم بين القبيلة غير مرغوب فيه ، فتخلعهم وتطردهم . ولما كان من الصعب على الفرد أن يعيش بمفرده في الجزيرة . لذلك كانوا مضطرين الى الالتجاء الى قبيلة أخرى يقعوا في دخالها ويطلبوا حمايتها^(٢) ويكفي للفرد أن يدخل خيمة رجل أو يمسك حبل الخيمة^(٣) (الطنب) أو يرتمي بين يدي المرأة^(٤) . أو يذكر بأنه أصبح دخيلا لكي يظفر بالدخالة والحماية . وكان على رجل القبيلة أن يحميه ويدافع عنه . إذ أن رد الدخالة ليس من المروءة . ولكن يجوز للحامي أن يفسخ الجوار متى شاء على أن يعلن ذلك في المحلات العامة ويعطى الدخيل مهلة ليدير أمره .

والحلف قد يكون موقفا أو دائما وتدافع ^{الصله} أمثله عن حلفائها باعتبارهم أفرادا منها ، وترثهم ان لم يكن لهم وارث في القبيلة^(٥) ، وتعينهم في دفع دية القتل غير العمد الذي قد يرتكبه . كما انها تطالب بديتهم ان قتلوا ، ولكن ديتهم عادة نصف دية الصرحاء ، كما أن الحليف لا يقتل بالصريح^(٦) .

وتم الحلف عادة بالقسم ليكسب صبغة قدسية وقد يصحبه لعق الدم ليعوض الدم الملعوق عن الدم الموروث^(٧) . وقد يغمس في الطيب كما حدث في حلف المطيين في مكة^(٨) .

لا يكون الحلفاء عادة مشاكل للقبيلة ، لان قبائلهم الاصلية قد تركتهم

(٢) محمد محمود جمعة : النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء الساميين ص ١٤٨ فما بعد (وسنرمز اليه جمعة) ، محمد احمد الحوفى : الحياة العربية في الشعر الجاهلي ص ٢١٧ فما بعد .
(٣) أغاني : ج ١٩ ص ٨٠ .
(٤) المحبر : ص ٤٣٣ .
(٥) الاغانى : ج ٢ ص ١٦٧ .
(٦) الاغانى : ج ٣ ص ٤١ .
(٧) الاغانى : ج ٧ ص ٢٦ وكذلك ابن منظور : لسان العرب مادة سم .
(٨) سيرة ابن هشام : ج ١ ص ١٤٢-٣ .

ونفضت أيديها منهم ، فلم تعد لهم علاقة بها ، ولذلك فهم يستطيعون تكوين علاقات جديدة مستقلة مع القبيلة الجديدة .

العبيد :

أما العبيد فأغلبهم من أسرى الحروب ولكن بعضهم نتيجة الشراء وخاصة من افريقية ، أو الولاة ، أو الدين ، أو القمار ويعملون عادة في الاعمال اليدوية والحلب ولا يشتركون في الحروب ويعاونون أسيادهم في الاعمال التي تسند اليهم . ولما كان الرق المتولد من الاسر له حالة خاصة فان الرقيق فيه يكون من العرب وقد تكون له مكانة في قبيلته ، والغالب انه يحسن معاملتهم . كما ان قبائلهم الاصلية تفكهم بالفداء أو بمبادلة الاسرى ، اذ ليس من الشرف للقبيلة أن تترك أفرادها المأسورين ارقاء عند القبائل الاخرى .

المرأة :

لقد كان المجتمع البدوي يتبع نظام الابوة Patrimonial system (٩) ، فللرجل السيادة والسلطة على البيت وعلى المرأة وعلى الاولاد قبل البلوغ . ولكن مع هذه الحقوق كانت للمرأة مكانة كبيرة تتناسب مع الخدمات التي تقوم بها اذ انها كانت تقوم بقسط كبير من العمل في البيت وخاصة في ذلك المجتمع القاسي الذي كان الرجال فيه يمتنون الحرب والرعي ، ثم ان المرأة هي الوسيلة الوحيدة لانتاج الرجال الذين يزيدون قوة القبيلة في السلم والحرب . وخاصة اذا كان اولادها نجباء ، قادرين على أن يكونوا لانفسهم مكانة مرموقة في المجتمع . ولا ريب ان المرأة كانت تقوم بنفسها بدور في الحروب ، كتنفيذ الجرحى ورعايتهم وتزويد المقاتلين بالزاد والماء ؛ هذا الى ان المرأة قد تكون مصدر ربح لولائها الذي يأخذ عند زواجها صداقا . وأخيرا فان المرأة قد توحى للشعراء بالخيال وللرجال بالطموح وقد تدخل في البيت بهجة وحياء روحية جميلة (١٠) .

(٩) جمعة : ص ١٢ .

(١٠) الحوفى : الحياة العربية في الشعر الجاهلي ص ١٥٧ . وعن مساعمة نساء قريش في بدر راجع سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٦٥ .

وقد اعطتها هذه الخدمات مكانة مرموقة في المجتمع فكانت تعتبر من أهم عناصر الشرف والدفاع عنها من المروءة التي تستحق الفخر ، كما لا يجوز رفض من يستجير بها • ولا أدل على احترامها من مخاطبتها بالحرمة من الاحترام وبربة البيت كدليل على تقدير مكاتها فيه •

يا ربة البيت قومي غير صاغرة ضمي اليك رجال القوم والقربا^(١١)

الوآد :

والواقع ان المرأة كانت تلقى على الرجال اعباء ثقيلة في مداراتها والمحافظة عليها من اعتداء الآخرين أو من الفقر أو عاديات الزمن • وقد أدى بهم هذا الى الاغتياظ من ولادتها وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك « واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم • يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب » (النحل ٥٧-٩) « أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبين • واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم • (الزخرف ١٦-١٧) • وقد أدى هذا بالبعض الى أن يثد البنات تخلصا مما قد تلقيه من مسؤوليات •

يروى البعض ان الوآد حدث قبيل الاسلام عند بني تميم عندما حاربهم النعمان بن المنذر فأسر نساءهم ، ولما أرادوا اقتداءهن رفضت بنت فيس بن عاصم ، شيخ بني تميم أن تفدى من الاسر وفضلت البقاء مع من أسرها ، فقرر مع قبيلته أن يثد كل بنت تلد^(١٢) • ولا ريب ان هذه النسبة غير دقيقة ، فهناك روايات تشير الى وجودها في قبائل أخرى ، فيروى الميداني عن الهيثم بن عدي انه كان في قبائل العرب قاطبة يستعمله واحد ويتركه عشرة فجاء الاسلام وقد قل الا في بني تميم فانه تزايد فيهم قبيل الاسلام ، رغم ان جد الفرزدق بذل مجهودا في ابطاله حيث كان يشتري البنات التي يريد أهلها وأدهن^(١٣) ، ويقول السكري

(١١) الحوفي : المصدر السابق ص ١٥٥-٦ • المرأة العربية ص ١٦٠ فما بعد •

(١٢) الاغانى : ج ١٢ ص ١٤٤ •

(١٣) الاغانى : ج ١٩ ص ٥-٢ •

بأنه اشترى اربعمائة واربعة جوارى لافتدائهن من الوأد^(١٤)؛ ويذكر القرطبي ان الوأد كان في مضر وخزاعة^(١٥)، وقد تردد ذكر الوأد في القرآن الى درجة توحى بأنه كان مألوفاً في الحجاز « واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، ايمسكه على هون أم يدسه في التراب » (النحل ٥٧-٩) « يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين بهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم » (المتحفة ١٢) « واذا المؤودة سئلت بأى ذنب قتلت » (التكويد ٨-٩) « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون . . . قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراءاً على الله ، قد ضلوا وما كانوا مهتدين » (انعام ١٣٦ ، ١٤٠) « ولا تقتلوا اولادكم خشية اطلاق . نحن نرزقهم واياكم » (الاسراء ٣١) « ولا تقتلوا اولادكم من اطلاق . نحن نرزقهم واياكم » (انعام ١٥٠) .

ان الآيتين الاخيرتين (الاسراء ٣١ ، الانعام ١٥٠) تظهران ان الوأد كان لعامل اقتصادي أما الآية الاولى (النحل ٥٧-٩) فقد تدل على ان الدافع اليه اجتماعي ، أما الآية (١٣٦ ، ١٤٠ من سورة الانعام) فواضح منها ان الدافع ديني؟ والواقع ان تقديم الضحايا البشرية الآلهة أمر معروف لدى الساميين ، فقد ذكر القرآن تقديم ابراهيم لابنه قرباناً الى الله ، كما أسرنا من قبل الى تقديم المنذر بن ماء السماء الاربعمائة أسرى ضحايا للغزى^(١٦) ، وأراد عبدالمطلب أن يقدم ابنه عبدالله ضحية وقرباناً^(١٧) . وربما كان مما يتصل بالدين أن البنت تؤد عادة عند ولادتها أو عندما تبلغ السادسة من العمر .

(١٤) المحبر : ص ١٤١ .

(١٥) تفسير القرطبي : ج ٩ ص ١١٧ .

(١٦) أنظر ص ٥٥ .

(١٧) سيرة ابن عسّام : ج ١ ص ١٦٧ وانظر ايضاً سمث : القرابة

والزواج ص ٢٩١ فما بعد .

وكثيرا ما تعارض الام في واد البنت فيهددها الاب ، ويروى الطبرى عن
عكرمة في تفسير آية سورة الانعام انه « كان الرجل يشترط على امرأته أن
تستحي جارية وتشد اخرى ، فاذا كانت الجارية التي توأد غدا الرجل أو راح
من عند امرأته وقال لها انت على كظهر امي ان رجعت اليك ولم تنديها فتخذ لها
في الارض خذا وترسل الى نساها فيجتمعن عندها ثم يتداولنها حتى اذا بصرته
راجعا دستها في حفرتها ثم سوت عليها التراب^(١٨) » .

مكانة المرأة :

على ان الواد لا يمكن أن يكون دليلا على احتقار العرب للمرأة فان بعض
الآلهة كن بنات . والواقع ان المرأة كانت لها حقوق غير قليلة ، فكان لها الحق
أن تستلك أملاكا خاصة ، وخير مثل على هذا خديجة زوجة النبي ، وجليمة بنت
المهايل التي كان لها غنم يرعاها أخوها زيد الخيل^(١٩) . وهي لا تفقد هذه
الحقوق حتى بعد الزواج ، لان عقد الزواج كان يبيح للزوج حق الحياة مع
الزوجة وحق انجاب الاولاد له ، لا حق تملكها . والغالب انها لا تزوج الا بعد
أخذ موافقتها ولها الحق أن ترفض من لا تريده ممن يطلب يدها^(٢٠) . كما انها
تظل حتى بعد زواجها مرتبطة بقبيلة أهلها التي تحميها وتدافع عنها^(٢١)
ولبعضهن حق الطلاق^(٢٢) ولذلك فهي تشعر بأن لها شخصيتها التي لا تذهب
بعد الزواج رغم الحقوق الواسعة التي يتمتع بها الزوج . على انه لا ريب ان
سلطانها تضعف كلما بعد محل سكنى زوجها عن قبيلتها .

الامومة :

وقد حملت هذه المسألة السامية بعض الباحثين ، وخاصة روبرتسن

-
- (١٨) تفسير الطبرى : ج ٨ ص ٣٨ .
(١٩) الاغانى : ج ١٦ ص ٤٩-٥٠ .
(٢٠) ابن سعد : ج ١ قسم ١ ص ٤١ سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٤٨ .
(٢١) الطبرى : ج ٢ ص ١٧٦ سميت : القرابة والزواج ص ١١٦ فما بعد .
(٢٢) المحبر : ص ٣٩٨ .

سميت^(٢٣) ، على القول بأن العرب كانت تتبع في الازمنة القديمة نظام الامومة ، وهو النظام الذي تكون فيه المرأة هي صاحبة السيادة والسيطرة في المجتمع ، ويكون عادة سائدا في المجتمعات التي يمتن رجالها الرعى والصيد ويقضون معظم أوقاتهم خارج بيوتهم . وقد استدلوا على ذلك من أن المجتمع البدوي العربي يمتن أهله الرعى والصيد ، وأنه يمكن أن نرى في اللغة العربية آثارا لنظام الامومة فالرحم تدل على القرابة فهم يقولون « وصل وقطع رحمه » ، والبطن تطلق على احدى الوحدات الاجتماعية في القبيلة . وان كثيرا من القبائل تسمى بأسماء مؤنثة كخندف ومزينة وعاملة وعائدة ، كما ان كثيرا من الناس كانوا يسمون باسم أمهم . وقد ألف محمد بن حبيب السكري كتابا فيمن سمي باسم أمه من الشعراء . بل يروى ان عوف بن محلم شرط على عمرو بن حجر عندما خطب هذا أم أبياس بنت عوف أن « أزوجهما على أن أسمى بنينا وأزوج بناتها فقال عمرو بن حجر أما بنونا فنسميهم بأسمائنا وأسماء آبائنا وعمومتنا وأما بناتنا فينكحنهن اكفاؤهن من المالك^(٢٤) » ، وجدير بالذكر ان أغلب الاشياء المهمة في الحياة كالشمس والارض مؤنثة^(٢٥) . هذا الى أن شخصيات نسوية بارزة ظهرت في المجتمع الجاهلي في الدين والسياسة كالزباء التدمرية وسجاح التميمية وهند زوجة أبي سفيان وخديجة زوجة النبي . كما انه كان للخال مكانة كبيرة في النسب وكان يعتقد ان أغلب صفات الولد تورث من خاله فالعرب تقول نزع عرق الخال^(٢٦) ، ويقول الفرزدق « نزعك والام اللثيمة تنزع » . ويقول جرير :

لا تطلبن خوولة في تغلب فالزنج اكرم منكم اخوالا

غير ان الادلة التي يسوقها ولكن^١ وسميت^٢ غير كافية لاثبات وجود الامومة

(٢٣) سمت : القرابة والزواج ص ١٤٥ فما بعد انظر ايضا ولكن : الامومة عند العرب (ترجمة بندلي جوزي) محمد عبدالمعيد خان : الاساطير العربية قبل الاسلام ص ٦٥ جمعة : ص ٧٩ فما بعد . الحوفي : المرأة العربية ص ٥٦-٦٧ .

(٢٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٣ ص ١٩١ .

(٢٥) فنسنتك نظرية الجنس في اللغات السامية (بالانكليزية) انظر في

الزواج ايضا : شترن الزواج في العهود الاسلامية الاولى .

(٢٦) ابن سعد : ج ٣ قسم ١ ص ٢٣٥ .

عند العرب بل هناك دلائل تنقض ذلك : فالمجتمع السامي منذ عرف في التاريخ كان يعتبر الاب هو رأس الاسرة . والبعل أو الزوج هو السيد ، والقبائل المنسوبة الى امها قليلة جدا اذا قورنت بمن دعى باسم ابيه كما ان أصلها قد يكون سبيه الزواج بامراتين مما يجعل الاولاد تنتسب لامهاتهم لكي يتميزوا ، يضاف الى ذلك ان صيغة التأنيث للفظ القبيلة لا لاسمها . وان الزواج المباشرة والمتعة أحوال شاذة^(٢٧) .

الزواج :

لقد ذكرنا ان الوظيفة الرئيسية للمرأة هي انجاب الاولاد ، وانه يتوقف عليها مستقبل العشيرة ومكانة الجيل الجديد ، فهي قد تنجب النجباء والسامين أو بالعكس ، هذا الى انها قد تقوم بدور سياسي واجتماعي هام فالزواج يؤدي الى ترابط الاسر البعيدة ، وقد يؤدي الى ترابط العشائر مع بعضها ؛ فان رابطة الفرد مع عشيرة أخواله قد لا تقل قوة عن رابطة مع أعمامه وفي هذا أثر كبير على تقارب الناس وتعاونهم .

لذلك كانت العرب تهتم باختيار الزوجة ، وكانوا يهدفون دائما أن تكون زوجتهم كفوا ، وأن تكون من النجيبات المتوفرة فيهن النجابة والذكاء والجمال . ويمكن أن نستنتج من أوصاف النساء المعجبات للشعراء بأن العربي كان يستدوق المرأة اذا كانت طويلة العنق فارعة القامة لينة الجسم ممثلة الذراعين والساقين عظيمة الوركين ناعمة البشرة طيبة رائحة الفم .

الزواج بالاباعد :

لقد كانت العرب تعتقد ان الزواج بالاباعد ادعى الى انجاب النجباء من الاولاد^(٢٨) ، الا انهم قلما يميلوا الى الزواج خارج العشيرة ، لان هذا يستلزم عليهم أن يأخذوا من ترضى ترك عشيرتها وأهلها لتسكن مع عشيرة زوجها الغربية

(٢٧) انظر : جرجي زيدان : الانساب العربية وجمعة ص ٧٥ فما بعد

ناشد سيفين : الامومة عند العرب (المقتطف سنة ١٩٣١) .

(٢٨) الحوفى : المرأة العربية ص ١٢٦ .

البعيدة عنها ، والا فان الرجل اما أن لا يرى زوجته الا فترات قصيرة يزورها خلالها ، أو ان عليه أن يسكن مع عشيرة زوجته الغربية عنه والتي قد لا تعطف عليه . لذا فان مثل هذا الزواج كان في الغالب مقصورا على رؤساء القبائل الذين يريدون مثل هذا الزواج لاسباب سياسية أو لكي يقترنوا بمن هو كفوء لهم . وقد يتزوج الحلفاء ايضا مثل هذا الزواج من خارج قبيلتهم الاصلية ، ويختاروا زوجاتهم من القبيلة التي تجيرهم ، وهو أغلب شيوعا . وتستطيع المرأة الطلاق لمجرد تغيير باب جنائها حجابا .

الزواج الداخلي :

فالزواج الشائع عند العرب اذا هو الزواج في داخل العشيرة ، فهو ادعى الى أن تحافظ العشيرة على انسجامها ووحدتها ، ويتم عادة بأن يخاطب الرجل ، أو من يرسله ، البنت من أبيها أو وليها وهو أقرب أقربائها الكبار . وتستشار المرأة عادة في الزواج ، وقلما تجبر على الزواج بمن لا ترغب . وليس من الضروري أن تكون موافقتها بالنطق ؛ بل ان سكوتها يكون دليلا على رضاها . وقد تخاطب الفتاة عند الطقولة ، وتكون ملزمة أدبيا بالزواج عندما تكبر ؛ ولكن يحق لها أن ترفض .

المهر :

وعلى الخطيب أن يدفع بعد الموافقة مهرا لابنها ، ويختلف مقداره باختلاف مركز الخطيب وابوه ، أو الفتاة وأبيها^(٢٩) . ولا ريب ان العرب كانت تراعى في تزويج بناتها الاكفاء . وقد تعطى المرأة صداقا أو هدية لها . ولا يحق للرجل استرداد الصداق ، ولكن يحق له رد المهر اذا لم يتم الزواج ، بل انه كان الزوج أحيانا يطلب رد المهر اذا ماتت زوجته ، أو قد يطلب من أبيها أن يزوجه باختها بعد موتها .

وإذا مات الرجل فلائنه الأكبر حق التزوج بها من دون مهر لان الأب كان قد دفع المهر . ويدعى هذا الزواج زواج الضيزن وقد حرمه القرآن بقوله

(٢٩) الحوفي : المرأة العربية ص ١٤٩ ، ١٥١ جمعة : ص ٤٤ فما بعد

سمت : القرابة والزواج عند العرب القدماء ص ٥٠ فما بعد .

تعالى « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتنا وساء
سيلا (النساء ٢٢) (٣٠) » .

كما ان القرآن منع استرداد ما يعطى للمرأة (الطلاق مرتان ، فامسك
بمعروف أو تسريح باحسان) ، « ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا
أن يخافا ألا يقيما حدود الله .. وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم
لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح »
(البقرة ٢٢٩ ، ٢٣٧) « وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتهم احداهن
قطارا فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتانا وانما مينا . وكيف تأخذونه وقد
افضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا » (النساء ١٩) .

وقد يستعاض عن المهر بأن يدفع الخطيب أخيه لآخ خطيبته بدل المهر ،
ويدعى مثل هذا الزواج زواج الشغار ، وقد حرمه الاسلام فقال تعالى « واتوا
انساء صدقاتهن نحلة » (النساء ٤) (٣١) .

تعدد الزوجات :

وللرجل حق الزواج بأكثر من واحدة . ولا ريب ان تعدد الزوجات
موجود عند معظم الشعوب القديمة والابتدائية ، وله أهمية كبرى في تكثير عدد
المولودين ، وتصريف النساء الفائضات في المجتمع الذي يزيد فيه عدد النساء على
الرجال ، هذا الى انه قد يحل مشكلة العقم . أى ان الرجل يحتفظ بزوجه
الناعقر اذا كان راضيا عنها ، ويتزوج بجانبها من تنتج له نسلا . ويقول الطبرى
نقلا عن الضحاك انه كان للرجل أن يتزوج عشرة (٣٢) ؛ ويعدد السكري اسماء
عدد من الثقفين تزوج كل منهم عشرة (٣٣) . وقد حدد الاسلام عدد الزوجات

(٣٠) تفسير الطبرى : ج ٤ ص ٢٠٧ . مصعب الزبيرى : نسب قريش
ص ١٠ ، ٩٩ . ابن قتيبة : المعارف ص ٥٠-٥١ . المعبر : ص ٣٢٥ .

(٣١) تفسير الطبرى : ج ٤ ص ١٦٢ أما عن الاحاديث النبوية عن الشغار
فانظر فنسنك : الفرس المفصل لالفاظ الحديث النبوى مادة شغار ،
جمعة : ص ٤٠-٤١ .

(٣٢) تفسير الطبرى : ج ٤ ص ١٥٧ .

(٣٣) المعبر : ص ٣٥٧ وانظر ايضا جمعة ص ٥٩ فما بعد .

بأربعة » وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء منى
وثلاث ورباع ، ، (النساء ٣) . وكان يجوز الجمع بين الاختين فحرم الاسلام
ذلك « حرمت عليكم . . وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سف » (النساء ٢٣) .

التسرى :

وللرجل أن يمتلك ما شاء من الاماء . وقد أقر الاسلام تملك الجوارى
« وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء منى وثلاث
ورباع ، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » (النساء ٣)
« حرمت عليكم أمهاتكم . . والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم . . ومن لم
يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم
المؤمنات » (النساء ٢٤ ، ٢٥) (أنظر ايضا النساء ٣٦ ، النحل ٧١ ، المؤمنون ٦ ،
النور ٣١ ، ٣٣ ، ٥٨ ، الروم ٢٨ ، الاحزاب ٥٠ ، ٥٢ ، المعارج ٣٠) . ولكن
مكانة الاماء والسراى أقل من مكانة المرأة الحرة ، وأولادها أقل مكانة من
أولاد الحرائر .

غير انه رغم فوائد تعدد الزوجات ، فانه لم يكن عاما ، لانه كان يلقي على
الرجل عبئا اقتصاديا ، فضلا عما يخلقه من مشاكل عائلية واجتماعية ، وما يحدثه
من خصومات بين الضرائر .

نكاح الرهط :

والسائد في الجاهلية أن يختص المرء بزوجته ، ولكن هناك نوعا من
الزواج يدعى زواج المشاركة أو الرهط. يشترك فيه عدة رجال بزوجة واحدة .
ولعل أصل منشأ الاسرى وصعوبة توزيعهن فتعطى لكل جماعة فتاة من الاسرى
يشتركون فيها . وقد يكون منشؤه الصعوبات المالية في الزواج فيشترك الاخوة
في زوجة واحدة . أو قد يكون بسبب الوراثة ، اذ يرث الاولاد زوجة أبيهم
فيشتركون فيها ، وقد روى البخارى عن عائشة انها ذكرت أربعة أنواع من
الزواج ، احدهما هو نكاح الرهط وهو (أن يجتمع الرجال ما دون العشرة
فيدخلون على المرأة كلهم بصيها ، فاذا حملت ووضعت ومر ليل بعد أن تضع
حملها ارسلت اليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها فتقول
لهم قد عرفتم الذى من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمى من أحبت باسمه .

فيأحق به ولدها لا يستطيع أن يتمتع منه الرجل^(٣٤) . وفي مثل هذا الزواج تختار الام عادة الاب من بين أزواجها المتعددين ، أو قد يسمى الولد باسم أمه .
ولا ريب ان هذا النوع من الزواج كان قليل الانتشار وشاذاً ، وكان يتطلب من الرجل تضحية كبيرة في عواطف الابوة ، والانانية التي هي عماد الحياة الزوجية .

المتعة :

والزواج عقد دائم بين الرجل والمرأة ، غير أن كان في بعض الاحيان يحدد الزواج بمدة معينة يكون خلالها الاتصال حلالاً ، فإذا انتهت المدة حرم اتصال الرجل بالمرأة . وتختلف مدة العقد حسب رضا الطرفين ، ولكن يجوز تمديده بموافقة المرأة ، ويكون الاولاد تابعين عادة لامهم ، فهي التي تسميهم وتنسبهم .

وفي القرآن آية قد يفهم منها المتعة ، وان لم تكن صريحة في ذلك . والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة . (النساء ٢٤) .
وقد أباح الرسول المتعة فترة من الزمن ، في غزوة بني المصطلق وفي فتح مكة لمدة ثلاثة أيام^(٣٥) ، ثم حرمت فيما بعد^(٣٦) . والمتعارف ان الذي شدد في

(٣٤) البخارى : كتاب النكاح الباب الخامس عشر . وانظر ايضا سمعت : القرابة والزواج عند العرب القدماء ص ١٤٥ فما بعد ، جمعة : ص ١٤ فما بعد .
(٣٥) عن ترخيص الرسول بنكاح المتعة أنظر كتب النكاح في البخارى : الباب ٣١ النسائي الباب ٧١ مسلم ٣-١٥ ابن ماجة الباب ٤٤ الدارمي الباب ١٦ ابن حنبل ج ١ ص ٤٢٠ ، ٤٢٢ ج ٣ ص ٣٢٥ ، ٣٥٦ ، ٣٦٣ ، ٣٨٠ ج ٤ ص ٤٧ ، ٥١ .

(٣٦) البخارى : كتاب المغازي : الباب ٣٨ . كتاب النكاح : الباب ٣١ ، كتاب الذبائح : الباب ٢٨ كتاب ٢٨ كتاب الحيل : الباب ٤ . مسلم : كتاب النكاح ٢١-٣٢ ابن حنبل : ج ١ ص ٧٩ ، ١٠٣ ، ١٤٢ ج ٢ ص ٩٥ ، ١٠٣ ج ٣ ص ٤٠٤ ، ٤٠٥ ج ٤ ص ٥٥ .

تحريمها هو عمر الذي استند على شهادة شهود في تحريم الرسول لها^(٣٧) . ولا ترى الشيعة ان هناك دليلا ثابتا على تحريم الرسول لها ، ولا تعترف بصحة الأحاديث المنسوبة الى النبي في تحريمها ، كما لا تعترف بأن تحريم عمر لها يقر الالتزام الشديد في المنع ؛ فهي لذلك لا تنكرها . والواقع ان المتعة تحل مشكلة العلاقات الجنسية وخاصة في المجتمعات التي تتخذ موقفا صلبا تجاهها كالاسلام ، وخاصة في الاحوال التي يضطر فيها المرء الى الإقامة موقتا بعيدا عن أهله . ولكنها لا تحقق الغاية الاساسية من الزواج وهو ايجاد حياة اجتماعية مستقرة دائمية .

✦ لقد كان الطلاق مباحا وهو أنواع : منه الطلاق المعروف والعادة أنه يتم الاتفاق بين الزوج وأبو الزوجة لكي يسترد الزوج الصداق . ولكن الزوج أحق بمطابقته من غيره اذا أراد الزواج بها . ويقول السكري (انه كانت عند الجاهلية ثلاث تطليقات . وقد أقر الاسلام ذلك ؛ وحرم جواز الرجوع الى الزوجة بعد التطليقات حتى تنكح زوجا غيره) « الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان . . فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ، فان طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا ان ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله بينها نفوم يعلمون » (آل عمران ٢٢٩-٢٣٠) .

وهناك أنواع أخرى من الطلاق منها الظهار^(٣٨) ، وهو أن يقول الرجل لزوجته انت على كفلها أمي أو اختي فتحرم عليه ، وقد أشار اليها القرآن « والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودوا لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا » (المجادلة ٣) « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم الآنبي يظاهرون منهن أمهاتكم » (الاحزاب ٤١٧) .

(٣٧) مسلم : كتاب النكاح ١٦ ، ١٧ ابن حنبل : ج ٣ ص ٣٠٤ ، ٣٢٥ ، ٣٥٦ ، ٣٦٣ ، ٣٨٠ .

(٣٨) البخاري : كتاب الطلاق : الباب ٢٣ . ابن حنبل : ج ٤ ص ٢٧ ، ج ٦ ص ٤١٠ .

ومن أنواع الطلاق الايلاء وهو أن يقسم الرجل يمينا بألا يمسيها^(٣٩)؛ وقد أقره الإسلام، ولكن حدده بأربعة أشهر يقرر بعدها الرجل فيما إذا كان يبقى امرأة أم يفصل عنها « للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر، فأن فاؤوا فإن الله غفور رحيم، وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم » (البقرة ٢٢٦-٢٢٧) •

وقد تبقى الزوجة في عصمة الرجل ولكنه لا يمسيها، يريد بذلك أن يخرجها ويستغلها ماديا لترجع ما دفعه لها وقد حرم القرآن ذلك « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف، ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه • وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف » (البقرة ٢٣١-٢٣٢) •

« يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتينهوهن إلا أن يأتين بفاحشة » (النساء ١٩) •

وإذا مات الرجل فلا يحق للمرأة الزواج إلا بعد أن تربص سنة فلا تترين خلالها^(٤٠) وقد أشار القرآن الى ذلك بأسلوب يفهم منه اقراره لذلك « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجكم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف » (البقرة ٢٤٠) •

ويبدو ان صداقة النساء للرجال ومخادنتهن كانت معروفة عند العرب، وقد ذكرها القرآن في معرض الإنكار « محصنات غير مسافحات ولا متخذى اخدان » (النساء ٢٥) • كما ان القصص الكثيرة التي يرويها الشعراء عن أيام الانس التي قضوها مع صديقاتهم اللواتي كثيرا ما تذكر اسمائهن، وخاصة في شعر امرئ القيس، انما هو دليل على الحرية الواسعة التي كانت تعطى لمثل هذه العلاقات • والغريب اننا قلما نسمع بشاعر قتل أو هدد لوصفه ليالى الانس وتمتعه بخديناته؛ وقد ظلت آثار ذلك بعد الإسلام كما يظهر من دراسة حياة عمر بن أبي ربيعة وغيره من شعراء الحجاز •

أما الزنا فقد كان موجودا، وان كنا لا نعلم مدى انتشاره؛ وقد ذكره القرآن

(٣٩) البخارى : كتاب الطلاق : الباب ٢١ •

(٤٠) تفسير الطبرى : ج ٢ ص ٣١٦-٣١٩ ، ٣٦١ المحبر : ص ٣٣٨ •

وسدد في تحريمه بعدة آيات « ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا »
(الاسراء ٣٢) « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم
بهما رافة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة
من المؤمنين . الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة ، والزانية لا ينكحها الا زان
أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين » (التور ٢-٣) « يا أيها النبي اذا جاءك
المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن
أولادهن ولا يأتين بهتان يفتريه بين ايديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف
فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم » (المستحنة ١٢) « والذين لا يدعون
مع الله الاها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل
ذلك يلق أثاما » (الفرقان ٦٨) .

وفي القرآن تعبير آخر هو الفاحشة ، وقد تكررت في القرآن أربعاً وعشرين
مرة ، مقرونة بالكبائر وبأثامها ظاهرة وباطنة ، وبأنها من عمل الشيطان ، وان الله
لا يأمر بها ، وهم يعملوها لانهم وجدوا آباءهم عليها ، وتأتى النساء بالفحشاء ،
« واللاني يأتون الفاحشة من نساءكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا
فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا » (النساء ١٥)
و « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا
بعض ما آتيموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة » (النساء ١٩) « ومن يأت منكن
بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين » (الاحزاب ٣٠) « يا أيها النبي اذا
طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من
بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله » (الطلاق ١)
وكل هذه الآيات تدل على ارتكاب بعض النساء الفحش الذي هو عمل وجدوا
آباءهم عليه (أنظر الاعراف ٢٨) ويدلهم عليه الشيطان (أنظر البقرة ١٦٩ ، ٢٦٨)
وهي حرام (الانعام ١٥١ ، ٣٣) ؛ ومع أن الزنا فاحشة ومقتا وساء سبيلا
(الاسراء ٣٢) الا أنه يصعب الجزم بأن الفاحشة مرادفة للزنا ، بل الأرجح ان
الفاحشة اسم عام لردائل اجتماعية كانت موجودة ولا نعرف تفاصيلها .

وقد أشار القرآن ايضا الى السفاح وهو الاتصال الجنسي غير الشرعي ؛
وتردد ذكره مقابل المحصن « واحل لكم ما وراء ذلك أن تبغوا بأموالكم محصنين
غير مسافحين » (النساء ٢٤) « اذا آتيموهن اجورهن محصنين غير مسافحين

ولا متخذى اخذان » (المائدة ٥) « وآتوهن اجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات » (النساء ٢٥)

لقد كان البغاء موجودا ، وقد ورد ذكره في القرآن « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا » (النور ٣٣) وقد وردت كلمة الفتيات في آية اخرى بمعنى الامة « فمما ملكت أيما نكم من فتياتكم المؤمنات » (النساء ٢٥) ؛ ويورد الطبرى في تفسير هذه الآية أسماء عدد من البغايا ومن كان يملكهن ، مما يدل على وجوده^(٤١) . والراجح انه يكثر في الاسواق والمدن كمكة والطائف ، وكان لبيوت البغايا عادة رايات يعرفن بها ولذا كان يطلق عليهن أحيانا أصحاب الرايات^(٤٢) . ولا ريب انه لم يكن ينظر اليهن نظرة احترام ؛ والراجح ان أصل معظمهن من الجوارى أو العبيد . وينسب ولد البغى عادة الى أمه ، ولكنه قد ينسب الى من تختاره أمه ممن اتصل بها ؛ ولعل أشهر ولد بغى هو زياد الوالى المشهور الذى كان يسمى باسم أمه سمية ، ثم استلحقه معاوية بنسبه فصار يسمى زياد بن أبى سفيان .

(٤١) تفسير الطبرى : ج ١٨ ص ١٠٠-١٠٤ .

(٤٢) المحبر : ص ٣٤٠ .

التنظيمات السياسية عند البدو

القبيلة :

القبيلة هي الوحدة السياسية عند البدو ، وهي كما رأينا ، جماعة من الناس يتمون أو يعتقدون انهم يتمون الى أصل واحد مشترك ، ويرحلون ويقيمون سوية ، وتربطهم رابطة العصية وهي كما قال ابن خلدون :

« ولا يصدق دفاعهم وزيادهم الا اذا كانوا عصبية وأهل نسب واحد لانهم بذلك تشدد شوكتهم ويخشى جانبهم اذ نعمة كل أحد على نسبه وعصبيته أهم وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنعرة على ذوى أرحامهم وقربائهم موجودة في الطباع البشرية وبها يكون التعاضد والتناصر وتعظم رهبة العدو لهم^(١) . »

ويتضح من تعريف ابن خلدون هذا ان العصبية هي شعور التماسك بين من تربطهم رابطة دم نقية ، فهي لا توجد الا حيث يوجد المجتمع المعزول ، وانها دافع عزيز في الانسان ، قائمة على أساس رابطة الدم ، فهي دائمية ثابتة ، طبيعية لا مكتسبة وفيها عنصر أخلاقي يجعلها قوة اجتماعية وسياسية ، ولها أهمية كبرى اذ انها قوة سياسية دفاعية تربط بين الناس وتكثفهم فتعمل بذلك على بقاء المجتمع وتحفظ كيانه . فالعصبية اذ تشبه الشعور القومي في عصرنا الحاضر . ولكن رابطة الدم فيها أقوى وأوضح مما في القومية .

وتستوفي القبيلة كافة مقومات الدولة سوى الارض المعينة الحدود . ذلك ان فيها شعب يرى انه يتسبب الى أصل واحد ، ولها سيادة تامة ، كما ان لها تقاليد وعرف تتبعه كالدستور ولا ينقصها الا أرض مثبتة الحدود . اذ أن القبيلة فلما ثبتت في مكان واحد أمادا طويلة . بل تتجول من مكان الى آخر ، وان كانت في غالب الاحيان تكون لها منطقة خاصة تتجول في نطاقها وهي ما تدعى بالدار .

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ١٢٢ .

أو قد تنشئ لنفسها حمى أى منطقة ثابتة من الأرض لا يجوز لغيرها أن يخترقها
أو يستعملها^(٢) .

الفردية والتماسك :

والبدوى يعتز بفرديته وشخصيته ، ويرى نفسه مساويا لغيره من الأفراد
فى الأصل والحقوق والواجبات وينفعل اذا حاول أحد من هذه الفردية أو
جرح شعوره بالمساواة . الا أن فرديته منسجمة مع الجماعة فهو متمسك مع
جماعته ينصر اخوانه ظالمين أو مظلومين ويلبى دعوتهم اذا طلبوا النجدة أو اذا
دهم القبيلة خطر يهددها بل انه يرضى عن طيب نفس أن يتحمل بعض مسؤولية
أعمال غيره فيساهم فى دفع الدية عنهم ويشارك فى الحروب التى قد تنشب
نتيجة سوء تصرف أحد أفراد قبيلته أو نتيجة الاعتداء عليهم . والواقع ان الباقين
ينظرون اليه كجزء لا يفصل عن القبيلة فقد يحملوه جريرة غيره ويقتلوه مقابل
قتل لهم قتله أحد أفراد قبيلته^(٣) .

ففردية البدو اذن ليست مظهرا للتفكك السياسى بل هى فى نفس الوقت
يرافقها الشعور بالجماعة الذى يزداد قوة وقت الخطر فيحمل البدوى أن يتناسى
هذه الفردية تجاه المجموع ، وبدون هذا التعاطف لا تستطيع القبيلة أن
تعيش وتندوم .

على انه رغم ان أساس التماسك فى القبيلة هو العصبية أو الشعور برابطة
الدم ، الا أن هذا لا يجعلها ثابتة جامدة ، كلا بل هى قابلة للتوسع أو الانقسام .
اذ أن حجم القبيلة يتوقف على المراعى ، وان عددها اذا ازداد لدرجة لا تحمله
مراعى مواسيها ، فانها تشطر الى اجزاء صغيرة . وبجانب هذا فان القبيلة يمكن
أن تقبل فى عضويتها بعض الغرباء ليكونوا أحلافا فيها . يحملون واجبات وحقوق
مشركة . ولكنهم يحق لهم مغادرة القبيلة متى شاؤوا فدرجة عصبيتهم أضعف
وحقوقهم أقل .

(٢) انظر لوكجارد : الضرائب الاسلامية فى الازمنة الاولى ص ٢٠-٢٧ .

(٣) انظر فى طبيعة البدوى : احمد امين : فجر الاسلام ص ٢٧ فما بعد .
بشر فارس : مباحث عربية ص ٧٥ فما بعد . لامنس : مهد الاسلام القسم
الثالث (بالفرنسية) .

العلاقات السياسية :

والعلاقات السياسية البدوية ذات صبغة أخلاقية ، فهي تتمثل بشعور التعاوني الذي يعبر عن نفسه بواجب العصية والاخوة وتحمل الفرد ، وأن يرحم الضعيف ويزور المريض ويطعم الفقير ويرعى الارملة ويشيع الموتى ويبدل أيام القر والضنك لاطعام الضعيف . وواجباته تكون في الدرجة الاولى نحو أقربائه ثم نحو العشيرة التي يجب عليه أن يلبي نداءها في الحق والباطل . والعشيرة بدورها تقوم ببعض الواجبات عن الأفراد كأن تفك العاني وتعين على دفع دين المدين ، أو تدفع الدية أو تأخذ النار . وهذه الصبغة الاخلاقية لا تقتصر على العلاقات الداخلية ، بل تشمل حتى العلاقات الخارجية ، إذ رغم عدم وجود قوانين دولية أو قوة عليا ملزمة تطيعها العشائر ، فإنه كانت هناك تقاليد خلقية مبنية من الوفاء ورعاية المهود والاتفاقات . وكثيرا ما تكون مصطبغة بصبغات دينية ، لذا تكون قوية .

غير انه ~~لا~~ وجد بعض من لا يخلصون في واجباتهم نحو أفراد العشيرة بل يتبعوا مصالحهم الذاتية ويقوموا بأعمال قد تجر للقبيلة عدة مشاكل كإقتراف جرائم القتل أو حماية المجرمين أو انتهاك الحرمات . فالحرية الفردية التي يتسع بها البدوي اذا لا يحدها قانون الزامي ، والمسؤولية الاجتماعية لم تكن واحدة بل هي أقوى تجاه العائلة منها تجاه بقية أفراد العشيرة .

ان زمالة الدم هي معت كافة الالتزامات السياسية والحربية في القبيلة . فعلاقة الفرد بالقبيلة كملاقته بعائلته . وليس هناك فرق بين الشئ العام والخاص . بل ان الأفراد ، نظريا على الأقل ، لهم جميعا نفس الحقوق والواجبات ، ويقومون بواجباتهم نتيجة شعورهم بالمسؤولية نحو روح الاخوة والجوار ، لا نتيجة الزام سياسي أو قانوني ، إذ لم يكونوا ليحتملوا وجود طبقة مصطنعة فوقهم تحكمهم فلم تكن هناك محاكم ادارية . ولا ادارة مركزية للحكومة . ولا ضرائب أو واردات أو موظفين خاصين للجباية . إذ أنهم يشتركون جميعا في ادارة وظائف المجتمع (٤) .

(٤) انظر في ذلك المقال القيم الذي كتبه ولهاوزن عن المجتمع البدوي في الجزء السادس من تاريخ العالم للمؤرخين (بالانكليزية) .

المجلس :

لكل قبيلة عادة مجلس هو ندوة لهم^(٥) . يستطيع كل فرد من أفراد القبيلة حضوره والتحدث فيه متى كان مجتمعا . وليس هناك أوقات معينة لاجتماعه . والغالب أن يجتمع يوميا في المساء في بيت شيخ القبيلة ، وقد يجتمع في النهار ، أو قد يرسل مناد ينادى الناس للاجتماع . فهو لهم كالبرلمان .

يتحدث الناس في المجلس مختلف الشؤون الخاصة ، ويبحثون الأمور والمسائل التي تخص القبيلة ويناقشون الأمور السياسية والخارجية فيه ، ولكل فرد فيه الحق في ابداء رأيه والدفاع عنه . ولكن الغالب أن يسود ذلوق اللسان أقباء التفكير والمنطق والحجة في المناقشات . وذلك بحكم مواهبهم لا بحكم القانون . ومن مصادر الفخر أن يكون الانسان من المتحدثين في المجالس . كما ورد ذلك في أشعارهم :

ولكن سبكني خطوب ومجلس	وشعت اهينوا في المجالس جوع
حمل الوية شهاد اندية	قوال محكمة جواب افاق
حمل الوية هباط اودية	شهاد اندية للجيش جرار
اذا سيد منا خلا قام سيد	قؤول لما قال الكرام فقول
لكم نائل عمر وأحلام سادة	والسنة يوم الخطاب مسالق

وفي هذا المجلس ينشد الشعراء أشعارهم . ويظهر الخطباء مواهبهم . ويسمع الناس الآراء الطريفة والاحاديث الطيبة ، فهو اذا مدرسة أدبية تربي الأفراد على قوة البيان واللغة وتكشف المواهب الأدبية والسياسية . وتتخذ قراراته بعد المناقشات ، بالأغلبية . والغالب ان المعارضة تدعن لهذه القرارات .

الرئيس :

تجلى وحدة القبيلة بوجود شخصية عليا يطلق عليها اسماء مختلفة كالامير

(٥) اعتمدنا في بحث المجلس والرئيس وواجباته على البحث المفصل الذي كتبه لامنس في القسم الثالث من كتابه (مهد الاسلام) والذي وفي فيه ذكر الاشارات في الكتب العربية عن هذه الامور . ولنا ليلينو بحث قيم في النظام السياسي البدوي .

والرب والرئيس والشيخ • فأما الرب كان يستعمل قبل الإسلام للمالك أو الحاكم • فيقال رب الشام ورب الحجاز ورب الخورتق كما يقال رب القبة ورب الرافصات الى منى ورب الداميات نحوورها وأرباب العقول والخطاب • ولكن منذ هجرة النبي وسيادة الاسلام بدأ هذا التعبير يتحدد في الله ، أما تعبير الامير فكان عادة يستعمل للجيش فيقال أمير السرايا وأمراء الشام ، واستعمل لقب أمير المؤمنين فيما بعد باعتبار ان المؤمنين كانوا محاربين •

ولقب الرئيس استعمل في الغالب مرادفا للقائد ، فهو بمثابة الرأس للقبيلة فيقال رئيس ورئيس فارس • ورئيس ربيعة •

أما الشيخ فكان المقصود فيه عادة الكبير السن سواء ساد أم لم يسد • وأكثر الالتساب اطلاقا هو السيد • ولما كان السيد عادة كبير السن وقائد القبيلة فكان أحيانا يوصف بالشيخ أو الرئيس أو الامير •

صفات الرئيس :

وكان المطلوب ممن يرأس أن يتصف ببعض الصفات الخلقية التي تعتبر حيوية للمجتمع البدوي • وقد عددها الجاحظ فقال • كان أهل الجاهلية لا يسودون الا من من تكاملت فيه ست خصال السخاء والنجدة والعسر والحلم والتواضع والبيان • وقد أجاب قيس بن عاصم لما سئل كيف سودك قومك ؟ فقال • بذل الندي وكف الاذى ونصرة المولى وتعجيل القرى •

فأصبحت في أمر العشية كلها كذي الحلم برض ما يقول ويعرف
وذلك اني لا اعادي سراحهم ولا عن اخي حراتهم اتكف
واني لأعطي سائلي ولربما اكلف ما لا استطيع فاكلف
واني لأعفو عن سفههم واحلم عن جاهلهم وأسهم في حوائجهم
وأعطي سائلهم (٦) •

وقد رويت أقوال كثيرة تمدح سخاء الرؤساء وبذلهم وخاصة اوقات الشدة • وذلك لا ريب أمر هام في المحيط البدوي الفقير والمعرض لعسايات

(٦) الألويسي : بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ج ٢ ص ١٨٧ •

الدهر ونكبات الطبيعة • اما الذكاء فضروري للافصاح عن الرأي والافناع
والادارة في مجتبع ليس فيه سلطة الزامية •

واما الحلم فيتطلب الذكاء والتسامح والنصح ، والنشاط ، وهي ضرورية
لشعب يشعر بفرديته المتطرفة وينقاد لعواطفه العنيفة وليس للرئيس عليه سلطة
قانونية أو عقاب •

وتتم الرئاسة بانتخاب حربيين الافراد لا بالوراثة • واذا حدث واتخب
رجل بعد أبيه فان ذلك يكون عادة لما يتصف به الرئيس الجديد من مميزات
نؤهله للمنصب ، لا لبنيته للرئيس القديم • والواقع ان العرب لم تكن تفضل
أن يخلف الابن اباة لما قد يجره ذلك من تقرير مبدأ الوراثة في الرئاسة وما قد
يؤديه من تقييد حرية البدوي • وليس في تاريخ العرب قبل الاسلام أكثر من
أربع أسر تتابع فيها أربعة أحفاد بالتعاقب على الرئاسة^(٧) •

على انه لا بد للرئيس المنتخب من عصبية له في داخل العشيرة ، وقراءة تشد
أزره وتسنده وتعينه على تنفيذ مطالبه • ومثل هذا السند يعتمد على اقوة العديدة
وعلى الحسب والشرف • ومثل هذا الشرف لا يتوقف على فعال الخير فقط •
بل على نقاوة الدم ايضا • وعلى هذا فلا تتم الرئاسة الا للعصبة أما الموالي والخلفاء
فلا مجال لهم للحصول عليها^(٨) •

واجباته :

كانت على الرئيس وجائب غير قليلة ، فعليه أن يعين الضعفاء ويواسي
المنكوبين ويفتح في بيته مضيفا للضيوف والوافدين ومندوبى العشائر الاخرى •
ولكنه لم يحتكر هذه الاعمال التي قد تستنزف ثروته ، فقد يقوم أى فرد في
العشيرة في هذا العمل •

(٧) مقدمة ابن خلدون (فصل في ان نهاية الحسب في العقب الواحد
أربعة آباء) ص ١٣٠-١٣١ • انظر كذلك الاغانى : ج ١٧ ص ١٠٦ •
(٨) مقدمة ابن خلدون (فصل في ان الرياسة لا تزال في نصابها
المختص من اهل العصبية) (فصل في ان الرياسة على اهل العصبية لا تكون
في غير نسبهم) ص ١٢٥-١٣٠ •

وعليه أن يدير المناقشات في المجلس • ويتولى المفاوضات الدبلوماسية مع القبائل الأخرى أو يبدى رأيه ، ولكن ليست له سلطة قانونية لمنع أحد من الكلام أو إقرار رأى دون آخر أو أن يفرض رأيه إلا بقدر ما له من حجة في الأفتاع •
وعليه أن يفض المنازعات ويحكم في الخلافات إذا لجأ إليه المتخاصمون ، ولكنه لا يحتكر وظيفة القضاء ، فقد يلجأ المتنازعون الى غيره من الحكام والعارفة الذين يشتهرون بدقة الحكم والتمييز والعدالة سواء في العسيرة أو خارجها •
وهو يقود العسيرة في اوقات الحرب • ولكنه لا يحتكر هذا • فقد يظهر قائد مبرز أو وفارس شجاع يقوم بالقيادة •

وهو يقسم الغنائم بين المحاربين وله فيها حقوق اجملها البيت التالى :-
لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول

فالمرباع هو ربع الغنيمه • والصفايا هي الاشياء التى يصطفيها الرئيس لنفسه من خير ما يغنم والحكم هو أن يبارز الفارس فارسا قبل النقاء الجيشين فيقتله ويأخذ سلبه فالحكم في ذلك للرئيس ان شاء نقله وان شاء رده في جملة المنعم • والنشيطه ما أصاب الجيش في طريقه قبل أن يصل الى هدفه • والفضول ما يفضل من الغنيمه فلا ينقسم •

وهو يقوم بكل هذه الوظائف والواجبات معتمدا على قوة الأفتاع وقوة شخصيته ونفوذه اذ لم تكن له سلطة الزامية يجبر بها أفراد القبيلة على تنفيذ قراراته ، فام تكن له شرطة تنفيذ أوامره أو سجون يسجن بها من يعصيه • انه يفاوض أفراد القبيلة ويمارس ضغطا معنويا ، هو الأقدم بين أقرانه Primus inter pares له سلطات واسمه ولكن ليست له قوة حاكمة • وهذا ولا ريب لا يكفى لتسيير لشؤون الداخلية أو الخارجية للمجتمع • فعندما تعلن القبيلة الحرب مثلا لا يستطيع أن يعلن التجنيد الاجبارى أو يفرض الانضباط أو يطلب طاعة مطلقة من الأفراد • وكلما يستطيع عمله هو الهزم والسخرية والهجاء لمعارضيه • غير ان صعوباته تكون عادة في تمشية المشاكل

الداخلية أما عند حدوث خطر خارجي فيندر أن يتمتع الافراد أو يعصوا
رئيسهم^(٩) .

العلاقات الخارجية :

لقد كانت القبيلة تعتبر نفسها مستقلة استقلالاً تاماً . وفي حالة حرب دائمية
مع غيرها . يباح لها أو لافرادها أن تأخذ كل ما تحصل عليه من الغير . فالغزو
أمر طبيعي وقانوني عندهم . ودوافعه متعددة . منها الحاجة : فان اجداد الجزيرة
العربية وأخطار الطبيعة قد تأتي على ما تملكه القبيلة فتضطر الى الغزو لنتهب من
القبائل الاخرى أموالها ومواشيها . وقد تكون دوافع الغزو حب السيطرة
والسيادة . ومن هذا القبيل معظم الحروب التي شنها المناذرة والغساسنة وكندة .
أو قد يكون الغزو نتيجة عامل شخصي كأن يكون رئيس القبيلة حاقداً على قبيلة
اخرى لسبب من الاسباب .

وقد حفظت لنا كتب التاريخ والادب اسماء عدد غير قليل من هذه الحروب
أو أيام العرب^(١٠) كما يدعوها ولا ريب ان ما حفظ أقل بكثير من الحروب التي
كانت تنشب سنويا وغفل عن ذكرها الرواة .

وعند دراسة أيام العرب التي يذكرها الرواة نجد ان اغلب هذه الحروب
كانت تنشب بين مجموعات من القبائل الكبيرة ، وقليل جدا منها بين القبائل
ايمانية والمضرية . فان الخصومة بين اليمن ومضر حدثت بعد الاسلام لا قبله .

ثم ان أغلب هذه الحروب وقتية أو غزوات قلما تدوم مدة طويلة ، أو
تؤدي الى ابادة أحد الطرفين أو طرده من أراضيه أو تولد نتائج ثابتة معينة كأن
تبقى قبيلة بكاملها خاضعة ومستعبدة لقبيلة اخرى ، فأثارها المادية من قتل تافهة

(٩) لقد جرت في الجزيرة محاولات لانشاء نوع من الملكية ، فيما عدا
المناذرة والغساسنة وبلاد اليمن . فيروى الطبري ان هوزة بن علي الحنفي لبس
التاج (الطبري ج ٢ ص ١٢٣) ويروى الاغانى ان عباس بن أنس الرعلي كانت
بنو سليم أرادوا عقد التاج على رأسه (الاغانى ج ١٧ ص ٥٥) ولكن معلوماتنا
عنها أقل مما تكفي لتكوين فكرة واضحة .

(١٠) انظر في أيام العرب : نقائض جرير والفرزدق . ابن عبد ربه :
العقد الفريد (الجزء الثاني) . ابن الاثير : الكامل في التاريخ (الجزء الاول) .

إذا قورنت بالحروب الحديثة • ولكنها ولا ريب أدت الى حدوث حالة من القلق في الجزيرة • كما أن النهب والاسر الذي يصحبها يؤدي الى عدم الاستقرار في الجزيرة • وكان لها أثر كبير في ظهور تقاليد وعرف يشبه القانون الدولي اليوم ويتعلق بمعاملة الاسرى وفكاكهم وكيفية الحروب • ومثل هذه التقاليد قائمة على مبادئ أخلاقية هي مبادئ الشرف والمروءة • وكانت من أهم المنصادر التي كونت قوانين السلم والحرب في الاسلام •

وقد حملت أخطار الحرب وتهديدات الغزو المستمر في الجزيرة بعض القبائل وخاصة الصغيرة والضعيفة منها الى أن تحالف القبائل القوية وخاصة المجاورة لها وذلك اما لتتقى شرها ، أو لتضمن المعونة والمساعدة اذا دهمها خطر مهدد • ويكون الحلف اما موقتا وهو الاغلب أو دائما • وكثيرا ما تسبقه مفاوضات وتمهيدات دبلوماسية بعض المراسيم كالقسم ولعق الدم وغير ذلك لتوكيده (١١) • أو قد يرافقه زواج الرؤساء •

وقد يكون غرض مثل هذه المحالفات التوسع ، أو قد يكون تثبيت مركز شخصية بارزة ويكون للمستحالفان عادة حقوق وواجبات متبادلة •

ولا ريب انه كان للحالف بين القبائل أثر كبير في نشر الامن والسلام في بعض ربوع الجزيرة العربية كما كان عاملا مهما في تكوين دول أو شبه دول بينها • هذا الى أن كثيرا من القبائل الكبيرة تكونت بواسطة التحالف ثم خلقت نسبها لتبرر التحالف •

(١١) انظر في الامثلة على ذلك جمعة : ص ١٤٧ فما بعد •

الفصل الثاني عشر

المفاهيم القانونية عند البدو

لم يكن للبدو قانون منظم مكتوب ، بل كانت لهم تقاليد بسيطة واضحة ينسكون بها أشد التمسك ومفهومها يقتصر على العشيرة ولا يتعداه الى العشائر الأخرى ، وهي تقاليد على بساطتها صلبة جامدة . ألفوها وبصعب تغييرها ، اذ ان العربي بطبيعته محافظ على سنن آباءه لا يميل لتغييرها ، وقد لقي الرسول مقاومات شديدة عندما كان يريد تغيير سنتهم ، ونجد صدق ذلك في القرآن حيث يذكر في آيات كثيرة بمعرض الدم والسخرية « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آناهم مقتدون » (الزخرف ٢٣) .

ولما لم تكن هناك سلطة تنفيذية تقتص للفرد أو تنزل العقاب بالجاني ، فقد كان يترك للمجني عليه أن يقتص لنفسه ، وقد تعاونه العشيرة في ذلك ، الا ان الجرم كان يعتبر دائما حقا خاصا وليس هناك حق عام ، فاذا أغضى المجني عليه لم يكن على الجاني أي عقاب .

والفكرة الأساسية في القانون الجنائي هو القصاص أو الانتقام ، فليس هناك أثر للعقاب الذي يستهدف الإصلاح وما الى ذلك . فاذا جرح شخص آخر كان للمجني عليه أن يطلب أن يجرح الجاني أو يقطع منه عضوا جريا على مبدأ العين بالعين والسن بالسن ، أو قد يطلب تعويضا عن الجرح يتناسب مع الجرح أو القطع وأثره . ذلك ان أساس العقاب هو التعويض عن الخسارة التي ألحقت بالمجني عليه . وقد اتبع هذا المبدأ في الجنايات والجراحات في الاسلام .

أما في حالة القتل ، فانه اذا قتل شخص ^{صاحب} آخر من عشيرته فان القبيلة تخلعه وتقصيه عنها ، فيفادرها ويصبح خليعا أو طريدا^(١) ، فانه يضطر أن يصبح

(١) الاغانى : ج ١٣ ص ٢ . العقد الفريد : ج ٢ ص ٧٢ . وقد يخلع الفرد لسوء سلوكه : انظر البخارى : التاريخ الكبير ج ١ قسم ٢ ص ٨٧ . ابن قتيبة : المعانى الكبير ج ١ ص ٢٠٨ ، الاغانى : ج ٨ ص ٥٢ ، ٥٣ ج ١٩ ص ٧٥ .

صعلوكا^(٢) سارقا قاطع طريق ، أو قد يلجأ الى الاماكن المقدسة ليعيش في أمن
حرمها ، أو الى قبيلة يحالف رجالا فيها ، والواقع ان عددا غير قليل من الحلفاء
كانوا من هؤلاء الخلفاء .

وإذا قتل رجل رجلا من غير قبيلته ، فان قبيلة المقتول ترى من واجبه أن
تتأثر له وتتخص من القاتل دون تمييز بين القتل العمد أو غير العمد ، ولكن قبيلة
القاتل عادة لا تسلمه بل تحميه ، الامر الذي قد يسبب توتر العلاقات بل واشتعال
الحرب بين القبيلتين ، ولكن قد ينتهي الامر بالسلم فيدفع مبلغ من المال دية
لعشيرة المقتول .

وتختلف الدية باختلاف مكانة القاتل أو المقتول ، وحدها الأقصى ألف بعير
وهي التي تدعى دية الملوكة . ولما لم يكن هناك تدقيق واضح في مقدار الدية ،
فانه قد يحدث خلاف ، اذ قد تغالى عشيرة المقتول بمر كره وقيمته وتأبى الاخذ
بمبالغ كبيرة بل قد تصر على أن تتأثر للمقتول بقتل القاتل ، أو من يعدله مكانه
الامر الذي لا يحسم . فعندما قتل جساس كليبيا ارسل التغليون رجلا منهم الى
بنى شيان فأتوا مرة بن ذهل بن شيان وهو من نابتى قومه فقالوا له انكم أتيتم
عظيما بقتلكم كليبيا بناقة وقطعتم الرحم واتهكتم الحرمه وانا نعرض عليك خلافا
أربعا لكم فيها مخرج ولنا فيها مقنع اما أن تحبى لنا كليبيا أو تدفع الينا قاتله جساسا
فنتقله به أو هماما فانه كفء له أو تمكنا من نفسك فان فيك وفاءا لدمه فقال لهم
اما احبائى كليبيا فلست قادرا عليه واما دفعى جساسا اليكم فانه غلام طعن طعنة على
عجل وركب فرسه فلا ادري أى بلاد قصد واما همام فانه أبو عشرة وأخو عشرة
وعم عشرة كلهم فرسان فان يسلموه بجريرة غيره ، واما أنا فما هو الا أن تجول
الخيال جولة فأكون أول قبيل فما اتعجل الموت ، ولكن لكم عندي خصلتان اما
احدهما فهؤلاء ابنائى الباقون فخذوا أيهم شئتم فاقتلوه بصاحبكم ، واما الاخرى
فانى أدفع اليكم ألف ناقة سود الحدق حمر الوبر فغضب القوم وقالوا قد أسأت
ببذل هؤلاء وتسومنا اللبن من دم كليب^(٣) .

(٢) الاغانى : ج ١٣ ص ٢ وانظر ايضا احمد امين : الصعلكة والفتوة

عند العرب .

(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج ١ ص ٢١٨ .

وكثيرا ما يلجأ في مثل هذه الحالات من الخلاف الى الحكم أو العارف^(٤) ممن عرفوا بالانزان واصالة الرأي والتميز ، وليس من الضروري أن يكونوا شيوخ عشائر ، أو ذوي مراكز سامية وهم يصدرون قراراتهم بعد دراسة الوضع ، ولكن رأيهم استشاري ، فليست لهم سلطات أو قوة تلزم الفريقين بطاعته وتنفيذه اذا لم يرد أو من تلقاء نفسها الرضوخ لذلك فهؤلاء الحكام اذا ليسوا قضاة بالمعنى المفهوم الآن .

وقد عدل الاسلام من هذه النظم فقتن الدية وجعلها ثابتة معينة يستوى في مقدارها الجميع لا فرق بين فرد وآخر ، كما جعل تنفيذها بيد السلطة العليا أي بيد الدولة ، فلا يجوز للفرد أن يقتص بنفسه ، وقد ابقى الاسلام المسؤولية المشتركة ، فأوجب أن تشترك القبيلة في دفع دية القتل غير العمد^(٥) ، وبذلك منعت النار وما يجره من مشاكل وويلات .

أما في حالة السرقة فان على من سرق منه شيء أن يفتش عن المسروق ، والعادة ان البدوي لا يرى في السرقة ما يناقض المروءة لذا قلما يظهر ما سرقه ، ولكن الرجل المسروق يستطيع أن يعلن اللعنة على السارق ، اذ ان البدوي يخشى اللعان ويخاف شره والغالب انه يعيد الشيء المسروق .

أما الورثة فان العادة ان الرجال وحدها تراث ، أما البنات فلا يرثن^(٦) ، ويقسم الارث بين البنين بالتساوي وللرجل حق الوصية والهبة . وقد قرر الاسلام انه « للرجال نصيب مما ترك الوالدان وللنساء نصيب (النساء ٧) وان للذكر مثل حظ الأنثيين » .

(٤) انظر ص ١٠١ .

(٥) انظر كتابي : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ص ٣٥ .

(٦) تفسير الطبري : ج ٤ ص ١٥٣ ، ١٨٥ . ابن حجر : الاصابة في

معرفة الصحابة ج ١ ص ٩٢ .

الفصل الثالث عشر

(١)

الدين الجاهلي (١)

المعبودات

الدين هو الاعتقاد بكائنات غيبية ذات قوى مؤثرة والقيام بطقوس وعبادات لها . وهو يتوقف على عقلية الناس وحالة الافراد . فكان له في القديم دور كبير . وذلك لان البشر كانوا آنذاك أشد محافظة ، كما ان فهمهم لمسببات الحوادث كان يختلف عن فهمنا فكانوا يرون ان وراء كل حركة أو ظاهرة قوة غيبية تسيرها . وهكذا كانوا يعتقدون ان للقوى الغيبية تأثير أوسع مما نعتقد له اليوم .

والدين يتطلب خبرة نفسية والقيام ببعض الاعمال للآلهة . فهو ليس بعمل فردي أو محاولة شخصية لاطهار الروحانية الانسانية ، بل يشمل عملية حياة مبادلة بين الانسان والقوى فوق الطبيعية . ومع ان للفرد في الدين أهمية كبيرة الا انه في الغالب كانت الاديان القديمة اجماعية تتعلق بالقبيلة كلها . فالاله للقبيلة كلها يحميها كلها ويشمل برعايته كافة أفرادها .

علاقة الآلهة بالمجتمع :

ولناس علاقة وثيقة بالآلهة ، والمرء يرث هذه العلاقات ويتأثر سلوكه بها باعتبارها عضوا في المجتمع ، فلا فرق بين نظام الحياة والدين ، والاعمال الاجتماعية

(١) استفدنا في دراسة هذا الموضوع من الابحاث التالية :-

(أ) روبرتسن سمث : محاضرات في اديان الساميين (بالانكليزية)

(وسترمز اليه سمث) .

(ب) مقالة نولدكه عن الدين الجاهلي في دائرة معارف الدين

والاخلاق (بالانكليزية) وسترمز اليها نولدكه .

(ج) محمد عبدالمعيد خان : الاساطير العربية قبل الاسلام .

وسترمز اليها الاساطير العربية .

انعامه لها علاقة بالآلهة والبشر على السواء ؛ وهناك علاقة متبادلة فالاله يحمي القبيلة أو المجتمع ويدافع عنه وقد يضطر أحيانا أن يجارِب الآلهة الاخرى اذا انتبكت القبيلة بحرب مع القبائل الاخرى . ولهذا لم يكن يستطيع المرء تغيير دياناته الا اذا غير قبيلته أو خرج عنها ، وهو أمر ليس من السهل القيام به .

وفي حالة ما اذا اختلطت القبائل أو الشعوب ذات الآلهة المختلفة فان اختلاطها يؤدي الى اختلاط الآلهة . وهذا يتخذ اشكالا متعددة فقد يقتصر هذا التغيير على تغيير صفات الاله الاصلى ، أو أن تضاف اليه صفات اخرى ، أو قد يصبح له اسمان ، وقد تجعل آلهة القبائل الاخرى أولادا أو أخوة لآله القبيلة الاصلية ؛ ومن هذا نشأت فكرة تعدد الآلهة .

الاساطير :

وتنشأ عادة حول الآلهة قصص وأخبار تشرح طبيعتها وأعمالها . وقد يتوارث الخلف هذه القصص ؛ وهي فى الاصل ليست جزءا من العبادات أو الدين ، ولا يجبر الناس الاعتقاد بها ، فهي ثانوية بالنسبة للدين ، مستمدة من العبادات ومتنوعة . والغالب انها تفسر الاعمال والعبادات الدينية ولكنها ملذة تثير الخيال وتشوق للعبادة ، وتنمو عندما تضعف الطقوس الدينية . وقد تنشأ الاساطير نتيجة فلسفة قديمة تفسر الكون ، أو قد تخلق لغرض سياسى يراد به جمع شمل الناس العباد ضمن وحدة واحدة ، أو قد تنشأ بمجرد الخيال والادب . ولا ريب انها ليست أساسية فى الدين ولكنها تضيف حياة جديدة وأهمية جديدة على الاشكال القديمة .

ولا ريب ان الاساطير تتضمن ما يميل الناس لتصديقه ، وهي كما ذكرنا ليست من جوهر الدين ولا تقتصر على الآلهة فقط . بل قد تندج حول الاشياء العادية وليس لها صفة رسمية بل قد تتغير .

العقلية البدائية :

ويلاحظ ان الانسان البدائي يخلط بين الواقع والتخيل ، فلا يميز تمييزا دقيقا بين ما يراه حقيقة وما يتصوره ، كما انه يميل دائما الى التعميم . وقد بدأ حياته العقلية بمعرفة المادة والماديات ولاحظ مظاهر الحياة فيها ، ثم اتسعت فكرته فى معرفة مظاهر الحياة على وجه التعميم ، فظن انه لا فرق بينه وبين الموجودات

في العصر الذي عرف فيه نفسه فظن ان للحيوان والجماد حياة حقيقية ، ولما رقت مداركه ظن ان الجمادات تحل فيها الحياة أحيانا ؛ أي أن لها شخصيتين • احدهما جامدة والاخرى فيها حياة ، مثل حائنا في الحلم حيث نكون في حالة النوم ساكنين ولكننا قد نرى احلاما تبدو فيها متحركين وما نحن بمتحركين •

ويسمى المبدأ الاول الذي تعتبر فيه الجمادات حية المذهب الحيوي Animism • والمذهب الثاني الذي يعتقد ان الجمادات قد تحل فيها الحياة المذهب الفتيشي fetishism • ونجد كلا المذهبين لهما آثارهما عند العرب • فالمذهب الاول يتجلى فيما روى عن اعتقادهم بأن الدم والهواء هما الحياة • وانهما مخلوقات حية كالطير ؛ وان اسفا وثالثة كانا بشرين ثم مسخا • وان الضب كان انسانا ثم مسخ ، وان بوادي حضرموت قوم يقال لهم الصعر تنقلب فرقة منهم ذئابا ضارية أيام القحط هذا الى اعتقادهم بأن جبل قيس يزيل وجع الرأس وان للنخل حياة ومن مظاهر المذهب الثاني هو الاصنام التي هي جمادات يعتقد ان الآلهة تحل فيها (٢) •

مصادر دراسة الدين الجاهلي :

معلوماتنا عن الديانة العربية قبل الاسلام قليلة مشوهة ، لان الهدف الاول للاسلام كان محاربتها وازالتها ، كما ان المسلمين المتدينين لم يروا من الخير رواية أخبارها • هذا الى انه لم تجر في الجزيرة العربية ، عدا اليمن وبلاد الهلال الخصيب ، حفريات منظمة قد يظهر فيها بعض التماثيل أو الكتابات التي تلقى عليها ضوءا •

غير ان الاسلام الذي طمس أخبار الديانة الجاهلية لم يطمسها تماما • فقد بقي لها ذكر غير قليل • ففي القرآن اشارات الى بعض الاصنام والمعتقدات الجاهلية ذكرت في معرض الرد عليها وتفنيدها ، هذا الى ان الاسلام لم يمح كل آثارها ، اذ أقر بعضها بعد أن عدلها أو حور الغايات منها ، كالحج والحرم وما الى هذا ؛ يضاف الى ذلك ان الشعر العربي الجاهلي الباقي لنا يتردد فيه أحيانا ذكر للآلهة القديمة وما يتعلق بالديانة • هذا الى أنه بقيت في كتب الادب والتاريخ والاخبار

(٢) راجع ما كتب عنهما في الاساطير العربية ص ٤١-٥٥ •

أخبار متناثرة عن الديانة العربية القديمة والاصنام • ولعل أقدمها وأوسعها هو كتاب الاصنام لابن الكلبي ، وما رواه المفسرون فيما يتعلق بالآيات التي تذكر الاصنام أو ما روى في معرض سيرة النبي وخاصة في سيرة ابن هشام أو أخبار مكة للازرقي أو في بعض المعاجم اللغوية والجغرافية • وجدير بالملاحظة ان هذه الكتب تصف في الأغلب الاصنام والاوزان وهي من المظاهر الفيتشية ، وانها قلما توضح طقوسها وعقائد الناس فيها أو مدى عمق عبادتها أو مدى انتشارها ؛ ثم ان بعض المسلمين الذين لم يتشبعوا بروح الاسلام حافظوا لا اراديا على بعض المظاهر الوثنية حتى بعد اسلامهم ومن الممكن بعد دراستها وتحليلها ومقارنتها بما عند الساميين ، أن تكمل لنا الصورة التي عن الديانة العربية قبل الاسلام •

وربما كان من آثار الديانة القديمة انتشار اسماء اعلام مسبوقة بعبد وهي تدل في بعض الاحيان على اسماء آلهة قديمة ، كاسم عبد مناف ، وعبدالمبارق ، وعبد شمس ، وعبدالعزى ، وعبد مناة • غير ان المضاف اليه في هذه الاسماء امر كبة ليس من الضروري أن تدل على الآلهة ، فلا نزال في العراق نسمى عبدالزهرة وعبدالامير وعبدالحسين ، احتراماً لهم لا لعبادتهم ؛ كما ان هذه الاسماء قد تكون مرادفات ، كما تقول عبدالقادر وعبدالرزاق وعبدالمجيد ، وكلها مرادفات لاسم الله تعالى • ثم ان هذه الاسماء مختصرة جدا ، وغير كافية لالقاء نور واضح على الآلهة القديمة أو طبيعتها •

ان المعلومات الموجودة في المصادر الآتية الذكر تعطينا صورة تقريبية لديانة الجاهليين قبل الاسلام • ويبدو منها آثار لمعتقدات متنوعة كانت موجودة جميعاً ، كالمذهب الحيوي والطوطمي والقيشي • غير انه من الصعب جدا اظهار مدى أهمية و آثار كل من هذه المعتقدات والدور الذي لعبته ، إذ أن أغلب المعلومات السالفة الذكر تتعلق بديانات أهل الحجاز أو عن الوثنية عند ظهور الاسلام ، كما اننا لا نعلم شيئاً مفصلاً عن تطورها التاريخي ، إذ كل ما يذكر عن أصولها وتاريخها هو مجرد أساطير مختصرة غامضة يصعب فهم أصولها ومع ان الخبريات والمكتشفات الأثرية في اليمن وبلاد الهلال الخصيب قد كشفت عن وجود كثير من الآلهة ، وألقت ضوءاً على طقوسها ومراسمها وأفكارها ، الا أنه من الصعب جدا أن نوضح العلاقة بينها وبين آلهة الجاهليين ، أو التثبت مما اذا كانت الطقوس

والعبادات المتعلقة بهذه الآلهة هي واحدة • كما اننا لا نعرف بالدقة والتفصيل التوزيع الجغرافي للآلهة ، وأى القبائل كانت تعبد كل اله ، وأى الآلهة تشترك فيها القبائل وعدد القبائل التي تشترك في عبادة هذه الآلهة العامة ، وطقوسها ، والعلاقات القائمة بينها •

لذلك فإن دراستنا عن ديانة العرب قبيل الاسلام لا تزال ناقصة وكل محاربة في هذا الشأن ، ما هي الا محاولة أولية ناقصة ، رغم انها ضرورية لفهم الديانة الاسلامية التي كان هدفها الاول محاربة تلك الديانة •

الاديان الخارجية :

وجدير بالملاحظة ان الجزيرة العربية لم تكن منعزلة تماما بل تعرضت الى كثير من المؤثرات الخارجية • فقد جاءت البعثات التبشيرية المسيحية من العراق وسوريا والحبشة ، وانشأت لها في القطر مطرنة كما انشأت لها عدة كنائس في اليمن وكانت عند ظهور الاسلام منتشرة في البحرين واليمامة واليمن وعند الغساسنة والمناذرة وطى وبكر وتغلب وكانت فرقا متعددة ولكن أغلبها من الساطرة واليعاقبة • وقد تطرقنا الى انتشارهم في اليمن وعند المناذرة والغساسنة •

أما اليهودية فلا نعلم بوضوح زمن دخولها الجزيرة أو تطورها^(٣) ، ولكن يبدو انها جاءت بموجات متعاقبة ، واستوطن اليهود في الواحات الخصبة من الحجاز ، كفدك وتيماء ووادي القرى وخيبر والمدينة ، كما انتشروا في اليمن واليمامة والبحرين وربما عمان • ومع ان الديانة اليهودية قومية غير تبشيرية وصلبة شديدة الطقوس الا انها انتشرت ايضا بين عدد من العرب وخاصة في المدينة كما ستحدث في الجزء الثاني •

وهناك اشارات الى اديان فارسية دخلت الجزيرة ، ففي البحرين كان بنو دارم التميميون يدينون بالاسبذية ، واسمها مشتق من الاسب أي الفرس أو

(٣) راجع عن اليهودية في جزيرة العرب : مارجوليوت (العلاقات بين الاسرائيليين والعرب قبل الاسلام) (بالانكليزية) ، وولفنسون (تاريخ اليهود في بلاد العرب) •

الحصان^(٤) . ويدل اسمها على انها فارسية ، وان كنا لا نعلم تفاصيل هذا الدين .
أو من أين ورث ، اذ لم يعرف عن العرب انهم عبدوا الحصان .

وللمن ومكة أحوال دينية خاصة فأما اليمن فقد كشفت عنها
الجزريات ووضحت كثيرا من اخبارها ومعالمها واما مكة فان الكتب والقرآن
أوردت عنها معلومات واسعة كما ان لها علاقة وثقى بالاسلام لذا سنفرد لها بحثا
خاصا .

ديانة مكة :

ويلاحظ ان القرآن يقدم عن الدين الجاهلي صورة تختلف تماما عما تقدمه كتب
التاريخ والادب ؛ والمعلومات التي فيه قلما يقدم الشراح والمفسرون عنها معلومات
اضافية مكتملة ، كما ان القرآن لا يتردد فيه ، بل واحيانا لا يشير الى ما يتردد في
كتب التاريخ والادب . وجدير بالملاحظة ان المؤرخين القدماء والمحدثين لم
يحاولوا ، فيما اعلم ، دراسة دين الجاهلية كما وصفه القرآن ، اللهم الا ما قام به
حديثا محمد عزة دروزة في كتابه عصر الرسول .

وسنحاول هنا ايراد الصورة التي تجلج في القرآن عن عبادة الجاهليين من
اهل مكة ثم نذكر ما تورده المصادر التاريخيه والادبية .

الله :

وفي القرآن آيات كثيرة تذكر بصراحة ان المشركين كانوا يعبدون الله
(قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سيقولون الله قل أفلا تتفكرون . قل
من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون الله قل أفلا تتقون . قل
من يبدء ملكوت كل شيء . وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون . سيقولون الله
قل فأنى تسحرون) (المؤمنون ٨٤ - ٨٩) (ولئن سألتهم من خلق السماوات
والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون . . . ولئن سألتهم من

(٤) البلاذري : فتوح البلدان ص ٩٨ . ابن سلام : الاموال ص ٢٠-٢١
ويذكر السكري في المحير ص ١٣١ اسماء زنادقة قريش ، كما يقول صاعقه
ان الزندقة كانت في قريش (طبقات الامم ص ٤٤) .

نزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل
أكثرهم لا يعقلون (العنكبوت ٦١، ٦٣) (ولئن سألتهم من خلق السموات
والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) (لقمان ٢٥ والزمر ٣٨)
(ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون) (الزخرف ٨٧) •

(هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم
بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم
احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين)
(يونس ٢٢) (واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من
احدى الامم) (فاطر ٤٢) (وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه
تجارون • ثم اذا كتسفت الضر عنكم اذا فريق منكم يربهم يشركون)
(النحل ٥٣-٥٤) •

الشركاء :

غير انهم (وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى
انار) (ابراهيم ٣٠) •

(قل انتم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له اندادا
ذلك رب العالمين) (فصلت ٩) (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر
الليل والنهار اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا ••) (سبأ ٣٣) (ومن
الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله) (البقرة ١٦٥) •

(وجعلوا لله شركاء قل سموهم) (الرعد ٣٣) (وما يؤمن أكثرهم بالله
الا وهم مشركون) (فصلت ٤٧) (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه
الخلق عليهم) (الرعد ١٦) •

بنات الله :

وهؤلاء الشركاء هم ، أو معظمهم بنات الله (وجعلوا له من عباده جزءا ان
الانسان لكفور مبين • أم اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين • واذا بشر احدكم
بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم • أو من يشأ فى الحلية وهو
فى الخصام غير مبين • وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن أناما شهدوا خلقهم

ستكتب شهادتهم ويسألون) (الزخرف ١٥-١٨) • (فاستفتحهم الربك النبات
ولههم البنون • أم خلقنا الملائكة أنا وأنا وهم شاهدون • إلا أنهم من أهلكم ليقولون •
ولد الله وانهم لكاذبون • اصطفى النبات على البنين) (الصفات ١٤٩-١٥٢)
(ويجعلون لله النبات سبحانه ولههم ما يشتهون • وإذا بشر أحدهم بالإنثى ظل
وجهه مسودا وهو كظيم • يتواري من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون
أم يدسه في التراب الأساء ما يحكمون) (النحل ٥٧-٥٩) (ذلك فما أوحى
إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقي في جهنم ملوما مذمورا •
أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة أنا أنا انكم لتقولون قولا عظيما)
(الاسراء ٣٩-٤٠) (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير
علم سبحانه وتعالى عما يصفون) (انعام ١٠٠) (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقون بالقول وهم بأمره يعملون • يعلم ما بين
أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون • ومن
يقول منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين)
(الانبياء ٢٦-٢٩) •

(وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا أدا تكاد السماوات يتفطرن منه
وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن
يتخذ ولدا ان كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا)
(مريم ٨٨-٩٢) •

وهذه الآلهة التى عبدوها ليست فى سويته تعالى بل هى من دون الله أى
أقل منه مركزا ورتبة وهم شفعا لعابديهم عند الله (ويعبدون من دون الله ما لا
يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى
السماوات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) (يونس ١٨) (أم
اتخذوا من دون الله شفعا قل أولوا كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون)
(الزمر ٤٣) (ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم
إلا ليقربونا إلى الله زلفى ان الله يحكم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدى من
هو كاذب كفار) (الزمر ٣) •

الجبت والطاغوت :

وفي القرآن ايضا ذكر للجبت والطاغوت (لا اكراه في الدين قد تبين
الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى
لا انفصام لها والله سميع عليم • الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات
الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) (البقرة ٢٥٦-٧) (ألم تر الى الذين
أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) (النساء ٥١) (ألم تر الى
الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا
الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) (النساء ٦٠) (الذين آمنوا يقاتلون في
سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) (النساء ٧٦) (قل هل
انبؤكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضبه عليه وجعل منهم القردة
والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل سبيلا) (المائدة ٦٠) (ولقد
بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (النحل ٣٦) (والذين
اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشري) (الزمر ١٧) •

ويلاحظ ان الجبت ذكر مرة واحدة مع الطاغوت الذي ورد ذكره في ثمان
آيات سبع منها مدنية ، وقد ورد بصيغة المفرد المذكر مرة ، والمؤنث الجمع مرتين •
وهو ولي الذين كفروا ، يضلهم ، ويتجنبه من يعبد الله ، ويؤمن به الذين أوتوا
نصيبا من الكتاب ، ويريدون أن يتحاكموا اليه ، وهم يعبدوه ويقاتلون في سبيله •
وقد أورد المفسرون في معنى الطاغوت روايات متعددة ، منها انه البيوت
المقدسة ، أو كعب بن الاشرف ، أو صنم قريش أو صنمها الذي يحتكمون
اليه^(٥) • ولا ريب ان تفسيرهم الطاغوت بالبيوت المقدسة أو كعب الاشرف
لا ينطبق على منطوق الآية ، والراجح انه أحد آلهة قريش ولما كان هبل هو
الذي كانوا يستقسمون عنده ويحتكمون اليه ، فالراجح انه هو المقصود
بالطاغوت • أما الرد على ذلك بعدم ذكر اسم هبل صراحة في القرآن فهو غير
كاف لان القرآن لم يرد فيه ذكر لاي صنم أو اله كان في مكة أو ما يجاورها

(٥) انظر عن الجبت والطاغوت تفسير الطبري ج ٣ ص ١٣ ج ٥

مما ذكره المؤرخون كهبل وأساف ونائلة ونهيك ومطمع الطير .

الجن :

لقد ذكر القرآن الكريم ان العرب عبدوا الجن (وقالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم به مؤمنون) (سبأ ٤١) (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) (الانعام ١٠٠) (وجعلوا بينه وبين الجنة نسا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) (الصافات ١٥٨) .

وقد أشارت الكتب الى بعض القبائل التي كانت تعبد الجن ، فيقول ابن الكلبي ان بنو مليح الخزاعين كانوا يعبدون الجن^(٦) ، ويقول الطبري ان بنى مالك بن افيش كانوا من الجن^(٧) ، ويقول الازرقى ان بنى سهم سموها الغياطة لانهم قتلوا الجن^(٨) .

لقد تصور العرب الجن كائنات غيبية ومخلوقات غريبة تملأ الارض وتصوروها تشبه البهائم ، ذات شعور طويلة ، واحيانا تشبه بعض الحيوانات كالنعام أو الحية ، ولها قوة غريبة على الظهور والاختفاء بل وتغير اشكالها وظهورها أحيانا بانسكال انسانية . واذا اعتدى عليها احد فأنها تنتقم بمسه فيصبح به جنة أو مجنون ، وقد يصاب بالامراض .

والجن في الغالب لا تعيش في المجتمعات الانسانية ، بل تعيش في البراري والقفار ، ولها مناطق خاصة بها كوادى عبقر . ولكن هذه مناطق ليست حرما مقدسة ؛ وكان الناس يقدمون لها احيانا الهدايا ، ومن الجدير بالملاحظة ان كلمة الجن هم اسم جنس لا اسم علم^(٩)

لا تبحث كتب التاريخ والادب فيما بيناه ، بل تذكر وجود الاصنام في مكة ومن

(٦) ابن الكلبي : الاصنام ص ٣٤ (وسنرمز اليه دائما بالاصنام) .

(٧) الطبري : ج ٢ ص ٢٣٣ .

(٨) الازرقى : ج ٢ ص ١٢ .

(٩) أنظر عن الجن ما كتبه المسعودي في مروج الذهب ج ٢

ص ١٥٥-١٦٠ وما كتبه سمت ص ١١٩ فما بعد ، ٥٣٨ فما بعد .

الجدير بالذكر أن القرآن لم يرد فيه ذكر الاصنام التي في داخل مكة ، كما ان الكتب لم تذكر لنا عن فهمهم وتصورهم لله تعالى أو الملائكة ؛ أما الاصنام التي ذكرت في مكة فأهمها :-

هبيل :

وهو « أعظم أصنام قريش »^(١٠) ، وكان على بشر في جوف الكعبة تجتمع فيه الهدايا^(١١) . وقد كان شعار قريش يوم أحد (اعل هبل)^(١٢) .

لا نعلم بالضبط معنى كلمة هبل أو اشتقاقه^(١٣) وربما كان مشتقا من بعل وهو اله معروف في بلاد الهلال الخصيب ستحدث عنه فيما بعد .

ومما يجلب النظر ان هبل وضع في الكعبة ، مع ان الكعبة بيت الله .

يروى ابن الكلبي ان عمرو بن لحي الخزاعي جاء بهبل من هبت من العراق ونصبه على بشر الاخسف في بطن الكعبة ، وكان من عقيق أحمر على صورة انسان مكسور اليد ، فجعلت يده من ذهب^(١٤) . وكانت حجاج قريش تطوف حوله وتحلق رؤوسها وتلبى عنده (ليك اللهم ليك . انا لقاح حرمتنا على أسنة الرماح يحسدنا الناس على النجاح)^(١٥) . ويروى ابن سعد عن ابن الكلبي ان خزيمه بن مدركة هو الذي وضع لهبل موضعه فكان يقال له صنم خزيمه^(١٦) .

(١٠) ابن هشام : سيرة الرسول ج ١ ص ٨٦ (وسنرمز اليها بسيرة هشام) . الطبري : ج ٢ ص ١٢٧ ، ١٧٣ (عن ابن اسحق) .
(١١) الطبري : ج ٢ ص ٢١١ . الازرقى : ج ١ ص ٢٤ ، ٦٧ ج ٢ ص ٢٧ .
(١٢) أنظر عن هبل ما كتبه تولدكه ، وما جاء في الاساطير العربية ص ١١٤ - ١١٧ .

(١٣) الاصنام ص ٨ . الازرقى ج ١ ص ٢٧ ، ٥٤ ، ٦٩ ويقول المسعودي وابن اسحق انه جى به من البلقاء (مروج الذهب ج ٢ ص ٢٢٨) .

(١٤) سيرة ابن هشام : ج ١ ص ٨٢ .

(١٥) المحبر : ص ٣١٥ . وكلما سنورده من صيغ التلبية مستمد مما أورده هذا الكتاب في ص ٣١١-٣١٥ . وقد أورد اليعقوبي صيغة اخرى لتلبيات العرب (التاريخ ج ٢ ص ٢١٢) .

(١٦) ابن سعد : الطبقات ج ١ قسم ١ ص ٢٩ (وسنرمز اليه الطبقات) .

وكان عند هبل سبعة أقداح ، كل قدح منها فيه كتاب : قدح فيه العقل اذا
اختلفوا في العقل من يحمله منهم ضربوا بالقدح السبعة ، وقدح فيه نعم للامر
اذا أرادوه يضرب به ، فاذا خرج قدح نعم عملوا به . وقدح فيه لا ، فاذا أرادوا
أمرًا ضربوا به في القدح ، فاذا خرج قدح النعم عملوا به . وقدح فيه لا ،
فاذا أرادوا أمرًا ضربوا به في القدح ، فاذا خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك
الامر . وقدح فيه منكم ، وقدح فيه ملصق وقدح فيه من غيركم . وقدح فيه
الحياة ، اذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقدح وفيها ذلك القدح فحيثما
خرج عملوا به . وكانوا اذا أرادوا أن يختنوا غلاما أو ينكحوا منكحًا أو يدفنوا
ميتا أو شكوا في نسب احد منهم ذهبوا به الى هبل وبمائة درهم وجزور
فاعطوها صاحب القدح الذي يضربها ، ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به
ما يريدون ، ثم قالوا يا الهنا هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا فاخرج الحق
فيه ، ثم يقولون لصاحب القدح اضرب ، فيضرب ، فان خرج عليه منكم كان
وسيطا ، وان خرج عليه من غيركم ، كان حليفا ، وان خرج عليه ملصق كان على
منزلة منهم لا نسب له ولا حلف ، وان خرج من شيء سوى هذا مما يعملون به
فقد عملوا به ، وان خرج لا أخروه عامهم ذلك حتى يأتوا به مرة اخرى فينتهون
في أمورهم الى ذلك مما خرج فيه القدح^(١٧) . ويروي الأزرقى ان قربانه
مائة بعير^(١٨) يعطوها لغاضرة بن حبشية بن سلول الخزاعي^(١٩) .

ويقول السكري ان هبل كان لبني بكر ومالك وملكان وسائر بني كنانة
وكانت قريش تعبد صاحب بني كنانة وبنو كنانة يعبدون صاحب قريش^(٢٠) .

أساف ونائلة :

أما أساف ونائلة ففي الرواية العربية أنهما في الأصل رجل وامرأة فسقا

(١٧) الأزرقى : ج ١ ص ٢٧ ، ٦٧ . انظر ايضا سيرة ابن هشام : ج ١
ص ١٦٤-٥ . الطبري : ج ٢ ص ١٧٣ .
(١٨) الأزرقى : ج ١ ص ٦٩ .
(١٩) الأزرقى : ج ١ ص ١٢٥ .
(٢٠) المعبر : ص ٣١٨ .

فمسخا حجرتين فأخرجنا من الكعبة ، فنصب احدهما على الصفا والآخر على المروة ، وانما نصبها هناك ليعتبر بهما الناس ويزدجروا عن مثل ما ارتكبا لما يرون من الحال التي صاروا اليها ؛ فلم يزل الامر يدرس ويتقدم حتى صاروا يمسحان ، يتمسح بهما من وقف على الصفا والمروة ، ثم صاروا وثنيين يعبدان ، فلما كان عمرو بن لحي أمر الناس بعبادتهما والتمسح بهما ، وقال للناس ان من كان قبلكم كان يعبدهما ؛ فكانا كذلك حتى كان قصي بن كلاب فصارت اليه الحجابة وأمر مكة فحولهما من الصفا والمروة ، فجعل احدهما بلصق الكعبة وجعل الآخر في موضع زمزم ، ويقال جعلهما جميعا في موضع زمزم (٢١) .

وكان اهل الجاهلية يملكون بأساف ونائلة ، ويتمسحون بهما ، وكان الطائف اذا طاف بالبيت بدأ بأساف فيستلمه ، فاذا فرغ من طوافه ختم بنائلة فاستلمها ، فكانا كذلك حتى كان يوم الفتح ، فكسرها رسول الله (ص) مع ما كسر من الاصنام (٢٢) . وكان يطرح بينهما ما يهدي للكعبة وينحر عندهما ويحلقون رؤوسهم . ولم تكن تدنو منها امرأة طامت (٢٣) .

ويروى الشعبي والسكري ان أساف ونائلة كانا على الصفا والمروة (٢٤) . ونحن نرجح رواية الأزرقى لانه أوسع اطلاعا على أحوال مكة وشؤونها . وكانت أساف ونائلة ، على ما يروى السكري ، لقريش والاحابيش .

أما ابن الكلبي فيروى عن ابن عباس ان عبادها كانوا خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب (٢٥) . وكان نسكهم لاساف (ليك اللهم ليك ليك

(٢١) الاصنام : ص ٢٩ . الأزرقى : ج ٢ ص ٣٤ . سيرة ابن هشام : ج ١ ص ٨٦ .

(٢٢) الأزرقى : ج ١ ص ١١٢ . ويروى الأزرقى (ان في دار العباس هذه حجرتان يقال لهما اساف ونائلة صنمان كانا يعبدان في الجاهلية في ركن الدار) ج ٢ ص ١٨٨ .

(٢٣) الأزرقى : ج ١ ص ٦٩ ، ٤٤ ، ٧٠ ج ٢ ص ١٨ .

(٢٤) رواية الشعبي في تفسير الطبري : ج ٢ ص ٢٧ . ورواية السكري في المحبر : ص ٣١١ .

(٢٥) الاصنام : ص ٩ .

لا شريك لك ، الا شريك هو لك تملكه وما ملك) .

نهيك ومطعم الطير :

ويروى الازرقى عن ابن اسحاق ان عمرو بن لحي نصب على الصفا صنما يقال له نهيك مجاود الريح ، ونصب على المروة صنما يقال له مطعم الطير^(٢٦) .

اصنام منى :

ويروى الازرقى عن ابن اسحاق . ان عمرو بن لحي نصب بمنى سبعة أصنام : نصب صنما على القرين الذى بين مسجد منى والجمرة الاولى على بعض الطريق ، ونصب على الجمرة الاولى صنما ، وعلى المدعا صنما ، وعلى الجمرة الوسطى صنما ، ونصب على شفير الوادى صنما ، وفوق الجمرة الوسطى صنما ، وفوق الجمرة العظمى صنما ، وقسم عليهن حصص الجمار احدى وعشرين حصاة يرمى كل وثن منها بثلاث حصيات . ويقال للوثن الذى يرمى أنت أكبر من فلان الصنم الذى يرمى قبله^(٢٧) . غير اننا لا نعلم اسماء هذه الاصنام . كما ان القرآن لم يذكر اطلاقا كافة الاصنام فى مكة .

مناف :

ومعناه العلو ، وقد تسمى به عدد غير قليل من الناس ، منهم عبد مناف أحد أجداد النبي ، ويقول الطبرى انه كان أعظم أصنام مكة^(٢٨) ، كما يروى ابن حجر عن عمر بن شبة ان بنى سلمة كانت تعبد منافا^(٢٩) . غير اننا لا نعلم شيئا عن مكانه أو أمره شيئا .

قزح :

لم تذكر الكتب العربية ان قزحا كان الاها أو صنما ؛ بل تذكر انه موقع على المزدلفة ، وكانت الحلة والحسن تجتمع عنده فى الحج ، وفى الاسلام يقف

(٢٦) الازرقى : ج ١ ص ٧٣ .

(٢٧) الازرقى : ج ٢ ص ١٤٢ .

(٢٨) الطبرى : ج ٢ ص ١٨١ .

(٢٩) الاصابة : ج ١ ص ٢٤٥ .

عنده الامام ، وعنده توقد النيران في الحج (٣٠) .

ويسمى العرب قوس قزح بالنسبة له ، ويرى كوك انه هو الاله كوز
الادومي (٣١) ، فكان قزح كان اله المطر ، وأن الطيف الذي يظهر بعد الامطار
هو قوسه ، وان الناس في الحج كانت تتجمع عنده ، فاذا صح ذلك فمعناه اما أن
تكون عبادته قد نسبت عند ظهور الاسلام او ان المسلمين اطمسوا ذكره نظرا لان
موضعه أصبح من طقوس الحج الاسلامية .

لقد ورد في القرآن ذكر لعدد من الآلهة الجاهلية كان مقرها خارج مكة ،
وأوردت عنها كتب التاريخ والادب والجغرافية معلومات غير قليلة . وأهم هذه
الآلهة هي اللات والعزى ومناة والشعري ؛ وقد ذكرت في سورة النجم ؛ وبعل
وقد ورد في سورة الصافات ، وود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا . وقد وردت
في سورة نوح .

العزى :

وهي من الآلهة التي عبدها اهل مكة وتسموا بها ، وكان يعبدها اللخميون
ايضا وقد قدم المنذر بن ماء السماء اربعمائة من اسرى الغساسنة ضحايا لها ويقول
بروكوبيوس ان هذه الضحايا قدمت لأفروديتي ، مما يحمل على الاعتقاد بأن العزى
كانت تقابل أفروديتي أو نجمة الصباح . ويقول الطبري ان الزهرة عند العرب
هي بالفارسية اناهيدا (٣٢) ، وهذه النجمة هي التي تقابل عشتروت (٣٣) غير انه
من الصعب الجزم ان العزى هي عشتروت أو نجمة الصباح (الزهرة) لان
اسمها مشتق من العزة ، أي القوة والرفعة . ولم يرو في الكتب العربية أي دليل
يشير الى نوع اختصاص العزى وعملها والهة أي شيء . كانت .

-
- (٣٠) الازرقسي : ج ١ ص ٣٢ ، ١٢٣ ج ٢ ص ١٥٠-١٥١ ، ١٥٤ .
البكري : ص ٣٩٢-٣٠٣ . ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ١١٨ ، ج ٤ ص ٨٥ .
(٣١) انظر الاساطير العربية قبل الاسلام ص ١٢٢-١٢٣ .
(٣٢) تفسير الطبري : ج ١ ص ٣٦٤ .
(٣٣) انظر في ذلك ما كتبه نولدكه ، والاساطير العربية : ص ١١٩-١٢٥ .
وما كتبه بوعل عن (العزى) في دائرة المعارف الاسلامية .

لقد كانت العزى فى بطن نخلة « بواد من نخلة الشامية يقال له حراض
بازاء الغمير عن يمين المصعد الى العراق ، من مكة وذلك فوق ذات عرق الى
البستان بتسعة أميال » . ويروى ابن الكلبي ان الذى اتخذها ها ظالم بن اسعد ،
أما ابن اسحاق فيقول ، فيما يروى الازرقى ، ان عمرو بن لحي هو الذى جاء
بها ؛ وأما الازرقى فيروى ان اول من دعا لعبادتها هو عمرو بن ربيعة والحارث
بن كعب . ويروى محمد بن حبيب السكرى انه عبدتها غطفان وقريش وغنى
وباهلة ، بينما يروى الطبرى عن ابن زيدان ثقيفا عبدتها . وفى رواية للازرقى
ان نصرا وجشم وسعد بن بكر وهم اعجاز هوازن كانوا يعبدوها . ويروى
الازرقى عن ابن اسحاق ان العزى كانت لخزاعة وقريشا وكنانة كانت تعظم
العزى . ويروى ابن الكلبي انها احدث من اللات ومناة وانها كانت تسمى بها
وكانت أعظم الاصنام عند قريش وان قريشا حمت لها شعبا من حراض يقال له
سقام يضاھون به حرم الكعبة وان كانت قريش تخصصها بالأعظام ولم يكن قريش
بمكة ومن أقام بها من العرب يعظمون شيئا من الاصنام اعظامهم العزى ثم اللات
ثم مناة فأما العزى فكانت قريش تخصصها دون غيرها فى الزيارة والهدايا لقرب
مكانها منها . ويروى الازرقى عن ابن اسحاق انهم كانوا اذا فرغوا من حجهم
وطوافهم بالكعبة ، لم يحلوا حتى يأتوا العزى فيطوفون بها ويحلون عندها
ويعكفون عندها يوما ويقول ابن الكلبي ان قريشا كانوا يزورنها ويهدون لها
ويتقربون عندها بالذبيح وانه كان لها منحرج يذبحون فيه هداياها ، ويقال له
الغيب فكانوا يقسمون لحوم هداياهم فيمن حضرها ، وكان عندها^(٣٤) وكانت
تليتها (ليك اللهم ليك ليك وسعديك ما احبنا اليك) .

يروى الازرقى عن ابن اسحاق وابن الكلبي ان سدتها بنى شيان ابن مرة
السلميين وان آخر سدتها منهم دبية بن حرسى السلمى وكان قبله على ما يروى
الازرقى أفلح بن النضر السلمى ولكن يروى السكرى وابن الكلبي ايضا ان
سدتها بنى صرمة ابن مرة . وقد هدمها خالد بن الوليد وقتل سادتها .

(٣٤) الاصنام : ص ١٨-٢٧ . الازرقى : ج ١ ص ٧٤ ، ٧٨ ، ٢٣١

وسيرة ابن هشام : ج ١ ص ٨٧ ، ٨٩ .

اللات :

لقد كانت اللات من الآلهة البابلية ، وهي تمثل فصل الصيف ، كما كانت عند النبطيين بشكل صخرة بيضاء مربعة وهي تمثل ربة البيت كما كانت تعبد في تدمر وتسمى بها وهب اللات ابن أذينة .

وهي في العربية مؤنثة كلمة الله ويقول ابن الكلبي انها أحدث من مناة . وكانت صخرة مربعة في الطائف ، وكان لها على ما يروى السكرى بيت يستروه وواد يحرموه .

وكانت قريش وجميع العرب تعظمها الا أن ثقيف كانت تخص اللات كما كانت قريشا تخص العزى ، وكانت تلية من نسك للات (ليك اللهم ليك ليك كفى بيتا بنية ، ليس بمهجور ولا بلية ، لكنه من تربة زكية ، أربابه من صالحى البرية) وقد أرسل الرسول خالد بن الوليد لهدمها (٣٥) .

مناة :

لقد كانت مامناو من الآلهة البابلية وكانت مناتو عند النبطيين آلهة القدر والموت .

أما في العربية فقد يكون اشتقاقها من القوة أو القطع أو من المنية أى الموت ، وقد اقسمت بها العرب . ويروى الأزرقى عن ابن اسحاق « ان عمرو بن لحي نصب مناة على ساحل البحر مما يلي قديدا وهي التي كانت للأزد وغسان ؛ يحجونها ويعظمونها ، فإذا طافوا بالبيت وافاضوا من عرفات وفرغوا من منى لم يحلقوا الا عند مناة . وكانوا يهلون لها ، ومن اهل لها لم يطف بين الصفا والمروة لمكان الصنمين اللذين عليهما نهيك مجاود الريح ومطعم الطير ، فكان هذا الحى من الانصار يهلون بمناة وكانوا اذا أهلوا بحج أو عمرة لم يظل احد منهم سقف بيت حتى يفرغ من حجته أو عمرته » .

(٣٥) انظر عن اللات : الاصنام ص ١٦-١٧ . الأزرقى : ج ١ ص ٧٥ . سيرة ابن هشام : ج ١ ص ٤٨ ، ٩١ . وكذلك مقالة بوهل عن اللات في دائرة المعارف الإسلامية ، ونولدكه ، والاساطير العربية ص ١١٧-١١٩ .

ويؤيد ابن الكلبي ما أورده الأزرقى اذ يقول ان مناة كانت منصوبة على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد بين مكة والمدينة ، وان القبائل الساكنة بين مكة والمدينة ، يعظمونها ويذبحون لها ، ولكن الأوس والخزرج كانت أشد إعظاما لها ، فكانوا اذا حجوا الى مكة يسمون طقوس الحجج كلها ، الا حلق الشعر ، حيث يحلقون عنده ، ولا يرون لحجبتهم تماما الا بذلك . وكانت تلية من نسك لها (ليك اللهم ليك ليك ، لو لا ان بكرا دونك يترك الناس ويهجرونك ما زال حج تمج يأتونك ، انا على عدوانهم من دونك) .

يروى ابن الكلبي ان مناة كانت أقدم الآلهة وقد تسمى بها عدد من مختلف القبائل ، وكانت إحدى قبائل تميم تسمى به (سعد مناة وزيد مناة) ولكن الغريب ان الأوس والخزرج لم ينتشر فيهم ولا في قريش ولقد كان لمناة بيت وكان سدنته الغطاريف من الأزد وقد بعث الرسول لهدمه سعيد بن عبيد الأشهلي ، وفي رواية اخرى على بن أبي طالب (٣٦) .

لقد ذكرت هذه الآلهة الثلاثة في القرآن « أفرايم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى . الكم الذكر وله الانثى . تلك اذا قسمة ضيزى » (النجم ١٩-٢٣) ان هذه الآيات لا تنص بوضوح على انهن كن بنات الله ؛ ولكن سياق الاسلوب القرآني المكى يحملنا على القول بأن الآية الثانية ذات صلة بالآيات الاولى ، وان اهل مكة كانوا يعتبرونها بنات الله . ولقد بينا انهم كانوا يعتقدون ان الملائكة بنات الله وشفعاؤهم عنده . ولكن لا تشير الاخبار المتوفرة لدينا الى اعتقاد العرب بأن هذه الآلهة الثلاثة كن ملائكة ، كما لا يوجد في القرآن ولا في كتب التاريخ والادب واللغة ما يشير الى اختصاص هذه الآلهة أو الآلهة الاخرى أو العلاقات بينها ومن الصعب قبول ادعاء ان المسلمين تعمدوا طمس اخبارها لانها تناقض الاسلام ، فقد وردتنا بعض الاخبار عنها وألف ابن الكلبي فيها كتابا ، كما أورد

(٣٦) بالاضافة الى نولده ، ومقالة بوهل عنها في «دائرة المعارف الاسلامية والاساطير العربية» ص ١٢٥-١٢٩ ، انظر ايضا الاصنام : ص ١٣-١٦ .
سيرة ابن هشام : ج ١ ص ٩٠-٩١ . الأزرقى : ج ١ ص ٧٨ . تفسير الطبري : ج ٢ ص ٢٩-٣١ ، ج ٢٧ ص ٣٥ . المعبر : ص ٣١٦ .

ابن اسحق اخبارا عنها ، وقد روى من الشعر الجاهلي ما لا يطابق روح الاسلام ، فلماذا لا يذكر عن هذه الآلهة شيئا ولو بمعرض السخرية والرد ؟ وجدير بنا أن نؤكد ان هذه الآلهة لم تذكر في القرآن الا مرة واحدة عرضية كما ذكرت أصنام اخرى بصورة عرضية ، وانها لم تكن الآلهة الوحيدة في مكة أو في الجزيرة بل ذكرت ايضا آلهة اخرى فيها .

الشعري :

فاما الشعري فهي التي تسمى العبور^(٣٧) ، ويذكر مصعب الزبيري ان وجز بن غالب وهو من خزاعة ، وهو اول من عبد الشعري ، وكان وجز يقول ان الشعري تقطع السماء عرضا فلا أرى في السماء شيئا ، شمسا ولا قمرا ولا نجما ، يقطع السماء عرضا . ووجز هو ابو كبشة الذي كانت قريش تنسب رسول الله (ص) اليه ، والعرب تظن ان احدا لا يعمل شيئا الا بعرق ينزعه شبهه ، فلما خالف رسول الله (ص) دين قريش قالت قريش نزع ابو كبشة ، لان ابا كبشة خالف الناس في عبادة الشعري . وكانوا ينسبون رسول الله (ص) اليه وكان ابو كبشة سيدا في خزاعة^(٣٨) . ويذكر محمد بن حبيب السكري ان الحارث بن غبشان كان عبد الشعري ، كما يذكر صاعد الاندلس ان عبد قيس كانت تعبد الشعري^(٣٩) .

الشمس :

فاما الشمس فقد ذكر القرآن ان اهل سبأ كانوا يعبدونها « ووجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله » (النحل ٢٤) . والواقع ان عبادة الشمس قديمة ، انتشرت عند معظم الامم القديمة ، وكان الاله شماش وشمس من أكبر الآلهة البابلية واليمانية ، كما يذكر سترابو ان اهل بطرا كانوا يعبدون الشمس . وقد انتشرت تسمية عبد شمس عند العرب ، وكانت عبادته في بني تميم ، وكان له بيت ، وكانت تعبده بنو آد كلها : ضبة وتميم وعدي وعكل وثور ، وكان

(٣٧) تفسير الطبري : ج ٢٧ ص ٤٥ .

(٣٨) نسب قريش : ص ٢٦١ .

(٣٩) المحبر : ص ١٢٩ . طبقات الامم ص ٤٣ .

سدته من بني أوس بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم ؛ وكانت تلييه من نسك له « لبيك اللهم لبيك لبيك ، ما نهارنا نجره ، ادلاجه وحره وقره ، لا نتقى شيئا ولا نضره ، حجا لرب مستقيم بره » وقد هدمه هند بن ابي هالة وصفوان بن أسيد بن الحاحل بن أوس بن مخاشن (٤٠) .

ولعل مما يتصل بالشمس الشارق (٤١) ، الذي تسمى به العرب وعبيده بعضهم وان لم تكن لدينا معلومات عن عبادته .

بعل :

أما بعل الذي ذكره القرآن باعتبار الإله كان يعبده قوم اليبس « أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين » (الصفات ١٢٥) (٤٢) فهو من أشهر الآلهة القديمة ، فقد كان إله الأرض عند البابليين ، ثم أصبح إله الخصب عند الإسرائيليين ، وإله المياه الباطنية عند اليمانيين ، وتستعمل كتب الفقه الإسلامية عند تصنيف الأراضي الزراعية « ما سقى بالبعل » أي الأرض التي تسقى بالآبار (٤٣) ، فكان هذا التعبير من آثار ما قبل الإسلام ، أي ما سقاه الإله بعل .

لقد ذكرت ان القرآن ذكر « ودا وسواعا ، ويعوق ويعوق ونسرا باعتبارها من آلهة قوم نوح » .

ود :

أما ود فكان من أكبر الآلهة المعنوية ، وقد ورد ذكره في النقوش التمودية ، فاما عند ظهور الإسلام فكان موضعه بدومة الجندل ، وكان تمثال رجل كأعظم

(٤٠) المحبر : ص ٣١٦ .

(٤١) الزبيدي : تاج العروس مادة شرق .

(٤٢) وقد وردت كلمة بعل بمعنى زوج في موضعين بالقرآن

(النساء ١٢٨ . هود ٧٢) .

(٤٣) ابن سلام : الاموال ص ٤٧٦ ، ٤٧٨ . وانظر عن بعل ما كتبه

نولدكه ، وما كتبه الاستاذ طه باقر في كتابه مقدمة في حضارة وادي الرافدين

ص ٢٤٨ .

ما يكون من الرجال ، قد ذبر عليه حلتان ، متزر بحلة ، مرتد باخرى ، عليه سيف قد تقلده وقد تنكب قوسا ، وبين يديه حربة فيها لواء ووفضة (أى جمعة) فيها نبل^(٤٤) ؛ وهذا الوصف يوحي بأنه كان اله الحرب ، ولكن لا تشير النكبة العربية الى اختصاصه ، كما ان تليته لا توحي بشئ . فقد كانت تليية من نسك اليه « ليك اللهم ليك ليك معذرة اليك » • وكان يقدم اليه اللبن •

كانت سدنة الاله ود من بنى عامر الاجدار ، وقد بعث اليه الرسول خالد بن الوليد لهدمه ، ولكن بنو عبد ود وعامر الاجدار قاوموه فاشتبك معهم وانصر عليهم ثم هدمه •

سواع :

فأما سواع ، فتسميته غامضة ، وكان يرهاط من ارض ينبع ، وكانت تعبده بنو كنانة وهذيل ومزينة وعمرو بن قيس بن عيلان ؛ ولكن هذيل اختصت به أكثر ، فكانوا يقدمون اليه الذبائح ، وقد ذكر ابن سعد خيرا ذكر فيه ان بقرة قدمت لسواع ، وكانت تليية من نسك اليه « ليك اللهم ليك ليك ، ابنا اليك ، ان سواع طلبن اليك » •

لقد كانت سدنة سواع من بنى لحيان ، وكان سادته عند ظهور الاسلام غاوى بن ظالم • وقد هدمه عمرو بن العاص^(٤٥) •

يفوث :

أما يفوث فان اسمه مشتق من الفوث أو النجدة ، واسمه يشبه اسم الاله العبرى ييوش ، مما حمل روبرتسن سمث على اعتبارهما الأها واحدا • وكان عند ظهور الاسلام فى اليمن تعبده مذبحج واهل جرش ، ويذكر

(٤٤) الاصنام : ص ١٠ • سيرة ابن هشام : ج ١ ص ٨٣ • المحبر : ص ٣١٢ ، ٣١٦ وكذلك تولدكه ، وكتاب الاساطير العربية ص ١٢٩-١٣٢ •

(٤٥) الاصنام : ص ٩-١٠ • سيرة ابن هشام : ج ١ ص ٨٣ • الازرقى : ج ١ ص ٧٨ ، وانظر عن سدنته : المحبر : ص ٣١٦ • ابن حجر : الاصابة فى تمييز الصحابة ج ١ ص ٤٨٢ •

محمد بن حبيب السكري انه كان في انعم وكان لمذبح كلها ، فقالتهم عليه
غظيف من مراد ، حتى هربوا به نجران ، فاقروه عند بنى النصار من الضباب من
بنى الحارث بن كعب واجتمعوا عليه جميعا ، وكان سادته عند ظهور الاسلام
العوائل بن جهيل الهمداني المسلمي . وكانت التلية اليه « ليك اللهم ليك ليك
اجننا بما لديك ، فنحن عبادك ، قد صرنا اليك » (٤٦) .

يعوق :

أما يعوق فاسمه يدل على الاعاقة والمنع ، ولعل المقصود منع الشر ، فهو
الحارس من الشرور ، وكان في قرية خيوان التي تبعد ليلتين شمال صنعاء ، ولم
يسم به احد ، والتلية اليه « ليك اللهم ليك ليك بغض الينا الشر ، وحب الينا
الخير ، ولا تبطرنا فناشر ، ولا تفدحنا بعثار » (٤٧) .

نسر :

ونسر اله قديم ، فقد وجدت في نقوش ممفيس ما يفهم منه ان نسرا اله
عربي ، وقد عبده الكلدانيون وتسمى به أشهر ملوكهم نبوخذ نصر ، كما عبده
الآراميون في سوريا ، وكان اله الحضر الاكبر .

أما عند الاسلام فكان في غمدان ، تعبده حمير وتعظمه وتدين له وتبلى له ،
ولكن لم يسم احد به ولم يذكر في الشعر (٤٨) .

يتبين مما تقدم ان الآلهة التي ذكرت في القرآن باعتبارها آلهة قوم نوح ،
كانت عند ظهور الاسلام يعبد أكثرها في اليمن ، والواقع ان المصادر الأدبية لم
تقدم عنها معلومات وافية ؛ كما ان القرآن لم يشير الى عبادات أو معبودات اهل
اليمن ، ولم يذكر كثيرا من الاصنام التي يرد ذكرها في الكتب وهي غير قليلة .

(٤٦) الاصنام : ص ١٠ ، ٥٧ . سيرة ابن هشام : ج ١ ص ٨٣ .
المحبر : ص ٣١٦ وعن سديته ابن حجر ج ٣ ص ٤١ .
(٤٧) الاصنام : ص ١٠ ، ٥٧ . سيرة ابن هشام : ج ١ ص ٨٣ .
المحبر : ص ٣١٦ .
(٤٨) انظر في ذلك تولدكه .

بعضها اجرام سماوية ، فيذكر صاعد الاندلسي ان تميما عبت الدبران ، وعبت
لخم وجذام المشتري ، وعبت طي سهيل ، وعبت أسد عطارد .
وهناك معبودات باسماء الاماكن كذو شرى وذو خلصة .

XXX

ذو شرى :

فأما ذو شرى فيبدو أن اسمه مشتق من جبل السراة ، وقد عبده الأباط
وسموا كثيرا من أولادهم به كعبد ذو شرى ، وكان عندهم صخرة مربعة ارتفاعها
أربعة أقدام وطولها قدمان ، ويسفح عليها أو امامها دم الضحايا ، ويقول ايفانوس
انه كان يقام لها عيد في ٢٥ كانون الاول أى يوم الانقلاب الشتوى ، فإذا صح
هذا فمعناه ، انه كان لها علاقة بالشمس وكان عند ظهور الاسلام يعبده بنو
الحارث بن يشكر الأزديين على ما يقول ابن الكلبي (٤٩) .

الخلصة :

أما ذو الخلصة فكان صخرة بيضاء عليها كهيئة التاج وله بيت ، وكان بتالة
بين مكة واليمن ، وكانت خنعم وبجيلة وأزد السراة ومن قاربهم من بطون العرب
من هوازن يعظمونها ويهدون اليها ويلبسونها القلائد ويهدون اليها الشعير والحنطة
ويصبون عليها اللبن ويذبحون لها كما كانوا يستقسمون عنده بالازلام ، وقد
استقسم عنده امرئ القيس . وكانت سدنته بنو امامة من باهلة بن اعصر ، وقد
هدمه جرير الجلي بعد أن اشتبك مع سدنته وعباده بمعركة عنيفة ، وانشأ مكانه
مسجد تبالة (٥٠) .

الفلس :

وهناك آلهة باسماء أعضاء الجسم أو بشكل انسان مثل ذى الفلس الذى
كان تنوعا بارزا فى جبل اجا يشبه تمثال انسان ، وكانت طي تعبده وتهدى اليه
وتعمر عنده العتائر ، ولا يأتيه خائف الا أمن عنده ، ولا يطرد احد طريفة فيلجأ

(٤٩) الاصنام : ص ٢٨ وانظر ايضا تولدكه .

(٥٠) الاصنام : ص ٣٥ . سيرة ابن هشام : ج ١ ص ٩١ . الازرقى :

ج ١ ص ٧٣ وقد الحق ناشر الكتاب ملحقا طويلا عنها فى نهاية الجزء الاول .

وانظر ايضا الاساطير العربية ص ١٠٤ .

بها اليه الا تركت له ولم تخفر حوته • وكان سدنته بنو بولان • وقد هدمه
علي بن أبي طالب بعد أن وجد عنده سيفين اهداهما اليه الحارث بن ابي
شمر الغساني •

آلهة اخرى :

وقد ذكر ابن الكلبي عدة آلهة اخرى منها ذو الكفين وكان لبني منهب بن
دوس ، ورضا وكان بيتا لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة وسعد وكان
صخرة طويلة بساحل جدة توقف عليه الابل ويهراق عليه الدماء وكان لملك
وملكان ابني كنانة • والأقصر وهو لقضاعة ولخم وجذام وعاملة وغطفان وكانوا
يحجون له ويحلقون رؤوسهم عنده ، ويخلطون شعرهم بالدقيق • ونهم وكان
لمزينة وبه كانت تسمى هذه القبيلة عبد نهم وكانت تذبح عنده العنائر ، وله سادن
من بني عداء المزنيين اسمه خزاعي •

وعائم وهو لأزد السراة وقد ذكره زيد الخيل •

وسعير لعنزة •

وعميانس وكان لخولان ، وفيه نزلت وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث
والانعام نصيبا ، فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركاننا ، فما كان لشركانهم فلا
يصل الى الله ، وما كان لله فهو يصل الى شركانهم ساء ما يحكمون (الانعام ١٣٦) •

وقد ذكر محمد بن حبيب السكري^(٥١) آلهة اخرى منها جهار وكان
لهوازن ومحارب بمكاظ في سفح جبل اطحل وكان سدنتها آل عوف النصرينيون •
والسعيدة وكانت بأحد تبعدها الأزد وسعد هذيم وقضاعة الا بنى وبرة
وسدنتها بنى العجلان •

وذو اللبا بالمشقر ، في البحرين ، وتعبده عبد القيس وسدنته بنو عامر •
والمحرق بسلمان ليكر بن وائل ، وله أولاد موزعون على قبائلها ففى عنزة •

(٥١) المعبر : ص ٣١١-٣١٩ •

بلج بن المحرق ، وفي عميرة وغفيلة عمرو بن المحرق ، وسدنته آل الاسود العجليون •

وذريح بالنجير ، في جنوب اليمن ، لكندة •

ومرحب بحضرموت •

والمنطبق ، وكان صنما من نحاس ، وهو للسلف وعك والأشعريون •

ويذكر البكري عن ابن اسحق صنما اسمه ضمار كان لبني سليم يعبدونه

وقد ورد في شعر عباس بن مرداس^(٥٢) •

وأغلب ما يستعمل من الكتب العربية لوصف ما ذكرنا صبغة الضمير ، فيقولون (اتخذوا) أو (وكان لهم) دون أن يذكروا ماهيتها ، غير ان بعض مؤلفات المتدينين نصفها بأنها أصنام أو أوثان ، أما القرآن فيصفها بأنها آلهتهم أو أربابهم (المزينة طبعا) ولا ريب ان عدم استعمال الكتب العربية لكلمة آلهة هو خشية مؤلفيها من أن يلتبس هذا التعبير بالاله الحقيقي وهو الله تعالى •

الاصنام :

يعرف ابن الكلبي الصنم بأنه (اذا كان معمولا من الخشب أو الذهب أو فضة صورة انسان فهو صنم ، واذا كان من حجارة فهو وثن^(٥٣)) • ويقول ابن الأثير ان الفرق بين الصنم والوثن هو ان الوثن كلما له جثة معمولة من جواهر الارض أو من الخشب والحجارة كصورة الأدمى تعمل وتنصب فتعبد والصنم الصورة بلا جثة ، ومنهم من لم يفرق بينهما وأطلقها على المعنيين قال وقد يطلق الوثن على غير الصورة ، ويقول شمران ان الاوثان عند العرب كل تمثال من خشب أو حجارة أو فضة أو نحاس أو نحوها وكانت العرب تنصبها وتعبد^(٥٤)ها ، وقد لاحظنا ان هذه الآلهة بعضها بشكل انسان كهبل ، وان بعضها كان مجرد صخرة مربعة أو مستطيلة وان بعضها من الحجارة وبعضها من العقيق •

(٥٢) البكري : معجم ما استعجم ص ٨٨١ •

(٥٣) الاصنام : ص ٥٣ •

(٥٤) ابن منظور : لسان العرب ج ١٤ ص ٤٣٣ ج ١٥ ص ٢٤١ •

والراجع ان هذه الاصنام لم تكن هي الآلهة بل كانت سكنا لهم ولارواحهم فهي تمثل استقرار القوى الروحية في الاشياء المادية ، وهي ليست من الضروري أن تكون بصورة الآلهة ، ولكنها عندما تسف العقليات ، تحاط ذاتها بالتعظيم كأنها الآلهة .

وقد ورد ذكر الاصنام في القرآن (فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم) (الاعراف الآية ١٣٨) (ربي اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الاصنام) (سورة ابراهيم ٣٥) .

(واذا قال ابراهيم لايه أزر أتخذوا أصناما آلهة) (انعام ٢٧٤) (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) (الشعراء ٢٧١) (وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) (الانبياء ٢٥٧) وكل هذه الآيات تتعلق بالاقوام القديمة اذ لم ترد في القرآن آية تصف العرب عند ظهور الاسلام بأنهم يعبدون الاصنام أو بأن لهم أصناما .

الأوثان :

أما الأوثان فقد ذكرت في ثلاث آيات ، « وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . انما تعبدون من دون الله آوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له واليه ترجعون » (العنكبوت ١٦ ، ١٧) . وقال ابراهيم « انما اتخذتم من دون الله آوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين » (العنكبوت ٢٢٤) « ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور » (الحج ٣٠) . ولا ريب ان الآيتين الاوليتين تتعلقان بقوم ابراهيم أما آية الحج فتتعلق على عرب الجاهلية وحجهم وتطلب ثقته وهو كما سترى ، يتم في منطقة فيها عدد كبير من الآلهة والاصنام والانصاب وغيرها .

وليس في هذه الآية ما يشير الى أي نوع منها ، أما الآيتان الاوليتان فيجدر أن نلاحظ ان قوم ابراهيم وصفوا في القرآن بأنهم عباد الاصنام ، فكأن الأوثان والاصنام في القرآن مترادفة .

ويروي الأزرقى انه « اول ما كانت عبادة الحجارة فى بنى اسماعيل انه كان لا يظعن من مكة طاعن منهم الا احتل معه من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصابة بمكة وبالكعبة ، حيث ما حلوا وضوه فطافوا به كالطواف بالكعبة حتى سلب ذلك بهم الى أن كانوا يعبدون ما استحسنا من الحجارة وأعجبهم من حجارة الحرم خاصة ، حتى خلفت الخلوف بعد الخلوف ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره فعبدوا الاوثان وصاروا الى ما كانت عليه الامم من الظلالات ، وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة وهدى البدن والاعلال بالحج والعمرة مع ادخالهم فيهم ما ليس منه (٥٥) . »

الانصاب :

أما الانصاب فقد ذكرت فى القرآن فى ثلاث مواضع (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به ، والمنخنقة والموقودة والمتردية وما آكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب) (المائدة ٣) (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان) (المائدة ٩٠) (يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون) (الماعز ٤٣) وتعلق كافة هذه الآيات بالعرب عند ظهور الاسلام .

يقول ابن الكلبي انه كانت للعرب حجارة غير منصوبة ، يطوفون بها ويعترونها عندها ، يسمونها الانصاب ، ويسمون الطواف بها الدور (٥٦) ، ويروي الطبرى عن ابن جريج ان النصب ليست بأصنام الصنم يصور وينقش ، وهذه حجارة تنصب . ثلاثمائة وستون حجر ، منهم من يقول ثلاثمائة منها بخراعة ، فكانوا اذا ذبحوا نضحوا الدم على ما اقبل من البيت وشرحوا اللحم وجعلوه على الحجارة ، فقال المسلمون يا رسول الله كان اهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم ، نحن أحق أن نعظمه فكان النبي (ص) لم يكره ذلك فأنزل الله لن ينال الله

(٥٥) الأزرقى : ج ٢ ص ٦٢ ، انظر ايضا الاصنام : ص ٦ - سيرة ابن

هشام : ج ١ ص ٨٢ .

(٥٦) الاصنام : ص ٤٢ .

نحومها ولا دماؤها (الحج ٤٣) • ويروى عن قتادة ان النصب حجارة كان أهل الجاهلية يعبدونها ويذبحون لها فهي الله عن ذلك ، ويروى عن مجاهد انهم كانوا يذبحون عليها ، وعن ابن عباس والضحاك بن مزاحم انها حجارة كانوا يهلون لها ويذبحون عليها^(٥٧) .

وقد ورد ذكر النصب في الشعر الجاهلي فقال عمرو بن جابر الحارثي :

حلفت غطيف لا تنهه سربها وحلفت بالانصاب أن يرعدوا

وقال المثقب العبدى :

يطيف بنصبهن حجن صغار فقد كادت حواجبهم تشيب

وقال الفزاري :

اسوق بدلى محقبا انصابى هل لى من قومى من أرباب

وقال المتلمس :

اطردتنى حذر الهجاء ولا واللات والانصاب لا تمل

وقال عامر بن وائلة :

فانك لا تدرين ان رب غارة كورد القطا ريعانها متابع

نصبت لها وجهى ووردا كأنه لها نصب قد خرجته القناع

وقال زهير :

حلفت بأنصاب الأقيصر جاهدا وما سحفت فيه المقادير والقمل

وقال رشيد بن رميض :

حلفت بمائرات حول عوض وانصاب تركن لدى السعير

وقال طرفة :

فأقسمت عند النصب انى لهالك بمتلفة ليست بغبط ولا خفض

وقال ايضا :

انى وجدك ما هجوتك وال انصاب يسفح بينهن دم^(٥٨)

(٥٧) تفسير الطبري : ج ٦ ص ٤٨-٤٩ ، وانظر ايضا لسان العرب :

ج ٢ ص ٢٥٦ .

(٥٨) الاصنام : ص ٤٢-٤٤ ، وانظر ايضا الحوفي : الحياة العربية

من الشعر الجاهلي ص ٣١٣ فما بعد . أما عن الانصاب المكتشفة فى الجزيرة

فانظر جمعة : ص ١٥٧ فما بعد .

يتضح مما ذكر اعلاه ان الانصاب هي احجار ، وليس من الضروري أن تكون مصقولة أو بشكل تماثيل تشبه الآلهة ، ولكنها ذات علاقة وثيقة بالآلهة ومنها يتقبل الاله الهدايا المقدمة له^(٥٩) ، كما قد تقام حول الحرم ، والواقع ان الانصاب التي كانت حول حرم مكة ظلت في زمن الاسلام ، فأمر الرسول ثم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان بتجديدها^(٦٠) .

ولكن الغالب أن تقام النصب حول الاصنام ، وقد يطوف الناس حولها ، وكثيرا ما تقدم عليها الهدايا ، أو تذبح عليها الضحايا للآلهة ، ويسيل دم الضحايا عادة في كهف أو حفرة خاصة تدعى الغيب^(٦١) ولعل الناس كانت تعتقد ان الغيب مكان مقدس له علاقة بالآلهة ، وان الدم الذي يسيل فيه أو يسفك على النصب يسه الاله ، وان اللحم الذي يضحي على النصب يكون للاله منه نصيب ، وبذلك تصبح بين مقدم الضحية علاقة دموية تستلزم من الاله أن يحمي المهدي وقد نفي القرآن الكريم ذلك عن الله تعالى في ضحايا المسلمين فقال : لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرناها لكم ل تكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين . (الحج ٣٧) وكثيرا ما كان العرب يقسمون عندها .

والانصاب كثيرة في الجزيرة وهي لا تبقى ثابتة بل تتغير وتبدل ويروى انه كان في الكعبة يوم الفتح ٣٦٠ صنما ولا ريب ان الكعبة لا تسع لمثل هذا العدد من الاصنام ، كما لم يذكر العرب اسم أي صنم بالكعبة أو قربها غير هبل وأساف ونائلة والراجح ان المقصود بذلك الانصاب وانها لم تكن في داخل الكعبة بل حولها وفي مكة نفسها .

ليس في المصادر العربية ما يوضح العلاقة بين الاصنام والانصاب والاله ذاته .

الإشجار المقدسة : Ahmad Muhammad

لقد كانت بعض الأشجار مقدسة ومنها ذات انواع ، وكانت لكفار قريش

(٥٩) سمث : ص ٢٠٧ .

(٦٠) الازرقى : ج ٢ ص ١٠٣-١٠٤ .

(٦١) الاصنام : ص ٢٠ . انظر ايضا لسان العرب : ج ٢ ص ١٢٨ .

ومن سواهم من العرب وهي شجرة عظيمة خضراء يأتونها كل سنة فيعلقون عليها أسلحتهم ويذبحون عندها ويعكفون عندها يوما وكان من حجاج منهم وضع زاده عندها ويدخل بغير زاد تعظيما لها (٦٢) .

وكان في بيت العزى ثلاث شجرات كانت تعلق عليها الهدايا ، كما كان اهل نجران قبل دخول المسيحية بلادهم يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم لها عيد في كل سنة وإذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه وحلى النساء ثم خرجوا اليها فعلقوا عندها يوما (٦٣) .

و يلاحظ ان الشجرات المقدسة لم تعبد الا في الاماكن المنعزلة أما في الحرم أو الارض الخصبة فقد منع قطع شجرها . ولم يرو أنها عبت والواقع ان الرسول خرق هذا التقليد فقطع نخل بنى النضير فأنار كلام الناس حتى نزلت الآية التي تحل لهم ذلك (صافطعتم من لينة أو تركموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين) (الحشر ٥) .

وقد قطع عمر بن الخطاب الشجرة التي عاهد تحتها المسلمون النبي على القتال في الحديبية والتي أشار اليها القرآن بقوله (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) (الفتح ١٨) وكان سبب قيامه بهذا العمل هو خشية من تقديس الناس لها .

ويلاحظ ان الاشجار تثبت عند الينابيع والاماكن الخصبة حيث توجد الالهة وهي تعتمد في حياتها على نفس سر الحياة الذي ينبعث من الينابيع فالشجرة ليست مقدسة لذاتها ، ولكن بسبب انها المتوج الطبيعي في الاماكن التي تعبد الاله ويرسل مجاريه التي تحي الارض بعد موتها وليس هناك نوع خاص بقديس .

الحرم :

لما كان الاله مقدسا فقدسيتة تسرى عادة على الامكنة والاشياء التي حوله ،

(٦٢) الازرقى : ج ١ ص ٧٧-٧٨ .

(٦٣) سيرة ابن هشام : ج ١ ص ٣٢ ، وانظر ايضا الاساطير العربية

وتعتبر تلك الاماكن حرما والغالب أن يكون الحرم عاما لكل القبائل وأحيانا يكون مقصورا على القبيلة أو الاسرة التي ترعى الحرم .

وللحرم عادة حدود طبيعية واضحة تحددتها ، كالوديان والتلويح أو الجبال وهي في الغالب تشمل البلاد التي يسكنها عابدوا الآلهة أو ما يسرى عليه تأثير الآله كمدى امتداد المناطق الزراعية^(٦٤) .

وللحرم مصالح عامة ، ففيها مجلس عام وخزينة عامة ومحل اجتماع عام والواقع ان بعض الفقهاء في الاسلام حرموا كراه بيوت مكة . فكأنهم كانوا يعتبرون كل مكة ملكية عامة . ولكن نظرتهم لم تطبق فقد ظلت فيها ملكية خاصة ، والواقع انه منذ العصر الجاهلي كانت فيها ملكيات خاصة بل حتى دار الندوة كانت ملكية خاصة^(٦٥) .

وفي الحرم يعطى الأشخاص أو الاشياء الموجودة فيه نوعا من الحماية القانونية وهي حماية محدودة في المكان ، ولكنها دائمية وهي في الغالب مطلقة وغير مقيدة وتكون هذه الحماية مصطبغة بصيغة دينية اذ أن الفرد يكون تحت حماية الآله . فمن دخل الحرم كان آمنا^(٦٦) ، ومن احدث حدثا في بلد غيره ثم لجأ اليه فهو آمن اذا دخله .

وتسرى هذه الحماية على النبات والشجر فلا يجوز قطع شجرة وكذلك على الحيوان فلا يجوز الصيد فيه .

وتمتد هذه الحماية الى حرية الكلام ، ولعل اوضح مثل على ذلك حالة الدعوة الاسلامية حيث قام الرسول بسفه آلهتهم وبعيها ولكن لم تجر محاكمة رسمية له ولم يصدر قرار بسنعه أو بمعاقبته . غير ان هذه الحماية تقتصر على الامتناع عن القتل والاعتداء البدني فكان من سبهم ان الرجل يحدث الحدث

(٦٤) راجع عن الحرم سميت ص ١١٥ فما بعد . أما عن حرم مكة فراجع الازرقى : ج ٢ ص ٩٦ فما بعد .
(٦٥) انظر ص ٩٢-٩٣ .
(٦٦) انظر تفسير الطبري : ج ٤ ص ١٠ .

بقتل الرجل أو يلعنمه أو يضربه فيربط لها من لحا الحرم فلاذة في رقبته ويقول انا ضرورة ، فيقال دعوا الضرورة نجعله وان رمى بحضرة في رجله فلا يعرض له احد . فقال النبي (ص) لا ضرورة في الاسلام وان من احدث حينئذ أخذ بحدته (٦٧) .

لقد ذكرت ان الحرم تنشأ حول المياه عادة ويبدو انه كان حول كل بشر حينما كان حرم صغير ، وقد أقر الاسلام حریم البشر بخمسين ذراعا (٦٨) ولا ريب ان هذه سنة جاهلية أقرها الاسلام وكان الدافع لحدوثها على الأرجح منع حدوث اشتباكات ومنازعات حول الآبار .

وبما ان أغلب المناطق المقدسة تكون حول الآبار ، لذا تنشأ حولها حياة مستقرة مدنية ، وتكون لها نظما تختلف عن نظم أهل الوبر .

لقد ورد في الاخبار ذكر لعدد من الحرم كحرم الفليس (٦٩) وجلسد في حضرموت (٧٠) والغزى في وج (٧١) ولكن أشهر حرم هو حرم مكة الذي لدينا عنه تفصيلات أوفى والذي مستمد منه ما ذكرناه من معلومات عن الحرم .

وقد أوجد الاسلام للمدينة حرما (٧٢) . كما أقر حرم مكة ، وحرم وج (٧٣) . ولكن آثارها زالت ما عدا حرم مكة .

-
- (٦٧) الازرقى : ج ١ ص ١٢٥ . انظر ايضا لسان العرب : ج ٦ ص ١٢٣ .
(٦٨) أبو يوسف : كتاب الخراج ص ١٠٠-١٠٢ . وهو يذكر حديثا عن الرسول بأن حریم البشر اربعون ذراعا ، وحریم الناضح ستون ذراعا وحریم العين خمسمائة ذراع . انظر ايضا ابن حنبل : المسند ج ٢ ص ٤٩٤ .
(٦٩) ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٩١٢ .
(٧٠) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ١٠٠ .
(٧١) الاصنام : ص ١٩ .
(٧٢) سيرة ابن هشام : ج ٢ ص ١٢٢ . وأما عما ورد عنها في كتب الحديث فانظر فنسنتك الفهرس المفصل لالفاظ الحديث النبوي مادة حرم .
(٧٣) سنن ابي داود : كتاب المناسك ٩٣ . محمد حميد الله : الوثائق السياسية في عصر النبي ص ١٢٣ .

البيوت المقدسة :

لما بنى الناس البيوت فى الحرم اقاموا بيوتا للآلهة ، فاليوت المقدسة اذا هي أحدث من الحرم ، وهي تختلف عن النصب من حيث انها ثابتة ، لا يمكن أن تتحرك ، وكثيرا ما تكون فيها الانصاب والاصنام ، وهي ليست من الضرورى أن تكون مسقفة أو مسورة ، اذ قد يكفى بتحديدتها . وتحاط البيوت عادة باحترام كبير ، كما نستدل عليه من تسمية بعض الناس باسم عبد الدار وعبد البيت .

وقد روت الاخبار عددا من البيوت المقدسة ، كبيت العزى ، وبيت اللات ، وكعبة سداد ، وبيت رثام ، وذو الكعبات الذى كانت تحججه ربيعة فى الجاهلية (٧٤) .

غير ان أشهر بيت وردتنا عنه معلومات وافية هو الكعبة وهي بيت الله ، وقد ورد ذكره فى القرآن باسم الكعبة (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة) (المائدة ٩٥) (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض وان الله بكل شىء عليم) (المائدة ٩٦) . كما سميت بالبيت العتيق (ثم ليقضوا فتنهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق) (الحج ٢٩) (لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق) (الحج ٧٣) . كما سميت البيت الحرام (ولا آمن البيت الحرام يتغون فضلا من ربهم ورضوانا) (المائدة ٢) (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) (المائدة ٩٧) . ولكنها ذكرت فى عدد من الآيات باسم البيت (واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا) (البقرة ١٢٥) (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل) (البقرة ١٢٧) (فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) (البقرة ١٥٨) (ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا) (آل عمران ٩٦) (والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) (آل عمران ٩٧) (وما كانت صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية) (الانفال ٣٥) (واذ بوأنا لبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا) (الحج ٢٦) (فليعبدوا رب هذا البيت) (قريش ٣) .

(٧٤) انظر الاضنام : ص ٩٩ . سيرة ابن هشام ج ١ ص ٨٧-٩٤ .

ويتضح من الآية الاخيرة ان الكعبة هي بيت الله ، كما يتضح من الآية ١٢٧ من سورة البقرة ان بناءه يرجع الى زمن ابراهيم الخليل ، ولذلك صار البيت العتيق .

ليست لدينا معلومات وافية عن تاريخ الكعبة وتطوراتها قبل الاسلام ، واول المعلومات الواسعة عنها تأتي في السنة الخامسة قبل البعثة النبوية وقد فصل أخبارها الازرقى وهي مجملة في احدي الروايات التي أوردتها فقال (جلس رجال من قريش في المسجد الحرام فيهم حويطب بن عبد العزى ومخرمة بن نوفل فتذاكروا ببناء قريش الكعبة وما هاجهم على ذلك وذكروا كيف كان بناؤها قبل ذلك فقالوا : كانت الكعبة مبنية برضم يابسن ليس بمدبر^(٧٥) ، وكان بابها بالارض ولم يكن لها سقف وانما تدلى الكسوة على الجدر من خارج وتربط من أعلى الجدر من بطنها . وكان في بطن الكعبة عن يمين من دخلها جب يكون فيه ما يهدى الى الكعبة من مال وحلية كهيئة الخزانة^(٧٦) وكان يكون على ذلك الجب حية . فلم تزل كذلك حتى بنت قريش الكعبة . وكان قرنا الكبش الذي ذبحه ابراهيم خليل الرحمن معلقين في بطنها بالجدر تلقاء من دخلها ، يخلفان ويطيان اذا طيب البيت ، فكان فيها معاليق من حلية كانت تهدي الى الكعبة ، فكانت على ذلك من امرها . ثم ان امرأة ذهبت تجمر الكعبة فطارت من مجمرتها شرارة فاحترقت كسوتها^(٧٧) وكانت الكسوة عليها ركاما بعضها فوق بعض . فلما احترقت الكعبة توهنت جدرانها من كل جانب وتصدعت . وكانت الخرف الاربعة عليهم مظلة والسيول متواترة ، ولمكة سيول عوارم ، فجاء سيل عظيم على تلك الحال فدخل الكعبة وصدع جدرانها وأخافهم ففرغت من ذلك قريش فرعا شديدا ، وهابوا هدمها وخشوا أن مسوها أن ينزل عليهم العذاب . قال فيناهم على ذلك يتناظرون ويتشاورون اذا قبلت سفينة للروم ، حتى اذا كانت بالشعبية

(٧٥) انظر ايضا الازرقى : ج ١ ص ٩٩ . الطبري : ج ٢ ص ١٩٨
(عن ابن اسحق) .

(٧٦) انظر كذلك الازرقى : ج ١ ص ٢٥ ، ١٠٠ ، ١٢٨ .

(٧٧) انظر ايضا الازرقى : ج ١ ص ٢٨ .

وهي يومئذ ساحل مكة قبل جدة ، انكسرت فسمعت بها قريش ، فركبوا اليها ،
فاشتروا خشبها ، واذنوا لاهلها أن يدخلوا مكة فيبيعون ما معهم من متاعهم على
أن لا يعشروهم . قال وكانوا يعشرون من دخلها من تجار الروم كما كانت
الروم تعشر من دخل منهم بلادها . فكان في السفينة رومي نجار بناء
يسمى باقوم .

فلما قدموا بالخشب مكة قالوا : لو بنينا بيت ربنا ، فاجمعوا لذلك وتعاونوا
عليه وترافدوا في النفقة وربعوا قبائل قريش ارباعا ، ثم اقرعوا عند هبل في بطن
الكعبة على جوانبها ، فطار قدح بنى عبد مناف وبنى زهرة على الوجه الذي فيه
الباب وهو الشرقي . وقدح بنى عبد الدار وبنى أسد بن عبد العزى وبنى عدى
بن كعب على الشق الذي يلي الحجر وهو الشق الشامي . وطار قدح بنى سهم
وبنى جمح وبنى عامر بن لؤى على ظهر الكعبة وهو الشق الغربي . وطار قدح
بنى تيم وبنى مخزوم وقبائل من قريش ضموا معهم على الشق اليماني الذي يلي
الصفاء واجباد ؛ فنقلوا الحجارة ، ورسول الله يومئذ غلام لم ينزل عليه الوحي . .
فلما اجتمع لهم ما يريدون من الحجر^(٧٨) والخشب وما يحتاجون اليه عدوا على
هدمها . . فهابت قريش هدمه وقالوا من يبدأ فيهدمه ؟ فقال الوليد بن المغيرة أنا
ابدؤكم في هدمه . . فهدمت قريش معه حتى بلغوا الاساس . . فلما جمعوا
ما اخرجوا من النفقة قلت النفقة عن ان تبلغ لهم عمارة البيت كله ، فمشاوروا
في ذلك ، فاجمع رأيهم على أن يقصروا عن القواعد ويحجروا ما يقدرون عليه
من بناء البيت ويتركوا بقيته في الحجر عليه جدار مدار يطوف الناس من ورائه
ففعلوا ذلك ، وبنوا في بطن الكعبة أساسا ينون عليه من شق الحجر . وتركوا
من ورائه من فناء البيت في الحجر ستة أذرع وشبرا ، فبنوا على ذلك ، فلما
وضعوا ايديهم في بناءها قالوا : ارفعوا بابها من الارض واكبسوها حتى لا تدخلها
السيول ولا ترقا الا بسلم ولا يدخلها الا من اردتم ، ان كرهتم احدا دفعتموه

(٧٨) لقد جازوا بالحجارة من حراء وثبير والمقطع والخندق وجبل
حلحلة ومقلع الكعبة (الازرقى ج ١ ص ١٤٥-٦) أي من معظم الجبال
المحيطة بالكعبة .

ففعّلوا ذلك • وبنوه بساف من حجارة وساف من خشب بين الحجارة حتى انتهوا الى موضع الركن فاختلفوا في وضعه وكثر الكلام فيه •• فبنوا حتى رفعوا اربعة أذرع وشبرا ، ثم كبسوها ووضعوا بابها مرتفعا على هذا الذرع ، ورفعوها بمدماك خشب ومدماك حجر حتى بلغوا السقف ، فقال لهم يا قوم أتجبنون أن تجعلوا سقفها مكبسا أو مسطحا ؟ فقالوا بل بيت ربنا مسطحا ، فبنوه مسطحا وجعلوا فيه ست دعائم في صفين في كل صف ثلاث دعائم من الشق الشامي الذي يلي الحجر الى الشق اليماني ، وجعلوا ارتفاعها من خارجها من الارض الى اعلاها ثمانية عشر ذراعا ، وكانت قبل ذلك تسعة أذرع ، فزادت قرش في ارتفاعها في السماء تسعة أذرع آخر وبنوها من اعلاها الى اسفلها بمدماك من حجارة ومدماك من خشب ، وكان الخشب خمسة عشر مدماكا والحجارة ستة عشر مدماكا ، وجعلوا ميزابها يسكب في الحجر ، وجعلوا درجة من خشب في بيطنها في الركن الشامي يصعد منها الى ظهرها ، وزوقوا سقفها وجدرانها من بيطنها ودعائمها ، وجعلوا في دعائمها صور الانبياء وصور الشجر وصور الملائكة ؛ فكان فيها صورة ابراهيم خليل الرحمن شيخ يستقسم بالازلام ، وصورة عيسى بن مريم وامه ، وصورة الملائكة عليهم السلام اجمعين^(٧٩) • فلما كان يوم فتح مكة دخل رسول الله (ص) البيت فارسل الفضل بن العباس بن عبدالمطلب فجاء بماء زمزم ، ثم أمر بثوب قبل بالماء ، وأمر بطمس تلك الصور فطمست • قال ووضع كفيه على صورة عيسى بن مريم وامه عليهما السلام وقال : امحوا جميع الصور الا ما تحت يدي ، فرفع يديه عن عيسى بن مريم وامه^(٨٠) ، ونظر الى صورة ابراهيم فقال قاتلهم الله جعلوه يستقسم بالازلام : ما لابراهيم وللازلام وجعلوا لها

(٧٩) لقد ورد ذكر الصور في الكعبة في بعض كتب الحديث : انظر مثلا البخاري : كتاب الحج الباب ٥٤ ، كتاب الانبياء : الباب ٦٠ ، كتاب المغازي : الباب ٤٨ • انظر ايضا ابن حنبل ج ١ ص ٢٧٧ ، ٢٢٤ ، ٢٦٥ ج ٣ ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٨٣ • انظر ايضا المسعودي : مروج الذهب ج ٢ ص ٢٧٨ •

(٨٠) يروي الازرقعي اقوالا عن عطاء وعمرو بن دينار وداود بن عبدالرحمن والزهرى وابن اسحق ان في الكعبة صورا ، وان الرسول لم يمح صورة عيسى (الازرقعي ج ١ ص ١٠٦-١٠٧) ولكنه يروي في مكان آخر انه ازالها كلها (ج ١ ص ١٤٥) •

بابا واحدا فكان يعلق ويفتح ، وكانوا قد اخرجوا ما كان في البيت من حلية ومال وقرني الكبش وجعلوه عند ابي طلحة عبدالله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي ، واخرجوا هبل وكان على الجب الذي فيه نصبه عمرو بن لحي هناك ، ونصب عند المقام حتى فرغوا من بناء البيت فردوا ذلك المال في الجب ، وعلقوا فيه الحلية وقرني الكبش ، وردوا الجب في مكانه فيما يلي الشق الشامي ، ونصبوا هبل على الجب كما كان قبل ذلك وجعلوا له سلما يصعد عليه الى بطنها وكسوها حين فرغوا من بنائها حبرات يمانية^(٨١) .

وعندما بنت قريش الكعبة وضعت فيه الحجر الاسود ، وهو حجر ناري متوسط الحجم وكان على جبل ابي قيس في الاصل فكان يضيء لاهل مكة في ليالي الظلم كما يضيء القمر ، فلما كان قبل الاسلام بربع سنين ، وقد كان الحيض والجنب يصعدون اليه يمسحونه ، فاسود ، فانزلته قريش من ابي قيس^(٨٢) ، وقد وضع في الجانب الشمالي .

وفي داخل الكعبة بشر يسمى الاخسف عمقه ثلاثة أذرع ، ينسب حفرة الى ابراهيم الخليل وابنه اسماعيل . وكان خزانة للبيت يلتقي فيها الحلبي والمتاع الذي يهدى للكعبة ، وقد نصب عند هذا البشر هبل العنم الذي كانت قريش تعبدنه وتستقسم عنده بالأزلام^(٨٣) .

ويقع بالقرب من الكعبة بشر زمزم^(٨٤) .

لقد كانت الكعبة غير منتظمة الاضلاع ، فقد كان الاساس الذي وضعه

(٨١) الازرقى : ج ١ ص ٩٩-١٠٦ . وقد تردد في كتب الحديث ان قريشا قصرها في بناء الكعبة عن قواعد ابراهيم وان الرسول قال عند دخوله الكعبة في حجة الوداع ان لو لا قريشا حديث عهدهم لنقض بناء الكعبة واعادها الى قواعد ابراهيم . انظر مثلا البخاري كتاب العلم الباب ٤٨ . كتاب الحج الباب ٤٢ . كتاب التمني الباب ٩ . انظر ايضا ابن حنبل ج ٦ ص ٥٧ .

(٨٢) ابن سعد : ج ١ قسم ١ ص ١٢ ، وكذلك ص ١٦ .

(٨٣) الازرقى : ج ١ ص ٢٧ ، ٤٤ ، ٦٧ ، ١٦١-٣ .

(٨٤) الازرقى : ج ٢ ص ٣٠ فما بعد .

ابراهيم له « جعل طوله في السماء تسعة أذرع ، وعرضه في الارض اثنين وثلاثين ذراعا من الركن الاسود الى الركن الشامي الذي عند الحجر من وجهه ، وجعل عرض ما بين الركن الشامي الى الركن الغربي الذي فيه الحجر اثنين وعشرين ذراعا ، وجعل طول ظهرها من الركن الغربي الى الركن اليماني احد وثلاثين ذراعا ، وجعل عرض شقها اليماني من الركن الاسود الى الركن اليماني عشرين ذراعا^(٨٥) » ، أي انها كانت شبه منحرف غير منتظم ، ولما بنتها قريش قبيل البعثة جعلت حجمها اصغر ، فقصرت من كل ضلع حوالي سبعة أذرع ، ولكن ابن الزبير عندما أعاد بناءها أرجعها الى حجمها الأصلي^(٨٦) .

ويبدو انها كانت تحيطها ساحة مكشوفة غير مسورة « ليس عليها جدران محاطة ، انما كانت الدور محدقة به ، وكل جانب غير ان بين الدور أبوابا يدخل منها الناس من كل نواحيه^(٨٧) » . ولما انتشر الاسلام وازداد عدد معتقيه ، ضاق المسجد الحرام بالمصلين ، فوسع بضع مرات في زمن عمر وعثمان وابن الزبير والوليد والمنصور والمهدي^(٨٨) ، حتى أصبح بعد كل هذه التوسيعات بشكل شبه منحرف طول اضلاعه على التوالي ٤٠٤ ، ٣٠٤ ، ٢٧٨ ، ٢٧٨ ذراعا^(٨٩) أي ان حجمها قبل ذلك كان اصغر من هذا بكثير .

لم تكن الكعبة تفتح يوميا ، بل كانوا في الجاهلية « يفتحونها يوم الاثنين والخميس ، وكان حجابها يجلسون عند بابه فيرتقى الرجل اذ كانوا لا يريدون دخوله فيدفع وي طرح وربما عطب . وكانوا لا يدخلون الكعبة بخذاء ، يعظمون ذلك ويضعون نعالهم تحت الدرجة .

اخبرني محمد بن يحيى عن الواقدي عن اشياخه قالوا : لما فرغت قريش من

(٨٥) الازرقى : ج ١ ص ٢٧ .

(٨٦) الازرقى : ج ١ ص ١٣٤ . وانظر في وصف الكعبة الحديث كتاب

الرحلة الحجازية للبيب البثوني .

(٨٧) الازرقى : ج ٢ ص ٥٤ .

(٨٨) الازرقى : ج ٢ ص ٥٤ فما بعد .

(٨٩) الازرقى : ج ٢ ص ٦٥ .

بناء الكعبة كان اول من خلع الخف والتعل فلم يدخل بهما الوليد بن المغيرة اعظاما
لها فجرى ذلك ستة .

حدثني محمد بن يحيى بن عبدالعزيز بن عمران عن عبدالله بن ابي سليمان
عن ابيه : ان فاختة ابنة زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى وهى ام حكيم بن
حزام دخلت الكعبة وهى حامل فأدركها المخاض فيها فولدت حكيماً فى الكعبة ،
فحملت فى نطع وأخذ ما تحت مشبرها فغسل عند حوض زمزم واخذت ثيابها
التي ولدت فيها فجعلت لقا ، أى هدية للكعبة (٩٠) .

[Faint bleed-through text from the reverse side of the page, including a large heading and several lines of script.]

(٩٠) الازرقى : ج ١ ص ١١١ أما عن اللقا فانظر لسان العرب
ج ٢ ص ١٢٢ .

الفصل الرابع عشر

الدين الجاهلي (٢)

الطقوس والعبادات ورجال الدين

الحج :

لما كانت الآلهة تستقر في أماكن هي بيوتها التي تقيم فيها دائما أو مؤقتا فمن الواجب على عابديها أن يزوروها في تلك البيوت . وقد تكون هذه الزيارات غير منظمة في مواعيدها وأشكالها . أو تكون منظمة حسب مراسيم وطقوس معينة وفي اوقات محددة وتسمى الحج .

ويبدو ان هناك عددا من الآلهة كان يحج إليها . فالأزد (كانوا يحجون في مكة ويقفون مع الناس الموافق كلها ولكنهم لا يحلقون رؤوسهم فإذا انتهوا من ذلك اتوا مائة فحلقوا رؤوسهم عنده واقاموا عنده لا يرون لحجهم تماما الا بذلك^(١)) . وكانت قريش تزور « العزى » وتهدى لها وتتقرب عندها بالذبايح^(٢) . كما كانت قضاة ولخم وجذام واهل الشام يحجون الى الاقصم ويحلقون رؤوسهم عنده^(٣) . وكانت « مذبح » تحج الى يثوث^(٤) ، كما كانت طى تعبد الفلس وتهدى إليه^(٥) . وقد ذكر محمد بن حبيب السكري نص تلبيات العرب لاساف والعزى واللات وجهار وسواع وشمس ومحرق واللها ومرحب وذريح وذا الكفين وهبل^(٦) مما قد يحمل على الاعتقاد بأنه كان يحج إليها كلها .

(١) الاصنام : ص ١٤ تفسير الطبري ج ٢ ص ٢٩ .

(٢) الاصنام : ص ١٨ ، ٢٧ .

(٣) الاصنام : ص ٤٨ .

(٤) الاصنام : ص ٥٧ .

(٥) الاصنام : ص ٥٩ .

(٦) المحبر : ص ٣١٠-٣١٤ .

الا انه لا تتوفر المعلومات الا عن الحج الى مكة نظرا لصلته الوثيقة
بالاسلام ولذکر القرآن لبعض مناسكه في معرض الاقرار أو التعديل أو
الابطال ، ونظرا لان الحج في الاسلام كانت مناسكه تشبه الحج الجاهلي في كثير
من النواحي •

مواعده :

لقد كان الحج الى مكة يتم في أشهر معينة وقد أشار القرآن الى ذلك بقوله
تعالى « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال
في الحج » (البقرة ١٩٧) •

ويروى الطبري عن ابن عباس والنخعي والشعبي والسدي ونجيج وابن
عمر في تفسير هذه الآية ان الأشهر المعلومات التي أشار اليها القرآن هي شوال
وذو القعدة وعشر ذى الحجة^(٧) وهي من الأشهر الحرم الاربعة التي تشمل ايضا
رجب • غير ان الحج يستلزم تتيته في وقت معين معلوم يعرفه الناس مقدما
ليشتركوا فيه ، وكان ذلك الموعد في الايام العشرة الاولى من ذى الحجة ، أما
الأشهر الأخرى الباقية فلا نعلم بالضبط ما اذا كانت تتم فيها العمرة فقط أم تجرى
فيها عبادات لم تصلنا عن انبائها معلومات وأقية •

وللحج في الاصل علاقة بالمواسم والحياة الاقتصادية ، ويمكن أن نلمح ذلك
من الآية الكريمة « واذن في الناس يوم الحج يأتوك رجلا وعلى كل ضامر يأتين
من كل فج عميق • ليشهدوا فيها منافع لهم ويذكروا اسم الله عليه في أيام معلومات
على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفنهم
وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » (الحج ٢٧) • ونرجح انه كان ثابتا

(٧) تفسير الطبري : ج ٢ ص ١٥٠-١٥٣ وقد أشار القرآن الى الأشهر
الحرم في آيات أخرى (سورة البقرة ١٩٤ ، ٢١٧ المائدة ٢ ، ٩٧ التوبة ٥) •
انظر عن الأشهر الحرم ايضا سيرة ابن عثام ج ١ ص ٤٥ لسان العرب ج ٦
ص ٢٨٢ ج ١٥ ص ١٠ مروج الذهب ج ٢ ص ٢٠٥ البخاري : كتاب الحج
الباب ٣٣ ، ٣٤ كتاب العمرة الباب ٩ كتاب مناقب الانصار الباب ٣٦ ابن حنبل
ج ٢ ص ٩٥ •

معينا في احد مواسم السنة ، اى انه يتبع السنة الشمسية ، ولما كانت العرب تتبع النظام القمري فقد وجد النسيء للتوفيق بين السنة الشمسية والقمرية وذلك باضافة شهر كل ثلاث سنوات^(٨) .

ولا نعرف بالضبط من اى فصل من السنة كان يحدث ذى الحجة ، ولكننا يمكن أن نستنتج موعد حدوث الأشهر العربية من تسمياتها : فالربيعان يدل اسمهما على حدوثهما في الربيع بين شباط ونيسان ، ورمضان الحار في شدة الصيف أى في آب وعلى هذا ترتب الأشهر :-

ربيع الاول : شباط آذار	رمضان : اغسطوس - ايلول
ربيع الثانى : آذار - نيسان	شوال : ايلول - تشرين الاول
جمادى الاول : نيسان - ايار	ذى القعدة : تشرين الاول - تشرين الثانى
جمادى الثانى : ايار - حزيران	ذى الحجة : تشرين الثانى - كانون الاول
رجب : حزيران - تموز	المحرم : كانون الاول - كانون الثانى
شعبان : تموز - اغسطس	صفر : كانون الثانى - شباط ^(٩) .

فاذا صح هذا الترتيب كان الحج الاكبر يقع في الخريف ، وهو فصل معتدل المناخ نسبيا ، والحياة الاقتصادية نشطة نظرا لحاجة الناس للتزود من الحاجيات الشتوية . كما ان الحج الاصغر يحدث في حزيران وهو بداية فصل الصيف . ويتم الحج الحقيقى فى أيام التشريق .

الحلة والحمس :

لم تكن طقوس الحج الى مكة واحدة لكافة القبائل ، بل كانوا يختلفون : ويصنفهم المؤرخون الى صنفين عامين هم الحلة والحمس ، ويضيف السكرى صنفا ثالثا فرعيا هو الطلس^(١٠) .

(٨) انظر ص ٩٥-٩٦ .

(٩) انظر رائجن : رحلة الحج الى مكة ص ٦٠ (بالالمانية) .

(١٠) راجع عن الحلة والحمس الازرقى : ج ١ ص ١١٣ فما بعد . المحبر

ص ١٧٨-١٧٩ تفسير الطبرى ج ٢ ص ١٧٠ سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢١٦ =

أما الحمس فهم فيما يروى ابن سعد عن الواقدي ، والازرقى عن ابن اسحق عن الكلبي عن ابن عباس فهم قريش وكنانة وخزاعة ومن ولدته قريش من سائر العرب • ويضيف ابن اسحق في روايته الاوس والخزرج وجشم وربيعه وجذام وذكوان وثقيف وعمر واللات والعوث وغطفان وعدوان وعلاف وقضاعة • أما السكري فيذكر ان قبائل الحمس هي قريش كلها وخزاعة لنزولها مكة ومجاورتها قريشا وكل من نزل مكة من قبائل العرب فمن ولدت قريش كلاب وكعب وعامر وكنب بنو ربيعة بن عامر بن صعصعة والحارث بن عبد مضاة بن كنانة ومدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة بنزولهم حول مكة وعامر بن مناة بن كنانة ومالك وملكان بن كنانة وثقيف وعدوان ويربوع بن حنظلة ومازن بن مالك بن عمرو بن غيم وعلاف (من قضاعة) وجناب بن هبل •

أما الحلة فالمفروض انهم بقية القبائل الا أن السكري يميزهم عن صنف ثالث هم الطلس فيذكر ان الحلة هم تميم ما عدا يربوع ومازن وضبة وحميس وظاعنة والعوث بن مرة وقيس عيلان بأسرها ما عدا ثقيف وعدوان وعامر بن صعصعة وربيعه بن نزار كلها وقضاعة كلها ما خلا علاف وجناب والانصار وخثعم وبجيلة وبكر بن عبد مناة بن كنانة وهذيل بن مدركة وأسد وطى وبارق •
أما الطلس فهم سائر اهل اليمن واهل حضرموت وعك وتجبب وأباد •

✦ الحمس :

يروى الازرقى عن ابن اسحق عن الكلبي عن ابن عباس بأن الحمس لم يكونوا يمخضون اللبن ولا يأكلون الزبد ولا يلبسون الوبر ولا الشعر ولا يستظلون به ما داموا حرما ولا يغزلون الوبر ولا الشعر ولا يسجونه وانما يستظلون بالادم ولا يأكلون شيئا من نبات الحرم وكانوا يعظمون الأشهر الحرم ولا يخفرون فيها الذمة ولا يظلمون فيها ويطوفون في البيت وعليهم ثيابهم • وكانوا اذا أحرم الرجل منهم في الجاهلية واول الاسلام فان كان من اهل

= ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٤١ لسان العرب ج ٨ ص ٣٥٨ البخاري : كتاب الحج :
الباب ٩١ كتاب التفسير : الباب ٣٥ مسلم كتاب الحج ١٥١-١٥٣ ابن حنبل
ج ٤ ص ٨٠ •

المدر - يعنى اهل البيت والقرى - نقب نقبا فى ظهر بيته فمنه يدخل ومنه يخرج ولا يدخل من بابه • وكانت الحمس تقول لا تعظموا شيئا من الحل ولا تجاوزوا الحرم فى الحج فلا يهاب الناس حرمكم ويرون ما تعظمون من الحل كالحرم ، ففصروا عن مناسك الحج والموقف من عرفة وهو من الحل ، فلم يكونوا يقفون به ولا يفيضون منه ، وجعلوا موقفهم فى طرف الحرم من نمرة بين المازمين يقفون به عشية عرفة ويظلون به يوم عرفة من الاراك من عرفة ويفيضون منه الى المزدلفة فاذا عممت الشمس رؤوس الجبال دفعوا • وكانوا يقولون نحن اهل الحرم لا نخرج من الحرم ونحن الحمس ، فحمت قريش ومن ولدت^(١١) وكانت الحمس من دينهم اذا احرموا أن لا يدخلوا بيتا من البيوت ولا يستظلوا تحت سقف بيت ينقب احدهم نقبا فى ظهر بيته فمنه يخرج ولا يدخل من بابه ولا يجوز تحت أسقفه باب ولا عارضة فاذا أرادوا بعض أطعمتهم ومتاعهم تسوروا من ظهر بيوتهم وأدبارها حتى يظهرها على السطوح ثم ينزلون من حجرتهم ثم يمشون تحت عتبة الباب^(١٢) ، فانزل عز وجل « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها » (البقرة ١٨٩) •

الحلة :

أما الحلة فكانوا فى قول السكرى يحرمون الصيد فى النسك ولا يحرمونه فى غير الحرم ويتواصلون فى النسك ويمنع الغنى ماله أو أكثره فى نسكه فبسلاً فقرائهم السمنة ويجتزون من الاصواف والابواب والاشعار ما يكفون به ولا يلبسون فى نسكهم الجدد ولا يدخلون من باب دار ولا من باب بيت ولا يأويهم ظل ما داموا محرمين وكانوا يدهنون ويأكلون اللحم وأخصب ما يكونون أيام نسكهم ، فاذا دخلوا مكة بعد فراغهم تصدقوا بكل حذاء وكل ثوب لهم ثم اشركوا فى ثياب الحمس تنزيها للكعبة أن يطوفوا حولها الا فى ثياب جدد ، ولا يجعلون بينهم وبين الكعبة حذاء ، يباشرونها بأقدامهم ، فان لم يجدوا ثيابا

(١١) الازرقى : ج ٢ ص ١٥٨ •

(١٢) الازرقى : ج ١ ص ١١٦-١١٧ انظر ايضا تفسير الطبرى ج ٢

ص ١٦٨-١٧٠ الواحدى : أسباب النزول ص ٣٦ •

طافوا عراة • وكان لكل رجل من الحلة حرص من الخمس يأخذ ثيابه فمن لم يجد ثوبا طاف عريانا وانما كانت الحلة تستكرى الثياب للطواف في رجوعهم الى البيت ، لانهم كانوا اذا خرجوا حجاجا لم يستحل أن يشتروا شيئا ولا يبيعوه حتى يأتوا منازلهم ، الا اللحم • وكان رسول الله (ص) حرص عياض بن حمار انجاشعى اذا قدم مكة طاف في ثياب رسول الله (ص) (١٣) •

يتبين مما تقدم ان الحلة لم تكن تقيد بما تقيد به الخمس ، ولعل هذا هو السبب الذي اغفل فيه كافة المؤرخين والرواة الذين لم يذكروا صنف الطلس صفاتهم ودمجهم باهل الحلة • ويلاحظ من هذه الاوصاف ايضا ان الخمس لم يكونوا يقومون بأعمال البدو والرعاة من اقط الاقط وسل السمن والزبد أو غزل الشعير والوبر مما يختص به البدو • ولا ريب ان اهل مكة وهم جوهر الخمس وأساسه ولم يكونوا رعاة على ان الخلافة الرئيسيين بين الحلة والخمس : اولهما الوقوف في عرفة عند بداية الحج وهو ما لم تكن تفعله الخمس ، لان عرفة تقع خارج حرم مكة • والثاني هو لباس الاحرام •

وفي لباس الاحرام تختلف الروايات اختلافا كبيرا فيروى ابن عباس انه كانت الحلة تطوف بالبيت اول ما يطوف الرجل والمرأة في اول حجة يحجها عراة وكانت بنو عامر بن صعصعة وعك ممن يفعل ذلك فكانوا اذا طافت المرأة منهم عريانة تضع احدى يديها على قبلها والاخرى على دبرها ثم تقول :
اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدى منه فلا احله

فكانت قبائل من العرب من بنى عامر وغيرهم يطوفون في البيت عراة الرجال بالنهار والنساء في الليل ، فاذا بلغ احدهم باب المسجد قال للحمسى من يعير مصونا؟ من يعير معوزا؟ فان اعاره احمسى ثوبه طاف به والا القى ثيابه بباب المسجد ثم دخل للطواف فطاف بالبيت سبعة ، فكانوا يقولون لا تطوفوا في الثياب التي فارقت فيها الذنوب ، ثم يرجع الى ثيابه فيجدها لم تحرك • وكان بعض نسائهم تتخذ سيورا متعلقة في حقوتها وتستر بها حقوتها ، الا ان يتكرم منهم متكرم فيطوف في ثيابه فان طاف فيها لم يحل له أن يلبسها ابدا ولا يتنفع بها ويطرحها

لقا ، واللقا هي الثياب التي يطوفون فيها يرمون بها بباب المسجد فلا يمسه احد من خلق الله حتى تبلها الشمس والامطار والرياح ووطء الاقدام وفيه يقول ورقة بن نوفل الاسدي :

كفى حزنا كرى عليه كأنه لقي بين ايدي الطائفين حريم^(١٤)

أما مجاهد فيروي انه كان مما سنوا به انه اذا حج الصرورة من غير الحمسى ، رجلا كان أو امرأة ، لا يطوف بالبيت الا عريانا ، الصرورة أول ما يطوف في ثوب احمسي ، اما عارية او اجارة يقف احدهم بباب المسجد فيقول من يعير مصوننا ؟ من يعير ثوبا ؟ فان اعاره احمسي ثوبا أو اكراه طاف به وان لم يعيره القى ثيابه بباب المسجد من خارج ثم دخل الطواف وهو عريان يبدأ باساف فيستلمه ثم يستلم الركن الاسود ثم يأخذ عن يمينه ويطوف ويجعل الكعبة عن يمينه فاذا ختم طوافه سبعا استلم الركن ثم استلم نائلة فيحتم بها طوافه ، ثم يخرج فيجد ثيابه كما تركها لم تمس فيأخذها فيلبسها ولا يعود الى الطواف بعد ذلك عريانا . ولم يكن يطوف بالبيت عريانا الا الصرورة من غير الحمس . فأما الحمس فكانت تطوف في ثيابه فان تكرم متكرم من رجل أو امرأة من غير الحمس ولم يجد ثياب احمسي يطوف فيها ومعه فضل ثياب يلبسها غير ثيابه التي عليه فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحلة فاذا فرغ من طوافه نزع ثيابه ثم جعلها لقا يطرحها بين اساف ونائلة فلا يمسه احد ولا يتنفع بها احد حتى تبتلى من وطء الاقدام والشمس والرياح والمطر^(١٥) وقد انزل القرآن لتحريم ذلك آية • يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين • قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق • قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة ، (الاعراف ٣١-٣٢) •

الطلس :

أما الطلس فيقول السكري انهم بين الحلة والحمس يصنعون في احرامهم

(١٤) الازرقى : ج ١ ص ١١٧-١١٨ • أما عن الطواف عراة فراجع تفسير الطبري : ج ٢ ص ١٧٠ ج ٨ ص ١٢٠ ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٤١ لسان العرب ج ١٥ ص ٩ البخاري : كتاب الحج : الباب ٩١ •
(١٥) الازرقى : ج ١ ص ١١٤ وراجع عن الصرورة لسان العرب ج ٦ ص ١٢٣

ما يصنع الحلة • ويصنعون في ثيابهم ودخولهم البيت ما يصنع الحمس • وكانوا لا يتعرون حول الكعبة ولا يستعيرون ثيابا ويدخلون البيوت من أبوابها وكانوا لا يثدون بناتهم وكانوا يققون مع الحلة ويصنعون ما يصنعون^(١٦) • ومن هذا يتبين ان الطلس هم كالحلة سوى انهم لا يتقيدون باللبسة أو في الدخول بالبيوت •

مراسيم الحج :

لدينا معلومات مفصلة نسبيا عن الحج في مكة ، وقد اجمل الازرقى وصفه في كتابه (اخبار مكة) فقال : (فاذا كان الحج من الشهر الذي يسمونه ذا الحجة خرج الناس الى مواسمهم ، فيصبحون بعكاظ يوم هلال ذى القعدة فيصبحون به عشرين ليلة تقوم فيها اسواقهم بعكاظ • والناس على مدايعهم وراياتهم منحازين من المنازل ، تضبط كل قبيلة اشرافها وقادتها ، ويدخل بعضهم في بعض للبيع والشراء ، ويجتمعون في بطن السوق • فاذا مضت العشرون انصرفوا الى ذى المجنة فأقاموا بها عشرا اسواقهم قائمة ، فاذا رأوا هلال ذى الحجة انصرفوا الى ذى المجاز فأقاموا به ثمان ليال اسواقهم قائمة ، ثم يخرجون يوم الترويه من ذى المجاز الى عرفة فيتروون ذلك اليوم من الماء بذى المجاز وانما سمي يوم الترويه^(١٧) ، لترويه من الماء بذى المجاز ، ينادى بعضهم بعضا ترووا من الماء لانه لا ماء بعرفة ولا بالمزدلفة يومئذ • وكان يوم الترويه آخر اسواقهم • وانما يحضر هذه المواسم بعكاظ ومجنة وذى المجاز التجار - من كان يريد التجارة • ومن لم يكن له تجارة ولا بيع فانه يخرج من اهله متى اراد • ومن كان من اهل مكة ممن لا يريد التجارة خرج من مكة يوم الترويه • فتنزل الحمس اطراف الحرم من نمرة يوم عرفة وتنزل الحلة عرفة • فاذا جاؤا عرفة اقاموا بها يوم عرفة ، فتقف الحلة على الموقف من عرفة^(١٨) عشية عرفة ، وتقف الحمس على أنصاب الحرم من نمرة ، فاذا دفع الناس من عرفة وأفاضوا أفاضت الحمس من

(١٦) المحير : ص ١٨١ •

(١٧) عندما قرن الرسول بين العمرة والحج : أتم العمرة ثم أهل للحج يوم الترويه (البخارى كتاب الحج الباب ٢٧ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٨٢) •

(١٨) يلاحظ ان عرفة ليست من الحرم •

انصاب الحرم وأفاضت الحلة من عرفة حتى يلتقوا بمزدلفة جميعا • وكانوا يدفعون من عرفة اذا طلعت الشمس للغروب وكانت على رؤوس الجبال كأنها عمائم الرجال في وجوههم • فاذا كان هذا الوقت دفعت الحلة من عرفة ودفعت معها الحمس من أنصاب الحرم حتى يأتوا جميعا بمزدلفة فيستون بها حتى اذا كانت في الغلس وقتت الحلة والحمس على قرح ، فلا يزالون عليه حتى اذا طلعت الشمس وصارت على رؤوس الجبال كأنها عمائم الرجال في وجوههم دفعوا من مزدلفة^(١٩) ، وكانوا يقولون أشرق نبيير كيسا^(٢٠) نغير ، أى أشرق بالشمس حتى ندفع من المزدلفة ، فانزل الله في الحمس « ثم افيضوا من حيث أفاض الناس » (البقرة ١٩٩) - يعنى من عرفة^(٢١) - والناس الذين كانوا يدفعون منها اهل اليمن وربيعه وتميم^(٢٢) •

ان هذا النص يقف عند هذا الحد • على انه يمكن اكمال وصف الحج الجاهلى من دراسة مناسك الحج الإسلامى فالمعروف ان ابراهيم الخليل هو الذى سن مناسك الحج^(٢٣) ويقول ابن الكلبي^(٢٤) فى المشركين (وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم واسماعيل يتسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفة ومزدلفة واهداء البدن والاهلال بالحج والعمرة مع ادخالهم فيه ما ليس منه^(٢٥)) وهذا يدل على ان طقوس الحج الإسلامى ما سبقتها مع تنقيتها من الشوائب وجعلها لله تعالى •

وقد أشار القرآن الكريم الى الحج الإسلامى فى سورة البقرة فقال تعالى

-
- (١٩) كان يجيزهم صوفه انظر ص ٩٤-٩٥ •
(٢٠) يقول الشافعى انه فى الاسلام (قدم الله المزدلفة قبل ان تطلع الشمس وأخر عرفة الى أن تغيب الشمس) (الام ج ٢ ص ١٨٠) •
(٢١) انظر ايضا الأزرقى : ج ٢ ص ٢٢٦ البخارى : كتاب الحج : الباب ١٠٠ الترمذى كتاب الحج : الباب ٦٠ ابن حنبل ج ١ ص ٣٩ ، ٤٢ ، ٥٠ ، ٥٢ •
(٢٢) الأزرقى : ج ١ ص ١٢١-١٢٣ •
(٢٣) الأزرقى : ج ١ ص ٢٨ فما بعد •
(٢٤) الاصتمام : ص ٦ من ١٣ ✓

• ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم • فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذا ذكركم آباءكم أو أشد ذكرا واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى • (البقرة ١٩٨-٢٠٠) •

ويروى الطبري في تفسير الجملة الاولى انهم لم يكونوا يتابعون فأباح تعالى ذلك في الاسلام كما انه نقل عن قتادة انه • كان هذا الحي من العرب لا يرجون على كسير ولا ضالة ليلية النفر وكانوا يسمونها ليلة الصدر ولا يطلبون تجارة ولا يبعوا فأحل الله عز وجل ذلك كله (٢٥) •

والمشعر الحرام هو ما بين جبلي المزدلفة (٢٦) أي وادي محسر • وكانت تسمى جمع (٢٧) ، وفيه قزح الذي كان يتجمع فيه الناس ، وكانت عليه اسطوانة من حجارة مدورة يبلغ محيطها اربع وعشرون ذراعا وعلوها اثني عشر ذراعا ، وهي على أكمة عالية (٢٨) ، وكانت توفد عليه النيران منذ زمن قصي (٢٩) •

أما الافاضة فقد بينا من قبل ان الحمس كانت لا تقف في عرفة قبل الاسلام (٣٠) ، وقد أمرهم تعالى أن يقفوا في عرفة ، وهذا يشير الى ان الناس كانت تتجمع وتفيض حسب القبائل ، أي تقف كل قبيلة على حدة وتفيض متكئة ، إذ ان ذلك أكثر ملائمة لروح التنظيم الاجتماعي الجاهلي القائم على الاسس

(٢٥) تفسير الطبري : ج ٢ ص ١٦٥ •

(٢٦) معجم البلدان : ج ٤ ص ٥٤٠ •

(٢٧) الازرقى : ج ١ ص ٥٨ معجم البلدان ج ٢ ص ١١٨ البكري :

معجم ما استعجم ص ٣٩٢-٣ •

(٢٨) انظر الازرقى : ج ١ ص ٣٢ ، ١٢٣ ج ٢ ص ١٥١ ، ١٥٤ معجم

البلدان : ج ٤ ص ٥٢ ، ٨٥ •

(٢٩) ابن سعد : ج ١ قسم ١ ص ٤١ ج ٤ قسم ٢ ص ٦٩ وانظر ايضا

الازرقى : ج ٢ ص ١٥١ معجم البلدان ج ٤ ص ٨٥ •

(٣٠) انظر ص ١٨٦ •

القبليّة ، وما يؤيد هذا ان الانصار لم تكن تسمى بين الصفا والمروة (٣١) .
يتضح من هذه الآية انه بعد الافاضة الى المشعر الحرام تقضى المناسك أى
تذبح الذبائح (٣٢) . وهى تذبح فى منى قرب المشعر الحرام (٣٣) .

لقد أمر تعالى المسلمين بعد أن يقضوا المناسك أن يذكروا الله كذاكرهم
لآبائهم ، ويذكر الطبرى فى سبب نزولها ان اهل الجاهلية كانوا اذا قضوا
مناسكهم وقفوا عند الجمره وذكروا أيامهم فى الجاهلية وفعال آباءهم (٣٤) وفى
سورة البقرة آية اخرى توحى بأنه كان يجرى على أثر الحج جدال . الحج
أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ،
(البقرة ١٩٧) ويذكر الازرقى ان فى مكة شعب يسمى صفى السباب (٣٥) .
وكل هذا يلقى ضوءا على ما كان يتم فى أواخر الحج من جدل ونقاش وتفاخر .

ان الايام المعدودات التى أشارت اليها الآية الكريمة السابقة هى ايام
التشريق وهى تسمية غير واضح اصلها فيقول ابن منظور (. كانت الشمس
تسمى الشارق وشرفت اشرفت اللحم شبرفته طولا وشررته فى الشمس
ليجف لان لحوم الاضاحى كانت تشرق فيها بمعنى وتشريق اللحم تقطيعه
وتقديده وبسطه ومنه سميت ايام التشريق . وأيام التشريق ثلاثة ايام بعد يوم
النحر ، لان لحم الاضاحى يشرق فيه للشمس أى يشرر ، وقيل سميت بذلك
لانهم كانوا يقولون فى الجاهلية أشرق نبيير كيما نغير ، الاغارة الدفع ، أى ندفع
للنفر . حكاة يعقوب . وقال ابن الاعرابى سميت بذلك لان الهدى والضحايا

(٣١) انظر ص ١٥٩ .

(٣٢) انظر عن معنى التمسك : تفسير الطبرى ج ٢ ص ١٣٧ لسان

العرب ج ٢٢ ص ٣٨٩ .

(٣٣) لقد روى عن الرسول انه قال كل منى منحرج : انظر كتاب الحج فى :

البخارى الباب ١١٦ مسلم الباب ١٤٩ انظر ايضا ابن حنبل ج ١ ص ٧٦ ، ٨١ ،

٩٨ ، ١٥٦ ج ٣ ص ٣٢٠ ج ٤ ص ٨٢ .

(٣٤) تفسير الطبرى : ج ٢ ص ١٧٢-١٧٤ .

(٣٥) الازرقى : ج ٢ ص ٢٢١ .

لا تنحر حتى تشرق الشمس اى تطلع وقيل بل سميت بذلك لانها كلها ايام تشرق
لصلاة يوم النحر قال وهذا أعجب القولين لى • وكان أبو حنيفة يذهب بالتشريق
الى التكبير ولم يذهب اليه غيره ••• وكانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس فخالفهم
رسول الله ••• وفى حديث مسروق انطلق بنا الى مشرقكم يعنى المصلى وسأل
اعرابى ابن منزل المشرق يعنى الذى يصلى فيه والمشرق العيد سمي بذلك لان
الصلاة فيه بعد الشارقة أى الشمس وقيل المشرق مصلى العيد بمكة وقيل مصلى
العيد ولم يقيد بمكة (٣٦) •••) •

يتبين من هذا الشرح المنجمل مدى عدم وضوح اصل تسمية التشريق ، وان
كان جذرها اللغوى يحمل على الاعتقاد بصالتها بشروق الشمس ، كما توضح
ذلك بعض التفاسير التى اوردها ابن منظور •

لقد ورد فى القرآن الكريم « ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت
أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » (البقرة ١٥٨) ويروى الطبرى ان سبب
نزولها هو ان الانصار لم تكن تطوف بهما (٣٧) • والواقع ان صيغة الآية توحى
بأن الطواف لم يكن فرضا •

ان الآية الكريمة التى ذكرناها من قبل عن طقوس الحج لا تذكر زيارة
الكعبة وقد حمل ذلك بعض الباحثين ومنهم ولها وزن الى القول بأن زيارة الكعبة
لم تكن قبل الاسلام ضمن طقوس الحج (٣٨) • وهو رأى غير مضبوط لان القرآن
أشار الى حج البيت فى آيتين « فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف

(٣٦) لسان العرب : ج ١٢ ص ٤٠-٤٣ انظر ايضا مروج الذهب ج ٢
ص ١٦٠ اما عن ذكر ايام التشريق فى الاحاديث النبوية فانظر عن مواضعها فى
فئسك الفهرس المفصل للفاظ الحديث النبوى مادة شرق •

(٣٧) تفسير الطبرى : ج ٢ ص ٢٩ • ويذكر الطبرى فيها روايات بان
المسلمين ارادوا ترك السعى بين الصفا والمروة لما كان عليهما فى الجاهلية من
اصنام فامرهم تعالى بالطواف لانها من شعائر الله •

(٣٨) انظر رايه فى المقال الذى كتبه باريت فى دائرة المعارف
الاسلامية عن العمرة •

بهما ، (بالصف والمروة) (البقرة ١٥٨) ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ﴾ (آل عمران ٩٧) ويتجلى من الآية الأولى ان حج البيت يختلف عن العمرة كما ان الآيتين تبينان ان الحج للبيت (٣٩) . وقد رأينا فيما سبق القيود التي كانت تفرضها قریش على ألبسة الطائفين بالبيت . غير اننا لا نعلم متى كانت تتم زيارة البيت . وان كان وصف الأزرقى للحج الجاهلي يوحى بأن زيارة البيت كانت تتم بعد ايام التشريق .

العمرة :

يروى ابن الكلبي ان العرب قد ظل فيهم من دين ابراهيم بقايا منها العمرة (٤٠) ، الامر الذي يدل على قدمها . وقد وردت العمرة في القرآن في سورة البقرة « واتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم فيما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله فمن كان منكم مريضا أو به اذى في رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فاذا أتمتم فمن تنسح بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب » (البقرة ١٩٦) كما ورد في القرآن ايضا « ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم » (البقرة ١٥٨) .

ان هاتين الآيتين تذكران العمرة باعتبارها مؤسسة متميزة عن الحج ومختلفة عنه . كما ان الآية الأخيرة توضح ان السعى بين الصفا والمروة لم يكن جزءا من الحج والعمرة قبل أن يأمر بها الاسلام . غير انهما لا توضحان طريقة العمرة أو موعدها .

وتلقى كتب الحديث ضوءا كبيرا على العمرة كما كانت في عهد الرسول كما تشير الى التغيرات التي ادخلها على العمرة . ومن هذه الاشارات يمكن أن نستنبط ما كانت عليه العمرة الجاهلية . والواقع ان الرسول اعتمر ثلاث مرات

(٣٩) انظر ص ١٧٥ .

(٤٠) الاصنام : ص ٤ .

وقرن الحج بالعمرة في حجة الوداع^(٤١) وأشار على المعتمرين من اصحابه أن
يجلوا بعد الطواف اذا لم يكن معهم هدى^(٤٢) ، الامر الذي يحمل على الاعتقاد
بأن العمرة لم يكن من شروطها الاساسية الهدى والاضاحي .

لقد طاف الرسول في العمرة بالبيت سبع مرات ثم طاف بين الصفا والمروة
سبع مرات ثم أحل وبذلك انتهت العمرة . فالعمرة اذا كانت الطواف بالبيت وبين
الصفا والمروة . وجدير بنا أن نشير الى أن السعي بين الصفا والمروة لم يكن عاما
في القبائل فلم تكن الانصار تقوم به وقد أدخله القرآن كجزء من الحج والعمرة
في آية البقرة (١٥٨) التي ذكرناها آنفا ولا بد من ملاحظة ان الآية التي تذكر
الصفا والمروة تشير الى انه « لا جناح عليه أن يطوف بهما » أي لا مانع وهو تعبير
قد يوحي بالاباحة لا بالزام . والواقع ان البخاري يشير الى ان بعض الناس فهموا
ذلك وسألوا عائشة عنه فأجابت بأن هذه الاباحة تقتضي الالزام^(٤٣) . وان تساؤلهم
قد يحملنا على الاعتقاد بأن السعي والطواف بين الصفا والمروة لم يكن في الجاهلية
ملزما أو جزءا من العمرة ، وان العمرة كانت متصلة بزيارة الكعبة فحسب .

لقد وصفت كتب الحديث كيفية طواف النبي فيقولون انه رحل ثلاثا (أي
حج أو هرول) ومشي أربعاً^(٤٤) كما يروون انه قبل الحجر الأسود^(٤٥) وانه

(٤١) روى البعض ان الرسول اعتمر ثلاثا ، ويروى آخرون انه اعتمر
اربع مرات ، ويروى فريق ثالث انه اعتمر مرتين . ويروى كذلك انه اعتمر في
رجب ، وينفي آخرون انه اعتمر في رجب . انظر الى هذه الاحاديث ومواقعها من
كتب الصحاح الستة : مفتاح كنوز السنة مادة عمرة .
(٤٢) ابن حنبل : ج ١ ص ٢٣٦ ، ٢٥٣ ، ٣٤١ ج ٢ ص ٤ ، ١٢ ، ٤١ ،
٦٥ ، ١٥١ ج ٣ ص ٧١ ، ٧٥ .
(٤٣) تفسير الطبري : ج ٢ ص ٢٩ . ويقول مالك « من افاض فقد
قضى الله حجه » (موطأ ج ١ ص ٢٢٦) .
(٤٤) البخاري : كتاب الحج : الباب ٥٥ . كتاب المغازي الباب ٤٣ ابن
حنبل ج ٢ ص ٤٠ ، ٥٩ ، ٧١ ، ١٠٠ ، ١١٤ ، ١٢٣ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ج ٥
ص ٤٥٥ ، ٤٥٦ .
(٤٥) البخاري : كتاب الحج : الباب ٥٠ ، ٥٧ ، ٦٠ ابن حنبل ج ١
ص ١٦ ، ٢١ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٤٦ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٤ .

استلم الركن اليماني^(٤٦) . ويذكر البخاري أحاديث تشير الى أن الرمل كان مظاهرة امام كفار قريش لاطهار قوة المسلمين البدنية بعد أن شاع ان الحمى قد أنهكتهم^(٤٧) ، الامر الذي يدل على ان الرمل لم يكن أساسيا قبل ذلك .

لقد قام الرسول بعمراته في ذي القعدة وشوال وفي ذي الحجة ويروى البخاري انه « قدم النبي واصحابه صبيحة رابعة (من ذي الحجة) مهلين بالحج فأمرهم أن يجعلوها عمرة فتعاضم ذلك عندهم » فقالوا يا رسول الله أى الحل قال حل كله^(٤٨) ، ويروى ابن عباس انه ما اعمر رسول الله عائشة ليلة الحصبة الا قطعاً لامر اهل الشرك كما يروى انهم (اى المشركين) كانوا يرون العمرة في انهر الحج من افجر الفجور في الارض ويجعلون المحرم صفر ويقولون اذا برد الدبر وعنا الاثر ودخل صفر فقد حلت العمرة لمن اعتمر^(٤٩) .

واضح من هذه النصوص ان جعل النبي العمرة في ذي الحجة كان ضد التقاليد الجاهلية وانها كانت بعد شهر المحرم أى في صفر .

لم يكن يباح للحائض القيام بالعمرة ولكن كان يباح لها الحج^(٥٠) .

الهدايا :

ذكر القرآن ان المشركين كانوا يقدمون بعض مدخولاتهم للآلهة « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركاننا فما كان

(٤٦) يروى ان النبي لم يستلم الركنين الغربيين من الكعبة : انظر ابن حنبل ج ١ ص ٣٧ ، ٤٥ ، ٧٠ ، ٢١٧ ، ٢٤٦ ، ٢٣٢ ، ٢٧٢ ج ٢ ص ٣ ، ١٧ ، ٨٩ ، ١١٠ ج ٤ ص ٩٧ ، ٩٨ ويروى انه استلم الركن بالمحجن البخاري : كتاب الحج : الباب ٥٨ ابن حنبل ج ١ ص ٢١٤ ، ٢٣٧ ، ٢٤٨ ج ٥ ص ٤٥٤ .

(٤٧) البخاري : كتاب المغازي : الباب ٤٣ .

(٤٨) البخاري : كتاب الحج : الباب ٣٤ .

(٤٩) ابن حنبل : ج ١ ص ٢٥٢ ، ٢٦٢ .

(٥٠) موطأ : ج ١ ص ٢٤٩ ، ٢٦٦ ، ٢٨٦ البخاري : كتاب الحج :

الباب ٣١ ، ٣٤ ، ٧٧ ، ٨١ . وانظر مقال باريت عن العمرة في دائرة المعارف الاسلامية .

لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون .
(الانعام ١٤٦) ويتبين من هذه الآية انه كانت هناك حصة معينة ثابتة يجب على
العباد دفعها سواء كانوا زراعا او اصحاب مواشى . وكانت هذه الاموال المخصصة
للآلهة توزع بين الاله الاكبر والآلهة الصغرى . فهم فيه شركاء ومع انه القرآن
لا يشير الى كيفية توزيع هذه الاموال او ما يخص لكل من الاله الاكبر وللآلهة
الصغرى الا ان الراجح ان حصة الاله الاكبر هي اكبر من حصة الآلهة الصغرى .

وتشير هذه الآية الى سوء التصرف بهذه الاموال المخصصة فان حصة الاله
الاكبر كانت تعود بدورها فتصرف للآلهة الصغرى وهم شركاؤها ، وبذلك لا يقدم
للاله الاكبر شيء . ولكن واضح من هذه الآية ان هذه الاموال هي اجبارية او
شبه اجبارية ، وانها تصرف للآلهة ، اذ ان كلمة الشركاء في هذه الآية يقصد بها
الصغرى التي كانوا يدينون بها . ويزعم ابن الكلبي ان هذه الآية نزلت في حق
الصنم عمياس الذي كان لخلوان^(٥١) ، غير ان نص الآية لا يدل على هذا
التخصيص مطلقا ثم انه لم يثبت لدينا ان خلوان كانت تدين بعبادة الله وتشرك به
فالراجح ان تعليقه غير صحيح .

لقد فرض قصى ضريبة الرفاة على اهل مكة لتصرف على الآلهة كما كانت
تقدم للآلهة ايضا هدايا . والراجح ان القرآن في هذه الآية يشير الى هذه الضريبة
والهدايا التي كانت تقدم لله وللمن اشركوهم به ولكنها تصرف عمليا على بقية الآلهة .
والواقع اننا لا نسمع باهتمام مشركى قريش والعرب بعبادته تعالى بل كانوا يكفرون
به وينكرون ما انعم عليهم ويهتمون بالآلهة الاخرى فيما انه تعالى كان الاله الاكبر
بعقائد المشركين من اهل مكة وبما انهم كانوا يكفرون به فالراجح ان هذه الآية
كانت تنطبق على اعمالهم وهي تتفق مع المقصود بكلمة الكفر بمعناها القرآنى .

انواع الهدايا :

لقد كانت الهدايا التي تقدم للآلهة متنوعة ، وهي تتوقف على وسيلة التبادل
الاقتصادى ففى المجتمع الذى يقوم التبادل فيه على النقود تكون الهدايا من النقود

(٥١) الاصنام : ص ٤٣-٤٤ .

او المعادن الثمينة ؛ وفي المجتمع الزراعى تكون الهدايا من المحاصيل النباتية وفي المجتمع الرعوى تكون الهدايا من المواشى .

ففى مكة كان فى الكعبة بشر ترمى فيه الهدايا^(٥٢) ، مما يدل على انها كانت تقدم من النقود او الالبسة او المعادن الثمينة ، كما ان الضريبة التى فرضها قصى على الرفادة كانت بعضها يجبى بالنقود^(٥٣) وهذا طبيعى فى ذلك المجتمع التجارى الذى اساس ثروته النقود . اما هدايا الالبسة فتجلى فيما كان يرميه اهل الحلة كما تحدثنا^(٥٤) .

وهناك مناطق تقدم لآلهتها هدايا من المحاصيل النباتية وقد ذكرنا من قبل آية سورة الانعام التى يقول فيها تعالى « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا » (الانعام ١٣٦) وهو ذكر صريح الى ان بعض التقدّمات تكون من المحاصيل النباتية . وقد ذكرنا ايضا ان ذا الخلصة كانوا يهدون اليها الشعير والحنطة^(٥٥) ، وهى من المحاصيل الوافرة فى وادى بيشة حيث يقع بقربه هذا الصنم .

ويروى انه كان لبني حنيفة صنم من تمر فأصابتهم مجاعة فأكلوه فقال الشاعر يعبرهم فى ذلك :-

أكلت حنيفة ريبها يوم التمثل والمجاعة

ولا ريب انه لا يعقل صنع صنم من تمر نظرا لان هذا الثمر لا يمكن أن يدوم طويلا . والارجح ان الثمر المأكول هو الهدايا التى قدمت للآلهة . ومن المعقول أن تقدم بنو حنيفة الثمر لتوفر النخيل فى بلادهم .

ولما كانت اغلب بلاد الجزيرة صحارى ومراعى تقوم الحياة الاقتصادية فيها على الرعى والمواشى وخاصة من الابل والغنم فمن المحتم أن تكون اغلب الهدايا

(٥٢) انظر ص ١٧٩ .

(٥٣) انظر ص ٩٨ .

(٥٤) انظر ص ٧٩-٨٠ .

(٥٥) انظر ص ١٦٥ .

هذه الحيوانات وخاصة الحيوانات الداجنة .

لقد ذكر القرآن انواعا من الهدايا الجاهلية في معرض الإنكار لها « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون » (المائدة ١٠٣) .

البحيرة :

وقد اختلف الرواة في شرح مفاهيم هذه الامور : فاما عن البحيرة فان قتادة والسدي والضحاك وابن عباس يقولون بان البحيرة هي الناقة اذا انتجت خمس ابطن نحروا الخامس ان كان ذكرا ، أما اذا كان انثى فانهم يشقون اذنها ويستحيونها فلا يشربوا لبنها ولا يجزوا وبرها ولا يركبوا ظهورها ، فاذا ولدت ولدا ميتا أو ماتت تشترك في اكل اللحم النساء والرجال أما الولد الخامس فلا يأكل لحمه الا الرجال . ويقول ابن المسيب ان البحيرة من الابل هي التي يمنع درها للطواغيت أما ابن الاحوص فيقول ان البحيرة هي التي ولدت خمسة ابطن ثم تركت .

السائبة :

أما السائبة فيعرفها الزهري وقاتدة وابن عباس وابي الاحوص والسدي والضحاك بأنها ما يسيه الرجل من الانعام فلا يعرض لها احد حينما حلت . أما مجاهد فيقول ان السائبة هي ما ولدت من ولد بينها وبينه ستة اولاد كان على هبتها فاذا ولدت في السابع ولدا ذكرا أو انثى أو ذكرين ذبحوهم فأكله رجالهم دون نساءهم .

الحامى :

أما الحامى فهو الفحل من الابل الذي يلقح عشرة فينتج له عشرة اولاد في رواية قتادة وابن عباس والسدي أو اذا ركب اولاد اولاده على ما يروى الشعبي والضحاك وهو بذلك يترك فلا يركب ظهره ولا يجز وبره .

الوصيلة :

أما الوصيلة فالخلاف على تعريفها واسع فيقول الزهري انها التي تأتي بولدين متابعين انثى فتذبح للطواغيت أو تجدد ، وفي رواية اخرى انها اذا

اتامت بطننا بذكر وانثى قبل وصلت الانثى اخاها بدفعها عنه الذبح ، ويروى
الشعبي انها اذا ولدت اربعة ابطن ثم ولدت الخامس ذكرا أو انثى وصلت اخاها .
ويقول الضحاك وفتادة ان الوصيلة هي الشاة اذا ولدت سبعة ابطن ذبحوا
السابع اذا كان جديا ، وان كان عنقا (انثى) فاستحيوه ، وان كان جديا وعنقا
استحيوهما كليهما ، وقالوا ان الجدوى وصلته اخته فحرمته علينا . ويزيد فتادة
ان الجدوى السابع يأكله الرجال دون النساء وانه اذا كان البطن السابع ميتا اشترك
في أكله النساء والرجال . أما السدى فيقول ان الوصيلة من الغنم هي الشاة اذا
ولدت ثلاثة ابطن أو خمسة فكان آخر ذلك جديا ذبحوه واهدوه لبيت الآلهة وان
كانت عنقا استحيوها وان كانت جديا وعنقا استحيوا الجدوى من اجل العناق فانها
وصيلة وصلت اخاها^(٥٦) .

داى ابن اسحاق :

ولابن اسحاق في هذه الاشياء تعريفات تختلف عما ذكرنا فهو يقول . ان
السائبة الناقة اذا تابعت بين عشر اناث ليس بينهن ذكر سببت فلم يركب ظهرها
ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف . أما البحيرة فهي بنت السائبة فما
نتجت السائبة بعد البطن العاشر من انثى شقت اذنها ثم خلى سيلها مع امها ، فلم
يركب ظهرها ، ولم يجز وبرها ، ولم يشرب لبنها الا ضيف . أما الوصيلة فهي
الشاة اذا تأمت عشر اناث متتابعات في خمسة ابطن ليس بينهن ذكر جعلت وصيلة ،
قالوا قد وصلت ، فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون اناثهم الا أن يموت
منها شيء فيشتركوها في أكله ذكورهم واناثهم . أما الحامى فهو الفحل اذا اتج له
عشر اناث متتابعات ليس بينهن ذكر حمى ظهره فلم يركب ظهره ولم يجز وبره
وخلى فى ابله يضرب فيها ولا ينتفع منه بغير ذلك . غير ان ابن هشام لا يرى
ابن اسحق ويقول معلقا (وهذا كله عند العرب على غير هذا الا الحامى فانه عندهم
على ما قال ابن اسحق^(٥٧)) .

(٥٦) تفسير الطبرى : ج ٧ ص ٥٧-٦٠ انظر ايضا المحبر ص ٣٣٠-٣٣٢ .

(٥٧) سيرة ابن هشام : ج ١ ص ٥١ .

وقد أشار القرآن الى الهدايا الجاهلية في عدة آيات منها الآية (١٠٣) من سورة المائدة التي ذكرناها قبلا وكذلك قوله تعالى « وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن مية فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم » (الانعام ١٣٩) « قل أرأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم ام على الله تفترون » (يونس ٥٩) « من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل الذكر حرم ام الاثنيين ام ما اشتملت عليه ارحام الاثنيين انبؤني يعلم ان كتم صادقين • ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل الذكر حرم ام الاثنيين ام ما اشتملت عليه ارحام الاثنيين ام كتم شهداء ان وصاكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين » (الانعام ١٤٣ - ١٤٤) •

الاضاحي :

لقد ذكرنا في بحث التنظيمات الاجتماعية ان العرب قبيل ظهور الاسلام كانوا يعتقدون ان الاشتراك في الطعام يولد أو يقوى العلاقات بين الكائنات ، ويخلق أو يثبت الالتزامات الاجتماعية المتبادلة • فالاشتراك في اكل الخبز والملح كان يؤدي الى خلق نوع من الحلف المعنوي ، وهي فكرة لا يزال يدين بها الكثير من الناس حيث يستهجنون خيانة من يأكل الزاد عندك وعدم تأييده لك • ومن الوصمات الشنيعة عند كثير من الناس حتى اليوم أن يتهم شخص بأنه خان الملح والعيش (الخبز أو الاكل) ويروى الاصفهاني ان زيد الخيل ابي أن يقتل لصا لان هذا اللص شرب من قربة ابيه قبل السرقة^(٥٨) •

فاذا كان الطعام المشترك يولد بين الناس مثل هذا الحلف والتعاون المتبادل بينهم فاحرى به أن يخلق مثل ذلك بين الناس والآهم ، اي اذا اشتركوا في طعام واحد فيصبحوا متحالفين ، وعلى كل فريق منهم أن يعين الآخر ويساعده في السدائد والملمات •

ولقد ذكرنا انه كان للدم اهمية كبرى في العلاقات الاجتماعية ، فالدم

المشترك يستلزم التعاون والنصرة المشتركة • وليس من الضروري أن تكون علاقة الدم طبيعية بالوراثة ، بل يمكن خلقها بأن يلحق الفرد من دم الآخر أو يشتركان بلعق دم من اناء واحد ، كما حدث ذلك في حلف لعقة الدم الذي حدث في مكة عندما تأزم الوضع بين هاشم وبنى عبدالدار • فاذا اشترك الاله مع القبيلة في الاكل أو في شرب الدم فانه تتكون بينهما علاقة دم تستلزم كل فريق ان يدافع عن الآخر وينصره ويؤيده •

ولنلاحظ ان العشيرة كلها كانت تشترك في الاصل او في العبادة ، فاذا اشتركوا في الاكل كان ذلك توثيقا للعلاقة بينهم وتقوية لتكتلهم ولتماسكهم • واذا قدمت الضحية للاله فانه تعقد الصلة بينه وبين مقدم الضحية •

ويمكن تقديم الضحية في مكان بعيد عن الاله ونصبه ، على أن يقدم على ما له صلة بالاله ؛ فقد روى ابن الكلبي انه ... (كان الرجل اذا سافر فنزل منزلا اخذ اربعة احجار فنظر الى احسنها فاتخذها ربا ، وجعل ثلاث ائافى لقدره ، واذا ارتحل تركه فاذا نزل منزلا آخر فعل مثل ذلك • فكانوا ينحرون ويذبحون عند كلها ويتقربون اليها ، وهم على ذلك عارفون بفضل الكعبة عليها يحجونها ويعتمرون اليها) •

الا ان خير مكان لتقديم الاضاحي هو حينما تكون ، أو ينتظر ان تكون ، الآلهة وهو عادة عند الصنم أو النصب وقد أشار القرآن الكريم الى ما كان يذبح على النصب وحرم على المسلمين أكله (انظر سورة المادة الآية ٣) كما ذكر ابن الكلبي ان سعد صنم بن مالك وملك الكنانيين كانت تهراق عليه الدماء^(٥٩) ، وروى في مكان آخر بعض الابيات التي تشير الى الذبائح التي تذبح على النصب^(٦٠) وكثيرا ما يكون عند المذبح كهف أو حفرة يسيل فيها دم الضحية ويسمى الغيب^(٦١) ولعلهم كانوا يفهمون من ذلك ان الدم الذي يسيل في

(٥٩) الاصنام : ص ٣٣ •

(٦٠) الاصنام : ص ٣٦ •

(٦١) الاصنام : ص ٢٠-٢١ •

الغضب كان يذهب للاله فتتعقد الصلة بينه وبين مقدم الضحية

والضحايا عادة من ذوات الروح • ولا شك ان أروع الضحايا وأشدّها وقعا هي التي تكون من البشر فقد قدم ابراهيم الخليل ابنه ضحية قربانا لله تعالى ، كما قدم عبدالمطلب ابنه عبدالله ضحية وقدم للمنذر بن ماء السماء اربعمائة ضحايا للعزى •

ولكن يجوز ابدال الضحايا البشرية بضحايا من الحيوان فان الله تعالى فدى ابن ابراهيم « بذبح عظيم » (الصافات ١٠٧) كما ان عبدالمطلب فدى ابنه بمائة من الابل (٦٢) •

فمن الطبيعي أن تكون أغلب الضحايا من الحيوانات الداجنة وهي تكون عادة من الاغنام أو البقر أو الجمال تبعا لتوفرها •

تقدم الاضاحي عادة في مواسم العبادات كالحج وتسمى ضحايا الاغنام (العنائر (٦٣)) وكانت تقدم عادة في رجب وتسمى الرجبية (٦٤) • ومع ان شهر رجب من الاشهر المقدسة وهو يقع في اواخر الربع الا ان المصادر التي بين ايدينا لا تتحدث عن سبب قدسيته أو ذبح العنائر فيه •

الهدى :

أما اضاحي الحج الى مكة فكانت تدعى الهدى وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم « واتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله فمن كان منكم مريضا أو به اذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فاذا آمنتتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب » (البقرة ١٩٦) « يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الهدى ولا

(٦٢) سيرة ابن هشام : ج ١ ص ١٦٧ •

(٦٣) الاضنام : ص ٣٤ •

(٦٤) ابن حنبل : ج ٢ ص ١٨٣ ، ج ٥ ص ٧٦ لسان العرب ج ٦ ص ٢١٠ •

القلائد ولا آمين البيت الحرام يتغنون فضلا من ربهم » (المائدة ٢) « يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين • جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد » (المائدة ٩٥-٩٧) « هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوبا ان يبلغ محله » (الفتح ٢٥) •

ومع ان الهدى يمكن أن يكون من الشاة والبقر ، الا ان الغالب أن يكون من البدن أي الابل^(٦٥) • وقد ورد ذكر البدن في القرآن الكريم « والبدن جعلناها لكم من شعائر الله حكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون • لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » (الحج ٣٦) •

الاشعار والتقليد :

والبدن التي تهدي تشعر وتقلد ، فاما الاشعار فهو ان (يشق جلدها ويطعنها في اسنمتها في احد الجانبين ببضع أو نحوه حتى يظهر منها الدم ويعرف انها هدى^(٦٦)) • وقد وردت عدة احاديث ان الرسول اشعر البدن في السنام الايمن^(٦٧) • واما التقليد فهو (أن يجعل في عنقها عروة مزادة أو خلق نعل فيعلم انها هدى وكانوا ايضا يقلدون بلحاء شجر الحرم يعتمسون بذلك من اعدائهم ، وكان المشركون يفعلون ذلك فأمر المسلمون بألا يحلوا هذه الاشياء التي يتقرب بها المشركون الى الله ثم نسخ ذلك^(٦٨)) وقد رويت عدة احاديث عن

(٦٥) انظر لسان العرب : ج ٢٢ ص ٢٣٤ اما عن هدايا الشاة والبقر في زمن الرسول فانظر عن مواضعها في كتب الصحاح : فنسبك : الفهرس المفصل لالفاظ الحديث النبوي : مادة شاة ، بقر •
(٦٦) لسان العرب : ج ٦ ص ٨١-٨٢ •
(٦٧) ابن حنبل : ج ١ ص ٢١٦ ، ٢٥٤ ، ٢٨٠ ، ٣٣٩ ، ٣٣٤ ، ٣٤٧ ، ٣٧٢ انظر ايضا عن الاحاديث النبوية التي ورد فيها الاشعار : فنسبك : الفهرس المفصل لالفاظ الحديث النبوي مادة اشعر •
(٦٨) لسان العرب : ج ٤ ص ٣٦٩ •

تقليد بدن رسول الله التي اهداها للبيت وروى عن عائشة انها قالت (فلتت فلائد بدن رسول الله ثم قلدها واشعرها ثم وجهها الى البيت^(٦٩)) . ومن المحتمل ان جلال البدن كانت تهدي للكعبة ؛ والواقع ان عبدالله بن عمر كان يجلل بدنه القباطي والانماط والحلل ثم يبعث بها الى الكعبة فيكسوها اياها ، فلما كسيت الكعبة صار يتصدق بها^(٧٠) . ومن المحتمل ان الناس أو بعضهم ، كانوا يفعلون ذلك قبل الاسلام ايضا ويظهر انه لم يكن يباح ركوب الهدى من البدن فأمر النبي بركوبها حتى تصل الى المنحر .

ولقد كان تقليد البدن واشعارها يتم عند الاهلال اى عند بداية القيام بالسفر لاجل الحج ، وقد قلد الرسول بدنه واهل بها من الجعرانة وكانوا يسرون بها الى الحج ، وبعد انجاز طقوسه ينحرونها في منى ، وتنحر فيما يظهر قائمة . والاغلب ان المضحي يقوم بذلك بنفسه . ولا ينبغي للحجاج ان يحل الا بعد النحر^(٧١) .

والبدنة الواحدة قد تجزى عن عدد من الاشخاص . ففي حجة الوداع نحر الرسول مائة بدنة عن الصحابة وعددهم سبعمائة ، أى ان كل بدنة اجزت عن سبع ، وفي بعض الروايات انها اجزت عن عشر^(٧٢) .

خلق الشعر :

من اهم مظاهر انجاز الحج والاحلال منه هو قص الشعر الذى يتم بعد

(٦٩) الموطأ : ج ١ ص ٢٤٩ ابن حنبل ج ٦ ص ٣٥ ، ٧٨ ، ٨٢ . وانظر ايضا عن التقليد : الموطأ ج ١ ص ٢٥١ ، ٢٧١ أما الاحاديث فقد ذكرت مواضعها من كتب الصحاح الستة : فنسنتك : مفتاح كنوز السنة مادة اضاحي .

(٧٠) الموطأ : ج ١ ص ٢٧١ .

(٧١) انظر عن الاحاديث المتعلقة بها : فنسنتك : الفهرس المفصل لالفاظ الحديث النبوي مادة بدن .

(٧٢) عن الاحاديث الكثيرة المروية في هذا الموضوع راجع : فنسنتك . مفتاح كنوز السنة مادة اضاحي . حج . والفهرس المفصل مادة حج . بدن . شعائر . حل . حرم . أما عن الاضاحي عند الامم السامية عامة فافوسع بحث هو الذى كتبه روبرتسن سمث في كتابه محاضرات عن دين الساميين .

النحر مباشرة ولا يجوز أن يتم قبله والا فسد الحج^(٧٣) . ولا يقتصر ذلك على الحج الى مكة بل يمتد الى بقية الآلهة ، فكان الاوس يعظمون مائة وكانوا (يحجون فيقفون مع الناس الموافق كلها ولا يحلقون رؤوسهم فإذا نفرؤا اتوه فحلقوا رؤوسهم عنده واقاموا لا يرون لحجهم تماما الا بذلك^(٧٤)) . وكانت قضاة ولخم وجذام يحجون للاقيصر ويحلقون رؤوسهم عنده ، فكان كلما حلق رجل منهم رأسه التقى مع كل شعره قرة من دقيق^(٧٥) .

ويبدو ان للشعر اهمية دينية خاصة عند كافة الساميين لان قصه كان يتم بمراسيم دينية^(٧٦) ، فالطفل عندما يقص شعره تقدم للآلهة بعض الهدايا وتحاط بمراسيم دينية . ولعل سبب ذلك هو ان نمو الشعر دليل على نمو الطفل بنعمة الآلهة التي حرسه ، وان حلق شعر الطفل دليل على نضجه ونموه وتحمله ، أو قرب تحمله ، المسؤولية الدينية ، ومن هنا كان يحاط ببعض الطقوس الدينية ، وتقدم الهدايا للآلهة التي أنتمت ورعته . ويطلق اسم العقيقة على الهدايا والتقدمات المقدسة عند حلق شعر الطفل^(٧٧) .

رجال الدين :

تطلب طقوس العبادات اناسا يتدربون عليها ويفهمون اهدافها وفلسفاتها ومجرباتها ويوجهون الناس اليها ويرشدوهم . وقد ذكرت في مكة اعمال دينية كالأجازه والأفاضة والحجابه وقد تحدثنا عنها عند البحث عن مكة لانها لم تذكر في مكان آخر من الجزيرة كما ذكر السدنة ايضا . ومع ان وظائف كل هؤلاء متصلة بالدين الا انها لا تستلزم من القائم بها أن يكون عالما بشؤون الدين أو

(٧٣) راجع عما ورد في الحلق من احاديث : فنسنك : مفتاح كنوز السنة ، والفهرس المفصل مادة حيق .
 (٧٤) الاصنام : ص ١٦٠ .
 (٧٥) الاصنام : ص ١٤ .
 (٧٦) انظر سمث : ص ٣٢٣ فما بعد .
 (٧٧) عن الاحاديث النبوية عن العقيقة راجع فنسنك : مفتاح كنوز السنة مادة عقيقة .

متبحراً فيه . ومن الغريب اننا في اخبار مكة أو اخبار الدعوة الاسلامية فيها لا نسمع ذكراً لرجال الدين مطلقاً . وليس هناك دليل على ان مقاومي النبي كانوا من رجال الدين .

والسادن كما يعرفه ابن منظور ، هو خادم الكعبة وبيت الاصنام ويروى عن ابي عبيد ان سدانة الكعبة خدمتها وتولى أمرها وفتح بابها واغلاقه والسادن هو الخادم ويروى عن ابن بريق ان الفرق بين السادن والحاجب ان الحاجب يحجب واذنه لغيره والسادن يحجب واذنه لنفسه اي ان السادن فوق الحاجب (٧٨) .

وقد ذكر سدنة عدد من الآلهة الجاهلية ، فكان سدنة اللات من بنى معتب الثقفيين ومنهم مسعود سادن اللات الذي قاد ثقيف في حرب الفجار ، وبنو شيان (من سليم) سدنة العزى ، وبنو لحيان سدنة سواع ، وبنو امامة سدنة الخلصة ، وبنو عامر الاجدار سدنة ود ، وخراعة بن عبد نهم المزني سادن نهم ، والعوام بين جهيل سادن يغوث (٧٩) .

أما سدانة الكعبة فكانت لبني عبدالدار .

وكثيراً ما يكون السدنة من عشائر غير التي تسكن في الحرم ، فاذا كانت كذلك فتكون أقدم العشائر الأخرى في الغالب . والغالب ان السدانة تكون وراثية ومحصورة بأسرة معينة ، على انها قد تنتزع منها بالقوة أو التهديد كما فعل قصى عندما انتزع سدانة الكعبة وسيادة مكة من خزاعة .

الكهان والعرافون :

أما الكهان فهم اشخاص وقعوا تحت تأثير الآلهة وبمقدورهم التنبؤ

(٧٨) لسان العرب : ج ١٧ ص ٦٩ .

(٧٩) لقد ذكرت سدنة الآلهة السالفة الذكر في كتاب الاصنام ص ٢٢ ، ١٠ ، ٣٥ ، ٥٥ ، ٣٩ على التوالي . كما ورد ذكر سدنة اللات في سيرة ابن هشام ج ١ ص ٨٧ ، وذكر ابن حجر في كتابه : الاصابة في تمييز الصحابة سادن نهم (ج ١ ص ٤٢٩) وسادن يغوث (ج ٣ ص ٤١) .

بالحوادث أو القيام بالأعمال الخارقة وقد اتهم النبي بأنه كاهن فرد القرآن على ذلك بعدة آيات ، وقد يكون بعض الكهان من السدنة • ويروى السكري انه لا يكون كاهنا حتى يكون له شيطان تابع له ليوحى اليه^(٨٠) • وكانت العرب تستشيرهم وخاصة قبيل الحمالات وتتأفر عندهم وتحاكم اليهم^(٨١) • وتنسب الى الكهان حكم وتنبؤات مكتوبة بجمل قصيرة مسجوعة •

ومما يتصل بالكهان العرافون وهم الذين يعرفون الاشياء الخفية^(٨٢) • والرافون والسحرة والشعراء •

(٨٠) المحبر : ص ٣٩٠ •

(٨١) راجع ابن سعد : ج ١ قسم ١ ص ٥٢ الطبري ج ٢ ص ١٧٥ ، ١٨٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ راجع ايضا مروج الذهب ج ١ ص ١٦٨ ، ١٧٥ فما بعد •

(٨٢) ابن سعد : ج ١ قسم ١ ص ٩٨ •

القسم الثالث

حياة الرسول

والدعوة الإسلامية في مكة

مصادر دراسة حياة الرسول

ان حياة الرسول واعماله وتطور نشأة الاسلام يمكن بحثها من ثلاث مصادر رئيسية هي القرآن وكتب الحديث والسنة وروايات المؤرخين ومؤلفاتهم .

القرآن :

أما القرآن فهو كتاب الله المنزل باللفظ والمعنى على الرسول ، واختلاف القراءات فيه قليلة نسبيا ومقتصرة على بعض الكلمات ، فنصه عموما مضبوط يقر الجميع بصحته . ولو تجرأ شخص على التلاعب فيه أو تغييره لحل عليه غضب الناس والله جميعا لان الله تعالى يقول (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) (الحجر ٩) .

لم ينزل القرآن جملة واحدة ، بل نزل منجما في بحر عشرين سنة . وقد ذكر في آياته بعض الحوادث التي واجهها الرسول والاسلام وفصل في بعضها ، كما انه عرض الافكار الاسلامية وقدم البراهين والحجج والادلة عليها ، وكذلك رد على معارضي الاسلام والكفار والمشركين وفند كلا من آراءهم وحججهم وأفكارهم المتباينة والمتنوعة والمختلفة باختلاف الاحوال والظروف والاشخاص . لذا فان القرآن يلقي ضوءا كبيرا على المشاكل التي واجهها الرسول والعقبات التي اعترضته والصعوبات التي واجهته كما يتبين منه وجهات نظر المعارضين .

وقد عبر القرآن عن كثير من الازمات التي كان يلاقيها الرسول والمسلمون واقترح الاجابات والحلول لها وهي ازمات متنوعة متبدلة بعضها قوى طويل الامد وبعضها مؤقت قصير الاجل . ويمكن القول عموما ان تكرر الموضوع الواحد في القرآن دليل على انه لاقى كثيرا من المقاومة والنقاش .

فالقرآن هو المصدر الاول لدراسة نشأة الاسلام وعقائده نظرا لاصالته ولما فيه من اشارات واخبار عن عصر الرسول وما لاقته الدعوة .

غير ان الاستفادة من القرآن في دراسة تاريخ الرسول والدعوة الاسلامية ليست سهلة ، نظرا لانه لم يشمل بالذكر كافة الحوادث التي مر بها الاسلام ، أو كل الاعمال التي قام بها الرسول ، أو كافة من اتصل بهم واحتك فيهم من الاشخاص . والواقع انه لم يرد فيه الا اسم شخصين فقط احدهما مشرك هو أبو لهب عم النبي والثاني مسلم هو زيد بن حارثة ربيب الرسول . ثم ان كثيرا من الاوضاع والمؤسسات والنظم الجاهلية التي أشار اليها القرآن زالت بعد مجيئ الاسلام واندرست ولم يبق لها أثر مما أدى الى اختلاف الشراح والمفسرين في توضيحها حتى انه يصعب علينا اليوم الجزم في صحة واحد من هذه التفاسير أو تفضيله على غيره .

ولعل أكبر صعوبة تصادفنا عند محاولة الاستفادة من القرآن في الدراسة التاريخية لحياة الرسول والاسلام وخاصة في الدور المكي هو معرفة زمن نزول الآيات . ذلك ان العلماء المسلمين الذين بحثوا اسباب النزول اكتفوا بذكر سبب نزول آيات معينة محدودة تشير في الغالب الى احكام أو حوادث أو اشخاص معينين . كما ان الباحثين في النسخ والمسنوخ درسوا في الغالب تعاقب نزول الآيات النسخة والمسنوخة خاصة في الاحكام القضائية وهي آيات محدودة العدد نسبيا في القرآن ، أما بقية الآيات فلم يتطرقوا لها رغم أهميتها الكبرى في دراسة تطور الدعوة الاسلامية وما لاقته .

لقد بحث العلماء المسلمون ايضا في تعاقب نزول السور ورووا ترتيبها حسب نزولها وقد اختلفوا في ابحاثهم اختلافات كبيرة^(١) ؛ ومع ذلك فان دراستهم غير كافية لان السورة الواحدة لم تنزل مرة واحدة بل كثيرا ما تكون في السورة الواحدة آيات مكية واخرى مدنية ، أو تكون السورة الواحدة مكية خالصة ولكن

(١) انظر رواية ابن عباس في ترتيب نزول السور في السيوطي : الاتقان في علوم القرآن ج ١ ص ١١ مقدمتان في تاريخ القرآن ص ٨ ، ورواية علي بن ابي طالب في مقدمتان ص ١٤ ، ورواية الواقدي في : ابن السديم ، الفهرست ص ١٨ . أما ترتيب تولده كوكرة وكايتاني فانظرهما في : بيل : مقدمة للقرآن ص ١١٠-١١٤ (بالانكليزية) .

آياتها نزلت في فترات متباعدة ثم جمعت في سورة واحدة^(٢) . فالاعتماد على هذه الروايات غير كاف .

وقد حاول بعض المستشرقين دراسة زمن النزول ؛ ولعل ابرزهم ثيودور نولده كه في كتابه تاريخ القرآن وقد اتخذ الاسلوب معيارا لمعرفة زمن نزول السور ، واعتبر السور الاولى آياتها قصيرة مسجوعة ، أما السور المتأخرة فأياتها طويلة غير مسجوعة في الغالب . ولكن دراسته ناقصة شأن دراسة العلماء المسلمين من حيث آيات السورة الواحدة قد تكون نزلت في اوقات متباعدة .

وقد قام المستشرق الانكليزي ريتشارد بل بدراسة اخرى حيث ترجم القرآن ودرس كل آية وحاول تحديد زمن نزولها من معانيها ومواضيعها واسلوبها . ولا شك ان بحثه طريف وبعض استنتاجاته عن زمن نزول الآيات يثير التفكير . ولكن احكامه ليست نهائية .

ربما كانت هذه الصعوبات من اهم الاسباب التي أدت بمؤرخي السيرة النبوية الا يستفيدوا من دراسة القرآن الاستفادة الكافية رغم أهميته الكبرى وبذلك خسر الفكر خسارة كبرى . وقد حاول بعض المحدثين وخاصة من المستشرقين أمثال شبرنجر وموير وكيتاني وبوهل معالجة ذلك والاستفادة من القرآن في دراسة حياة الرسول أما العرب فلا اعلم من حاول ذلك بصورة شاملة الا محمد عزة دروزة في كتابه عصر الرسول وبيته ، وسيرة الرسول .

لقد حاولت في بحثي عن الدعوة الاسلامية أن اجمع الآيات التي تدور حول الموضوع الواحد محاولا تعيين زمن التأكيد على ذلك الموضوع مستعينا بما رواه المؤرخون عن خطوات الدعوة وما يقتضيه منطلق الحوادث في استنتاج سير تطورها ، حيث يبدو ان الدعوة بدأت بالتأكيد على بنها بين قومه بلسان عربي والدعوة الى عبادة الله الواحد الأحد والنظر في آياته واعماله ، ثم التأكيد على يوم القيامة والبعث والحساب وقصص الانبياء للعبرة والتوضيح ، ثم عيب آلهة الشرك وعبادتها ثم المقاطعة ثم التثبيت . وقد اجلت دراسة الآيات المتعاقبة بالطقوس والمواضيع الاخرى

(٢) انظر في ذلك : السيوطي : الاتقان في علوم القرآن ج ١ ص ١٢-١٨ .

الى الجزء الثانى • ومع اعترافى بأن هذه المحاولة اولية الا انى ارجو أن تكون
دليلاً مثيراً لدراسة خطوات الدعوة من الآيات القرآنية •

الاحاديث والسنة :

أما سنة الرسول فهى كل ما قاله أو عمله أو أقره أو رآه فلم ينكره •
ويختلف الحديث عن القرآن من حيث كون القرآن منزل من الله لفظاً ومعناً وان
الحديث من الرسول وهى لم تدون فى زمن الرسول وهناك روايات بأن الرسول
وعمر بن الخطاب نهيا عن محاولة تسجيل سنة الرسول واحاديثه • وأقدم محاولة
ذكر القيام بها لتسجيل احاديث الرسول كانت فى زمن عمر بن عبدالعزيز ، أى
فى نهاية القرن الاول الهجرى^(٣) •

وأقدم الاحاديث المدونة الباقية هى موطأ مالك وقد وصلنا عن عدة روايات
أهمها رواية سحنون وفيها ١٧٢٠ حديثاً ورواية محمد بن الحسن الشيبانى وفيها
١١٧٩ حديثاً غير ان أقوال الرسول واحاديثه منها لا تزيد عن ٨٢٢ فى رواية
سحنون و٤٢٩ فى رواية الشيبانى والباقى أقوال للصحابة والتابعين وآراء
لمالك نفسه •

وقد أورد كل من ابى حنيفة وابو يوسف ومحمد بن الحسن الشيبانى
والشافعى عدد من الاحاديث فيما ألفوه وقد جمعت احاديث كل منهم فى مجاميع
أو مساند وأكثرها مطبوع ولكن هذه الاحاديث هى قليلة نسيباً ولا تشمل كل
أقوال الرسول وأعماله •

وجدير بالملاحظة ان هؤلاء المؤلفين هم فقهاء تناولت أبحاثهم المشاكل الفقهية
بالدرجة الاولى ، كما ان كثيراً منهم لم تشمل أبحاثهم تفاصيل مختلف القضايا
الفقهية • لذا يمكن القول بأن الاحاديث المروية عنهم تؤكد على ما يتصل الفقه
وانها أوردت لتخدم هذا العلم فهى ليست خالصة لأحاديث الرسول ولا يرد فيها
كافة ما يعرف عن حياة الرسول •

(٣) انظر عن نشأة وتطور علم الحديث : احمد امين : فجر الاسلام ،
ضحى الاسلام ج ٢ ولجولدمزهر بحث قيم نشره فى كتابه « دراسات اسلامية »
(بالامانية) ثم ترجم حديثنا الى الفرنسية •

ان مركز الرسول العظيم كقدوة للمسلمين في حياتهم كما قال تعالى « قد كان
لكم في رسول الله اسوة حسنة » (الاحزاب ٢١) وتزايد أهمية السنة في التشريع
دعت الناس من غير الفقهاء الى الاهتمام باحاديث الرسول ودراستها كما أدت الى
اختلاف كثير من الاحاديث ونسبتها الى الرسول . وقد أدى كل هذا الى انفصال
الحديث تدريجيا عن الفقه والى اهتمام العلماء ، وخاصة منذ القرن الثاني الهجري
في تدقيق الاحاديث وغربلتها وتنقيتها من العناصر الغريبة والمختلقات والاكاذيب .
ومع ان هؤلاء العلماء بذلوا جهدا عظيما رائعا ، الا ان اهتمامهم كان منصبا بالدرجة
الأولى على النقد الظاهري دون الباطني أي على الرواة ورجال السند دون نصوص
الحديث . ومع ان هذه المحاولات أدت الى غربلة كثير من الاحاديث الا انها لم تؤد
الى تنقيته التامة فظلت كثير من الاحاديث مثار نقاش حول مدى صحتها ودقتها .

ومن أهم نتائج توسع الاحاديث وانفصالها عن الفقه وغربلتها ، ان ظهرت
مجموعات من كتب الحديث الصرفة وأهمها عند السنة ستة هي صحيح البخاري
وصحيح مسلم وسنن الترمذي وسنن ابن ماجه وسنن ابن داود (يضاف اليها
موطأ مالك) . ولصحيح البخاري وصحيح مسلم مكانة خاصة نظرا لشدة تدقيق
صاحبيهما وقلة الشوائب فيهما بالنسبة للباقية .

تبحث هذه الكتب عن سيرة الرسول واعماله وما أقره من أحكام في مختلف
نواحي الحياة السياسية والمالية والادارية فضلا عن أحكام الدين والطقوس
والعبادات . ومروياتهم عن حياة الرسول وأعماله السياسية والادارية ذات أهمية
الا انها قليلة نسبيا ، رغم انها جوهر التاريخ ثم ان الاحاديث المتعلقة بحياة الرسول
لا تختلف كثيرا عما أورده المؤرخون الاولون . ومن الملاحظ ان اصحاب كتب
الصحاح لم يتحرروا تماما من تأثير الفقهاء الذي يتجلى في زيادة اهتمامهم بالمشاكل
الفقهية وترتيب كتبهم على نمطها .

ثم ان كتب الحديث تورد نص الحديث وسنده ولا تفسره أو تحلله ، فهي
مجموعة نصوص فحسب ولا بد من تحليلها وايجاد الصلة بينها وتفسيرها . وقد قام
كثير من العلماء القدامى في شرح الاحاديث وتفسيرها الا انه لم تقم محاولة جدية
لايجاد الصلة الزمنية بينها أو ربطها وتفسيرها واستخدامها لاعطاء صورة للاوضاع
التاريخية . اذ ان محاولات الاقدمين في دراسة هذه الاحاديث اقتصر على شرح

كل حديث دون محاولة تحليله أو ربطه مع غيره وبذلك كانت محاولاتهم مفككة لا تكون وحدها تاريخا متصلا .

ويلاحظ ايضا ان هذه الاحاديث غير مرتبة ترتيبا زمنيا وقلما يشار الى زمن نزولها مما يخلق صعوبة كبرى لدارس التاريخ الذي يقوم بحثه على أساس ترتيب الحوادث ترتيبا زمنيا .

ان هذه المصاعب من اهم العوامل التي جعلت كثيرا من دارسي حياة الرسول يتحاشون قراءتها ولا يستفيدون منها بمهارة أو كفاية ، رغم أهمية ما فيها من معلومات . وبذلك كانت محاولاتهم واضحة النقص .

المؤرخون (٤) :

أما المؤلفات التاريخية عن حياة الرسول ، وتسمى عادة كتب السيرة ، وهي مشتقة من السير في الحياة ؛ فقد بدأ الاهتمام بتدوينها بعد منتصف القرن الاول الهجري أى بعد وفاة الرسول بخمسين سنة وأكثر ، وساهم في تدوينها العرب والموالى ، وكانت في البداية بسيطة تناول بعض نواحي حياة الرسول واعماله ، وهي متأثرة بالفقه والادارة اذ تهتم بقوائم اسماء المسلمين الاول ، أو المشتركين بالغزوات الاولى ، كما تنطرق الى أحكام الرسول وقضاياه ؛ أما اسلوبها فبسيط واضح اقرب الى الاسلوب القصصي وتروى خلال سردها الحوادث بعض القصائد والشعار ، وهي بصورة عامة مفككة غير مترابطة ولا تعبر الاسناد أهمية كبرى .

ابان بن عثمان :

واول من رويت عنه اخبار السيرة هو ابان بن الخليفة عثمان بن عفان ، وقد ولد حوالي سنة ٢٠ هـ وعين في زمن عبدالملك بن مروان واليا على المدينة حيث

(٤) هذا البحث عن مؤلفي السيرة هو ملخص لمقال ديلافيدا عن السيرة في دائرة المعارف الاسلامية ، ولمقال يوسف هورفتز عن (مؤرخي السيرة الاول) الذي نشره بالانكليزية في مجلة الثقافة الاسلامية سنة ١٩٢٦ ولخصه احمد امين في الجزء الثاني من ضحى الاسلام ، كما ترجمه حسين نصار الى العربية بعنوان المغازي الاولى ومؤرخوها ، ثم ضمنها في كتابه (نشأة الكتابة الفنية في الاسلام) بعد أن اضاف اليها بعض المعلومات .

ظل في هذا المنصب سبع سنوات كان يتولى خلالها امارة الحج كل سنة تقريبا ، وكانت له صلوات طيبة بكبار الصحابة والتابعين ، وتوفى في خلافة الوليد على ما يروى البخارى أو في زمن يزيد الثانى على ما يروى ابن سعد . وقد رويت عنه بعض الاحاديث مما يدل على مكانته الطيبة عند المحدثين . وكان يميل الى الدعابة والفكاهة وله تذوق للشعر . وقد روى عنه الطبرى فى تاريخه وتفسيره ، كما روى عنه مالك فى الموطأ ، وابن سعد فى الطبقات . ولكن ابن اسحق والواقدي لم يرويا عنه .

عروة بن الزبير :

ويتلو ابان فى الترتيب الزمنى عروة بن الزبير بن العوام الذى ولد حوالى سنة ٢٣ هـ وتوفى سنة ٩٤ وقضى حياته فى المدينة محبا للمعلم ومهتما به وكان له اصحاب يجلسون فى حلقة بمسجد المدينة يتداولون الاخبار منهم عبدالمك بن مروان قبل تسنمه منصب الخلافة .

لم يندفع عروة فى شؤون السياسة أو يساهم فيها مساهمة فعالة كما فعل اخواه عبدالله ومصعب لذا احتفظ بمكاته الطيبة عند الامويين وقد قضى فى مصر سبع سنوات كما زار الشام فى عهد عبدالمك والوليد . وكان من فقهاء المدينة السبعة المشهورين ، وله شهرة بمعرفة الحديث .

لقد دون عروة معلوماته عن تاريخ الرسول بشكل أجوبة لاسئلة وجهها اليه عبدالمك وابن ابى هنيذة كاتب الوليد . وهذه الاجوبة تتعلق بالهجرة الى الحبشة وهجرة الرسول الى المدينة وبغزوة بدر وفتح مكة ووفاة خديجة وزواج الرسول باخت الاشعث بن قيس . وهو يحلى كتاباته بمقتطفات من الشعر ولا يهتم كثيرا بذكر رجال السند .

شرحبيل بن سعد ووهب بن منبه :

والاسم الثالث فى تاريخ سيرة الرسول هو شرحبيل بن سعد مولى بنى خطمة ، وقد ولد فى اواخر عهد عمر أو اوائل عهد عثمان وتوفى سنة ١٢٣ هـ بعد ناهز المائة . ويقول عنه سفيان بن عيينة انه لم يكن احد اعلم بالمغازى البدرين منه ، ولكنه كان متهما فى امانته لذا لم يرو عنه ابن اسحق والواقدي أما ابن سعد فقد روى عنه حديثا واحدا .

والاسم الرابع هو وهب بن منبة الذي اشتهر بكتابه عن الشعوب والامم القديمة ولكنه كتب ايضا في سيرة الرسول وقد حفظت من كتاباته قطع تتعلق باجتماع دار الندوة والهجرة وغزوة بنى خيصة .

ابن حزم وعاصم :

ويتلو هؤلاء حسب الترتيب الزمني عبدالله بن ابي بكر بن عمر بن حزم وكان جده واليا للرسول على نجران وابوه قاضيا في المدينة ثم واليا عليها زمن سليمان بن عبدالملك وعمر بن عبدالعزيز . أما عبدالله فلم يتول مناصبا رسميا بل اهتم بالحديث وبالمغازي وبشباب الرسول والاعوام الاولى من حياته وبوفود القبائل الى الرسول كما روى اخبارا عن ردة القبائل العربية وعن اواخر أيام عثمان وقد روى ايضا كتب الرسول الى ملوك حمير والى عمرو بن حزم .

لقد استمد ابن حزم كثيرا من معلوماته من خالته عمرة وهو لا يهتم بالسند وقلمما يورده ولكنه يورد الشعر في مغازيه .

أما عاصم بن عمر بن قتادة الظفري الانصارى فهو لم يتول مناصبا رسميا ولكنه زار بلاط الامويين بضع مرات يستمد منهم بعض المعونة المالية . وقد حدث اهل دمشق عن المغازي في زمن عمر بن عبدالعزيز واهتم بتفاصيل اخبار شباب النبي والفترة المكية عامة . وهو أكثر اهتماما بالاسانيد وذكرها لها من عبدالله بن حزم ويروى في اخباره الاشعار ويبدى احيانا آراءه الخاصة .

الزهري وتلامذته :

ومن أبرز مؤرخي السيرة محمد بن مسلم الزهري الذي ولد حوالي سنة ٥٠ هـ وهو قرشي من قبيلة زهرة كان جده قد جرح الرسول في غزوة أحد أما أباه فكان ممالئا لابن الزبير ولكن صاحبنا كان ذا علاقة طيبة بالامويين فقد وفد على عبدالملك واستوطن دمشق فترة من الزمن واجرى عليه الامويون راتبا معينا ثم ساءت علاقته معهم فعاد الى الحجاز .

لقد كتب الزهري عن مواضيع كثيرة فتناول اسنان الخلفاء أي اعمارهم ، كما تناول حياة الرسول كما يتجلى ذلك من اقتباس الطبري وابن سعد منه . وهو يعيل الى جمع اسماء رواة الخبر الواحد وتوحيدهم ثم رواية الخبر نفسه فهو

لا يدقق بالاسناد ويدخل الشعر فيما يروى •

لقد كان للزهري عدة تلاميذ بارزين كلهم من الموالى ابرزهم موسى بن عقبة الذي ولد حوالي سنة ٥٠ هـ وكان مولى للزبيريين فلم يتول أى منصب لدى الامويين ولم يصلنا من كتاباته الا قطع وقد شمل المغازى والهجرة وروى خاصة عن الزهري كما اقتبس منه كثيرا ابن سعد وخاصة فى المجلد الثالث والرابع من الطبقات ويظهر من هذه الاقتباسات ان كتابه كان يحوى على قوائم المهاجرين الى الحبشة والمشاركين فى بيعة العقبة والمقاتلين فى بدر وقد اهتم بتاريخ الراشدين والامويين وأغار السند أهمية كما استشهد بالشعر قليلا واعتمد عليه الواقدي والطبرى •

أما معمر بن راشد فهو مولى الحدان وقد ولد ونشأ فى البصرة حوالي سنة ٩٦ هـ ثم رحل الى اليمن واستقر فيها • وهو محدث • وقد ذكر له ابن النديم كتاب المغازى الذى لم تصلنا منه الا فقرات رواها الواقدي وابن سعد والبلاذرى والطبرى وأكثر رواياته عن الزهري • وقد روى كثيرا عن تاريخ اهل الكتاب والرسول الاولين • وروى عنه ابن سعد اخبارا عن عهد عثمان ومعاوية •

ابن اسحق :

يحتل ابن اسحق مكانة خاصة بين مؤرخى السيرة نظرا لان معظم ما كتبه عنها وصلنا عن طريق ابن هشام والطبرى ، وهى تمثل اوسع ما كتب حتى ذلك الوقت • وكان تاريخ السيرة عنده يمثل جزءا من تاريخ العالم واستمرارا له ، كما انه اعتمد على اهل الكتاب ولم يقتصر على رجال السند بل اهتم بالشعر ايضا فكانت طريقته مزيجا بين طريقة المحدثين ورواة ايام العرب •

لقد كان ابن اسحق مولى تحدر من يسار الذى كان من أسرى عين التمر الذين جاء بهم خالد بن الوليد من العراق الى المدينة • وقد ولد محمد حفيده سنة ٨٥ هـ واهتم بالحديث فروى عن ابيه ثم اتصل بعدد من العلماء امتاز عاصم بن عمر وعبدالله بن ابي بكر والزهري • ثم ذهب سنة ١١٥ هـ الى الاسكندرية حيث سمع من يزيد بن ابي حبيب ثم زار المدينة وقابل سفیان بن عيينة • ولكن خاصمه هشام بن عروة ومالك بن أنس فرحل الى الكوفة والجزيرة والرى وبغداد • ولم يتصل بالامويين كما انه لم يتأثر بالعباسيين •

والواقع انه ذكر العباس بن عبدالمطلب ، وهو جد العباسيين من بين أسرى بدر .
الف ابن اسحق كتابه في السيرة وهو يتكون من ثلاثة اقسام المبتدأ والمبعث
والمغازي . لم يصلنا هذا الكتاب مباشرة بل وصلنا برواية ابن هشام ، وفي هذه
الرواية بعض التحوير للكتاب حيث ترك تاريخ اهل الكتاب من آدم الى ابراهيم ،
كما انه لم يذكر من سلالة اسماعيل غير اجداد النبي المباشرين ، كما حذف ما لا
علاقة له بالرسول وأنكر بعض مما رواه ابن اسحق من الشعر أو ما يؤذي الناس
ذكره ، كما اضاف اليه كثيرا من الاضافات في الانساب واللغة وقد أشار الى
اضافته ومحدوفاته كما ان الطبري حفظ كثيرا مما حذفه ابن هشام عن الانبياء ،
وحفظ الازرقى كثيرا مما حذفه ابن هشام عن مكة .

يمكن تقسيم المبتدأ الى اربعة اقسام اولها يمتد من الخليفة الى المسيح ، وقد
عنى فيه بروايات وهب بن منبه وابن عباس واخبار اليهود والنصارى ونصوص
الكتاب المقدس والعرب البائدة التي ورد ذكرها في القرآن خاصة . والقسم
الثاني من المبتدأ يشمل تاريخ اليمن وقصة اصحاب الاخدود واصحاب القيل .
والقسم الثالث القبائل العربية والاصنام التي تعبدتها . أما القسم الرابع فيبحث عن
اجداد النبي والديانة المكية . والاسناد في المبتدأ نادر . والقسم الثاني من الكتاب
هو حياة الرسول في مكة والهجرة . ويهتم ابن اسحق في هذا القسم برواية
الاسناد وبذكر قوائم اسماء المسلمين الاولين والمهاجرين واول المؤمنين من الانصار
والمشركين بيعتي العقبة والمؤاخاة وبوثيقة النبي في المدينة .

والقسم الثالث هو المغازي ويهتم فيه بذكر الاسناد ويعتمد على الزهري
وعاصم بن عمر وعبدالله بن ابي بكر ويورد قوائم اسماء المشركين في بدر والقتل
والاسرى فيها وفي أحد والخندق وخيبر وموتة والطائف والمهاجرين من الحبشة .
لابن اسحق عدة تلامذة أشهرهم البكائي الذي روى عنه ابن هشام ، وسلمة
بن الفضل الذي روى عنه الطبري .

الواقدي :

الواقدي وابن اسحاق هما الوحيدان اللذان سلمت مؤلفاتهما من الضياع .
والواقدي ، واسمه محمد بن عمر ، مولى للاسلميين . ولد في المدينة سنة ١٣٠ هـ
وسمع أشهر رجال الحديث في المدينة وكان عالما بالآثار فصار مرشدا للرشيد

في حجه وكان ذلك سبب اتصاله بالبرامكة وبالخليفة العباس . وقد ولاء الرشيد
والمأمون القضاء . وقد ألف كثيرا من الكتب في الفقه والتاريخ الجاهلي لمكة
والمدينة وطعم النبي وحياته وأزواجه ووفاته وعن الأوس والخزرج وأبي بكر
والجمل وصفين والحسن والحسين وفتوح الشام والعراق وضرب الدينار ومراعي
قريش وعن الطبقات وتاريخ الفقهاء .

معظم اساتذة الواقدي من اهل المدينة كالزهري ومعمر وابو معشر وموسى
بن عقبة . وقد اهتم بالغزوات وهو يتبع نمطا خاصا في ذلك ، فيذكر سنة خروج
الرسول ورجوعه ثم اخبار الغزوة ثم نائب الرسول في المدينة ثم يروي بعض
الاشعار . وهو يحدد التواريخ ويبدى احيانا آراءه الخاصة في الحوادث . ويظهر
تحيزه للعباسيين من حذفه اسم جدهم العباس من قائمة أسرى بدر .

ابن سعد :

ولد محمد بن سعد في البصرة سنة ١٦٨ هـ وعاش من الزمن في المدينة
وكتب في السيرة والطبقات كتابين رواهما تلامذته من بعده حتى استقرت نهائيا
على يد الحسن بن فهم (٢١١-٢٨٩ هـ) .

لقد بحث ابن سعد في الجزء الاول من كتابه عن الرسول ، فبدأ باجداد
النبي وطفولته والدعوة حتى الهجرة كما بحث في القسم الثاني عن العهد المدني
وعن أوامر النبي ووفود العرب .

وبحث في الجزء الثاني عن عادات الرسول وأخلاقه وسفاراته وعن علامات
النبوذة . ولا ريب ان له عن التاريخ نظرة أوفى نظرا لاهتمامه بالنواحي الادارية
والاجتماعية والاقتصادية ، دون الاقتصار على النواحي السياسية والحروب .

يعتمد ابن سعد في بحث اجداد الرسول على اهل الكتاب وعلى ابن الكلبي ،
أما عن حياة الرسول فيعتمد على الواقدي بالدرجة الاولى ولكنه يضيف اليه
معلومات عن ابن اسحق وابي معشر وموسى بن عقبة . وهو يهتم برجال السند
ويروي بعض الشعر .

مؤلفون آخرون : رواية ابن النديم :

ذكر ابن النديم عددا من المؤلفين عن الرسول وأورد أسماء كتبهم ولعل

أهمهم على بن محمد المدائني الذي ألف عددا من الكتب في امهات النبي وصفته
واخبار المنافقين وتسمية المنافقين ومن نزل القرآن فيه منهم ومن غيرهم وفي الذين
يؤذون النبي وتسمية المستهزئين الذين جعلوا القرآن عضين وفي رسائل النبي
وكتب النبي الى الملوك واقطاع النبي وصلح النبي وآيات النبي وخطب النبي وعهود
النبي والمغازي والسرايا والوفود ودعاء النبي وخبر الافك وأزواج النبي وعمله
على الصدقات وما نهى عنه وامواله وكتابه ومن كان يفد عليه بالصدقة والخاتم
والرسل وخطبه^(٥) .

ويتبين من هذه القائمة مدى اهتمام المدائني بالنواحي الاجتماعية والادارية
غير انه من سوء الحظ لم تحفظ هذه الكتب ولم يشر اليها المؤلفون الذين تطرقوا
الى هذه المواضيع ولم تدرس بعد اسباب ذلك .

وقد ذكر ابن التديم ايضا اسما عدد من المؤلفات عن حياة الرسول منها :
(١) كتاب المغازي لنجيج المدني (٢) كتاب صفة النبي لابي البختری (٣) كتاب
المغازي للوليد بن مسلم (٤) كتاب مغازي النبي وسراياه وذكر أزواجه لاحمد بن
الحارث الخزاز (٥) كتاب المغازي لاسماعيل بن اسحق القاضي (٦) كتاب المغازي
لعبدالمالك بن عمرو بن حزم (٧) كتاب المغازي لابراهيم الحرابي (٨) كتاب المغازي
لعبدالرزاق الصنعاني (٩) كتاب الوفود للهيثم بن عدي (١٠) كتاب مزاح النبي
للزبير بن بكار (١١) كتاب المبدأ والمبعث والمغازي والوفاة والسقيفة والردة
لأبان بن عثمان بن يحيى بن زكريا المؤلوي الاحمر البجلي^(٦) .

رواية ياقوت :

وقد ذكر ياقوت الحموي كتابا اخرى عن حياة الرسول هي : (١) كتاب
تفسير اسماء النبي وكتاب سيرة النبي لاحمد بن فارس اللغوي (٢) كتاب مغازي النبي
وكتاب بنات النبي وأزواجه لاحمد بن عبدالله الرقي (٣) كتاب اخبار النبي ومغازيه

(٥) الفهرست ص ١٤٧-٨ .

(٦) لقد ذكرت هذه الكتب في الفهرست في الصفحات التالية بالتتابع

(١) ص ١٣٦ (٢) ص ١٤٧ (٣) ص ١٥٩ ، ٣١٨ (٤) ص ١٥٣ (٥) ص ٢٨٢

(٦) ص ٣١٦ (٧) ص ٣٢٣ (٨) ص ٣١٨ (٩) ص ١٤٥ (١٠) ص ١٦١ .

وسراياه لاسماعيل بن مجمع الاخبارى (٤) كتاب المغازى لعلى بن ابراهيم القمى (٧) .

رواية السخاوى :

ويروى السخاوى ان ابن حيان وابن فارس وابن عبد البر وابن حزم وابو احمد الدمياطى وعبد الغنى النابلسى والتقطب الحلبي وابو عبدالله الذهبى وابو الفتح بن سيد الناس الذى الف عيون الاثر وكتب عليه البرهان الحلبي تعليقا فى مجلدين سماه نور التبراس وللغلاء على بن محمد بن ابراهيم البغدادي ايضا وكذلك الظهير على بن محمد بن محمود الكازرونى ثم البغدادي والمحب الطبرى والقاضى عز الدين بن جماعة والشمس البرماوى وكذلك للغلاء على بن عثمان التركمانى الحنفى وابى امامة بن النقاش والشمس بن ناصر الدين والمقريزى (وقد طبع الجزء الاول من كتابه الامتاع) وابن درباس المازانى وكتابه الفوائد المنيرة فى جوامع السيرة والابشيطة . كما وابن المرحل والجماعى الحنبلى . ص ١٠٦ .

وقد ذكر السخاوى ايضا اسما عدد ممن نظموا السيرة أو ألفوا فى دلائل

النبوة والشمال النبوية والاخلاق النبوية والهدى (٨) .

رواية حاجى خليفة :

وقد روى حاجى خليفة اسما عدد من الكتب المؤلفة فى شرح سيرة ابن هشام منها الروض الأنف للسهلى (المتوفى سنة ٥٨١) وكشف اللثام فى شرح سيرة ابن هشام لبدر الدين محمود بن احمد العيني الحنفى (المتوفى سنة ٨٥٥) كما نظمها كل من ابو نصر الخضراوى القصرى (المتوفى سنة ٦٦٣) وعبد العزيز الديرينى (المتوفى سنة ٦٩٧) وابو اسحق الانصارى التلمسانى وفتح الدين ابن الشهيد (المتوفى سنة ٧٩٣) وعلاء الدين الخلاطى الحنبلى (المتوفى سنة ٧٠٨) والدمياطى (المتوفى سنة ٧٠٥) والكازرونى (المتوفى سنة ٦٩٤) والشاهى الذى يقول عنه ان كتابه اوسع كتب السيرة ؛ كما ذكر من مؤلفى السيرة الحافظ

(٧) لقد ذكرت هذه الكتب فى معجم الادباء فى الصفحات التالية بالتتابع

(١) ج ٤ ص ٨٤ (٢) ج ٤ ص ١٣٥ (٣) ج ٧ ص ٤٥ (٤) ج ١٢ ص ٢١٥ .

(٨) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٨٧-٩٢ .

مغلطاي ولخصها ابن قطلوبغا والحافظ عبدالمؤمن الدمياطي (المتوفى سنة ٧٠٥)
والخلاطي وابن ابي طي (المتوفى سنة ٦٣٠) وابن جماعة الكناني (المتوفى
سنة ٧٦٦^(٩)) .

ومنذ القرن الثالث بدأت تظهر المدونات التاريخية التي يشمل بحثها تاريخ
العالم أو العالم الاسلامي ، وصارت سيرة الرسول تبحث فيها كجزء من التاريخ
العام وان كانت تعطى بعض التفصيل ولعل اهم هذه المدونات الاولى هي تاريخ
اليعقوبي ، ومروج الذهب للمسعودي ، وتاريخ الامم والملوك لمحمد بن جرير
الطبري الذي يحتل مكانة خاصة نظرا لانه اورد في كتابه مقتطفات من معظم
المؤلفين القدماء الذين اوردنا اسماهم في صدر هذا الفصل ، ووضعها بحسب
ترتيبها الزمني مع بعضها بحيث يمكن مقارنتها . وقد اعتمد على الطبري معظم
المؤلفين المتأخرين امثال ابن الاثير وابن كثير وابن خلدون والذهبي .

كتب البلدان :

وفي الكتب الجغرافية بعض المعلومات عن الاماكن التي لها علاقة بالسيرة
وكثيرا ما تورد اخبارا هامة عن حياة الرسول واعماله واهم هذه الكتب هي كتاب
مكة واخبارها وجبالها وأوديتها للازرقى ، ومكة واخبارها في الجاهلية والاسلام
للفاكهي ، وكلاهما مطبوعان ، وهناك كتب أشار إليها ابن التديم ولكنها مفقودة
ألفها كل من ابي عبيدة والوافدي والمدائني وابن شيبه وابن مخراق والبلخي وابي
اسحق العطار . كما الف عن المدينة عدد من الكتاب منهم الزبير بن بكار وابن شيبه
والمدائني وابن زبالة وعبيدالله بن ابي سعيد الوراق^(١٠) . ولكن لم يطبع الا كتاب
وفاء الوفا في أخبار دار المصطفى الذي اورد فيه مؤلفه السهمودي معلومات
واسعة قيمة مستمدة من المؤلفين الاول عن المركز الثاني للرسول .

ان أغلب الكتب التاريخية التي اوردنا اسماها مفقود أو غير مطبوع ، وهي

(٩) كشف الظنون ج ١ ص ١٠١٢-١٠١٣ .

(١٠) لقد ذكرت هذه الكتب في الفهرست في الصفحات التالية بالتتابع

٨٠ ، ١٤٤ ، ١٦٣ ، ١٥١ ، ١٦٥ ، ١٩٩ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٥١ ،

١٦٨ ، ١٥٨ .

تعتمد على كتاب سيرة ابن هشام ، وتاريخ الطبري ، وطبقات ابن سعد التي شملت كتب المؤرخين الاول ؛ وهي ولا شك أقل تفصيلا من المؤلفات المتأخرة ، ولكن يمكن القول بأنها أدق نظرا لقدمها .

ابحاث المستشرقين :

وقد تناول المستشرقون الغربيون حياة الرسول فيما تناولوا من الابحاث عن التاريخ الاسلامي . ولا شك ان التعصب والتحامل كانا يطغيان على كتابات المستشرقين القدامى ، نظرا لتأثرهم بروح التعصب الديني الذي كان مسيطرا ومتبلورا بتأثير الحروب الصليبية ، ونظرا لضعف معرفتهم باللغة العربية وقلة المصادر المتوفرة لديهم . غير انه لم يخل الغرب منذ اوائل العصور الحديثة من مفكرين معتدين ، امتدحوا الاسلام (١١) .

ولكن منذ القرن التاسع عشر بدأ الاهتمام لدراسة المخطوطات العربية وطبعها ؛ وأخذ المستشرقون يدرسون تاريخ الشرق لذاته ، متبعين الطريقة العلمية التي كانت قد قطعت شوطا كبيرا في التقدم في الغرب ، كما ان كثيرا منهم كانت لهم عن التاريخ نظرة جديدة ، فاهتموا بدراسة نواح من حياة الرسول لم يهتم لها المشارقة . ومع ان فريقا منهم لم يتقن كل ذلك ؛ الا ان عددا غير قليل كان يتميز بسعة الاطلاع وبعد النظر وعمق التفكير مما ساعدهم على اتساج مباحث تستير التفكير والتقدير ، رغم انه لا يمكن القول بأن احكامهم نهائية . ولعل من أبرز هؤلاء الذين كتبوا عن حياة الرسول في أواخر القرن التاسع عشر واولال القرن العشرين هم وليم موير ، وشبرنجر ، وجرمة وكايتاني الذي اتبع طريقة الحوليات فكان يورد كافة الروايات المعروفة عن كل حادثة ، ويتلوها بايراد آراء كافة من بحث فيها من المستشرقين ، ثم يحللها ويستخلص منها ما يراه . وبذلك كان كتابه من اوسع الكتب واشملها ، وان لم تكن تفاصيل ابحاثه نهائية أو منفق عليها .

وقد ظهرت بعد الحرب العالمية الاولى عدد من الابحاث عن الرسول وحياته تتميز بالاعتدال وبحسن التقدير للنواحي الروحية وبالاستفادة من القرآن ؛ ومن

(١١) انظر عنهم تور أندريه (محمد ص ٢٤٣-٢٤٧) .

أهمها أبحاث بوهل التي لخصها في مقاله عن الرسول والقرآن في دائرة المعارف الإسلامية ، وتور اندريه في كتابه (محمد : الرجل وإيمانه) والذي يعتبر من أرزن ما كتبه المستشرقون ، وكذلك بيل الذي تناول في كتابه مقدمة للقرآن ، تطور كثير من الافكار الإسلامية كما تتجلى من القرآن . واخيرا مونتيجومري وات الذي لخص في كتابه (محمد في مكة) كثيرا من مباحث المستشرقين مع اضافات قيمة . وقد استفدنا من هذه الكتب الاخيرة فائدة كبرى .

الإبحاث الحديثة :

أما في الشرق ، فقد بدأ الاهتمام بدراسة السيرة النبوية واعمال الرسول كجزء من النهضة الفكرية الحديثة . ولعل أبرز هؤلاء الكتاب المحدثين هو محمد حسين هيكل الذي بدأ بترجمة كتاب (محمد) لدرمنجهيم بأسلوب طلي جذاب ، ونشر هذه الترجمة بالتابع في الملحق الادبي لجريدة السياسة ؛ فلما رأى اقبال الناس عليها تصرف كثيرا في الترجمة ، ثم طبعها بكتاب لاقى اقبالا هائلا لما في أسلوبه من سلاسة ، ولما في بعض ابجائه من محاولة للتفكير . وقد أثار هذا النجاح الحماس في عدد من المؤلفين ، امثال طه حسين والعقاد والغمراوي في الكتابة عن حياة الرسول .

كما ان الحركات الانتعاشية في العالم الإسلامي دفعت بعض الباحثين الى دراسة اعمال الرسول باعتبارها المثل الاعلى الذي نستمد منه القبس ، ومع تنوع مواضيعهم وطرافة عرضهم ، الا ان اغلب ابجائهم هي من نوع الدفاع لا الوصف ، وهي قلما تشذ عما اورده القدامى . والمهم انها لم تستفد افادة كافية من دراسة القرآن الكريم ؛ ما عدا محمد عزة دروزة الذي اتخذ القرآن مصدرا أساسيا لدراسة عصر الرسول وحياته ، واستخدمه بمهارة كأساس تكمله الروايات ؛ فطلع بنتائج طريفة جديدة بالدراسة .

ان محاولتي هنا هي دراسة القرآن كمصدر أساسي ، ثم عرض بعض ما أراه من آراء المستشرقين والمحدثين ، واستخلاص صورة لتطور حياة الرسول والعقائد الإسلامية في العهد المكي . أما العهد المدني فسنبحثه في الجزء الثاني .

أجداد الرسول وحياته قبل البعثة

قصي :

ولد الرسول ونشأ في مكة ، متحدرا من أعرق عشائرها نسبا ، وأوسطها مكانا ولقصي مكانة خاصة بين اجداد الرسول ، فهو الذي استطاع أن ينتزع ادارة مكة من خزاعة ويجعلها لقريش التي توحدت بعد أن كانت متفرقة في كنانة .
وتروى المصادر العربية انه نشأ وشب عند اخواله بني قضاة^(١) ، ثم جاء مكة وتزوج من بنت حليل الخزاعي الذي كان سيد مكة ، وقد تمكن بذلك وبمساعدة قضاة من انتزاع سيادة مكة من ايدي خزاعة^(٢) (فولى قصي البيت وامر مكة وجمع قومه من منازلهم الى مكة وقريش اذ ذاك حلول وصرم وبيوتات متفرقون في قومهم من بني كنانة ، الا انه قد اقر للعرب ما كانوا عليه وذلك انه كان يراه دينا في نفسه لا ينبغي تغييره فأقر آل صفوان وعدوان والنساء ومرة بن عوف على ما كانوا عليه حتى جاء الاسلام فهدم الله به ذلك كله فكان قصي اول بني كعب بن لؤي اصاب ملكا اطاع له به قومه فكانت اليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء فحاز شرف مكة كله ، وقطع مكة رباعا بين قومه فانزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي اصبحوا عليها ، ويزعم الناس ان قريشا هابوا قطع شجر الحرم في منازلهم فقطعها قصي بيده واعوانه ؛ فسمته قريش مجمعا لما جمع من امرها وتيمنت بأمره فما تنكح امرأة ولا يتزوج رجل من قريش ، وما يتشاورون

(١) الطبري : ج ٢ ص ١٨١-١٨٢ الازرقى : ج ١ ص ٥٧-٥٨ ابن سعد : ج ١ قسم ١ ص ٣٦-٧ .

(٢) الطبري : ج ٢ ص ١٨٢ ابن سعد : ج ١ قسم ١ ص ٣٧ مروج الذهب : ج ٢ ص ٥٨ ويقول ابن قتيبة ان البيزنطيين ساعدوه (المعارف ص ٣١٣) ولعله يقصد بذلك الغساسنة .

في امر نزل بهم ، ولا يعقدون لواءا لحرب قوم من غيرهم الا في داره ، يعقده لهم بعض ولده ، وما تدرع جارية اذا بلغت أن تدرع من قريش الا في داره ، يشق عليها فيها درعها ثم تدرعه ثم ينطلق بها الى اهلها . فكان امره في قومه من قريش في حياته ومن بعد موته كالدين المتبع لا يعمل بغيره . واتخذ دار الندوة وجعل بابها الى مسجد الكعبة ففيها كانت قريش تقضى أمورها^(٣) .

ويتبين من هذا النص ان قصيا اهتم بالامور الادارية والاجتماعية فحاول اعادة تنظيمها بشكل أدى الى تركيز كافة السلطات بيده ، وكانت له من قوة الشخصية ما أذعن له الناس فيه ، أما الشؤون الدينية فقد تركها بيد من كان يتولاها قبله فلم يمس منها ، الا ما رواه الازرقى من انه نقل اسافا ونائلة من الصفا والمروة ووضعها على بشر زمزم عند الكعبة^(٤) .

وقد أحدث قصي ايضا وقود النار بالمزدلفة وقد ظلت تلك النار توقد تلك الليلة في الجاهلية وفي الاسلام^(٥) .

لقد اورث قصي ابنه عبدالدار سلطانه فأعطاه دار الندوة كما اعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفادة^(٦) .

وقد اورث عبدالدار هذه الامور من بعده ابنه عبدمناف ثم صارت من بعد هذا الى عامر بن عبدمناف بن عبدالدار .

غير ان بنى عبدمناف بن قصي نافسوا عامرا على ما كانت له من سلطات وأرادوا انتزاعها منه ، وقد ناصرهم على ذلك بنو أسد بن عبدالعزيز وبنو زهرة

(٣) سيرة ابن هشام : ج ١ ص ١٣٧ الطبري : ج ٢ ص ١٨٤ (عن ابن اسحق) ابن سعد : ج ١ قسم ١ ص ٣٩ انظر ايضا مروج الذهب ج ٢ ص ٥٨ .
(٤) الازرقى : ج ٢ ص ٧٠ .
(٥) الطبري : ج ٢ ص ١٨٨ ابن سعد : ج ١ قسم ١ ص ٤٠ المحبر : ص ٢٣٦ ، ٣١٩ .

(٦) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٤١ الطبري : ج ٢ ص ١٨٤ . ويدعى الازرقى ان قصيا قسم الوظائف بين ابنيه عبدالدار وعبدمناف (اخبار مكة ج ١ ص ٦٢ ج ٢ ص ٨٧) .

وبنو تيم بن مرة وبنو الحرث بن فهر ؛ أما بنو عبدالدار فلم يستسلموا لمنافسيهم ،
ووجدوا لهم مؤيدين في بنى مخزوم وبنى جمح وبنى سهم وبنى عدى . وهكذا
انقسمت قريش الى كتلتين متخاصمتين ، وكونت عشائر كل كتلة حلفا بينها .
ويدعى حلف بنى عبدمناف حلف المطيين ، أما حلف بنى عبدالدار فيدعى حلف
لعقة الدم . ومن سوء الحظ ان المصادر لا تقدم معلومات اخرى عن دوافع المنافسة
وعوامل التكتل أو كيفية حدوثه ، بل تكفى بالقول بأن الخلاف سوى بطريقة
سلمية بأن تبقى الحجابة واللواء والندوة بيد بنى عبدالدار أما السقاية والرفادة
فتصبح لبني عبدمناف^(٧) .

هاشم :

لقد كان هاشم بن عبدمناف زعيم المعارضة لعامر بن عبدمناف بن عبدالدار
فأخذ بعد الصلح السقاية والرفادة . وتوضح من الاخبار قوة شخصيته ونفوذه
ففضلا عن حفره عدة آبار كبر سحلة^(٨) وبئر بذر^(٩) فانه اول من اطعم الثريد
للحجاج في مكة^(١٠) . وهو اول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء
والصيف^(١١) وهو الذى أخذ الايلاف (فأخذ لهم هاشم جبلا من ملوك الشام
والروم وغسان وأخذ لهم عبدشمس جبلا من النجاشى الاكبر فاختلفوا بذلك
السبب الى ارض الحبشة وأخذ لهم نوفل جبلا من الاكاسرة فاختلفوا بذلك
السبب الى العراق وارض فارس وأخذ لهم المطلب جبلا^(١٢)) ، ويتضح من هذه

(٧) سيرة ابن هشام : ج ١ ص ١٤٣-٤٤ ابن سعد : ج ١ قسم ١
ص ٤٤-٤٥ المحبر : ص ١٦٦ مروج الذهب : ج ٢ ص ٥٩ ابن حزم : جمهرة
النسب ص ١٤٩ .

(٨) الازرقى : ج ١ ص ٦٥ .

(٩) الازرقى : ج ١ ص ٦٤ ج ٢ ص ١٧٥ البكرى : معجم ما
استعجم ص ٢٣٥ .

(١٠) الطبرى : ج ٢ ص ١٧٩ الاشتقاق : ص ٩ .

(١١) الطبرى : ج ٢ ص ١٨٠ ابن سعد : ج ١ قسم ١ ص ٤٣ .

(١٢) سيرة ابن هشام : ج ١ ص ٥٧ ، ١٤٧ الطبرى : ج ٢ ص ١٨٠-١٨١
المحبر : ص ١٦٢-١٦٣ .

النصوص ان علاقة هاشم باخوته كانت طيبة ، وان تجارة مكة قد ازدهرت وامتدت الى مختلف الاطراف ولا ريب ان الظروف الدولية قد ساعدت على ذلك اذ كانت العلاقات متوترة بين الفرس والروم فاستغل ذلك سادة مكة وصمموا على الاستفادة من ذلك بالوقوف موقف الحياد وحسن المعاملة مع كافة الدول وكان للتوتر الدولي أثر في ازدهار الطريق الغربي . وقد مات هاشم بغزة^(١٣) .

عبدالمطلب :

تزوج هاشم من امرأة يثريية من بني النجار فولدت له شيبة الذي ولد وترعرع في المدينة عند امه ثم عاد الى مكة^(١٤) ، وكان ابوه قد توفي وولى من بعده السقاية والرفادة المطلب^(١٥) اخو هاشم وقد سمي شيبة عبدالمطلب بالنسبة لعمه ولما توفي المطلب هذا ولى السقاية والرفادة عبدالمطلب وقد قام بحفر بئر زمزم عند الكعبة .

يروى ابن هشام ان قريشا نازعت عبدالمطلب على قيامه وحده بحفر بئر زمزم حتى اضطروا ان يلجأوا الى كاهنة بني سعد هذيم لفض النزاع^(١٦) ولا ريب انه لا يوجد مبرر قوى لمخاصمة قريش على حفره هذه البئر ، خاصة وان لكل عشيرة في مكة تقريبا بئر او اكثر^(١٧) . ولكن هذا الخبر يشير الى ان زعامته في بادئ الامر لم تكن خالية من المنافسات سواء من بعض العشائر او زعماء قريش . ويروى ايضا ان نوفل ابن عبدمناف نافس عبدالمطلب على سقاية في الصفا فاستجد عبدالمطلب باخواله من بني النجار^(١٨) .

(١٣) الطبري : ج ٢ ص ١٨١ .

(١٤) الطبري : ج ٢ ص ١٧٦-١٧٧ .

(١٥) يقول السكري (فلما هلك حرب بن امية ، وكان حرب رئيسا بعد المطلب تفرقت الرياسة والشرف في بني عبدمناف) المحبر : ص ١٦٥ .

(١٦) الطبري : ج ٢ ص ١٧٨-١٧٩ ابن سعد : ج ١ قسم ١ ص ٤٩ الازرقى : ج ٢ ص ٣٤ .

(١٧) انظر عن آبار مكة الازرقى : ج ٢ ص ١٧٢-١٨٣ .

(١٨) الطبري : ج ٢ ص ١٧٨-٩ نسب قريش : ص ١٩٧ .

ولعل ابرز حادث في عهد عبدالمطلب هي غزو الاحباش لمكة وتشئت شمل الحملة وتروى المصادر العربية ان سبب الحملة هو ان ابرهة بنى كنيسة في اليمن سماها القليس (يبدو ان اسمه مشتق من Ecclesia او الكنيسة) واراد ان تحججه العرب ولكن احد المكيين استاء من ذلك فجهاد الى القليس وتغوط فيه فاغتاض ابرهة وجهز جيشا لاحتلال مكة وتدمير الكعبة فيها^(١٩) . غير ان هذه القصة هزيلة فان ابرهة اذا كان قد بنى كنيسة نصرانية في اليمن لياتيها النصارى ، ولكنه لا يستطيع اجبار المشركين على زيارة الكنيسة النصرانية ، واذا كان قد فعل ذلك فان نطاق امره ينحصر في اليمن وهي البلاد التي يحكمها ولا يمتد الى غيرها من المناطق فسكة اذا لا تغاض من انشاء كنيسة نصرانية لان مركزها الدينى لا علاقة للنصارى به كما انه ليس لابرهة سلطة عليها فضلا عن ان هناك عدة بيوت مقدسة^(٢٠) لم يرد في التاريخ خبر استيلاء اهل مكة منها فلماذا تستاء من القليس .

والارجح ان سبب هذه الحملة هو ما رواه بروكوبيوس من ان البيزنطيين في صراعهم مع الساسانيين استمدوا ملك الحبشة ليعينهم بقوة عسكرية^(٢١) دون ان يذكر مصيرها . ولعل هذه هي الحملة التي اشار اليها بروكوبيوس اى ان ملك الحبشة اشار على ابرهة ان يقود الحملة فتقدم بها سالكا طريق القوافل البرى الى سوريا لينضم الى الجيوش البيزنطية ويتقدم معها للهجوم على الساسانيين . وتشير الكتب العربية الى ان اهل مكة انسحبوا وان عبدالمطلب خرج يفاوض ابرهة لكي لا يمس بعض اباعر يمتلكها . وقد عجب ابرهة كيف ان كبير مكة وسيدها يفاوض على انقاذ ابله دون ان يتطرق الى مكة والكعبة ، باعتبار ان البيت ربا يحميه ، كما

(١٩) الطبرى ج ٢ ص ١١٠ الازرقى : ج ١ ص ٨٢ سيرة ابن هشام : ج ١ ص ٤٣ .
(٢٠) انظر ص ١٧٥ .
(٢١) كتاب الحرب الفارسية I ٢٠ (نقلا عن مقال اسماعيل ادهم في مجلة الرسالة العدد ٣٤٩ - ١١ مارس سنة ١٩٤٠ .

تضع الرواية على لسان عبدالمطلب^(٢٢) . ولا ريب ان هذه الرواية هزيلة اذ ان زعيما كعبد المطلب لا يعقل ان يفاوض هذا الغازي على انقاذ ابله ، بل لا بد ان تكون المفاوضات على امر اكبر واهم من اموره الخاصة . والراجح انه كان يفاوض على امور تؤيد مصالح اهل مكة وانه وقف موقفا مشرفا بحيث انه بعد ان فشلت الحملة زادت مكانة عبدالمطلب عند اهل مكة .

لقد كان يرافق هذه الحملة فيل^(٢٣) وربما فيلة . وكان لاستخدام الفيل اثر في نفوس العرب ، حتى لقد سموا سنة حدوثها عام الفيل ، ولا ريب ان كثيرا من الدول القديمة استخدمت الفيلة في القتال ، ولكن العرب لم يألفوا الفيلة ، لذا كان لاستخدامها وقع كبير في نفوس العرب حتى لقد سموا سنة حدوثها عام الفيل .

لقد اشار القرآن الى هذه الحملة في سورة الفيل فقال تعالى « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم في تضليل . وأرسل عليهم طيرا ابايل . ترميهم بالحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول » .

ومن المحتمل ان الطير ابايل وحجارة السجيل كناية عن وباء جارف اكتسبهم كالجدرى أو غيره ، ويقول ابن اسحق انه حدث ان اول ما رؤيت الحصبة والجدرى بأرض العرب ذلك العام^(٢٤) .

أما عن اهمية هذه الحملة فيروى ابن جريج انه (لما اهلك الله تعالى من اهلك من ابرهة الحبشي صاحب الفيل وسلط عليه الطير ابايل عظمت جميع العرب قريشا واهل مكة وقالوا اهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم فازدادوا من تعظيم الحرم والمشاعر الحرام والشهر الحرام ووفروها ورأوا ان دينهم خير الاديان واحبها الى الله ثم اوجدوا الحمس^(٢٥)) .

(٢٢) سيرة ابن هشام : ج ١ ص ٥٠-٥١ الطبري : ج ٢ ص ١١٢ (عن ابن اسحق) ص ١١٤ (عن الواقدي) ابن سعد : ج ١ قسم ١ ص ٥٥ .

(٢٣) الطبري : ج ٢ ص ١١٣ .

(٢٤) سيرة ابن هشام : ج ١ ص ٥٥ .

(٢٥) سيرة ابن هشام : ج ١ ص ٥٩ الازرقى : ج ١ ص ٥٠ ويروى عن ابن اسحق انه لا يدري هل كان انشاء الحمس قبل الفيل ام بعده (سيرة ابن هشام) ج ١ ص ٢١٦ .

عبدالله والرسول :

لقد كان لعبدالمطلب عدة اولاد من اصغرهم سنا عبدالله الذى تزوج من آمنة بنت وهب وهى من عشيرة زهرة القرشية . وقد توفى عبدالله فى حياة والده وترك أرملة وطفلا الوحيد يتيما . وهناك خلاف فى تاريخ وفاته لخصه المسعودى بقوله (توفى على ما روى جعفر بن محمد الطبرى بعد شهرين من مولده وقال بعضهم انه توفى قبل أن يولد وهذا غير صحيح لان الاجماع على انه توفى بعد مولده وقال آخرون بعد سنة من مولده^(٢٦)) ويؤيد ابن الكلبي والسكرى ان عبدالله توفى وعمر النبي ثمانية وعشرون شهرا^(٢٧) .

لقد قدر لمحمد بن عبدالله أن يختاره الله للرسالة ويقوم بالدعوة لدين الوجدانية المطلقة ، واستطاع بعد نضال أكثر من عشرين سنة أن ينشره بين العرب فى معظم انحاء جزيرة العرب ثم امتد بعد وفاته فشملى بلاد الشرق من اواسط آسيا الى جبال البرانير وامتد ايضا الى الهند والصين والملايو وجزر الهند الشرقية واواسط وغربى افريقية ثم صار هذا الدين اساس حضارة وتفكير العالم المتمدن فى العصور الوسطى ولا يزال حتى اليوم يلعب دورا هاما فى التوجيه الحضارى والفكرى والروحى والسياسى لمعتقيه الذين يناهزون الاربعمائة مليون .

لا يشير القرآن الى سنة ولادة الرسول او عمره عند البعثة أو الهجرة أو الوفاة والواقع ان المؤرخين المسلمين مختلفون فى تعيين تاريخ حياته ومن الثابت انه توفى سنة ٦٣٢ ميلادية ولو عرفنا عمره آنذاك لأمكن تقدير سنة ولادته . والواقع ان المؤرخين والرواة اختلفوا فى ذلك ، فيروى الطبرى ثلاث روايات متباينة احداها عن ابن عباس ، وحماد ، وابن المسيب ، وعروة بن الزبير يذكرون فيها ان الرسول توفى وعمره ثلاث وستون سنة ، ورواية ثانية عن ابن عباس ايضا وعن الحسن البصرى بأن عمره خمس وستون سنة ، وعن عروة بن الزبير ان

(٢٦) مروج الذهب : ج ٢ ص ٢٨٠ .

(٢٧) رواية ابن الكلبي فى : ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٦٢ الطبرى : ج ٢

ص ١٣٠ المحبر : ص ٩ .

عمره عند وفاته ستون سنة^(٢٨) .

نشأته :

وقد أرضعته حليلة السعدية وهي من قبيلة سعد هذيم^(٢٩) . ويرى البعض ان ارضاعه خارج مكة لان هواء البادية اصح^(٣٠) ولتعلم الفصاحة ولما كان مناخ مكة جاف صحى لا يختلف كثيرا عن مناخ الصحراء فلا يمكن اعتبار العامل الاول صحيحا وربما كان التعليل الثانى هو الاصح اذ من المعروف ان مكة مركز تجارى اتصل اهله بالبلاد الاخرى وجاءه كثير من الاجانب فدخلت فى لغة سكانه كثير من الكلمات الاعجمية والواقع ان القرآن قد نزل على لغة سعد هذيم واعجاز هوازن^(٣١) . وروى عن ابن سعد عن الرسول انه قال انا اعربكم انا من قريش ولسانى لسان بنى سعد بن بكر^(٣٢) .

وعندما كان فى حوالى السابعة من عمره توفيت امه بالابواء فى طريق عودتها من المدينة^(٣٣) وبذلك اصبح يتيم الابوين وقد أشار القرآن الى ذلك «الم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك عائلا فأغنى ، ووجدك ضالا فهدى ، (الضحى ٧-٩) ولا ريب ان اليتيم كان له تأثير عظيم فى نفسه . وفى القرآن آيات كثيرة تحض على حسن معاملة اليتيم وتوعد من يظلمه ويأكل ماله بأشد العقوبات .

-
- (٢٨) الطبرى : ج ٣ ص ٢٠٦-٢٠٧ انظر ايضا مروج الذهب : ج ٢ ص ١٩٠ .
- (٢٩) الطبرى : ج ٢ ص ١٢٦ سيرة ابن هشام : ج ١ ص ١٧٢ اليعقوبى : ج ٢ ص ٦-٧ وقد ارضعته فى الايام الاولى من ولادته ثويبة مولاة ابي لهب (ابن سعد) ج ١ قسم ١ ص ٦٧ .
- (٣٠) الطبرى : ج ٢ ص ١٢٧ .
- (٣١) تفسير الطبرى ج ١ ص ٢٣ . اما عن الكلمات الاعجمية فى القرآن فانظر تفسير الطبرى : ج ١ ص ٦-٩ السيوطى : كتاب الاتقان فى علوم القرآن ج ١ ص ١٣٦-١٤٢ .
- (٣٢) ابن سعد : ج ١ قسم ١ ص ٧١ .
- (٣٣) الطبرى : ج ٢ ص ١٣١ . اليعقوبى : ج ٢ ص ٧ . ويروى المسعودى ان عمره سبع سنوات (مروج الذهب : ج ٢ ص ٢٨) ويروى السكرى ان عمره ثمان سنوات (المحبر : ص ٩) .

وقد توفي جده عبدالمطلب في السابعة أو الثامنة من عمره (٣٤) وقد كفله عمه ابو طالب رغم انه لم يكن غنيا (٣٥) وقد ظل ابو طالب يرعاه حتى مات وكان اكبر من يحميه ويذب عنه كما كانت قريش تفاوضه عندما يشتد الخلاف بينهم وبين الرسول فكانت لهذه العلاقة اهمية كبرى في تاريخ الرسول والدعوى الاسلامية في ادوارها الاولى . والواقع ان الاضطهاد اشتد عليه بعد موت ابي طالب كما سنرى فيما بعد .

ولما بلغ الثانية عشر رافق عمه ابا طالب الى الشام (٣٦) . وقد رأينا ان للشام علاقات تجارية وثيقة مع الحجاز وقد وصل حتى بصرى وكانت من أهم مراكز التجارة الحجازية في الشام ثم عاد الى مكة . ولا ريب ان صغر سنه وقصر مدة بقائه لم تنح له دراسة احوال سوريا .

الفجار وحلف الفضول :

ولما بلغ الرسول حوالي الخامسة عشر اشترك في حرب الفجار التي نشبت بين قريش ومن معها من كنانة وبين عامر بن صعصعة لان احد رجال القبيلة الاخيرة اجار لطيمة للنعمان فغضب من ذلك احد الكنانيين . واعتدى على اللطيمة في الشهر الحرام مما ادى الى نشوب الحرب بينهما . وناصرت قريش كنانة (٣٧) . ولعل الدافع لذلك هو خشية قريش وحليفتها كنانة ان تخرج من يدها التجارة .

وعلى أثر الفجار حدث حلف الفضول ، وكان سببه الظاهري ان العاص

(٣٤) الطبري : ج ٢ ص ١٣١ ، ١٩٤ ابن سعد : ج ١ قسم ١ ص ٧٥
اليعقوبي : ج ٢ ص ١٠ مروج الذهب : ج ٢ ص ٢٨١ .

(٣٥) الطبري : ج ٢ ص ٢١٣ سيرة ابن هشام : ج ١ ص ٢٦٤ ابن سعد :
ج ١ قسم ١ ص ٨٢ ، ١٠١ .

(٣٦) يروي الطبري (ج ٢ ص ١٩٥) واليعقوبي (ج ٢ ص ١٠) والمسعودي
(ج ٢ ص ٢٩٣) ان عمره كان تسع سنوات وهو قليل جدا .

(٣٧) اليعقوبي : ج ٢ ص ١١ . أما الطبري (ج ٢ ص ٢٠١) وابن سعد
(ج ١ قسم ١ ص ٨١) والمسعودي (مروج الذهب ج ٢ ص ٢٧٥) فيروون ان عمره
كان عشرين سنة ، فاذا صح ذلك فلا بد ان عمله لم يقتصر على جمع النبل الذي
هو من عمل صغار السن .

بن وائل السهمي مظل ثمن بضاعة ابتاعها من رجل يمانى ، فسعى بعض القرشيين لتكوين هذا الحلف ، لنصرة المظلوم : وقد عقد الاجتماع العام له في دار عبدالله بن جدعان واشترك فيه بنو هاشم وبنو المطلب وبنو زهرة وبنو يتم بن مرة وبنو الحارث بن فهر ، وكونوا الحلف لينصفوا المظلوم من الظالم ؛ وقد حضره الرسول وروى انه قال (لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفا ما احب ان لي به حمر النعم ولو ادعى به في الاسلام لأجبت^(٣٨)) ويلاحظ ان قبائل حلف الفضول هم نفس قبائل المطيين ما عدا بنى امية .

زواجه بخديجة :

ولما بلغ الخامسة والعشرين عمل في تجارة لخديجة وهي سيدة من بنى اسد بن عبدالمزى كانت قد تزوجت ابى هالة التميمي فولدت له هند ثم تزوجت عتيق بن عائد المخزومي فولدت له ابنة اسمها هند ايضا^(٣٩) .

وكانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم اياه بشيء تجعله لهم . وفرضت على الرسول (ص) ان يخرج في مال لها الى الشام تاجرا مع غلام لها يدعى ميسرة فذهب وعاد بربح كبير^(٤٠) . ويلاحظ ان هذه هي السفرة الثانية الى الشام ، ولم يرد في الاخبار اطلاقا ذكر لسفرة قام بها الرسول الى أى مكان آخر ، رغم سعة اطلاعه على احوال ولهجات القبائل العربية ، كما انه لم يرد ذكر لغير هاتين السفرتين ؛ ومع انه لا يجوز المبالغة في اثر هذه الرحلة نظرا لتقصير مدتها ولانشغاله في التجارة ، الا انه لا بد وانها تركت في نفسه اثرا قويا . ويلاحظ ان موقف الرسول بعد البعثة تجاه المسيحية كان معتدلا كما انه بعد قضاءه على مقاومة مكة توجه نحو الشمال كما فعل من بعده الخليفة ابو بكر كما ستحدث في الجزء الثاني .

(٣٨) سيرة ابن هشام : ج ١ ص ١٤٥ (وهو يضيف ابن اسد بن عبد العزيز لهم) المحبر ص ١٦٧ نسب قرش ص ٢٩١ مروج الذهب ج ٢ ص ٢٧٦ .
(٣٩) المحبر : ص ٧٩ الطبري : ج ٢ ص ١٧٥ .
(٤٠) سيرة ابن هشام : ج ١ ص ٢٠٣-٢٠٤ الطبري : ج ٢ ص ١٩٧ .

لقد تأثرت خديجة بما سمعته عن أمانته وعمله فطلبت له وتزوجها^(٤١) وقد ولدت له ما عدا إبراهيم كافة اولاده وهم كلثوم ورقية وزينب وفاطمة والقاسم وعبدالله الذي يروى ابن سعد واليعقوبى انه هو الطيب والظاهر^(٤٢) . ويروى انه عندما تزوجها النبي كان عمرها اربعون سنة .

ومع ان سن اليأس في البلاد الحارة ، ومنها مكة منخفض ، الا انه ليس من المستحيل على سيدة في الاربعين من عمرها أن تنجب ستة اولاد ؛ ولكن الأرجح ان عمرها كان أقل من الاربعين ، كما يمكن أن تنجب هؤلاء الاولاد بصورة اعتيادية وان كانت هي على اى حال أكبر من الرسول . ومن المؤلف في الشرق ان المرء اذا تزوج بسيدة أكبر منه سنا فان الناس تقول عنها انها عجوز أو بقدر امه ، مع انها قد لا تزيد عنه أكثر من سنة أو سنوات قليلة .

لقد كان لخديجة تأثير كبير في حياة الرسول ، فان ثروتها وغناها أمانته حاجاته المادية فلم يعد الحصول عليها ليشغل وقته كما أمنت له الطمأنينة والرعاية التي كان يحس بلزومها بسبب يتمه .

ولعل هذا يفسر سبب عدم تزوجه بزوجة اخرى طيلة حياتها ، بينما بعد أن توفت أخذ يقبل على الزواج من عدة نساء كانت كل منهن تتميز بميزة خاصة كما ستحدث في الجزء الثاني .

كان لخديجة ايضا تأثير كبير في تشجيعه وتثيته عندما جاءه الوحي اول مرة وظلت تشجعه وتعاونه طيلة حياتها والواقع ان حياتها تعطى مثلا لمكانة المرأة العربية وهي تقدم أروع نموذج لما يجب أن تكون عليه الزوجة الفاضلة .

بناء الكعبة :

ولما بلغ الرسول الخامسة والثلاثين أرادت قريش بناء الكعبة ولما أرادوا

(٤١) يزعم بعض الرواة انهم سقوا اباهما خمرًا فوافق على الزواج وهو سكران (ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٨٥) المحبر ص ٧٩ وهي رواية هزيلة ينكرها الواقدي ويقول ان اباهما مات في حرب الفجار (الطبري ج ٢ ص ١٩٧) .
(٤٢) ابن سعد : ج ١ قسم ١ ص ٨٥ ، ج ٣ ص ٢ اليعقوبى : ج ٢ ص ١٤ المحبر : ص ٧٩ ابن حزم : جمهرة النسب ص ١٤ .

✓ وضع الحجر الاسود بمكانه منها اختلفوا فيمن يضعه وقد حكموا الرسول في ذلك وحكم بأن يوضع بثوب يشارك في رفعه رجال من كافة القبائل الى أن اوصلوه مكانه من الكعبة فرفعه الرسول ووضعه مكانه^(٤٣) وقد كان لحكم الرسول المترن أثر كبير في نفوس الناس فزادوا من تقديرهم لمواهبه وعدالته .

ان ما ذكرناه من الحوادث هي فقط التي تتردد في كتب السيرة والتاريخ الاولى ويتضح منها مدى قلة معلوماتنا عن نشأته وأعماله وأصدقائه وعلاقاته الاجتماعية والسياسية ونشاطه الفكري واتصالاته والمشاكل التي واجهته أو اشغلت فكره مما هو ضروري لمعرفة مقدمات الدعوة التي كان لها الاثر الاكبر في اعادة توجيه الملايين من البشر المنتشرين في بلاد واسعة منذ أن انتصرت الى ما شاء الله .

الفصل السابع عشر

الوحي

يتفق الرواة المسلمون ان الرسول (ص) كان يتخنت ^{ببغداد} في غار حراء . ويبقى فيه أمدا ، ولا شك ان الاعتزال للتعبد امر معروف منذ القديم عند الشعوب والامم ، وله أهمية كبرى اذ يعطى الانسان مجال الاغراق في التأمل والتفكير بمعزل عن الشواغل الدنيوية .

وهناك روايتان عن الدوافع التي دفعت الرسول الى التخنت : اولهما رواية ابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة انها قالت : كان اول ما بدى به رسول الله الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح . قالت فمكث على ذلك ما شاء الله وحجب اليه الخلوة فلم يكن شيء احب اليه منها . وكان يخلو بغار حراء يتخنت فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع الى اهله ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق وهو في غار حراء .^(١)

أما الرواية الثانية فهي رواية ابن اسحق عن وهب بن كيسان عن عبدالله بن الزبير عن عبيد بن عمير بن قتادة الليثي حيث يقول « كان رسول الله (ص) يجاور في حراء من كل سنة شهرا وكان ذلك مما تخنت به قريش في الجاهلية ، والتخنت التبرر ، وقال ابو طالب : وراق ليرقى في حراء ونازل . فكان رسول الله (ص) يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين فاذا قضى

(١) لقد استفدنا في بحث الوحي وطبيعته من الفصل السادس الذي كتبه توراندره في كتابه (محمد) ، وما كتبه وات في كتابه (محمد في مكة) ص ٣٩ فما بعد ، ومقال بيل عن دعوة الرسول ، في مجلة العالم الاسلامي العدد ٢٤ سنة ١٩٣٤ (بالانكليزية) .

(٢) البخاري الكتاب كيف بدى الوحي الباب الاول . كتاب تفسير القرآن (سورة ٩٦) ، كتاب التعبير عن الرؤيا الباب ١ ابن حنبل ج ٦ ص ٢٣٢-٢٣٣ ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ١٢٩ الطبري ج ٢ ص ٢٠٨ .

رسول الله (ص) جواره من شهره ذلك كان اول ما يبدأ به اذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله من ذلك ثم يرجع الى بيته حتى اذا كان الشهر الذي أراد الله عز وجل فيه ما أراد من كرامته من السنة التي بعث فيها وذلك في شهر رمضان خرج رسول الله (ص) الى حراء كما كان يخرج لجواره معه اهله حتى اذا كانت الليلة التي اكرمه الله فيها برسالاته ورحم العباد بها جاءه جبريل بأمر الله (٣) .

وبين الروایتين اختلافات ظاهرة : فرواية الزهري تبين ان دافع التحنث هو ذاتي شخصي ، بعد فترة من الرؤيا ؛ وانه كان يتحنث الليالي ذوات العدد والتي لا نعلم عنها شيئا . أما رواية ابن اسحق فتبين ان التعبد هو عادة قرشية قديمة ، وانها تجرى في شهر رمضان وانه لم يقم وحده ، بل يرافقه اهله في ذلك . ويمكن أن يحدث المرء بأنه كان يتحنث عدة سنوات .

لا يذكر القرآن سن الرسول في بدء مجيء الوحي ، بل يذكر (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون) (يونس ١٦) ولا شك ان كلمة العمر غير واضحة الحدود ؛ وقد اختلف المؤرخون في سن الرسول عند مجيء الوحي ، فقال ابن المسيب ان عمره ثلاث واربعون سنة ، وقال انس بن مالك وعروة بن الزبير وابن عباس ان عمره عند بدء مجيء الوحي كان اربعين سنة (٤) . وجدير بالملاحظة ان العرب تعتبر سن الاربعين هو سن اكتمال النضج وقد أشار القرآن الى ذلك (حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني أن اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي) (الاحقاف ١٥) .

وينص القرآن على انه نزل في رمضان (شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) (البقرة ١٨٥) وهناك آية اخرى تنص على نزول آيات في غزوة بدر التي حدثت في رمضان (ان كنتم آمنتم بالله وما

(٣) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٥٤ . الطبري ج ٢ ص ٢٠٦-٢٠٧ .

(٤) الطبري ج ٢ ص ٢٠١-٢٠٥ ، ٢٠٩ انظر ايضا ابن الاثير ج ٢

ص ١٦ ابن خلدون ج ٣ ص ٦ ابن كثير : البداية والنهاية ج ٣ ص ١-٢ الذهبي :

تاريخ الاسلام ج ١ ص ٦٩ .

أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان (الانفال ٤١) غير ان سياق الآية لا يستلزم بدء نزول القرآن في اليوم الذي يشبه يوم بدر ، فقد تعنى الاشارة الى آيات نزلت يوم وقعة بدر .

يشير القرآن الى يوم نزوله ، فيصفها بانها ليلة القدر والليلة المباركة (انا انزلناه في ليلة القدر . وما ادراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من الف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر . سلام هي حتى مطلع الفجر) (القدر ١-٥) (حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا انا كنا مرسلين) (الدخان ١-٥) . ومن الواضح ان هذه الآيات لا تعين بالضبط تاريخ تلك الليلة . كما لا تذكر فيما اذا كان القرآن نزل في هذه الليلة الى السماء الدنيا ام كان بدء نزوله على الرسول . والواقع ان الرواة اختلفوا في تعيين هذه الليلة ، فمنهم من قال انها ١٧ أو ١٨ أو ٢٤ رمضان^(٥) ، ومنهم من قال انها ربيع الاول^(٦) ، ومنهم من قال انها ٢٧ رجب^(٧) .

أشار القرآن الى كيفية نزول الوحي بآيات (والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالافق الاعلى . ثم دنى فتدلى . فكان قاب قوسين أو ادنى . فاوحى الى عبده ما اوحى . ما كذب الفؤاد ما روى) (النجم ١-١١) (انه لقول رسول كريم . ذى قوة عند ذى العرش مكين . مطاع ثم امين . وما صاحبكم بمجنون . ولقد رآه بالافق المبين . وما هو على الغيب بضنين . وما هو بقول شيطان رجيم) (التكويد ١٩-٢٥) . والراجح ان الآيتين تشيران الى رؤية الرسول للملك .

(٥) انظر في هذه الروايات الطبرى ج ٢ ص ٢٠١ ابن الاثير ج ٢ ص ١٦ ابن كثير ج ٣ ص ٦ .

(٦) انظر : اليعقوبى ج ٢ ص ١٥ ابن كثير ج ٣ ص ٦ (عن ابن عباس وجابر بن عبدالله) زينى دحلان : ج ١ ص ٩٢ .

(٧) زينى دحلان : ج ١ ص ٩٢ .

وتروى عدة روايات عن بدء نزول الوحي :-

(١) فيروى ابن سعد عن هشام بن عروة عن عروة ان رسول الله (ص) قال يا خديجة اني ارى ضوءا واسمع صوتا لقد خشيت أن اكون كاهنا فقالت ان الله لا يفعل بك ذلك يا ابن عبدالله انك تصدق الحديث وتؤدي الامانة وتصل الرحم .

(٢) ويروى عن ابن عباس ما يشبه الرواية الاولى ثم يضيف الى ان خديجة .. أنت ورقة بن نوفل فذكرت له ذلك فقال أن يك صادقا فهذا الناموس مثل ناموس موسى فان بيعت وأنا حي فسأعززه وانصره وأؤمن به .

(٣) ويروى عن ابن عباس ايضا انه قال (فينما رسول الله (ص) على ذلك التمدد؟) وهو باجساد اذ رأى ملكا واضعا احدى رجليه على الاخرى في افق السماء يصيح يا محمد انا جبريل يا محمد انا جبريل فذعر رسول الله (ص) من ذلك وجعل يراه كلما رفع رأسه الى السماء فرجع سريعا الى خديجة فأخبرها خبره وقال يا خديجة والله ما ابغضت بغضى هذه الاصنام شيئا قط ولا الكهان واني لأخشى أن اكون كاهنا . قالت كلا يا ابن عم لا تقل ذلك فان الله لا يفعل ذلك بك ابدا ، انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدي الامانة وان خلقت لكريم . ثم انطلقت الى ورقة بن نوفل وهي اول مرة أتته فأخبرته ما اخبرها به رسول الله ، فقال ورقة والله ان ابن عمك لصادق ، وان هذا البدء نبوة ، وانه ليأتيه الناموس الاكبر فمريه الا يجعل في نفسه الا خيرا^(١) .

(٤) ويروى الطبري روايتين متشابهتين عن يحيى بن كثير عن ابي سلمة انه سأل جابر بن عبدالله عن اول ما نزل من القرآن فقال جابر (لا احدثك الا ما حدثنا النبي (ص) قال جاورت في حراء فلما قضيت جوارى هبطت فاستبطنت انوادى فنوديت فنظرت عن يميني وعن شمالي وخلفي وقدامي فلم أر شيئا فنظرت فوق رأسي فاذا هو جالس على عرش بين السماء والارض فخشيت منه .. فلقيت

(١) ابن سعد : ج ١ قسم ١ ص ١٢٩-١٣٠ .

خديجة فقلت دثروني فدثروني وصبوا على ماء وانزل على يا ايها المدثر
قم فانذر^(٩) .

(٥) ويروي الطبري ايضا عن الزهري انه قال (فتر الوحي عن رسول
الله (ص) فترة فحزن حزنا شديدا جعل يغدو الى رؤوس شاهق الجبال ليردى
منها فكلما اوحى بذروة جبل تبدى له جبريل فيقول انك نبي الله فيسكن لذلك
جأشه وترجع اليه نفسه فكان النبي (ص) يحدث عن ذلك . قال فينما أنا امشي
يوما اذ رأيت الملك الذي كان يأتيني بحراء على كرسى بين السماء والارض
فجئت منه رعبا فرجعت الى خديجة فقلت زملوني فزملناه أي دثرناه فانزل الله
عز وجل يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر قال الزهري فكان اول
شيء انزل عليه اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم^(١٠) .

(٦) ويروي ابن اسحق بعد ان ذكر التحنث (حتى اذا كانت الليلة التي
اكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها جاءه جبريل بامر الله فقال رسول الله (ص)
فجاءني وانا نائم يسمط من ديباج فيه كتاب فقال اقرأ فقلت ما اقرأ فغثني حتى ظننت
انه الموت ، ثم ارسلني فقال اقرأ ، فقلت ماذا اقرأ ، وما اقول ذلك الا افتداها منه
أن يعود الى بمثل ما صنع بي قال اقرأ باسم ربك الذي خلق الى قوله علم الانسان
ما لم يعلم قال فقرأته قال ثم انتهى ثم انصرف عني وهبت من نومي وكانما كتب
في قلبي كتابا . قال ولم يكن من خلق الله احد ابغض الى من شاعر أو مجنون ،
كنت لا اطيق أن انظر اليهما . قال قلت ان الابدع يعني نفسه لشاعر أو مجنون
لا تحدث بها عني قريش ابدا لأعمدن الى حائق من الجيل فلا طرحن نفسي منه
فلاقتلنها فلاستريحن ؛ قال فخرجت اريد ذلك حتى اذا كنت في وسط من الجبل
سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد انت رسول الله وانا جبريل قال فرفعت
رأسي الى السماء فاذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في افق السماء يقول
يا محمد انت رسول الله وانا جبريل ، قال فوفقت انظر اليه وشغلني ذلك عما
اردت فما اتقدم وما اتأخر ، وجعات اصرف وجهي عنه في آفاق السماء فلا انظر

(٩) الطبري : ج ٢ ص ٢٠٨-٢٠٩ .

(١٠) الطبري : ج ٢ ص ٢٠٩ البخاري : كتاب التفسير (الآية ٩٦) .

✓ في ناحية منها الا رأيتك كذلك ؟ فما زلت واقفا ما اتقدم امامي ولا ارجع ورائي حتى بعث خديجة رسلها في طلبي حتى بلغوا مكة ورجعوا اليها وانا واقف في مكاني ثم انصرف عني وانصرف راجعا الى اهلي حتى اتيت خديجة فجلست الى فخذاها مضيفا فقالت يا ابا القاسم اين كنت فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا الى قال قلت لها ان الابدع لشاعر أو مجنون ، فقالت اعينك بالله من ذلك يا ابا القاسم ما كان الله ليصنع ذلك بك مع ما اعلم منك من صدق حديثك وعظم اماتك وحسن خلقك وصلة رحمتك وما ذاك يا ابن عم لملك رأيت شيئا قال فقلت لها نعم ، ثم حدثتها بالذي رأيت ؛ فقالت ابشر يا ابن عم واثبت فوالذي نفس خديجة بيده اني لارجو أن تكون نبي هذه الامة . ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت الى ورقة بن نوفل (١١) .

(٧) ويروي الزهري عن عروة عن عائشة انها قالت كان اول ما ابتدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة كانت تجيء مثل فلق الصبح ثم حجب اليه الخلاء فكان يغار بحراء يتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع الى اهله ثم يرجع الى اهله فيترود لمثلها حتى فاجأه الحق فاتاه فقال يا محمد انت رسول الله . قال رسول الله (ص) فجنوت لركبتي وانا قائم ثم زحفت ترجف بوادري ثم دخلت على خديجة فقلت زملوني زملوني حتى ذهب عني الروع ، ثم أتاني فقال يا محمد انت رسول الله قال فلقد هممت أن اطرح نفسي من حالق جبل فتبدى لي حين هممت بذلك فقال يا محمد انا جبريل وانت رسول الله ثم قال اقرأ قلت ما اقرأ قال فاخذني فغطني ثلاث مرات حتى بلغ مني الجهد ثم قال اقرأ باسم ربك الذي خلق ؛ فقرأت ؛ فاتيت خديجة فقلت لقد اشفتك على نفسي فاخبرتها خبري . . . (ثم كلام يشبه ما جاء في آخر النص السابق (١٢) .

(٨) ويروي البخاري هذا الحديث برواية مخالفة في بعضها حيث يقول . . . حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما انا بقارىء قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقالت ما انا

(١١) سيرة ابن هشام : ج ١ ص ٢٥٤ الطبري : ج ٢ ص ٢٠٧ .

(١٢) الطبري : ج ٢ ص ٢٠٥-٢٠٦ .

بقارى ، فاخذنى ففطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ فقلت
انا بقارى ، فاخذنى ففطنى الثالثة ثم ارسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق
خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم ، فرجع بها رسول الله (ص) يرجف
فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد (رض) فقال زملونى زملونى ، فزملوه حتى
ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة واخبرها الخبر لقد خشيت على نفسى فقالت
خديجة كلا والله ما يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب
المعذوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى آتت به
ورقة بن نوفل (١٣) ...

ان فى هذه الروايات بعض الاختلاف ؛ فرواية ابن اسحق (٦) تفرد فى
ان جبريل جاء الرسول وهو نائم ، وهى تناقض ما جاء فى القرآن فلا يصح قبولها .
ورواية عروة وابن عباس (١ ، ٢) تذكران انه كان يرى رؤيا واصواتا غير واضحة
ولعلها تمثل الدور الاول الذى بدأ تعالى يمهّد ذهن الرسول للوحى ، أما روايتى
ابن عباس وجابر (٣ ، ٤) فتبينان ان الرسول رأى الملك فارتاع له ودهس وعاد
الى داره مضطربا ثم نزل عليه الوحى بسورة المدثر . ولتكن هاتين الروايتين
لا تبيان طول الفترة التى مضت بين رؤية الملك ونزول سورة المدثر . أما رواية
ابن اسحق والبخارى عن عروة (٦ ، ٨) فتذكران ان سورة اقرأ نزلت عليه ثم
رأى الملك الذى اخبره بأنه نبي . أما رواية عروة فى الطبرى (٧) فتبين ان الملك
اخبر الرسول بأنه نبي ثم انزل عليه سورة اقرأ . ومن المرجح ان سورة اقرأ هى
التي نزلت اولاً ، فاضطرب لها ولم يتثبت من مرامي نزولها ، فشمعته خديجة ،
وثبتة ورقة بن نوفل ، ثم اخبره الملك بأنه نبي وأنزل عليه يا ايها المدثر قم فانذر
وثيابك فطهر والرجز فاهجر ، أى ان الوحى طلب منه أن يقوم بالدعوة الى
رسالته . على ان رؤية الملك سبقت نزول آية اقرأ ، كما يتضح ذلك من
سورة النجم .

لقد وردت كلمة الوحى فى عدة آيات من القرآن الكريم : (وكذلك جعلنا

(١٣) البخارى : كتاب كيف بديء الوحى الباب ١ كتاب تعبير الرؤيا
الباب ١ كتاب التفسير (سورة ٩٦) ابن حنبل : ج ٦ ص ٢٣٢-٢٣٣ .

لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا
بولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) (الانعام ١١٢) (ولا تأكلوا مما لم
يذكر اسم الله عليه وانه لفسق ليوحون الى اوليائكم ليجادلوكم وان اطعموهم
انكم لمشركون) (الانعام ١٢١) (فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان
سبحوا بكرة وعشيا) (مريم ١٠) (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من
وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء انه على حكيم) (الشورى ٥١)
(ان هو الا وحى يوحى ٠٠ فاوحى الى عبده ما اوحى) (النجم ٤ ، ١٠) (واذا
اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولى قالوا آمننا واشهد باننا مسلمون)
(المائدة ١١٤) (اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا ساقى
فى قلوب الذين كفروا الرعب) (الانفال ١٢) (واوحى ربك الى النحل ان
اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) (النحل ٦٨) (واذا اوحينا
الى امك ما يوحى) (طه ٣٨) (واوحينا الى ام موسى ان ارضعه فاذا خفت عليه
فالقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى) (القصص ٧) (فقضاهن سبع سموات
فى يومين واوحى فى كل سماء امرها) (السجدة ١٢) (اذا زلزلت الارض
زلزالتها • واخرجت الارض انقالها • وقال الانسان ما لها • يومئذ تحدث
باخبارها • بان ربك اوحى لها) (الزلزال ٥-١) •

ويتبين من هذه الآيات ان الشياطين والكفار قد توحى ؛ وان الله تعالى يوحى
ايضا الى السماء ، والى الارض ، والى الملائكة ، والى النحل ، والى البشر ، فاوحى
الى ام موسى ، والى الحواريين ، والى الانبياء •

ومجىء الوحي يفترض وجود اله حى قادر يريد ارسال الوحي ويفترض
من جهة اخرى وجود انسان قادر على استلام الوحي ، والوحي هو الوسيلة
الوحيدة لكلام الله للبشر (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
او يرسل اليه رسولا) (الشورى ٥١) ؛ وهكذا اوحى الله تعالى الى نوح واليسين
من بعده (النساء ١٦٣ ، المؤمنون ٢٧ ، هود ٣٦) والى ابراهيم واسماعيل واسحق
ويعقوب والاسباط (النساء ١٦٣) والى موسى (الاعراف ١١٧ ، ١٦٠ يونس ٨٧
طه ١٣ ، ٧٧ الشعراء ٥٢ ، ٦٣) ؛ واوحى الى الرسول العربى والذين من قبله
(انظر النساء ١٦٣ ، الشورى ٣ ، الزمر ٦٥) • وقد اوحى الله تعالى الى الرسول

القرآن (يوسف ٣ ، ١٠٩ الشورى ٧ الانعام ١٩ انظر ايضا الكهف ٢٧ العنكبوت ٤٥) ؛ والرسول لا يشع الا ما يوحي من ربه (انظر الاعراف ٢٠٣ وكذلك الانعام ٥٠ يونس ١٥ ، ١٠٩ الاحزاب ٢ الاحقاف ٩ النجم ٤ الايياء ٤٥) الا انه تعالى لا يأتي بالوحي بنفسه ، فهو لا يرى عند مجيء الوحي ، وبذلك كان الرسول يعلم عن طريق الوحي بعض علم الله تعالى .

ان الوسيط الذي يأتي بالوحي ذكر في القرآن باسماء منها الروح الامين (انه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين) (الشعراء ١٩٣-١٩٥) ومنها الروح القدس^(١٤) (قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا) (النحل ١٠٢) ، ومنها الروح^(١٥) (يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق) (غافر ١٥) (وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا) (الشورى ٥٢) ، ومنها جبريل (قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله) (البقرة ٩٧) .

وعند مجيء الوحي تتأثر طبيعة الرسول ، ويحدث له بعض الانفعال كما روى ذلك عدد من الرواة فقد روى ابن سعد (عن عفان بن مسلم عن حماد بن سلمة عن قتادة وحמיד عن الحسن عن حطان بن عبدالله الرقاشي عن عبادة الصامت : ان النبي (ص) كان اذا نزل عليه الوحي كرب له وتربده وجهه) .

وعن عبيدالله بن موسى العباسي عن اسرائيل عن جابر عن عكرمة انه قال : كان اذا اوحى الى رسول الله (ص) وقد لذلك ساعة كهيئة السكران .

وعن محمد بن عمر الاسلمي عن ابي بكر بن عبدالله بن ابي سبرة عن صالح بن محمد ابي سلمة بن عبدالرحمن عن ابي ازوي الدوسي انه قال : رأيت

(١٤) لقد ذكر الروح القدس في ثلاث آيات اخرى حيث ارسله الله ليؤيد عيسى (البقرة ٨٧ ، ٢٥٣) (المائدة ١١٠) .
(١٥) لقد وردت الروح في آيات اخرى فان عيسى كلمة الله القاها الى مريم وروح منه (النساء ١٧١) وانه بروح منه يؤيد الذين آمنوا (المجادلة ٢٢) ، ونا الروح من امر الله (الاسراء ٨٥) وان الروح والملائكة تنزل على من يشاء (النحل ٢) (المعارج ٤) .

الوحي ينزل على النبي وانه على راحلته فترغوا وتفتل يديها حتى اظن ان ذراعها
ينقصم فربما بركت وربما قامت مotide يديها حتى يسرى عنه من ثقل الوحي
وانه ليتحدر منه مثل الجمار .

وعن حجين بن المنى عن عبدالعزيز بن عبدالله بن ابي سلمة عن عمه انه
بلغه ان رسول الله (ص) كان يقول : كان الوحي يأتيني على نحوين : يأتيني به
جبريل فيلقيه على كما يلقي الرجل على الرجل فذلك يتقلت مني ويأتيني في شيء
مثل صوت الجرس حتى يخالط قلبي فذلك الذي لا يتقلت مني .

وعن معن بن عيسى عن مالك بن انس عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة
انها قالت ان الحارث بن هشام قال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول
الله (ص) احيانا يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عني وقد
وعيت ما قال ، وحيانا يتمثل لي الملك فيكلمني فأعني ما يقول . قالت عائشة ولقد
رأيتُه ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا .

وعن عبيدة بن حميد اليمى - عن موسى بن ابي عائشة عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس انه قال : كان النبي (ص) اذا نزل عليه الوحي يعالج من ذلك شدة
قال كان يتلقاه ويحرك شفثيه كى لا يساه فانزل الله عليه لا تحرك به لسانك
لتعجل به (١٦) .

وقد أشار القرآن الى ما يتتاب الرسول من انفعال فقال تعالى (لا تحرك به
لسانك لتعجل به . انا علينا جمعه وقرآنه . فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) (القيامة
١٦-١٩) (فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يفضى اليك وحيه
وقل ربي زدنى علما) (طه ١١٤) .

ان هذا التأثير والانفعال هو مظهر من مظاهر الاغراق في المشاعر ؛ والواقع
ان كثيرا من الشعراء والمفكرين يصيبهم مثل هذا الانفعال عند الاغراق في التفكير
ومجيء الهام الشعر ، فكيف بالوحي اذا جاء ؟

(١٦) ابن سعد : ج ١ قسم ١ ص ١٣١ البخارى : كتاب بدء الخلق

ويتبين من الروايات التي اوردناها عن ابن سعد من ان الرسول كان عند مجيئه الوحي مثل صلصلة الجرس أو كان يلقي عليه القول ، ان الوحي هو سبح معه سمعي لا بصري ، ويؤيد هذا الآيتان اللتان اوردناهما ، بل ان التنزيل يسمى القرآن من القراءة ، كما وردت كلمة الاقراء (اقرأ باسم ربك الاكرم) (العلق ١) (سنقرؤك فلا تنسى الا ما شاء الله) (الاعلى ٦) .

لقد تحدى القرآن المنكرين لوحي القرآن ، بأن يأتوا بمثله (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) (البقرة ٢٣) (ام يقولون افتراء قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) (يونس ٣٨) (ام يقولون افتراء قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) (هود ١٣) (ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) (الطور ٣٣-٣٤) (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (الاسراء ٨٨) .

لقد ادرك المشركون ان القرآن كلام غير عادي ، ولكنهم عزوه الى الشياطين أو الجن ؛ واتهموا الرسول بالجنون (انظر الاعراف ١٨٤ ، المؤمنون ٧٠ سبأ ٨ ، الحجر ٦ الطور ٢٩ القلم ٢ ، التكويد ٢٢) .

واتهموه ايضا بأنه كاهن (انظر الحاقة ٤٢ ، الطور ٢٩) كما اتهموه بأنه شاعر (بل قالوا اضغات احلام بل افتراء بل هو شاعر) (الانبياء ٥) (ويقولون انا لثاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) (الصافات ٣٦) (ام يقولون شاعر تربص به ريب المنون) (الطور ٣٠ انظر ايضا الشعراء ٢٢٤) وقد رد على هذه التهمة (وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون) (الحاقة ٤١) (وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين) (يس ٦٩) . وقد رد القرآن ايضا على التهم السابقة بقوة وشدة وأكد على انها آية من مصدر علوي هو الله تعالى ، وان فيها حكمة وانقاذ للعالم .

على ان الملاحظ ان هؤلاء المشركين لم يتهموا الرسول بالفلسف ، فكانهم وهم كفار ، رأوا ان روح الوحي اقرب الى الشعر والكهانة منها الى الفلسفة ، فاتهموه بذلك . والواقع ان مصدر الشعر هو الالهام Intuition أما مصدر الفلسفة فهو العقل .

كلمات

والواقع ان الباحثين في نظرية المعرفة ادركوا منذ الازمنة القديمة وجود طريقين للمعرفة المطلقة ، احدهما طريق المنطق والعقل ويتجلى في اوج مظاهره عند الرياضيين ، وأكثر من يتبع هذه الطريقة هم العلماء والمناطق والفلاسفة ، وأشد من يدافع عنها العقليون Rationalists والماديون Materialists الذين بلغ التطرف ببعضهم حدا كبيرا فتصوروها الطريقة الوحيدة للمعرفة الصحيحة ، فأنكروا غيرها من وسائل المعرفة .

غير ان هذا التطرف لا ينبغي ان يحملنا على انكار الهمية الكبرى للطريقة الثانية من المعرفة ، وهي طريقة الالهام التي لا تأتي عن طريق التفكير المادي والتجارب ؛ ولكنها تقودنا الى المعرفة ايضا . فبطريقة الالهام يدع الشاعر شعره والفنان صورته ، والموسيقيار ألحانه ؛ وبالالهام يدرك هؤلاء من الصور والعلاقات بين الامور ما لا يدركه الطبيعيون مهما بلغ ذكاؤهم . ولعل كثيرا من الناس مرت به لحظة أو لحظات من التجلي ، يحس بها في فكرة أو رأى خاطف يمر به كلمح ابرق ، ويتجلى فيه حل مشكلة اعطت عليه ، أو جواب مسألة اغلقت عليه ، أو فكرة رائعة انكشفت له ، ولم يكن ليراهها رغم طول ما فكر فيها . هذه هي الطريقة الثانية للمعرفة : هي وسيلة الالهام بالبصيرة Intuition وهي التي بحثها كثير من المفكرين القدماء وكانت من أهم مواضيع الفلسفة الاسلامية ، وساهم المسلمون بقسط وافر في ايضاحها وتبيان أهميتها في كشف أسرار الكون ، وفي علاقتها مع طريقة المنطق والفلسفة^(١٧) ، وهي التي بحثها الفلاسفة المحدثون ، وخاصة برجسون ومؤيدوه . والوحي ولا شك اسمى انواع الالهام لا يقتصر على مجرد منطق العقول الناقص ، بل يخاطب بصائر القلوب ، وبه يعلم الله تعالى الأسرار الكونية ، ويعطى نظرة شاملة لتفسيرها وتوضيحها مما لم تصل اليه العلوم الطبيعية .

(١٧) ان ايراد اسماء كافة الكتب والباحثين المسلمين في هذا الموضوع قد يطول جدا ، نكتفي منه بذكر بحث الغزالي في (احياء علوم الدين) و (المنقذ من الضلال والموصل الى ذى العزة والجلال) و (حى بن يقظان) لابن الطفيل و (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال) لابن رشد .

الفصل الثامن عشر

(١١)

مبادئ الإسلام الأولى

الإسلام :

ان الدين الذي دعى الرسول الناس الى اعتناقه يطلق عليه الإسلام (ان الدين عند الله الإسلام) (آل عمران ١٩) (ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) (آل عمران ٨٥) (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً) (المائدة ٣) (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) (الأنعام ١٢) (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه) (الزمر ٢٢ انظر ايضا الصف ٧ الحجرات ١٧ التوبة ٧٤) .

ويدعى معتقوا هذا الدين المسلمون (قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا باننا مسلمون) (آل عمران ٦٤) (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وאתم مسلمون) (آل عمران ١٠٢) (قل انما يوحى الى انما الحكم اله واحد فهل اتتم مسلمون) (الانبياء ١٠٨) (وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم أن تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) (النحل ٨١ انظر ايضا الروم ٥٣) (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) (النحل ٨٩) .

وان ابراهيم وبنيه ويعقوب ويوسف واسماعيل واسحق والحواريين ومن آمن بموسى ونوح واهل الكتاب كل هؤلاء ذكر القرآن الكريم بانهم مسلمون

(١) لن يتسع النطاق هنا لايراد كافة الابحاث عن الإسلام فى اللغة العربية ، لكثرتها ، أما فى اللغة الانكليزية فاعمق بحث هو كتاب محمد اقبال (اعادة تكوين الفكر الدينى الإسلامى) وكتاب امير على (روح الإسلام) ؛ وقد بحث بيل فى كتابه (مقدمة للقرآن) وسيل فى مقدمته لترجمة القرآن ، كثيرا من المؤسسات الإسلامية التى وردت فى الآيات القرآنية .

(واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم • ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وأزنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم • ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين • اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين • ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون • ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آباءك ابراهيم واسماعيل واسحق الاها واحدا ونحن له مسلمون) (البقرة ١٢٧-١٣٣) •

(رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السماوات والارض انت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين) (يوسف ١٠١) (فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد باننا مسلمون) (آل عمران ٥٢) (واذ أوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون) (المائدة ١١١) (وما تنقم منا (السحرة لفرعون) الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرنا وتوفنا مسلمين) (الاعراف ١٢٦) (وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) (يونس ٨٤) (وجاوزنا بني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الفرق قال آمنت بالله انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين) (يونس ٩٠) (واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه : فان توليتم فما اسألكم من أجر ان أجرى الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين) (يونس ٧٢) (قالت (بلقيس) يا ايها الملأ امي التقى الى كتاب كريم • انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم • الا تعلوا على واتوني مسلمين) (النحل ٢٩-٣١) (قال (سليمان) ••• يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتيوني مسلمين) (النحل ٣٨) (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) (النحل ٤٢) (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون • واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين) (القصص ٥٣) •

على ان كلمة الاسلام قد تحددت باتباع الدين الذي دعا اليه الرسول وبهذا

التحديد يستعمل هذا التعبير حتى اليوم • ولا ريب ان كلمة اسلم واسلام ومسلمون وردت في الآيات المكية غير اننا لا نستطيع أن نحدد بالضبط في أى سنة من البعثة نزلت •

وكلمة الاسلام جذرها الثلاثي سلم بمعنى نجى أو خلص أو لم يصب بأذى أو كسر ومنها كلمة أسلم (وهو الفعل الذى مصدره الاسلام) ومعناها استسلم (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه) (البقرة ١١٢ أنظر ايضا النساء ١٢٥) (فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعني) (آل عمران ٢٠) (وامرت ان اسلم لرب العالمين) (غافر ٦٦ أنظر ايضا الانعام ٧١) • ولا ريب ان المقصود منها خضوع المرء لله تعالى وانقياده لاوامره وطاعته لاحكامه والاستسلام له وان لا حول ولا قوة الا بالله • غير ان هذا لا يعنى الانقياد الاعمى ، كلابل هو استسلام عن تعقل وتفكير (وان منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا) (الجن ١٤) (ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها • قد افلح من زكاهها وقد خاب من دساها) (الشمس ٧ - ١٠) • والحق ان الاسلام ينادى دائما باستعمال العقل والتبصر والنظر والتفكير والتدبير • وكلها تعابير ترداد ورودها في القرآن وخاصة في الدور المكي • ولا ريب ان الاسلام يتطلب الايمان المتبعث من القلب والعقيدة حتى ان كلمة المؤمنين كثيرا ما كانت مرادفة لكلمة المسلمين •

الوحدانية :

واساس الاسلام هو الدعوة الى عبادة اله واحد مطلق هو الله تعالى •

لقد كانت عبادة الله معروفة قبل الاسلام • فقد رأينا ان الآيات القرآنية توضح ان المشركين العرب كانوا يعبدون الله ويرون انه خالق كل شىء ، وانه يرزقهم من السماء والارض ويملك السمع والابصار ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويدبر الامر وانه رب السماوات السبع ورب العرش العظيم • ولكنهم كانوا يشركون به الهة اخرى يعتقدون بانها بنات الله وشفعاؤهم عنده ، وهم يكفرون ببعض نعمه فهو اذا اعتقاد غير منزه وبعيد عن الوحدانية^(٢) •

(٢) انظر ص ١٤٨-١٥٢ •

أما الاسلام فقد جاء بفكرة التوحيد المطلق ، وانكر الشرك وهاجم الآلهة التي يدينون بها من دون الله .

ولاشك ان فكرة التوحيد قديمة وهي موجودة عند بعض الامم القديمة . ولعل اشهر من نادى بها من الاقدمين هو اخاتون الذي دعا الى عبادة اله واحد وهو آتون وبذل جهدا لنشر ديانته ولكنه لقي مقاومة شديدة واخيرا مات من دون ان يستطيع تثبيت أقدام دعوته .

ثم بنى اسرائيل دعاهم النبي موسى الى التوحيد واستطاع ان يجعلهم يدينون به . غير ان بنى اسرائيل كانوا يشعرون بان الله ربهم وهو يفضلهم على العالمين ويحميهم وينصرهم وينتقم لهم من اعدائهم ، فكأن الله ربهم فقط من دون العالمين ؛ وهي نظرة ضيقة لا تساعد على نشر التوحيد بين الناس . والواقع ان اليهودية ظلت محصورة بالدرجة الاولى بين اليهود ولم يعتنقها من غيرهم الا القليل . ولعل ذلك راجع الى هذه النظرة الضيقة والتعصب والغرور الذي يضع بنى اسرائيل فوق العالمين مما يجعل غيرهم من الشعوب اذا دانوا باليهودية يصبحون اقل من اليهود مرتبة ؛ هذا فضلا عن القيود الشديدة التي كانت تفرضها الديانة اليهودية على اتباعها من صيام وصلوات واحترام السبت وما الى ذلك .

على ان اليهود قد مهدوا الافكار في الجزيرة العربية الى فكرة الاله الواحد والبعث والحساب والملائكة وغير ذلك (٣) .

كما ان النصارى كانت تدين بها ولكن كثيرا من الفرق المسيحية لم تنزه الله فاعتبرت المسيح هو الله أو ابن الله أو انه انسان في الارض واله في السماء أى ذى طبيعتين .

والواقع ان القرآن الكريم أكد في عدد من الآيات ان الدعوة الاسلامية هي تصديق لما جاء في الكتب المقدسة وطلب من المشركين أن يسألوا اهل الذكر في ذلك (ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى) (الاعلى ١٨-١٩) انه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين . على قلبك لتكون من المنذرين .

(٣) سيرة ابن هشام : ج ١ ص ٢٣١ . ابن سعد : ج ١ قسم ١ ص ١٠٦ .

يلسان عربي مبين • وانه لفي زبر الاولين • أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء
بنى اسرائيل (الشعراء ١٩٢-١٩٧) (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون
القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين • قالوا يا قومنا
انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق الى طريق
مستقيم) (الاحقاف ٢٩-٣٠) (ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا الكتاب
مصديق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشر المحسنين) (الاحقاف ١٢) (شرع
لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما اوحينا به ابراهيم وموسى
وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله
يجنبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب) (الشورى ١٣) (قل آمنوا به أو لا
تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون
سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا) (الاسراء ١٠٧-١٠٩) (قل أرأيتم ان كان
من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم
ثم ان الله لا يهدي القوم الظالمين) (الاحقاف ١٠) (ويقول الذين كفروا لست
مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب • والذين آتيناهم
الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين) (البقرة ١٤٧)
(فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك
الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) (يونس ٩٤) •

الحنيفية :

وفي القرآن آيات متعددة تشير الى الدين الحنيف الذي هو ملة ابراهيم التي
جاء الاسلام لتجديدها (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم
حنيفا وما كان من المشركين) (البقرة ١٣٥) (قل اننى هدانى ربي الى صراط
مستقيم • دينا فيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) (الانعام ١٦)
(ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين •
ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا ولله ولي المؤمنين)
(آل عمران ٦٥-٦٨) (ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من
المشركين) (النحل ١٢٢) (ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يكن من
المشركين) (النحل ١٢٠) (ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن

وانع ملة ابراهيم حنيفا) (النساء ١٢٥) (قل يا ايها الناس ان كنتم فى شك من دىنى فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم وامرت ان اكون من المؤمنين • وان اقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين) (يونس ١٧٤-٥) (فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوى به اريح فى مكان سحيق) (الحج ٣٠-٣١) (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله • ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون) (الروم ٣٠-٣١) (انى وجهت وجهى للدين فطر السماوات والارض حنيفا) (الانعام ٧٩) (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) (البينة ٥) •

يتبين من هذه الآيات ان الحنيفية هى الدين الصحيح وانها ديانة ابراهيم الخليل وانها تتميز عن الديانات الموحدة الاخرى كاليهودية والنصرانية وهى تمثل الدين الاصلى الحقيقى النقى المقابل للوثنية او لديانات اهل الكتاب المشووعة •

وقد وردت الحنيفية ايضا فى عدد من الاحاديث النبوية فقد روى ابن حنبل عن يحيى بن سعيد عن هشام عن قتادة عن مطرف عن عياض بن حمار : ان النبى (ص) خطب ذات يوم فقال فى خطبته ان ربهى عز وجل امرنى ان اعلمكم ما جهلتم مما علمنى فى يومى هذا : كل مال نحلته عبادى حلال وانى خلقت عبادى حنفاء كلهم وانهم اتهم الشياطين فأضلتهن عن دينهم وحرمت عليهم ما احللت لهم وأمرتهم ان يشركوا بى ••

وروى ايضا عن اسحق بن عيسى عن يحيى بن سليمان عن عبدالله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن ابى راشد عن التنوخى انه جاء رسول الله •• (قال ممن انت ، فقلت انا احد تنوخ ، قال هل لك فى الاسلام الحنيفية ملة ابيك ابراهيم ••) • وروى ايضا عن سليمان بن ابى داود عن عبدالرحمن عن ابىة (قال لى عروة ان عائشة قالت قال رسول الله (ص) يومئذ لتعلم يهود ان فى ديننا فسحة انى ارسلت بحنيفية سمحة) ؛ وعن ابى المغيرة عن معاذ بن رفاعة عن على بن يزيد عن القاسم عن ابى امامة •• (فقال النبى (ص) انى لم ابعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكنى بعثت بالحنيفية السمحة) • وعن يزيد عن محمد بن اسحق عن داود بن الحصين

عن عكرمة عن ابن عباس (قيل لرسول الله (ص) أى الأديان أحب الى الله قال .
الحنيفية السمحة^(٤)) .

وقد ورد ذكر الحنيف في بعض الآيات الجاهلية والاسلامية الأولى فقال
ذو الرمة يصف الحرباء :

يظل بها الحرباء للشمس مائلا على الجذل الا انه لا يكبر
اذا حول الظل العشى رأيت حنيفا وفي قرن الضحى يتصر

ويقول ابن بري في شرح ذلك انه اذا حول الظل العشى وذلك عند ميل
الشمس الى جهة المغرب صار الحرباء متوجها للقبلة فهو حنيف ، فاذا كان في اول
النهار فهو متوجه للشرق لان الشمس تكون في جهة المشرق فيصير متنصرا لان
النصارى تتوجه في صلاتها جهة المشرق^(٥) .

وقال صخر الغي :

كان تواليه بالملا نصارى يساقون لاقوا حنيفا

ويقول السكري في شرح هذا البيت يسوق فيها صوت كصوت النصارى
يقول يسوقون في عيد لهم لاقوا حنيفا فاحتفلوا له في هذا العيد ، والحنيف من غير
دينهم فاحتفلوا له وكذلك من لقي من هو على غير دينه فاخلط . يقول لا يكاد
يربح مثل هؤلاء النصارى الذين عزفوا^(٦) .

وقال ايمن بن خريم :

وصهباء جرجانية لم يطف بها حنيف ولم تنفر لها ساعة قدر^(٧)

وقال جرير :

وحالفتهم للوم يا آل درهم خلاف النصارى دين من يتحنف^(٨)

(٤) هذه الاحاديث مواضع من المسند بالتتابع ج ٤ ص ١٦٢ ، ج ٣
ص ٤٤٢ ، ج ٦ ص ١١٦-٢٢٢ ، ج ٥ ص ٢٦٦ ، ج ١ ص ٢٢٦ .
(٥) لسان العرب : ج ١٣ ص ٢٠٦ .
(٦) ديوان الهذليين : ج ٢ ص ٧١-٧٢ .
(٧) الاغانى : ج ١٦ ص ٤٤ معجم البلدان : ج ٢ ص ٥١ .
(٨) نقائض جرير والفرزدق ص ٥٩٥ .

وقد جمع ابن منظور آراء كثير من اللغويين في تحديد معنى الحنيف فقال
(الحنيف المائل من خير الى شر ومن شر الى خير ...) تحنف مال الحنيف
المسلم الذي يتحنف عن الاديان اى يميل الى الحق وقيل هو الذى يستقبل قبلة
البيت الحرام على ملة ابراهيم (ص) وقيل هو المخلص وقيل هو من اسلم من امر
الله فلم يتلو فى شئ، ... وقال ابو عبيدة فى قوله عز وجل (بل ملة ابراهيم
حنيفا) قال من كان على دين ابراهيم فهو حنيف عند العرب ، وكان عبدة الاوثان
فى الجاهلية يقولون نحن حنفاء على دين ابراهيم ، فلما جاء الاسلام سموا المسلم
حنيفا وقال الاخفش الحنيف المسلم ، وكان فى الجاهلية يقال لمن اختن وحج
الى بيت حنيف لان العرب لم تمسك بشئ من دين ابراهيم غير الختان وحج البيت ،
فكل من اختن وحج قيل له حنيف فلما جاء الاسلام تمادت الحنيفية فالحنيف
المسلم . وقال الزجاج ومعنى الحنيفية فى اللغة الميل ، والمعنى ان ابراهيم حنيف
الى دين الله ودين الاسلام ... الفراء الحنيف من سنته الاختان . وروى
الازهرى عن الضحاك فى قوله عز وجل حنفاء لله غير مشركين به قال حجاجا ،
وكذلك قال السدى ... وقد قيل ان الحنف الاستقامة ... ابو منصور الحنيفية
فى الاسلام الميل اليه ... الجوهرى الحنيف المسلم وقد سمي المستقيم بذلك
وتحنف الرجل اى عمل عمل الحنيفية ويقال له اختن ويقال اعترل
الاصنام وتعبد .

قال جرير العود :

لسا رأين الصبح بادرن ضوءه رسم قفا البطحاء أو هن اقطف
وادركن اعجازا من الليل بعدما اقام الصلاة العابد المتحنف

وقال ابو ذؤيب :

اقامت به كمقام الحنيف شهرى جمادى وشهرى صفر
الزجاج الحنيف فى الجاهلية (من كان يحج البيت ويغتسل من الجنابة
ويختن فلما جاء الاسلام كان الحنيف المسلم وقيل له حنيف لعدوله عن
الشرك^(٩)) ويتضح من كلام ابن برى ان الحنيف كان يتوجه الى القبلة فى صلاته

(٩) لسان العرب : ج ١٠ ص ٤٠٢-٤٠٤ .

ومن كلام صخر الغي وجريه انه يختلف عن النصارى وما رواه ابن منظور ان الحنيف هو المنحرف أو المائل وانه يدين بدين ابراهيم ويستقبل القبلة ويختن ويحج البيت ويعتزل الاصنام ويغتسل من الجنابة .

لقد روت الاخبار اسما عدد من هؤلاء الحنفاء فيقول ابن اسحق (واجتمعت قريش يوما في عيد لهم عند صنم من اصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده ويديرون به ، وكان ذلك عيدا لهم في كل سنة يوما ، فخلص منهم اربعة نفر نجيا ثم قال بعضهم لبعض تصادقوا وليكنم بعضكم على بعض ، قالوا اجل وهم ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصي . . . وعبيد الله بن جحش بن اسد بن خزيمة ، وكانت امه اميمة بنت عبد المطلب ، وعثمان بن الحويرث بن اسد بن عبد العزى بن قصي ، وزيد بن عمرو بن نفيل بن عدى بن كعب بن لؤى . فقال بعضهم لبعض تعلموا والله ما قومكم على شيء . لقد اخطأوا دين ابيهم ابراهيم ما حجر نطيف به ولا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ، يا قوم التمسوا لانفسكم فانكم والله ما اتم على شيء ففرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفة دين ابراهيم . فاما ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية واتبع الكتب من اهلها حتى علم علما من اهل الكتاب . واما عبيد الله بن جحش فاقام على ما هو عليه من الالباس حتى اسلم ثم هاجر مع المسلمين الى الحبشة ومعه امراته ام حبيبة بنت ابي سفيان مسلمة ، فلما قدمها تنصر وفارق الاسلام حتى هلك هنالك نصرانيا . واما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده ، واما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف ولم يدخل في يهودية ولا نصرانية ، وفارق دين قومه فاعتزل الاوثان والميتة والدم والذبايح التي تذبح على الاوثان ونهى عن قتل المؤودة وقال اعبد رب ابراهيم وبادى قومه بعب ما هم فيه ^(١) . ويذكر ابن قتيبة في في الفصل الذي عنوانه (قصة من كان على دين قبل بعث النبي (ص) هؤلاء ويضيف اليهم) امية بن ابي الصلت وكان امية قد قرأ الكتب ورغب عن عبادة

(١٠) سيرة ابن هشام : ج ١ ص ٢٤٢-٢٤٤ المحبر : ص ١٧١-١٧٢ .
وانظر عن زيد بن عمرو بن نفيل وعلاقته بالرسول الاشتقاق ص ٨٤
ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ٢٧٦ .

الاوثان وكان يخبر بأن نيبا يبعث قد اضل زمانه ، فلما سمع بخروج النبي (ص) كفر حسدا له ولما نشد رسول الله (ص) شعره آمن لسانه وكفر قلبه وقس بن ساعدة الايادي ، وهو حكيم العرب ، وذكر رسول الله (ص) انه رآه يخطب بمكان على جبل احمر واقص ابو بكر قصته وانشد شعره . وابو قيس صرمة بن ابي انس وهو من بنى النجار ، وكان ترهب ولبس المسوح وفارق الاوثان وهم بالنصرانية ثم امسك عنها ودخل بيتا له فاتخذة مسجدا لا يدخله طامت ولا جنب وقال اعبد رب ابراهيم ، فلما قدم رسول الله (ص) المدينة اسلم وحسن اسلامه ، وهو القائل في رسول الله وخالد بن سنان بن غيث هو من بنى عبس بن بغض وروى ان رسول الله (ص) قال ذلك نبي اضاعه قومه واتت ابنته رسول الله (ص) فسمعتة يقرأ قل هو الله احد فقالت كان ابي يقوم ذا^(١١) .

يبين من هذه النصوص التي تتردد في الكتب العربية ان هؤلاء الحنفاء كانوا في الحجاز ومهدوا الافكار لدعوة الرسول . ويظهر ان عددهم كان ملحوظا وربما كان هناك آخرون لم يردنا عنهم شيئا ولم يقتصر على الحجاز وحده بل كانوا في اليمامة ايضا على الاقل حيث تقيم قبيلة « حنيفة » وحيث ادعى مسيلمة انه عبدالرحمن وادعى النبوة ودعى الى عبادة الرحمن^(١٢) .

لا تعطينا المصادر معلومات وافية دقيقة واضحة عن دين وعبادات هؤلاء الحنفاء . وكلما يمكن استنتاجه من هذه المعلومات القليلة ان عقائدهم هي احتجاج على تعدد الآلهة والشرك وعبادة الاصنام . والطقوس الوثنية وانها تميل الى العزلة والتوحيد وان معتقبيها كانوا يقدرون الاديان السماوية ، ولكنهم لم يكونوا يهودا أو نصارى . وان هذه الديانة هي اقرب الى الاسلام ، وهي تؤكد على صلتها بدين

(١١) المعارف : ص ٢٧-٢٩ .

(١٢) يقول ابن سعد انه (بعث قريش النضر بن الحرث بن علقمة وعقبة بن ابي معيط وغيرهما الى يهود يثرب وقالوا لهم سلوهم عن محمد ، فقدموا المدينة فقالوا اتيناكم لامر حدث فينا غلام . . . يقول قولاً عظيماً يزعم انه رسول الرحمن ولا نعرف رحمانا الا رحمان اليمامة) ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ١٠٨ انظر ايضا تفسير الطبري ج ١٠ ص ٧٠ انظر عن دعوة مسيلمة للرحمن الطبري ج ٣ ص ٢٤٥-٢٤٦ البلاذري . فتوح البلدان ص ١١٣ .

ابراهيم اكثر من تأكيدها على عبادة الله ، وليس هناك اشارة الى اعتقادهم بالبعث ،
ويظهر انهم كانوا يميلون الى العزلة والتحنث^(١٣) .

والحق اننا لا نعلم كيف كان العرب في الجاهلية يتصورون دين ابراهيم
اللهم الا ما رواه ابن هشام وابن الكلبي من ان العرب بعد ان دانوا بالشرك بقي
فيهم (على ذلك بقايا من عهد ابراهيم يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به
والحج والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة وهدى البدن والاهلال بالحج
والعمرة مع ادخالهم فيه ما ليس منه^(١٤)) .

الصابئة :

وهناك فرقة اخرى هي الصابئة ، ورد ذكرها في القرآن عرضا في ثلاث
آيات (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم
الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)
(البقرة ٦٢) (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله
واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (المائدة ٦٩)
(ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان
الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شئ شهيد) (الحج ١٧) .

ويتبين من هذه الآيات ان الصابئة فرقة دينية مستقلة عن غيرها وانها ممن
آمن بالله واليوم الآخر . وانها تتميز عن اليهود والنصارى . ولا ريب انهم
لا علاقة لهم بصابئة حاران لان هؤلاء كانوا من عباد الاله سين ثم اتحلوا اسم
الصابئة في زمن المأمون تخلصا مما أراد أن يفرضه عليهم من عقوبة^(١٥) . أما

(١٣) لقد بحث بعض المستشرقين في الحنيفية : ومنهم بوهل في مقال
في دائرة المعارف الاسلامية ، وييل في مجلة العالم الاسلامي العدد ٢٠ سنة
١٩٣٠ ، وقارس وكلدن في مجلة الجمعية الشرقية الفلسطينية العدد ١٩ سنة
١٩٣٩ وكذلك وات في الملحق الثاني من كتابه (محمد في مكة) .
(١٤) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٨٢ . ابن الكلبي الاصنام ص ٦ .
(١٥) ابن النديم . الفهرست ص ٤٤٥ . ويقول المسعودي ان الصابئة
هم الحنيفية (التنبيه والاشراف ص ٧٩ ، ١٢٧) .

صابئة العراق فهم المندائيين أو المعتسلة وعبادتهم مزيج من بقايا العبادة البابلية القديمة والمسيحية مع احترام خاص ليوحنا المعمدان^(١٦) . ولا يوجد دليل على كونهم كانوا في الحجاز .

وكلمة صبا في اللغة العربية تعنى مال ، وقد وردت في القرآن بهذا المعنى (والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين) (يوسف ٣٣) ، وكانت العرب تطلق كلمة صابئى على من يفارق دين آبائه واجداده ويدخل دينا جديدا . وقد دعى المشركون الرسول والمسلمين في البداية صابئة ، فيروى ابن هشام ان عمر بن الخطاب لما اسلم نادى جميل بن معمر بأعلى صوته « يا معشر قريش وهم في انديتهم حول باب الكعبة الا ان عمر بن الخطاب قد صبا قال ويقول عمر من خلفه كذب ولكن قد اسلمت وشهدت ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله^(١٧) » . ويروى ابن سعد ان الرسول عندما كان يدعو الناس الى الاسلام كان يسير (ابو لهب وراه يقول لا تطيعوه فانه صابئى . كذاب^(١٨)) ولما أراد ابو لهب أن يحمى الرسول بعد وفاة ابي طالب قال ابن الغيطلة (يا معشر قريش صبا ابو عتبة^(١٩)) (وروى البخارى في التاريخ وابو زرعة الدمشقى والبعوى وابن ابى عاصم من طريق الوليد بن عبدالرحمن الجرشى عن الحارث بن الحارث الغامدى قال : قلت لابي ونحن بمنى ما هذه الجماعة ؟ قال هؤلاء اجتمعوا على صابئى . لهم . قال فتشرفت فاذا برسول الله (ص) يدعو الناس الى توحيد الناس الى توحيد الله وهم يردون عليه^(٢٠)) .

ومما تقدم نستنتج ان العرب كانت ترى ان الصابئة من الموحدين ، وانهم وصفوا المسلمين الاول بهذا الوصف لانهم لم يدركوا الفرق بين الصابئة وبين

-
- (١٦) خير بحث عن صابئة العراق هو كتاب المسز دراور (المندائيون في العراق) (بالانكليزية) وانظر ايضا كتاب عبدالرزاق الحسينى عن الصابئة .
(١٧) سيرة ابن هشام : ج ١ قسم ١ ص ٣٧ . الاشتقاق ص ٧٩ ، ٨١ .
(١٨) ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ١٤٥ .
(١٩) ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ١٤١ .
(٢٠) ابن حجر : الاصابة ج ١ ص ٢٧٥ .

الاسلام في أدواره الاولى ومن قبل أن تتوضح معالمه . على اننا لا نعلم تفاصيل هذه النحلة التي كانت تعبد الله وتختلف عن اليهود والنصارى كما يتجلى ذلك من آيات القرآن الكريم . ولم تذكر الكتب اسم اى شخص صابى .

يتضح من كل ما تقدم ان فكرة اله اكبر كانت موجودة عند القرشيين كما ان فكرة التوحيد كانت موجودة منذ القديم ، وانها كانت عند ظهور الاسلام موجودة عند اليهود والنصارى والاحناف والصابئة . ولا شك ان عقيدة اليهودية والمسيحية في الله تختلف عن عقيدة الاسلام . فاليهودية ترى ان العزيز ابن الله كما ترى ان نعمه وبركاته تقتصر على بنى اسرائيل الذين هم في رأيهم شعب الله المختار . أما المسيحية فقد كانت فرقا متعددة بعضها يرى ان المسيح هو الله وبعضها يرى انه ابن الله وبعضها يراه ذى طبيعتين لاهوتية وناسوتية . وقد ناقش القرآن المزايم ورد عليها في الآيات التي نزلت في المدينة وأنكر عليهم عدم التنزيه . أما العرب فقد كانوا يشركون به آلهة اخرى هم بنات الله في زعمهم .

المدينة - صنع
داود ا
ج
ان
م
الله

التوحيد في الاسلام :

أما العقيدة الاسلامية فاساسها ان لا اله الا الله وحده لا شريك له لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ، وانه تعالى رب العالمين ورب كل شىء ورب السماوات والارض والمشرق والمغرب ، وهو خالق كل شىء وهو على كل شىء قدير ، وهو الذى يحيى ويميت ويعلم خافية الاعين وما تخفى الصدور ، وسلطاته واسعة مطلقة يخضع له الكل وينبغى أن يستسلموا له . ولا شك ان الفكرة العامة في الاسلام عن الله تعالى هي العظمة والعدل والخير فهو العادل الذى يحاسب الانسان بالقسطاس المستقيم ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولكنه في نفس الوقت رحيم بعباده . ولا ريب ان تكرر كلمة الرحمن الرحيم من شأنها أن تذكر المسلم دائما برحمة الله وتجعله لا يقنط من روحه وعدله كما يجب أن يكون شكورا ولا يكفر بنعمه .

والله تعالى موجود في كل مكان فلا ينحصر في مكان دون آخر ويدركه الانسان عن طريق الفطرة والبصيرة بالدرجة الاولى ، كما يمكن أن يدركه عن طريق التفكير في آثاره واعماله والحق ان الاسلام يتطلب التأمل والتفكير والتبصر

والتدبر والنظر • وقد تردد الامر بذلك في القرآن في مواضع كثيرة جدا •
فلاسلام لا يفرض العقيدة بالله فرضا تلقينيا دوكماتيكيا ولا يتطلب من البشر
الانقياد الاعمى •

ان هذا التفكير مطلوب من كل شخص ويمكن أن يمارسه أى انسان كان
وحينما كان • فليس في الاسلام طبقة من الكهنوت تكون واسطة بين الله والناس •
ولكن يجدر التأكيد بأن ادراك الله واثبات وجوده لا يتم بالطريقة الرياضية أو
المختبرية اذ ان الخبرة الدينية قائمة بالدرجة الاولى على البصيرة والشعور
الذاتي الباطنى •

الملائكة :

ومن المعتقدات الاساسية في الاسلام الملائكة (ليس البر أن تولوا وجوهكم
قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة) (البقرة ١٧٧
انظر ايضا البقرة ٢٨٥) (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
فقد ضل ضلالا بعيدا) (النساء ١٣٦) •

لقد ورد ذكر الملائكة في القرآن بصيغة المفرد في اربعة عشر آية وبصيغة
التثنية مرتان وبصيغة الجمع في اربع وستين آية • وقد ذكرت اسماء بعضهم فورد
اسم جبريل في ثلاث آيات (البقرة ٩٧ و ٩٨ التحريم ٤) وميكال مرة واحدة
(البقرة ٩٨) وذكر مالك مرة واحدة (الزخرف ٧٠) وملك الموت مرة واحدة
(السجدة ١١) أما الباقي فقد ذكرت فيها الملائكة كاسم جنس •

لقد كان المشركون يعتقدون بالملائكة ويرون انها اناثا وانها بنات الله (٢١) •
وقد انكر الاسلام كون الملائكة بنات الله أو عبادتهم لانها تناقض مبدأ
الوحدانية الاساس ولكنهم عباد مكرمون وقد خلقوا من قبل أن يخلق آدم ثم انه
تعالى علم آدم الاسماء كلها ثم عرضها عليهم (البقرة ٣٠-٣١) وقد امرهم أن
يسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر ، كما ستحدث عنه فيما بعد •
والملائكة عباد الرحمن (النساء ١٧٢) يشهدون بأن لا اله الا هو (آل عمران ١٨)

(٢١) انظر ص ١٤٩-١٥٠ •

وهم يخافونه (الرعد ١٣) ويسجدون له بتواضع ولا يستكبرون (النحل ٤٩)
وهم اولى اجنحة منى وثلاث ورباع (فاطر ١) ويوم القيامة يأتى الله والمملك
صفا صفا (الفجر ٢٢) وهم يحفون به (الزمر ٧٥) ويحمل عرش الله منهم
ثمانية (الحاقة ١٧) وهم يستغفرون لمن فى الارض (الشورى ٥) وهم يصلون
على النبى (الاحزاب ٥٦) .

ويصطفى تعالى من الملائكة رسلا الى البشر (الشورى ٥١ الزخرف ٨٠)
وهم ينزلون بالروح (النحل ٢) وقد كلمت الملائكة زكريا ومريم (آل عمران ٣٩)
مريم ٤٢ و ٤٥) . وقد امد تعالى المسلمين فى بدر بثلاثة آلاف (آل عمران ١٢٤)
وفى الخندق بخمسة آلاف (آل عمران ١٢٥) وهو يمد المسلمين بألف من
الملائكة مسومين (الانفال ١٩) .

والملائكة تلعن الكفار (البقرة ١٦١ آل عمران ٨٧) وتبسط ايديها عليهم
فى غمرات الموت (الانعام ٩٣) . وهم يوم القيامة يضربون وجوه الكفار
وادبارهم (الانفال ٥٠ ، محمد ٢٧) .

ابليس :

ومن الملائكة فى الاصل ابليس وقد وردت قصته فى سبع سور ، كما ورد
ذكره فى سورتين اخريين . وفى سورة الاعراف والحجر تفصيل لقصته
« ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس
لم يكن من الساجدين . قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتنى
من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك
من الصاغرين . قال انظرنى الى يوم يعثون . قال فانك من المنظرين . قال فيما
اغويتنى لأقعدن لهم على صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم
وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين . قال اخرج منها مذموما
مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم اجمعين » (الاعراف ١١-١٨) وفى آية
اخرى يصف القرآن ابليس بأنه كان من الجن (الكهف ٥٠) .

وهناك آيتان تشيران صراحة الى ان بعض المشركين كانوا يعبدون ابليس
(ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين) (سبأ ٢٠) واذ قلنا

✓
للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه
افتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا (الكهف ٥٠)
وهناك آية اخرى تشير الى ان لابليس جنود (فككبوا فيها هم والعاوون و جنود
ابليس اجمعون) (الشعراء ٩٥) .

ولا ريب ان ابليس اسم علم مفرد كان ملكا ولكن كبريائه الذي دفعه الى
عدم السجود لآدم مما سبب طرده من الجنة وسمح له تعالى بأن يغوى آدم ويخرجه
من الجنة ثم يغوى بني آدم .

الشیطان :

لقد ذكر القرآن ايضا ان الذي اغوى آدم فاخرجه من الجنة هو الشيطان
(البقرة ٣٦ ، الاعراف ٢٧ ، طه ١٢٠) مما قد يستتج منه ان ابليس هو الشيطان .
وقد ترددت كلمة الشيطان بصيغة المفرد في سبعين آية مكية ومدنية وبصيغة الجمع
بثمانية عشر آية مكية وكلها بأل التعريف الا في ثلاث آيات (الحجر ١٧ ،
التكوير ٢٥ ، الزخرف ٣٦) .

والشيطان كفور لربه (الاسراء ٢٧) وعصى للرحمن (مريم ٤٤) وهو الذي
ازل آدم فاخرجه من الجنة (البقرة ٣٦ ، الاعراف ٢٧ ، طه ١٢٠) وسبب
الخصومة البشرية الاولى بين هايل وقايل (الاعراف ٢٠) وائر في الامم الضالة
(النحل ٦٣ ، القصص ١٥) .

والشيطان للانسان عدو مبين (الاعراف ٢٢ ، يوسف ٥ ، الاسراء ٥٣ ،
القصص ١٥ ، فاطر ٦ ، الزخرف ٦٢) خذول له (الفرقان ٢٩) يعد الناس
الغرور (النساء ١٢٠ ، الاسراء ٦٤) ويريد أن يضلهم ضلالا بعيدا (النساء ٦٠)
وهو يعد الناس الفقر ويأمرهم بالفحشاء (البقرة ٢٦٨ ، التور ٢١) ويستزلهم
ببعض ما كسبوا (آل عمران ١٥٥) ومن اعماله الخمر والميسر والأنصاب والأزلام
وبها يحاول أن يوقع بين الناس العداوة والبغضاء (المائدة ٩٠ و ٩١) وهو اسوأ
قرين (النساء ٣٨) .

والشياطين اولياء الذين لا يؤمنون (النساء ٧٦ ، الاعراف ٢٧) وهم الذين
يوحون الى اوليائهم ليجادلون المسلمين (الانعام ١٢١) وينبغي أن يقاتل اولياؤهم

(النساء ٧٦) الذين هم في خسران مبين (النساء ١١٩) وقد ارسل تعالى الشياطين على الكافرين تَوَزَّعُوا (مريم ٨٣) وقد زين تعالى السماء الدنيا بمصابيح وجعلها رجوما للشياطين (الملك ٥) .

والشيطان يقر بالله تعالى ويخافه (ابراهيم ٢٥٧) ولكنه يسخر من الناس ويحاول أن يضلهم (يوسف ٤٢ ، الحج ٥٢) وهو خصم للمسلمين (المجادلة ٩) .

ولا تقتصر محاولات الشيطان على البشر بل تمتد حتى الى الانبياء (وما ارسلنا قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيه فيفسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) (الحج ٥١) وهو يحاول أن ينسى الرسول (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما ينسبك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) (الانعام ٦٨) .

والشياطين تنزل على كل افك اثم (الشعراء ٢٢) واما الوحي والقرآن فهو من الله وما هو بقول شيطان رجيم وللجن شياطين تغويهم .

ومما يتقدم يظهر جليا ان الشيطان هو الذي يلعب دوره في افساد الناس وغوايتهم واخلالهم وانه مصدر الشرور في العالم وان كان في قرارة نفسه يخاف الله واذا كانت هناك آية « بل عبدوا الشيطان اكثرهم لا يعلمون » فتفسرها انهم اخطأوا وعبدوا الشيطان من دون ان يعلموا بانهم يعبدون الشيطان بذلك على هذا ان القرآن لم يذكر في غير هذه الآية ان الشيطان من معبوداتهم كما لم يرد عن العرب انهم عبدوا الاها هو الشيطان او انهم عبدوا اله الشر .

ان استعمال كلمة الشياطين بصيغة الجمع تدل على انها جنس وان كانت الآيات لا تبين اسماءها ولا عن علاقة الشيطان وهو ابليس ببقية الشياطين .

الجن :

لقد ورد ذكر الجن في القرآن في ثلاثين آية مكبة وهي مخلوقة من نار (الحجر ٢٧ ، الرحمن ١٥) ومنهم ابليس الذي هو ملك ايضا (الكهف ٥٠) وان اصلهم الناري وكون ابليس منهم يظهر علاقتهم بالملائكة . غير انهم يختلفون عن الملائكة في امور منها انهم من الصالحون ومنهم دون ذلك وانهم كانوا طرائق

قددا (الجن ١١) فمنهم المسلمون الذين تحروا رشدا والقاسطون الذين هم
لجهنم خطبا (الجن ١٤ و ١٥) وكان سفهاؤهم يقولون على الله شعلطا (الجن ٤)
وقد ظنوا ان لن يبعث الله احدا (الجن ٧) ولكن نضرا منهم سمع القرآن منه
(الاحقاف ٢٩ ، الجن ١) مما يدل على معرفتهم باللغة العربية فأمنوا به ولن
يشركوا بربهم احدا (الجن ٢) ولكن فريقا منهم لم يؤمن وسيحاسبهم الله يوم
القيامة ويدخل كثيرا منهم في جهنم ليعذبه فيها على سوء عمله (الاعراف ٣٨
و ١٧٩ ، الرحمن ٣٩ ، السجدة ١٣) .

من هذا يتبين انهم وان اتفقوا مع الملائكة في مادة خلقتهم وهي النار وفي
بعض الخصائص والاحوال الا أن احوالهم أشد شبيها بأحوال الانس .
ويقترن ذكرهم بالانس في عشر آيات ، فهم ليسوا جميعا بمهتدين وان الرسل
تأتيهم (الانعام ١٣٠) وقد استمع بعضهم للنبي وصاروا مسلمين وكانت جيوش
سليمان منهم ومن الانس (النحل ١٧) وقد أتاه احدهم بعرش بلقيس ويبدو
وانهم لا يرون بالعين الانسانية اذ لم يشر القرآن الى ان الانس ترى الجن ولم
يذكر انهم سخروا لغير سليمان . ولا يعتبر الايمان بهم جزءا اساسيا من
العقيدة الاسلامية .

ولعلمهم اذا مسوا انسانا صار شادا أي به جنة (الاعراف ١٨٤ ، المؤمنون ٢٥
و ٧٠ ، سبأ ٨ و ٤٦) وقد اتهم المشركون الرسول بأن به جنة وهو اتهام باطل .

البعث والقيامة :

ومن المبادئ الاساسية في الاسلام فكرة البعث والقيامة فان الله تعالى خالق
كل شيء والقادر على كل شيء سوف يعيد الخلق كما انشأه اول مرة وينشر الناس
من القبور ويعينهم الى الحياة . وقد سمي هذا اليوم في القرآن بعدة اسماء منها
يوم الآخرة (وقد وردت في مائة وعشر آيات) ويوم الآخر (في ستة وعشرين
آية كلها تقريبا مدنية) ويوم القيامة (في سبعين آية) والحشر (في ثلاثين آية)
ويوم البعث (في ثلاث آيات عدا مشتقات هذه الكلمة) ويوم الدين (في سبع
آيات) ويوم الفصل (في ست آيات) ويوم الحساب (في اربع آيات) ويوم الجمع
ويوم التلاقي ويوم الحسرة ويوم الازفة والصاخة والقارعة والتغابن (وقد ذكرت
كل منها في آية) .

ويأتي يوم القيامة بغثة (الانعام ٣١ و٤٤ و٤٧ ، الاعراف ٩٥ و١٨٧ ، يوسف ١٠٧ ، الانبياء ٤٠ ، الحج ٥٥ ، الشعراء ٢٠٢ ، الزمر ٥٥ ، الزخرف ٦٦ ، محمد ١٨) . وهي تأتي بصيحة (يسن ٢٩ و٤٩ و٥٣ ص ١٥ ق ٤٢) أو بصيحتين (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون) (الزمر ٦٨-٦٩) وتم هذه الصيحة بأن ينفخ في الصور (الانعام ٧٣ ، الكهف ٩٩ ، طه ١٠٢ ، المؤمنون ١٠١ ، النحل ٨٧ ، يسن ٥١ ، الزمر ٦٨ ق ٢٠ ، الحاقة ١٣ ، سبأ ١٨) .

وعندما تقوم القيامة ترج الارض رجا (الواقعة ٥) أما الجبال فسيرها (الطور ١٠ ، التكوير ٣ ، الكهف ٤٧) وتبس بسا (الواقعة ٥) وتنسف (الرسائل ١٠) وتذك دكة واحدة (الحاقة ١٤) وتصبح كالعهن (المعارج ٩ ، القارعة ٥) وتصير سرايا (النبأ ٢٠) أما البحار فنفجر (الانفطار ٣) وتسجد (التكوير ٦) . وأما السماء فتنفطر (الانفطار ١) وتكشط (التكوير ١١) وتفرج (الرسائل ٩) وتنشق (الحاقة ١٦ ، الاشفاق ١ ، الفرقان ٢٥) وتأتي بالغمام (الفرقان ٢٥) وتأتي بدخان مبين (الدخان ١٠) وتمور مورا (الطور ٩) وتطوى كطى السجل للكتب (الانبياء ١٠٤) . أما النجوم فتطمس (الرسائل ٨) وتكدر (التكوير ٢) وتبعر القبور (الانفطار ٤ ، العاديات ٩) ويخرج الناس من الاجداث سراعا (يسن ٥١ ، القمر ٧ ، المعارج ٤٣) .

ويأتي تعالى والمملك صفا صفا (النبأ ٣٨ ، الفجر ٢٢) ويحمل عرشه تعالى يومئذ ثمانية (الحاقة ١٧) .

ويخرج لكل انسان (يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) (الاسراء ١٤) ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا وليتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها (الكهف ١٩ ، انظر ايضا سبأ ٣) . فأما من أوتى كتابه يمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابه اني ظننت اني ملاق حسابه وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت

كتابه ولم أدر ما حسابه (الحاقة ١٩-٢٠ و ٢٥-٢٦ انظر ايضا الاسراء ٧١ ،
الانشقاق ٧-١١) .

جهنم :

ان الذين تزيد شرورهم على حسناتهم ينالون في الآخرة جزاءهم وهم
يذهبون الى النار (وقد ذكرت في ١٣٠ آية) أو جهنم (وقد ذكرت في ٧٩ آية)
أو الجحيم (وقد ذكرت في ٢٦ آية) أو السمير (وقد ذكرت في ١٩ آية)
أو سقر (وقد ذكرت في ٣ آيات) و جهنم لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء
مقسوم (الحجر ٤٤) عليها تسعة عشر من الملائكة (انظر المدثر ٣٠-٣١)
وهم غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون (التحريم ٦)
وجهنم وقودها الناس والحجارة (البقرة ٢٤ ، التحريم ٦) والذين يدخلونها يقاسون
من سموم وحميم . وظل من يحموم . لا بارد ولا كريم (الواقعة ٤٢-٤٤)
ولهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل (الزمر ١٦) . وهم يؤخذون
بالتواصي والاقلام (الرحمن ٤١) واذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون .
في الحميم ثم في النار يسجرون (غافر ٧١-٧٢ انظر ايضا ابراهيم ٤٩ ،
الانسان ٤) وهذه السلسلة ذراعها سبعون ذراعا (الحاقة ٣٢) . فالذين كفروا
قطعت لهم ثياب من نار يصب فوق رؤوسهم الحميم . يصهر به ما في بطونهم
والجلود . ولهم مقامع من حديد . كلما ارادوا أن يخرجوا منها من غم اعيدوا
فيها وذوقوا عذاب الحريق (الحج ١٩-٢٢) وكلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها (النساء ٥٦) . وهم لا يدوقون فيها برذا ولا شرابا . الا حميما
وغساقا (النساء ٢٤-٢٥) ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه
الموت من كل مكان وما هو بميت ومن وراءه عذاب عظيم (ابراهيم ١٦-١٧)
ولهم شراب من حميم وعذاب أليم (الانعام ٧٠ ، يونس ٤ انظر ايضا ص ٥٧
الدخان ٤٦ ، الواقعة ٤٢ و ٥٤ ، محمد ١٥) . ان الضالون المكذبون في جهنم
لأكلون من شجرة الزقوم . فمالتون منها البطون . فساربون عليه من الحميم .
فساربون شرب الهيم (الواقعة ٥٢-٥٥) وان شجرة الزقوم . طعام الانيم .
كالمهل يغلى في البطون كغلي الحميم (الدخان ٤٣-٤٦) . أما شجرة الزقوم فانها
شجرة تخرج في اصل الجحيم . طلعتها كأنه رؤوس الشياطين فانهم لأكلون منها

فمالتون منها البطون • ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم (الصافات ٦٥-٦٨) •
فالذين يذهبون الى جهنم ليس لهم طعام الا من ضريع • لا يسمن ولا يغنى
من جوع (الغاشية ٦-٧) •

الجنة :

أما من ثقلت موازينهم وأوتوا كتابهم بيمينهم لان اعمال الخير عندهم تفوق
اعمال الشر فانهم يذهبون الى الجنة (وقد وردت بصيغة المفرد فى ٦٩ آية وبصيغة
الجمع فى ٦٩ آية ايضا منها ١١ مضافة الى عدن ووردت باسم النعيم ٦ مرات
و ٨ مرات جنات النعيم و ٣ مرات جنة النعيم ومرتين باسم الفردوس ومرة باسم
الكوثر) •

ان الجنة تجرى من تحتها الانهار (وقد ذكر ذلك فى ٣٧ آية) وفيها انهار
من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار
من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم (محمد ١٥)
وفى الجنة للذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها
الانهار (الزمر ٢٠ ، انظر ايضا العنكبوت ٥٨ ، سبأ ٣٧ ، الفرقان ٧٥) وفيها ايضا
فاكهة كثيرة (ص ٥١ الزخرف ٧٣ ، انظر ايضا المرسلات ٤٢ ، يس ٥٧ ،
الدخان ٥٥ ، الطور ٢٢ ، الرحمن ٥٢ ، عبس ٣١ ، الواقعة ٢٠) وفيها نخل
ورمان (الرحمن ٦٨) • وفيها لحم مما يشتهون (الطور ٢٢) ولحم طير
(الواقعة ٢١) •

وفىها ايضا سرر مصفوفة (الطور ٢٠) وموضونة (الواقعة ١٥) ومرفوعة
(الغاشية ١٣) يجلس الناس عليها متقابلين (الحجر ٤٧ ، الصافات ٤٤) كما ان
فىها أرائك يتكئون عليها (الكهف ٣١ ، يس ٥٦ ، الانسان ١٣ ، المطففين ٢٣ ،
الفجر ٣) وفيها نمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة (الغاشية ١٥) ومتكئون ايضا على
رفرف خضر وعبقرى حسان (الرحم ٧٦) وعلى فرش بطائنها من استبرق
(الرحمن ٥٤) واهل الجنة يلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق (الكهف
٣١ ، انظر ايضا الدخان ٥٣ ، الانسان ٢١) • وهم يحلون فيها من اساور من
ذهب ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير (فاطر ٣٣ ، الحج ٢٣) • وهم يشربون بكأس

(التبا ٣٤ ، الطور ٢٣) من معين (الصافات ٤٥ ، الواقعة ١٨) مزاجها كافورا
(الانسان ٥) وزنجيلا (الانسان ١٧) .

ويطاف عليهم بصحاف من ذهب (الزخرف ٧١) وآنية من فضة (الانسان
١٥) وبأكواب من قوارير (الانسان ١٥) وأباريق (الواقعة ١٨ ، انظر ايضا عن
الأكواب الزخرف ٧١ ، الفاشية ١٤ ، الواقعة ١٨) .

ويطوف عليهم ولدان مخلدون (الواقعة ١٧ ، الانسان ١٩) وغلمان لهم
كانهم لؤلؤ مكنون (الطور ٢٤) .

وفي الجنة قاصرات الطرف عين (الصافات ٤٨) واطراب (ص ٥٢) لم
يطمنهن انس قبلهم ولا جان (الرحمن ٥٦) وحوور عين (الدخان ٥٤) كأنثال
اللؤلؤ الكنون (الواقعة ٢٢) .

ويدخل المتقون الجنة مع زوجاتهم (الزخرف ٧٠ ، انظر ايضا سن ٥٦)
ويتزوجون بحور عين (الدخان ٥٤ ، الطور ٢٠) (ولا بد ان الزواج بالحوور
العين يخص العزاب) .

ان الذين يدخلون الجنة لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين
(الحجر ٤٨) وهم لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى (الدخان ٥٦) وهم
فيها خالدون ، كما ان اهل النار يبقون فيها خالدين (وقد ذكر خلود اهل الجنة
واهل النار في تسعة وستين آية) .

وبين الجنة وجهنم يوجد حجاب واعراف عليه رجال ونادى (اصحاب الجنة
اصحاب النار) ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا
قالوا نعم فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين . الذين يصدون عن سبيل الله
ويغفونها عوجا وهم بالآخرة كافرون . وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال
يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم
يطعمون . واذا صرفت ابصارهم تلقاه اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم
الظالمين . ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم
جمعكم وما كنتم تستكبرون (الاعراف ٤٤-٤٨) ولا ريب ان ظاهر معنى الآية يدل
على ان اصحاب الاعراف هم الذين عند الحجاب الذي يحجز بين الجنة وجهنم

وليسوا من تتعادل حسناتهم وسيئاتهم كما يرى بعض المفسرين فان اهل المتعادل لم يشر عنهم القرآن بشيء واضح .

اهمية فكرة البعث :

ولا ريب ان لفكرة البعث اهمية كبرى في النظام الاخلاقي والاجتماعي للاسلام ، وذلك لان البعث يتبعه يوم الحساب الذي يتقرر فيه مصير الانسان حيث اما أن يحصل على السعادة والراحة الابدية ويخلد في الجنة أو يذهب الى حيث العذاب الابدي . وحصوله على احد هاتين النتيجةين يتوقف على اعماله في الدنيا . ففي يوم الحساب يؤتى كل امرئ كتابه بيمينه ولا يذر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فاما من ثقلت موازينه بعمل الخير والصالح في الدنيا ينال الجنة واما من فافت اعماله الشريرة الخيرة فانه يذهب الى جهنم . ولما كان المسلمون يدخلون الجنة فان هذا سيكون دافعا لهم على عمل الخير في الدنيا وتجنب عمل الشر .

وفكرة الآخرة فوق ذلك تعطى الناس أملا في الحياة ، اذ ان حياة الآخرة طويلة جدا والحياة الدنيا قصيرة وهي دار لهو فلا يكون قصر العمر مصدرا لليأس .

ثم ان في الحياة الدنيا كثيرا من المصاعب والآلام والاحزان ولولا أمل الآخرة لاستولى اليأس على النفوس . ففكرة الآخرة اذا تبعث على الامل وتحى التفاؤل وتحمل الناس على عمل الخير والصالح وتجنب عمل الشر .

المقاييس الاخلاقية :

ومن الميزات الرئيسية للاسلام تأكيده على الاخلاق واعتبارها المقياس الأوحد للتفاضل بين الناس (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) (الحجرات ١٣) والتقوى هنا هي الاخلاق . وامام هذا المقياس يستوى الناس بصرف النظر عن اصلهم وجنسهم وسنهم ولونهم ومثل هذا الفارق الاخلاقي لا يقوم على اساس الوراثة ولا هي وقف على فرد دون آخر كلا بل هي مكتسبة بمقدور كل انسان أن يعملها وهي واقعية وليست خيالية كما انها اساس المجتمع وأساس نوال الجنة والسعادة الابدية . ومن هنا جاءت مسؤولية الانسان .

والمسؤولية الاخلاقية في الاسلام فردية فالانسان يجزى بما كسبت يده
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (الزلزلة ٧ ، ٨)
ولا تزر وازرة وزر اخرى (الانعام ١٦٤ ، الاسراء ١٥ ، فاطر ١٨ ، الزمر ٧ ،
النجم ٣٨) ويوم القيامة لا يسأل والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا
بل يكون كل انسان مسؤول عن اعماله . والاسلام في هذه النقطة تختلف مثله
اساسيا عن البداوة التي تؤكد على المسؤولية الاجتماعية والتي تأخذ الفرد بجبريرة
غيره وخاصة في الثأر والدية ، كما تختلف مثله عن كثير من المجتمعات التي ترى
مقياس التفاضل بالنسب والوراثة ، أو بالثروة والمركز والنفوذ المادى .

على ان الاخلاق الاسلامية ذات رسالة اجتماعية . فالاسلام جاء بكثير من
المبادئ التي من شأنها تنظيم العلاقات بين الناس كالصدق في القول والمعاملة
والعطف والبر والاحسان ومساعدة الفقراء والمساكين واعطاء الصدقات للمحتاجين
والتعاون والتآزر والبر بالوالدين وغير ذلك من الصفات الاخلاقية الحميدة التي
من شأنها أن تؤدي الى تنظيم المجتمع وسعادته واستقراره . (قل تعالوا اتل ما حرم
ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من اطلاق
نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون . ولا تقربوا مال اليتيم الا
بالتى هي احسن حتى يبلغ اشده . واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفسا
الا وسعها واذا حكمتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلك وصاكم به
لعلكم تذكرون) (الانعام ١٥١-١٥٢ انظر ايضا الاسراء ٢٣-٣٧) ولا شك
ان هذه الآيات التي اجملت المبادئ الاجتماعية الاسلامية هي بعض الآيات الكثيرة
التي تدعو الى ذلك .

والاخلاق الاسلامية لا تقتصر على مجرد الاعمال الخارجية بل تؤكد على
الاعمال الباطنية وتعير النيات اهتماما كبيرا (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى
الله بقلب سليم) (الشعراء ٨٩) (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب)
(الحج ٣٢) وقد جاء في الحديث « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى »

ولا ريب ان الله بكل شيء عليم وهو يعلم ما تخفى الصدور ويعلم ما توسوس به
نفس الانسان وهو اقرب اليه من حبل الوريد (انظر ق ٦) وهو لا تخفى عليه
خافية ويحاسب الناس يوم القيامة على اعمالهم ومقاصدهم ويجزي كل نفس بما
كسبت ويوم القيامة يؤتى كل امرئ كتابه بيمينه ولا يذر صغيرة ولا كبيرة الا
احصاها . كل هذا يجعل من يدين بالاسلام عليه أن يخلص نيته ويظهر قلبه
ويصفي سريرته ويهجر النفاق والفساد .

الرُّدَّةُ القرآنية على نظور الدعوة

آيات الله :

ان القرآن هو الوثيقة الكبرى التي نعرف منها تطورات الدعوة الاسلامية .
 ومع اننا لا نستطيع ان نعین بضبط ودقة ترتيب نزول كافة الآيات ، كما ان كتب
 السيرة والحديث لا تقدم معلومات مغنية عن هذا الدور المبكر الا اننا يمكن ان
 نقول بصورة تخمينية غير جازمة ان الآيات الاولى كانت تؤكد على عظمة الله وقدرته
 وآثار خلقه واعماله . وتدعو الناس الى ان (ينظرون وبعثرون ويعقلون
 ويتفكرون) في آثاره في الكون . كما انه بين وفصل آياته في الكون ليربهم
 عظمته واعماله . ومن هذه الآيات انه (هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه
 شراب ومنه شجر فيه تسمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن
 كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس
 والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يذكرون) (النحل
 ١١-١٤) (والله انزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لآية
 لقوم يسمعون . وان لكم في الانعام لعلبة نستحيكم مما في بطونه من بين فرث ودم
 لنا خالصا سائغا للشاربين . ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا
 ورزقا حسنا ان في ذلك لآية لقوم يعقلون . واوحى ربك الى النحل ان اتخذي
 من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات فاسلكي
 سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في
 ذلك لآية لقوم يتفكرون) (النحل ٦٥-٦٩) . (ومن آياته ان خلقكم من تراب
 ثم اذا اتم بشير تتشرون . ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا
 اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . ومن آياته خلق
 السماوات والارض واختلاف ألستكم ان في ذلك لآيات للعالمين . ومن آياته
 منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون . ومن
 آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها

ان في ذلك آيات لقوم يعقلون • ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا اتتم تخرجون (الروم ٢٠-٢٥) (وآية لهم الارض الميتة احييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون • وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون • ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون • سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون • وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون • والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم • والقمر قد قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم • لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون • وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون • وخلقنا لهم من مثله ما يركبون • وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون • الا رحمة منا ومناعا الى حين) (يس ٣٣-٤٤) (ان في السماوات والارض آيات للمؤمنين • وفي خلقكم وما بين من دابة آيات لقوم يؤمنون • واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم لعقلون) (الجاثية ٣-٥) (وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الشرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان في ذلك آيات لقوم يتفكرون • وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك آيات لقوم يعقلون) (الرعد ٣-٤) (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شىء فصلناه تفصيلا) (الاسراء ١٢) (خلق السماوات والارض بالحق ان فى ذلك آية للمؤمنين) (العنكبوت ٤٤ ، الشورى ٢٩ ، الجاثية ١٣) (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر) (فصلت ٣٧ كذلك آل عمران ١٩٠ والنحل ٨٦) (ومن آياته الجوار فى البحر كالاعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان فى ذلك آيات لكل صبار شكور) (الشورى ٣٣ انظر ايضا الجاثية ١٢ ، لقمان ٣١) (الله يتوفى النفس حين موتها والتي لم تمت فى منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى) (الزمر ٤٢) (الذى جعل لكم الارض مهادا وسلك فيها سبلا وانزل من السماء ماء فأخرجنا به ازواجا من نبات شتى • كلوا وارعوا انعامكم) (طه ٥٣-٥٤) (ان الله يسطر الرزق لمن يشاء

ويقدر (الزمن ٥٢) (أو لم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمكنهن
الا الله ان في ذلك آيات لقوم يؤمنون) (النحل ٧٩) .

ولا تقتصر آيات الله على مظاهر خلقه في الكون فحسب بل تشمل ايضا
احداث التاريخ وما اصاب الامم الغابرة (أو لم يهدم كم اهلكنا من قبلهم من
القرون يمضون في مساكنهم ان في ذلك آيات افلا يسمعون) (السجدة ٢٦) .
وهكذا كان لسبأ في مساكنهم آية (سبأ ١٥) ولزكريا وعيسى آية (آل عمران ٤١ ،
مريم ١٠ ، الانبياء ٩١ ، المؤمنون ٥٠) وفي يوسف واخوته آية للسائلين (يوسف ٧)
وفي اغواء ابليس للناس (الشعراء ١٧٤) وقصة نوح (الشعراء ١٢١ ، المؤمنون
٣٠ ، العنكبوت ١٥) وثمود (الشعراء ١٥٨ ، الاعراف ٦٤ و ١٠١) ولوط
(الشعراء ١٧٤ ، النحل ٥٢ ، العنكبوت ٣٥ ، الحجر ٧٥) وابراهيم (العنكبوت
٢٤) .

الرسول بشر :

وقد أكد القرآن الكريم ان الرسول بشر اوحى اليه كما اوحى الى الذين
من قبله من الرسل ، وانه لا يستطيع أن يتجاوز في دعوته ما يأمره تعالى به
وما يوحى اليه (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الحكم اله واحد) (الكهف
١١٠ ، فصلت ٦) (قل سبحان ربي هل كنت الا بشر رسولا) (الاسراء ٩٣)
(قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى
الى وما انا الا نذير) (الاحقاف ٩) (وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم
فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) (الانبياء ٧ ، يوسف ١٠٩ ، النحل ٤٣)
(رفع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر
يوم التلاق) (غافر ١٥) (قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب
ولا اقول لكم انى ملك ان اتبع الا ما يوحى الى قل هل يستوى الاعمى والبصير
افلا تفكرون) (الانعام ٥٠) (وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الآيات
عند الله وانما انا نذير مبين) (العنكبوت ٥٠) (واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم
بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون . قل نزله روح القدس من
ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) (النحل ١٠١-١٠٢)
(انه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن

قليلًا ما تذكرون • تنزيل من رب العالمين • ولو تقول علينا بعض الأقاويل لاخذنا
منه باليمين • ثم لقطعنا منه الوتين • فما منكم من احد عنه حاجزين) (الحاقة
٤٠ - ٤٧) (ويقولون لو انزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا انى
معكم من المنتظرين) (يونس ٢٠) (واذا تسلى عليهم آياتنا بينات قال الذين
لا يرجون لقاءنا انت بقرآن غير هذا او بدله قل ما يكون لى ان ابدله من تلقاء
نفسى ان اتبع الا ما يوحى الى انى اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم • قل
لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون)
(يونس ١٥ - ١٦) (ام يقولون افتراء قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا
من استطعتم من دون الله ان كتمت صادقين • فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما
انزل بعلم الله وان لا اله الا الله فهل انتم مسلمون) (هود ١٤) (ام يقولون افتراء
قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كتمت صادقين) (يونس
٣٨) (واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجبتنا قل انما اتبع ما يوحى الى من ربي
هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) (الاعراف ٢٠٣) (ويقول
الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه انما انت منذر ولكل قوم هاد)
(الرعد ٧) •

رسول الله :

ان الله تعالى يرسل رسالاته الى من يصطفيه من الناس ويجعلهم رسلا
وانبياء ليلفوها الى الناس ، وان محمدا خاتم النبيين وقد اصطفاه الله ليلف رسالته
لناس (هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)
(التوبة ٣٣ ، الفتح ٢٢ ، الصف ٩) (وقد تكرر ورود « ارسلناك » فى ثلاثة عشر
موضعا من القرآن ، « وارسلنا الرسل » اثنين واربعين مرة « وارسل الرسول »
أكثر من مائتى مرة) •

وعلى الرسول أن يبلغ هذه الرسالة (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من
ربك) (المائدة ٦٧) (وما على الرسول الا البلاغ المبين) (النور ٥٤ ، العنكبوت
١٨ ، التغابن ١٢ ، انظر ايضا آل عمران ٢٠ ، المسائدة ٩٢ و ٩٩ ، الرعد ٤٠ ،
النحل ٨٢ ، يسين ١٧ ، الشورى ٤٨) •

وهذه الرسالة هي تذكرة (كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره) (المدثر ٥٥)

عس ١٢) وعلى الرسول أن يذكر (انظر الغاشية ٢١ ، الاعلى ٩ ، الطور ٢٩ ،
الذاريات ٥٥ ق ٤٥) فهو مذكر (فذكر فانما انت مذكر) (الغاشية ٢١) وقد
ارسل ايضا بشيرا بالجنة ونذيرا بالنار (وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا) (الاسراء
١٠٥ ، الفرقان ٥٦) (انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) (البقرة ١١٩ ، انظر
ايضا المائدة ١٩ ، الاعراف ١٨٨ ، سبأ ٢٨ ، فصلت ٤) (كما ارسل شاهدا عليهم)
(الاحزاب ٤٥ ، الفتح ٨) (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) (البقرة
٢١٣ ، النساء ١٦٥ ، الانعام ٤٨ ، الكهف ٤٦) .

تذكير بالامم الاخرى :

وقد ذكرهم بما احاق بالامم الاخرى (أو لم يسيروا فى الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة واثارا فى الارض
فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) (غافر ٢١ و٢٧ ، انظر ايضا
يوسف ١٠٩) . وفى ذكر قصص الامم الاخرى ايضا تشجيع للرسول وتقديم
الموعظة والذكرى (وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك
فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) (هود ١٢٠) (فاقصص القصص
لعلهم يتفكرون) (الاعراف ١٧٦) (وتلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت
تعلمها انت ولا يقومك من قبل هذا فاصبر ن العاقبة للمتقين) (هود ٤٩) .

ان هذه القصص هى احسن القصص (يوسف ٣) فيها نبأهم بالحق
(الكهف ١٣) وفى قصصهم عبرة لاولى الالباب (يوسف ١١) ولا ريب ان الانبياء
ثم يذكروا جميعا (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص) (غافر ٧٨ انظر
ايضا النساء ١٦٤) .

تكرر قصة كل نبي فى بضع اماكن من القرآن وتؤكد بأن الانبياء بشر
اختارهم الله لتبليغ رسالاته ، وانهم لا قوا العنت ، فقد كذبهم قومهم وسخروا منهم
وقالوا لهم ما يقوله المشركون للرسول (ما يقال لك الا ما قد قيل للرسول من قبلك
ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم) (فصلت ٤٢) ولكن الحق ينتصر اخيرا
ويتدمر الكافرون المكابرون فى هذه الدنيا وينتصر الانبياء ويعلو الحق رغم
ما يلاقه من مصاعب .

ولقد تكرر في القرآن ذكر قصة نوح و ابراهيم وموسى وعيسى وعاد وثمود ولوط وسليمان وداود ويونس وايوب وزكريا كما ذكر اسحق ويعقوب واسماعيل وذو الكفل والياس واليسع وشعيب ؛ وقصصهم تكرر بصورة خاصة في سورة الاعراف وهود و ابراهيم والشعراء والانبياء والحج والفرقان والنحل والعنكبوت والصفات وص وغافر وفصلت وق والذريات والحاقة حيث يرد في كل من هذه السور قصة عدد من الانبياء (١) .

غيب آلهة المشركين :

ثم نزلت آيات تعيب آلهتهم التي يعبدونها من دون الله وتنتعها بشتى التعوت (ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون . ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام اتم صامتون . ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين . لهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبسطون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون . ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين . والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون) (الاعراف ١٩١-١٩٧) (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون . اموات غير احياء وما يشعرون ايان يعنون) (النحل ٢٠-٢١) (قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله ارونى ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السماوات ام آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا) (فاطر ٤٠ انظر ايضا الاحقاف ٤-٥) (واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) (الفرقان ٣) (هذا خلق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين) (لقمان ١١) (يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب

(١) للدكتور خلف الله رسالة (الفن القصص فى القرآن) وفيها بحث وتحليل لما ورد فى القرآن من قصص .

والمطلوب) (الحج ٧٣) (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون • لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون) (يسين ٧٤-٧٥) (قل من رب السماوات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوى الاعمى والبصير ام هل يستوى الظلمات والنور ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار) (الرعد ١٦) (قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين) (الانعام ٧١) (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال) (الرعد ١٤) (قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون) (الزمر ٢٨) (قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) (الاسراء ٥٦) (ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا) (الفرقان ٥٥) (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) (يونس ١٨) (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السماوات والارض شيئا ولا يستطيعون) (النحل ٧٢) (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير • ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبتك مثل خبير) (فاطر ١٣-١٤) (قل ادعو الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الارض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير) (سبا ٢٢) (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون) (الزخرف ٨٦) (ام اتخذوا من دون الله شفعا قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون) (الزمر ٤٣) (والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ان الله هو السميع البصير) (غافر ٢٠) •

(وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) (يونس ٦٦) (ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير) (الحج ٧١) (مثل الذين اتخذوا من دون

الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذ بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) (العنكبوت ٤١) (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) (القصص ٦٤) (ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول اأنتم أضللتهم عبادى هؤلاء ام هم ضلوا السبيل • قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من اولياء ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا) (الفرقان ١٨) (ان هى الا اسماء سميتها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الفتن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) (النجم ٢٣) •

مهاجمة المشركين :

ولم تقتصر الآيات على تسفيه آلهتهم بل وصفتهم بأوصاف شديدة (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون) (الانبياء ٩٨) (فما لهم عن التذكرة معرضين • كانهم حمر مستنقرة • فرت من قسورة) (المدثر ٤٩-٥١) (ام تحسب ان اكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا) (الفرقان ٤٤) (انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشىناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أن نذرتهم ام لم نذرهم فهم لا يؤمنون) (يس ٨-١٠) (ومن يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما ماواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا) (الاسراء ٩٧) (ومنهم من يستمعون اليك أفانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون • ومنهم من ينظر اليك أفانت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون) (يونس ٤٢-٤٣) (انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين • وما انت بها دى العمى عن ضلالاتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) (النحل ٨٠-٨١) (من يضلل الله فلا هادى له ونذرهم فى طغيانهم يعمهون) (الاعراف ١٨٦) (من كفر بالله بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) (النحل ١٠٦) (ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة أن يفقهوه وفى اذانهم وقر وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين) (الانعام ٢٥) لقد اطلق عليهم المشركون والكافرون والكفار والظالمون والمجرمون والفاستقون

والآثمون وغير ذلك من اوصاف الذم ووصف مصيرهم في النار وعذابهم فيها
باوصاف مريفة .

مكانة المشركين :

ويشير القرآن الى المؤامرات والمكائد التي كانوا يقومون بها (ام ابرموا امرا
فانا مبرمون . ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون)
(الزخرف ٧٩-٨٠) (انهم يكيدون كيدا وأكد كيدا فمهل الكافرين امهلهم
رويدا) (الطارق ١٥-١٨) (ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون)
(الطور ٤٢) (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون) (الطور ٤٦)
(لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم) (الانبياء ٣)
(نحن اعلم بما يستمعون اليك اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون
ان تبعون الا رجلا مسحورا) (الاسراء ٤٣) غير انه ليست لدينا تفاصيل عن هذه
المؤامرات .

تهديد الرسول :

ويظهر ان المشركين بذلوا محاولات في تهديده واقناعه للعدول عن الدعوة
الى الوجدانية فامرہ تعالى بأن يثبت لها (ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل
الله فما له من هاد) (الزمر ٣٦) (قل أغير الله اتخذ وليا فاطر السماوات والارض
وهو يطعم ولا يطعم قل انى امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين .
قل انى اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم . من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه
وذلك هو الفوز المبين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ان يمسسك
بخير فهو على كل شيء قدير) (الانعام ١٤-١٧) (قل افغير الله تأمروني اعبد
ايها الجاهلون . ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك لن اشركت ليحبط عملك
ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) (الزمر ٦٤-٦٦)
(ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون . انهم
لن يغفوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولى المتقين)
(الجاثية ١٨-١٩) (فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل آمنت
بما انزل الله من كتاب وامرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير) (الشورى ١٥) (ولا تركنوا

الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تتصرون (هود ١١٣) (قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البيئات من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين) (غافر ٦٦) (ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قل ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين . وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين . ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الاها آخر لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون) (القصص ٨٥-٨٧) (فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا) (الانسان ٢٤) (لا تجعل مع الله الاها آخر فتقعد مذموما مدحورا) (الاسراء ٢٢) (فلا تك فى مربة مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل وانا لمؤفوههم نصيهم غير منقوص) (هود ١٠٩) (قل انى امرت أن اعبد الله مخلصا له الدين . وامرت لان اكون اول المسلمين . قل انى اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم . قل الله اعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه . قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة الا ذلك هو الخسران المبين) (الزمر ١١-١٥) (قل انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا . قل انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا . قل انى لن يغيرنى من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا . الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا . قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا) (الجن ٢٠-٢٥) .

(وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذآ لا يلبثون خلافاك الا قليلا . سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لستنا تحويلا) (الاسراء ٧٦-٧٧) .

(وما ارسلنا قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى امنيه فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم . ليجعل ما يلقى الشيطان فتنه للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد) (الحج ٥٢-٥٣) (واما ينزعك من الشيطان نزع فاستعد بالله انه هو السميع العليم) (فصلت ٢٦) (وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك لتفتري

علينا غيره واذاً لاتخذوك خليلاً • ولو لا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً • اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً • وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافتك الا قليلاً سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لستنا تحويلاً (الاسراء ٧٤-٧٧) •

ويروى ابن اسحق^(٢) والواقدي^(٣) ان آية (وان كادوا ليفتنونك) نزلت بعد قصة الغرانيق التي تلخص بأنه لما نزلت آية (افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى) (النجم ١٠-٢١) اضاف الرسول من عنده (تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى) ففرح القرشيون وسالموا الرسول وسمع المهاجرون المسلمين في الحبشة فعادوا ولكن نزلت هذه الآية وآية (وما ارسلنا قبلك من رسول •••) التي ذكرناها فمحت هذه الجملة التي هي من اغواء الشيطان ، وظل الرسول متمسكا بالمبدأ الاساسى للدعوة وهو الوحدانية • وجدير بالملاحظة ان هذه المعبودات لم تكن فى مكة ، وان اللات ومناة لم تكن آلهة قريش المقربة كما ان الجملة المقول اضافتها لا تسقى فى المعنى مع الآية التي بعدها (ألكم الذكر وله الاثنى) ولا يمكن أن تكون بمجموعها مما يرضى المشركين •

الصبر :

وقد امر تعالى الرسول بالصبر والثبات (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك) (طه ١٣٠ ق ٣٩) (فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار • بلاغ • فهل يهلك الا القوم الفاسقون) (الاحقاف ٣٥) (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب) (ص ١٧) (فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً) (الانسان ٢٤) (واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم) (الطور ٤٨) •

المقاطعة :

كما امره تعالى بمقاطعتهم نظراً لعنفهم وعدم جدوى المحاولات معهم (قل

(٢) الطبرى : ج ٢ ص ٢٢٦ •

(٣) ابن سعد : ج ١ قسم ١ ص ١٣٧ •

يا ايها الكافرون • لا اعبد ما تعبدون • ولا اتم عابدون ما اعبد • ولا انا عابد ما عبدتم •
ولا اتم عابدون ما اعبد • لكم دينكم ولى دين (الكافرون ١-٦) (قل الله اعبد
مخلصا له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه) (الزمر ١٤) (فلذلك فادع واستقم
كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم
الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه
المصير) (الشورى ١٥) (واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم
حتى يخوضوا فى حديث غيره واما ينسبك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع
القوم الظالمين) (الانعام ٦٨) (الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين
أيتفون عندهم العزة فان العزة لله جميعا • وقد نزل عليكم فى الكتاب ان اذا سمعتم
آيات الله يكفر بها ويستنهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم
اذا مثلهم) (النساء ١٣٩-١٤٠) (اتبع ما اوحى اليك من ربك لا اله الا هو
واعرض عن المشركين • ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت
عليهم بوكيل) (الانعام ١٠٦-١٠٧) (فتول عنهم فما انت بملوم • وذاكر فان
الذكرى تنفع المؤمنين) (الذاريات ٥٤-٥٥) (وان كذبتك فقل لى عملى ولكم
عملكم اتم بريئون مما اعمل وانا برىء مما تعملون) (يونس ٤١) (انا انزلنا
عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت
عليهم بوكيل) (الزمر ٤٢) (فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان
عليك الا البلاغ) (الشورى ٤٨) (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا
الله عدوا بغير علم كذلك زيننا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبؤهم بما
كانوا يعملون) (الانعام ١٠٨) (فتول عنهم حتى حين • وابصرهم فسوف
يبصرون) (الصافات ١٧٤-١٧٥) (ويظهر ان الاضطهاد على المسلمين كان شديدا
(قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله • ان الله يغفر
الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) (الزمر ٥٣) •



السابقون الاولون في الاسلام

دعوة اهل مكة :

بعد مجيء الوحي والامر بتبليغ الرسالة ونزول الآيات الاولى ، آمن بالرسول عدد من اهل بيته والمقربين اليه ، ثم امره تعالى أن ينذر الناس ويبدأ بعشيرته والمقربين اليه (وانذر عشيرتلك الاقربين) (الشعراء ٢١٤) (قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى) (الشورى ٢٣) ؛ كما امره أن ينذر قومه (وانه لذكر لك ولقومك) (الزخرف ٤٤) وأن ينذر اهل مكة (لتنذر ام القرى ومن حولها) (الانعام ٩٢ ، الشورى ٧) . وعلى هذا نزل القرآن باللغة العربية وهي لغة اهل مكة والحجاز والجزيرة (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليعين لهم) (ابراهيم ٤) (فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا) (مريم ٩٧) (لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين) (الشعراء ١٩٥) .

ومن الطبيعي أن يبدأ الرسول دعوته بانذار عشيرته الاقربين ، اذ أن مكة بلد توغلت فيه الروح القبلية ، فبدء الدعوة بالعشيرة قد يعين على نصرته وتأييده وحمايته . كما ان القيام بالدعوة في مكة لا بد أن يكون له أثر خاص ، لما لهذا البلد من مركز دينى خطير ؛ فجلبها الى حضيرة الاسلام لا بد وأن يكون له وقع كبير على بقية القبائل . ولا يخفى ان نزول القرآن باللغة العربية يساعد على تفهم الناس له .

على ان هذا لا يعنى ان رسالة الاسلام كانت فى ادوارها الاولى محدودة بقريش ؛ لان الاسلام كما يتجلى من القرآن اتخذ الدعوة فى قريش كخطوة اولى لتحقيق رسالته العالمية . والواقع ان كثيرا من الآيات المكية كانت تنص على ان القرآن (ما هو الا ذكر للعالمين) (هود ١١٤ ، الانعام ٩٠ ، التكويد ٢٧ ، انقلم ٥٢) ، الامر الذى يدل على ان فكرة الدعوة العالمية كانت قائمة منذ هذا الوقت المبكر .

علاقاته مع العشائر :

ومما يجدر ذكره ان نظام الزواج في مكة لم يكن مقتصرًا على داخل
العشيرة بل كان الزواج خارج العشيرة شائعًا أيضًا ، مما ساعد على ربط الرسول
بصلة القرابة مع كافة العشائر . وفي تفسير آية (قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة
في القربى) يروى الطبري عن ابن عباس انه لم يكن بطن من بطون قريش
الا وبين رسول الله وبينهم قرابة^(١) .

والواقع اننا اذا اعتبرنا عشيرته هم من تحدر من عبدالمطلب جده ووهب
جد امه ، واقتصرنا على ذلك ، وجدنا ان لعشيرته علاقات زواج بكافة عشائر مكة
وبكثير من العشائر القاطنة خارجها .

فقد كانت ابنتاه رقية وكنوم عند عتبة وعتيبة ابنا عمه ابي لهب قبل أن يفرق
بينهما الاسلام^(٢) ؛ وكانت ابنته فاطمة عند علي ابن عمه ابي طالب كما ان معتب
ابن عمه ابي لهب تزوج من فاختة ابنة عمه المقوم ، بعد أن طلقها زوجها الاول
مسعود الثقفي ؛ ثم تزوجت ابو سفيان ابن عمه الحارث بعد انفصالها عن معتب .
وتزوج ربيعة ابن عمه الحارث من ام الحكم بنت عمه الزبير ؛ وتزوجت اميمة
بنت عمه العباس من العباس بن عتبة ابن عمه ابي لهب .

أما علاقته مع بنى عبد شمس فلم تكن قليلة ، فقد كانت زينب بنت الرسول
زوجة ابن خالتها ابو العاص بن الربيع بن وائل ؛ ورقية زوجة عثمان بن عفان بعد
انفصالها من عتبة ؛ وكنوم تزوجها عثمان ايضا بعد انفصالها عن عتية ووفاة اختها
رقية ؛ وعمته ام حكيم بنت عبدالمطلب عند كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد

(١) تفسير الطبري : ج ٢٥ ص ١٥ . البخاري : كتاب المناقب ١ . ابن
حنبل ج ١ ص ٢٢٩ ، ٢٨٦ .

(٢) عن زواج بنات الرسول بولدي ابي لهب وابي العاص انظر سيرة ابن
هشام : ج ٢ ص ٢٩٦-٢٩٧ ، ٣٠٢ نسب قريش ص ٢٢-٢٣ الطبري : ج ٢
ص ٢٩٠ ج ١٣ ص ٦٥ المحبر : ص ٥٣ المعارف : ص ٦٢ وعن زواج زينب انظر
ايضا ابن حزم جمهرة الانساب ص ١٤ أما عن علاقات الرسول النسبية فانظر
عنها نسب قريش وخاصة ص ١٧-٢١ المحبر ص ٦٢-٦٥ المعارف ص ٥١-٦٢ .

شمس ؛ واروى ابنة عمته ام حكيم زوجة عفان بن ابى العاص ، ثم زوجة عقبه
بن ابى معيط . كما ان زينب بنت فاطمة بنت عمته اروى تزوجت الحارث بن
كريز بن حبيب بن عبد شمس ؛ وتزوجت ابنتها كبشة من عبدالله بن عامر بن
كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بعد مسيلمة الكذاب . وتزوجت ام جميل
بنت حرب بن امية بن عبد شمس من عمه ابى لهب . وتزوجت هند بنت ابى
سفيان من الحارث بن نوفل بن عمه الحارث بن عبدالمطلب .

فأما علاقته مع بنى عبدالدار فوثيقة ايضا فان جدته لأمه هي برة بنت عبد
الغزى بن عثمان بن عبدالدار بن قصي ؛ وعمته اروى خلف عليها بعد عمير ، كعدة
بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار ، كما ان فاطمة ابنة عمته اروى تزوجت
ارطاة بن عبد شرحيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار ؛ وحملة ابنة عمته
اروى تزوجها مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار .

واما بنى عبد بن قصي فقد كانت عمته اروى (وفي رواية السكري صفية)
عند عمير بن وهب بن عبد بن قصي ، كما ان ام جدته هي تخمر بنت عبد
بن قصي .

أما مع بنى مخزوم فقد كانت ام ابيه فاطمة بنت عمرة بن عائذ بن عمران
بن مخزوم ؛ وعمته عائكة عند ابى اميمة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ؛
وعمته برة عند عبد الاسد بن هلال بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم ؛ وام حبيب
بنت عمه العباس كانت عند الاسود بن سفيان بن عبد الاسد بن هلال بن عبدالله
بن عمرو بن مخزوم ؛ وام هانئ بنت عمه ابى طالب كانت عند هبيرة بن ابى وهب
بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ؛ وامامة بنت عمه الحمزة عند سلمة بن
ابى سلمة المخزومي .

وجدير بالذكر ان عتيق بن عائذ بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم هو احد
ازواج خديجة ، وهو ابو هند التي هي اخت اولاده ؛ كما ان زينب بنت مصعب ،

وامها ابنة عمّة الرسول ، كانت عند عبدالله بن عبدالله بن ابي امية بن المغيرة بن عبدالله بن عمير بن مخزوم .

اما علاقته ببني زهرة فتجلى في ان امه آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ؛ وان هالة بنت اهب بن عبد مناف بن زهرة هي زوجة جده عبدالمطلب وام عدد من اعمامه ؛ وان عبدالرحمن بن الاسود بن عبد يغوث الزهري تزوج ضباعة ، بنت عمه الزبير ، بعد المقداد ، وعبدالرحمن بن عوف تزوج حبيبة بنت عمته اميمة .

اما مع بني عبدالعزيز ، فان منها زوجته خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبدالعزيز وعمته صفية تزوجها العوام بن خويلد بن اسد بن عبدالعزيز ، وعمته الثانية ام حبيب تزوجت خالد بن حزام .

اما مع بني تيم بن مرة فان حمنة بنت عمته اروى ، تزوجها طلحة بن عبدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم .
كما ان اروى بنت عمه الحارث تزوجت ابو وداعة بن هيرة بن سعيد بن سعد بن سهم .

والعلاقة مع اسد بن خزيمه تظهر في ان عمته اميمة التي تزوج جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كعب بن غنم بن هودان بن اسد بن خزيمه .

ومع حسل جاءت من عمته برة التي تزوجت ، بعد عبدالاسد ، من ابي رهم بن عبدالعزيز بن ابي قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل .

اما علاقته مع بني عبد بن حسل فقد جاءت من خديجة التي كانت امها فاطمة بنت زائدة بن هدم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص ؛ وام فاطمة هي هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن منقذ بن عمرو بن معيص .

اما مع خزاعة فقد كانت صلته عن طريق زوجة عبدالمطلب وام بعض اعمام

الرسول لبني بنت هاجر بن عبد مناف بن خاطر بن حبشية بن سلول الخزاعي .
وهو يتصل بهذيل عن طريق اميمة بنت مالك بن غنم بن حنش وهي جدة
جدة امه ، وعن طريق احد نساء عمه العباس .

اما مع بني هلال بن عامر فصلته عن طريق احدى زوجات عمه العباس
وهي لبابة بنت الحارث .

اما ثقيف : فقد كانت ام عمرو ابنة عمه المقوم عند مسعود بن معتب الثقفي ،
وخالصة ابنة عمه ابي لهب عند عثمان بن ابي العاص .

واما هوازن : فقد كانت اروى بنت عمه المقوم عند ابي مسروح الحارث بن
يعمر ؛ وصفية بنت عمه العباس عند عبدالله بن ابي مسروح كما ان احدى زوجات
جده هي صفية بنت جندب بن حجير بن رئاب بن سواة بن عامر بن صعصعة بن
معاوية بن بكر بن هوازن .

ومع سليم عن طريق عزة ابنة عمه ابي لهب التي كانت عند اوفى بن حكيم
بن امية السلمى .

ومع بني تميم عن طريق نباش بن زرارة من بني اسيد بن عمرو بن تميم
وهو زوج خديجة وابو هالة اخت اولاده .

ومع بهراء عن طريق المقداد بن عمرو البهراني زوج ضباعة بنت
عمه الزبير .

ومع كلب عن طريق دحية بن خليفة الذي تزوج عمته درة .
ومع النمر بن قاسط عن طريق تيلة بنت جناب التي كانت زوجة عبدالمطلب
وام بعض اعمامه .

اما مع الازد ؛ فقد كانت هند بنت عمه المقوم عند ابو عمرة بن عمرو من
بني النجار .

ان هذه العلاقات النسبية مع مختلف العشائر القرشية ، ومع القبائل التي

كانت تقيم في اطراف مكة ضمنتم للرسول الحماية من الاعتداءات ، في ذلك المجتمع القبلي الذي يستلزم نصرة العشيرة لافرادها وحمايتهم من الاعتداء . والواقع انه رغم خطر دعوته على الكفار الا انه لم يجرأ احد على الاعتداء على حياته ، لان ابا طالب كان يحميه ، كما ان من أهم أسباب اعتناق عمه الحمزة للاسلام هو ما رآه من تطاول ابي جهل على الرسول (٣) .

ولم تقتصر هذه الحماية على الرسول فقط ، بل عمت كل من تبعه ودان بدعوته ، والواقع ان الاعتداءات كانت في الغالب تقع على المستضعفين من العبيد أو مسن لا عشائر لهم .

حرم مكة :

ثم ان الدعوة الاسلامية قامت في مكة وهي حرم آمن يحمى من فيه من الاعتداء ، ولا ينزل فيمن يبث الدعوة أي عقاب رسمي ، ولا توجد فيها هيئة دينية تبت في الدعوة الى اي دين جديد ، كما انه لا توجد محكمة تحاكم من يبث الدعوة ، ولا سلطة تنفيذية تطبق احكام العقوبات (٤) . لذلك فبالرغم من الموقف العدائي الذي وقفه المشركون عامة ، والتنفيذون خاصة ؛ فاننا لا نسمع في الاخبار بذكر لأية محكمة رسمية ألفت لمحاكمته ، أو بقرار انزال عقوبة فيه أو في انسلمين . فالمعارضة التي قامت ضده وضد الاسلام هي معارضة فردية أو شعبية لا معارضة رسمية ، ان جاز لنا استعمال هذه التعابير الحديثة .

ان هذه الحرية والحماية التي كان يتمتع بها الرسول والمسلمون من اوضح مظاهرها انهم كانوا يصلون عند الكعبة علنا (٥) .

(٣) سيرة ابن هشام : ج ١ ص ٣١٢ .

(٤) انظر ص ١٠١ .

(٥) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٣٧ ، ٣٦٥ الطبري ج ٢ ص ٢١٢ ابن

سعد ج ٣ قسم ١ ص ١٩٣ .

السرية :

ثم ان الرسول كان يث دعوته في السنوات الثلاث الاولى بصورة سرية ،
ولما اعلن الدعوة ، كان يعقد الاجتماعات في دار الارقم بن ابي الارقم^(٦) على
الصفة بصورة خاصة وشبه سرية ، وقد ساعدهم ذلك على التداول والتحدث
ومناقشة احوال المشركين وعباداتهم ونظمهم بحرية تامة وفي مأمن من الأذى
والاعتراض .

خلق الرسول :

وينبغي الا يغرب عن بالنا اثر شخصية الرسول ، وقوة عقيدته وصبره وثباته
وسمو نفسه ومثانة خلقه مما كان ضامنا لاستمرار الدعوة رغم مختلف وسائل
الوعد والوعيد التي اتخذت ضده . وقد وصف القرآن الكريم اخلاق الرسول
بعده آيات (وانك لعلى خلق عظيم) (القلم ٤) (فيما رحمة من ربك لنت لهم
ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) (آل عمران ١٥) (واخفض
جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون)
(الشعراء ٢١٥-٢١٦) (ادفع بالتي هي احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه
ولى حميم) (فصلت ٣٤) (ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن اعلم بما يصفون
وقل رب اعوذ من همزات الشياطين) (المؤمنون ٩٧) (ادع الى سبيل ربك
بالحكمة والموعظة الحسنة) (النحل ١٢٥) .

السابقون الاولون :

تجمع الروايات الاسلامية على ان خديجة بنت خويلد زوجة الرسول هي
اول من آمن به ، ولكنها تختلف اختلافا كبيرا فيمن تلاها في اعتناق الاسلام من
الرجال ويكاد يدور خلافهم حول ثلاثة اشخاص هم على بن ابي طالب ، ابن عم

(٦) انظر عن دار الارقم ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١٧٤ الازرقى

الرسول وزيد بن حارثة ربيته ، وابو بكر الصديق رقيقه^(٧) ؛ ومن الصعب البت
في ترتيب اسلام هؤلاء الثلاثة الذين كانوا السابقين الاولين ، وكلهم من اهل بيته
وأشد المقربين اليه .

وقد تلا هؤلاء عدد ممن آمن بالرسول خلال الفترة التي كانت فيها الدعوة
سرية ، وقد ذكر ابن اسحق اسماءهم وهم جعفر بن ابي طالب (بنى هاشم)
عبدة بن الحرث (المطلب) عثمان بن عفان وابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وخالد
بن سعيد بن العاص (عبدشمس) عبدالله بن جحش وابو احمد بن جحش
(حلفاء بنى عبدشمس) الزبير بن العوام (اسد بن عبدالمزني) ، عبدالرحمن بن
عوف وسعد بن ابي وقاص وعمير بن ابي وقاص والمطلب بن ازهر (زهرة)
وخباب بن الارت وعبدالله بن مسعود (حلفاء زهرة) وابو سلمة والارقم بن ابي
الارقم وعياش بن ابي ربيعة (مخزوم) وعمار بن ياسر (حليف بنى مخزوم) ،
سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ونعيم بن عبدالله النحام (عدى) وواقد بن عبدالله ،
وخالد وعامر وعافل واياس بنى البكير (حلفاء عدى) وطلحة بن عبيدالله (تيم)
وعامر بن فهيرة وصهيب بن سنان (حلفاء تيم) وعثمان بن مضعون وابناؤه قدامة
وعبدالله والسائب ، وحاطب بن الحرث واخوه حطاب بن الحرث (جمح)
وخنيس بن حذافة (سهم) وابو عبيدة بن الجراح (الحارث بن فهر) ومسعود
القارى (القارة) وسليط بن عمرو وحاطب بن عمرو (عامر) .

يضاف الى هؤلاء عدد من النساء هن فاطمة بنت الخطاب زوجة سعيد بن زيد
بن عمرو واسماء وعائشة بنتا ابي بكر ، واسماء زوجة عياش بن ابي ربيعة ،
واسماء زوجة جعفر بن ابي طالب ، وفاطمة زوجة حاطب بن الحرث ، وفكيهة
زوجة حطاب بن الحرث ، ورملة زوجة المطلب بن ازهر ، وامينة زوجة خالد
بن سعيد بن العاص^(٨) .

(٧) الطبرى : ج ٢ ص ٢١١-٢١٥ .

(٨) سيرة ابن هشام : ج ١ ص ٢٦٩-٢٧٤ .

يتبين من هذه القائمة ان المسلمين الاول اكثرهم من قريش ، ولكنهم لم يقتصروا على عشيرة واحدة ، بل كانوا موزعين على كافة العشائر تقريبا ، وهناك افراد منفردون من بعض العشائر ، واحيانا يسلم الرجل مع زوجته ، والراجح ان النساء اسلمن مع ازواجهن ، وان كان هناك رجال اسلموا وبقيت اسرهم أو زوجاتهم مشركات^(٩) .

وقلما تسلم اسرة بكاملها . والواقع ان هذا ينطبق حتى على الدور المكي المتأخر فيروى ابن سعد انه (كان ممن خرج في الهجرة الى المدينة فأوعبوا رجالهم ونساءهم وغلقتوا دورهم فلم يبق منهم احد الا خرج مهاجرا دار بني دودان ودار بني ابي البكير ودار بني مضعون^(١٠)) .

والغالب ان اسلام معظمهم كان فرديا ، وان كان بعضهم قد اسلم للنبي بشكل جماعة ، فيروى ابن اسحق ان ابا بكر اسلم على يده عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيدالله^(١١) ، ويروى ابن سعد انه (انطلق عثمان بن مضعون وعبيدة بن الحارث بن المطلب وعبدالرحمن بن عوف وابو سلمة بن عبدالاسد وابو عبيدة بن الجراح حتى أتوا رسول الله (ص) فعرض عليهم الاسلام وأنبأهم بشرائه فأسلموا جميعا في ساعة واحدة وذلك قبل دخول رسول الله (ص) دار الارقم^(١٢)) .

ومع انه ليست لدينا معلومات وافية عن احوال واوضاع كل من هؤلاء السابقين قبل اسلامهم ، الا انهم ولاشك كانوا من اوسط قريش ، فخالد بن سعيد بن العاص كان ابوه من أغنى اهل مكة واقوامه نفوذا^(١٣) ، كما ان ابا بكر وسعد بن

(٩) المحبر : ص ٤٠٦ ، ٤٢٢ .

(١٠) ابن سعد : ج ٣ قسم ١ ص ٦٣ ، ص ٢٨٨ .

(١١) ابن هشام ج ١ ص ٢٦٨ . الجاحظ : كتاب العثمانية ص ٣١ .

(١٢) ابن سعد : ج ٣ قسم ١ ص ٢٨٦ .

(١٣) المحبر : ص ١٦٥ نسب قريش ص ١٧٣-١٧٤ .

ابى وقاص وطلحة وعبدالرحمن بن عوف كلهم تجار أو صناع من رجال
الطبقة الوسطى (١٤) .

ومن بين السابقين فى الاسلام عدد من الحلفاء ، وربما المعتقين ولعلمهم هم
المستضعفين الذين أشار اليهم الزهرى بقوله (فاستجاب لله من شاء من أحداث
الرجال وضعفاء الناس حتى كثر من آمن به) .

وقد عرف الواقدي المستضعفين بأنهم قوم لا عشائر لهم بمكة وليست لهم
منعة ولا قوة ، فكانت قريش تعذبهم بالرمضاء بانصاف النهار ليرجعوا عن
دينهم (١٥) . ويروى الطبرى عن ابن مسعود فى تفسير آية (ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شئ وما من
حسابك عليهم من شئ ، فتطردهم فتكون من الظالمين) (الانعام ٥٢) . ان
بعض كفار قريش جاؤوا الى ابى طالب فقالوا : يا ابا طالب لو ان ابن
اخيك يطرد عنه موالينا وحلفاءنا فانما هم عبيدنا وعسفاؤنا كان اعظم فى صدورنا
واطوع له عندنا وادنى لاتباعنا اياه وتصديقنا له . قال : وكانوا بلال وعمار بن
ياسر وسالم مولى ابى حذيفة وصبيحا مولى اسيد ومن الحلفاء ابن مسعود والمقداد
بن عمرو ومسعود القارى وواقد بن عبدالله الحنظلى وعمرو بن عبد عمرو ذو
النسمايين ومرثد بن ابى مرثد وابو مرثد من غنى حليف حمزة بن عبدالمطلب
وانبأهم من الحلفاء . ونزلت فى أئمة الكفر من قريش والموالى والحلفاء
(وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم
بالشاكرين) (الانعام ٥٣) (١٦) .

(١٤) المعارف : ص ٢٤٩ .

(١٥) ابن سعد : ج ٣ قسم ١ ص ١٧٧ .

(١٦) تفسير الطبرى : ج ٧ ص ١٢٧ وانظر ايضا سيرة بن عشم

ج ١ ص ٤٢٠ .

دوافع اعتناق الاسلام :

ويحق لنا بعد أن عرضنا أسماء ومراكز المسلمين الاول في المجتمع المكي أن نسأل عن سبب اعتناقهم الاسلام في هذه الفترة المبكرة التي لم يكن مستقبل الاسلام المادي ونجاحه واضحا . لا ريب انه لا يمكن قبول نظرية ^{السياسة} جرمه التي تقول نأبه استجاب له المستضعفون ، رغبة في التحرر ، والفقراء رغبة في الكسب ، نظرا لما فيه من ميل اشتراكي ، فان هذا الرأي ينقضه دراسة المسلمين الاول الذين كان اكثرهم من التجار ورجال الطبقة الوسطى ومن كانت لهم عوائل تحميهم وتدفع عنهم . بل حتى وجود الحلفاء والمستضعفين في الاسلام لا ينهض دليلا على صحة هذا الرأي ، اذ ان هؤلاء نالوا كثيرا من الاضطهاد بسبب عقائدهم ، ومنوا بكثير من الآمال اذا تركوها ، فرفضوا وأصرروا على التمسك بالدين الجديد ، مما يدل على ان دافع العقيدة كان يدفعهم الى اعتناق الاسلام . والواقع ان الروايات انارت بصراحة الى دوافع بعضهم فعثمان بن مضمون كان منذ قبل الاسلام من الباحثين عن الدين ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل هو ابن الرجل الذي كان حنيفيا يبحث عن دين ابراهيم^(١٧) ؛ وخالد بن سعيد بن العاص اعتنق الاسلام لانه رأى نفسه في المنام على حافة هاوية من النار يدفعه اليها ابوه ويدفعه عنها رجل آخر لينقذه منها^(١٨) ، ويمكن تفسير ذلك بانشغال عقله الباطن في الامور الدينية واعتناقه الاسلام لاعتقاده بأن فيه المنجى والمخلص ؛ أما عمر بن الخطاب الذي اسلم بعيد هذه الفترة ، فقد اسلم لتأثره من سماعه آيات القرآن ومن رؤيته اخته تآذى^(١٩) ، واما الحمزة عم الرسول ، وقد اسلم بعيد هذه الفترة ايضا ، فقد اعتنقه لما رأى من تطاول على ابن اخيه^(٢٠) .

(١٧) انظر ص ٢٥٨-٢٥٩ .

(١٨) ابن سعد : ج ٤ قسم ١ ص ٦٤ .

(١٩) سيرة ابن هشام : ج ١ ص ٣٦٤ ، ٣٦٨ .

(٢٠) سيرة ابن هشام : ج ١ ص ٣١٢ .

ومن كل هذا نرى ان الدافع لاعتناق الاسلام ديني بالدرجة الاولى .
يقول ابن اسحق . ثم دخل الناس في الاسلام ارسالا من الرجال والنساء
حتى فشا ذكر الاسلام بمكة وتحدث به . ثم ان الله عز وجل امر رسوله (ص)
أن يصدع بما جاءه منه وان يبادى الناس بأمره وأن يدعو اليه ، وكان بين ما اخفى
رسول الله (ص) امره واستر به الى أن أمره الله تعالى باظهار دينه ثلاث سنوات
فيما بلغني من مبعثه ثم قال الله له (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين)
(الحجر ٩٤) (وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين
فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون) (الشعراء ٢١٦) . فلما بادى رسول
الله (ص) قومه بالاسلام وصدع به كما أمره الله ، لم يبعد منه قومه ، ولم يردوا
عليه فيما بلغني ، حتى ذكر آلهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك اعظموه وناكروه
واجتمعوا خلافه وعداوته ، الا من عصم الله تعالى منهم بالاسلام ، وهم قليل
مستخفون وحدث على رسول الله (ص) عمه ابو طالب ومنعه وقام دونه ، ومضى
رسول الله (ص) على أمر الله مظهرا لامره ، لا يرده عنه شيء (٢١) .

ويؤيد ابن سعد ايضا ان الرسول كان يدعو اول ما نزلت عليه النبوة ثلاث
سنين مستخفيا الى أن أمر بظهور الدعاء ، ثم يروى عن الزهري « فاستجاب لله من
شاء من احداث الرجال وضعفاء الناس حتى كثر من آمن به ، وكفار قريش غير
منكرين لما يقول ، فكان اذا مر عليهم في مجالسهم يشيرون اليه ان غلام بنى
عبدالمطلب ليكلم من السماء ، فكان ذلك حتى عاب الله آلهتهم التي يعبدونها دونه ،
وذكر هلاك آباؤهم الذين ماتوا على الكفر ، فشفقوا لرسول الله (ص) عند ذلك
وعادوه (٢٢) . »

(٢١) سيرة ابن هشام : ج ١ ص ٢٧٤-٢٧٦ .

(٢٢) ابن سعد : ج ١ قسم ١ ص ١٢٣ أما عن عيب آلهتهم في القرآن

فانظر ص ٢٨٠-٢٨١ .

مقاومة المشركين للدعوة الإسلامية

دوافع المقاومة :

يتبين مما ذكرناه فيما سبق ان الدعوة الإسلامية في الادوار الاولى لم تلق معارضة شديدة ، نظرا لسريتها وعدم التعرض لآلهة الشرك ، وان الآيات الاولى كانت تؤكد على عظمة الله وقدرته ووجوب تقواه وعبادته ، فهي لا تثير المشركين الذين كانوا يعبدون الله . غير انه بتقدم الايام وازدياد وضوح معالم الدين الجديد وتتابع نزول الآيات التي تصيب آلهتهم ، بدأ المشركون يمتعضون ويناصبون الدعوة الإسلامية والرسول العدا ، وأخذوا يؤذونه بمختلف الوسائل ؛
ولمختلف الدوافع .

الدافع الديني :

لقد رأينا ان الاسلام جاء يؤكد بالدرجة الاولى على عبادة اله واحد منزه ، ولا يقر بأى مظهر من مظاهر الشرك والوثنية ، ولا يمكن التوفيق بين ما جاء به وما كان يدين به القرشيون . فاتتصار الاسلام كان يستلزم حتما ازالة المعتقدات والعبادات التي كان الناس قد ألفوها واعتادوا عليها . ان ديانة الشرك لم تكن لها فلسفة قوية تدافع عنها ، كما يظهر من محاجة القرآن لهم ، حيث لا يظهر من هذه المحاجة وجود فكرة حية واضحة عندهم ، كما لم تذكر آراء واضحة عن دياتهم أو عن وجود رجال دين يتحمسون في الدفاع عن هذه الديانة . والواقع ان القرآن يذكر تردى ذلك الدين في قلوب الناس (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا) (الانعام ٧٠) (الذين اتخذوا دينهم لهوا لعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم نساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون) (الاعراف ٥١) . والواقع ان المشركين أقاموا تحاملهم على مبدأين

اساسيين احدهما التهجيم على فكرة الوجدانية الخالصة والبعث وعلى شخصية الرسول ، والثاني هو ان دينهم قد ورثوه عن آباؤهم .

ان مقاومة المشركين للاسلام ، رغم الجمود الظاهر لديانتهم يمكن تعليقه بأن دينهم وان لم يكن يلعب دورا كبيرا ظاهرا في حياتهم اليومية ، الا انه كان متغلغلا في نفوسهم ومتعمقا في اللاشعور فيهم فهم يعيشون فيه دون ان يفهموه أو يدركوه . كما انه نظرا لطول أمد استقراره ، لم تكن هناك حاجة للتحدث به أو الدفاع عنه . ولكن الاسلام بنقده لدينهم كان تحديه موجها لا الى عقائدهم فحسب بل الى ذاتيتهم وكيانهم الروحي فاندفعوا يدافعون عنه بقوة . وما زاد في قوة هذه المقاومة روح المحافظة التي تجلى عند البدو بصورة خاصة . وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تبين أثر روح المحافظة في المقاومة غير المفكرة التي واجهوا الاسلام بها . (واذا تلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم) (سبأ ٤٣) (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون . وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرينهم من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون . قل او لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباؤكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون) (الزخرف ٢٢-٢٤) (واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) (لقمان ٢١) (واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا او لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) (البقرة ١٧٠ انظر ايضا المائدة ١٠٤) (انهم الفوا آباءهم ضالين . فهم على آثارهم يهزعون . ولقد ضل قبلكم أكثر الاولين) (الصافات ٦٩-٧١) .

روح المحافظة :

وما زاد في عنف مقاومتهم ان دعوة الرسول للوجدانية كانت جديدة عليهم فلم يكن قد اتاهم من قبله رسول (لتذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون) (يس ٦) (ام يقولون افتراء بل هو الحق من ربك لتذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك

لعلهم يهتدون) (السجدة ٣) (وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم
قبلك من نذير) (سبأ ٤٤) •

وبجانب هذا العامل النفسى فهناك عدة عوامل دفعت القرشيين لمقاومة الاسلام
منها ان الاسلام جاء يدعو لعبادة اله واحد مطلق يمكن عبادته فى أى مكان •
فاتشاره سيؤدى حتما الى تهديد مصالح كثيرين ممن كانت لهم علاقة ومصصلحة
بالدين القديم • واذا دانت مكة واهلها بالدين الجديد فستزول مكاتهم عند
المشركين من العرب وتقل حرمتهم ولا تبقى لهم المكانة السابقة (وقالوا أن تبع
الهدى معك تتخطف من ارضنا أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجيبى اليه سرات كل
شىء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون • وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها
فذلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين) (القصص ٥٧-٦٠) •

الدوافع الاجتماعية :

١ ثم ان الاسلام يهدد تكوين وتنظيم المجتمع القديم • اذ رغم ان الاسلام
جاء فى البداية يهدف دعوة دينية خالصة الا انه كان لابد أن يؤدى انتشاره الى
أنتائج اجتماعية وسياسية مهمة • فاتباع الدين الجديد لابد أن ينفصلوا عن الدين
القديم واتباعه ، ويكونوا فيما بينهم كتلة قائمة بذاتها ، تقوم على اسس جديدة
او تتطلب من هؤلاء الاتباع أن يتعاونوا ويتناصروا فيما بينهم ، بصرف النظر عن
القبيلة التى ينتمون اليها ؛ وان يتحدوا لصد من يهددهم ممن لا يدين بدينهم أى
أن يقفوا ضد مشركى مكة وكفارها • وهكذا تشطر مكة الى شطرين : الاول
جامد والثانى قابل للتوسع بل ان الانقسام سيمند الى اعضاء الاسرة الواحدة • وقد
أشار القرآن الى أزمات حدثت فى بعض الاسر التى اسلم ابناؤها وظل بعض كبارها
غير مسلمين أو بالعكس (الذى قال لوالديه اف لكما اتعداننى ان اخرج وقد خلت
القرون من قبلى وهما يستغيثان الله ويبلن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير
الاولين) (الاحقاف ١٧) (ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك
بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما الى مرجعكم فانبؤكم بما كنتم تعلمون)

(العنكبوت ٨ أنظر أيضا لقمان ١٥) كما روى ابن اسحق ان المشركين كلموا النبي وقالوا له « انك قد اتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به احلامهم وعبت به آلهتهم » وكذلك قالوا لعنه ابي طالب عندما طلبوا منه أن يتدخل ويطلب من الرسول الكف عن الدعوة^(١) .

ويجدر بنا ان نلاحظ ان الاسلام يدعو الى تنظيم اجتماعي يختلف اختلافا اساسيا عن التنظيم الذي كان قائما في الجزيرة ، وخاصة في مكة . فهو يدعو الى الانسانية والرحمة والشفقة والعطف على الضعيف والصدق والاستقامة . ويضع للنفاضل الاجتماعي مقاييس جديدة ، تقوم على اساس الاخلاق الفاضلة الصالحة بصرف النظر عن الثروة والجاه أو النسب . فهي تناقض تماما ما كان سائدا في مكة من تفاخر بالانساب والآباء ومن تقدير للثروة والغنى والمظاهر الدنيوية فانتشار الاسلام كان من شأنه أن يؤثر في مركز المتنفذين والاغنياء فيخفض من مركزهم اذا لم تكن لهم صفات اخلاقية حميدة ويحل محلهم في المكانة العليا اناس ربما كانوا من الفقراء أو من ليسوا من العشائر المكيّة .

ولن يقتصر هذا التغيير عليهم وحدهم في هذه الدنيا بل يمتد الى اجدادهم ايضا فقد لاحظنا في فصل سابق ان فكرة البعث واليوم الآخرة اساسية في الاسلام ، وان الناس سيحاسبون فيها على ما كسبت يداهم في هذه الدنيا وسيجزون بما كانوا يعملون فمن عمل مثقال ذرة خيرا يره ومن عمل مثقال ذرة شرا يره ومن ثقلت موازينهم وكثرت اعمال الخير والبر عندهم فسيذهبون الى الجنة . اما من زادت اعمال الشر عندهم فسيذهبون الى جهنم وان حساب يوم الآخرة لا يقتصر على الفواهر بل على الاعمال الحقيقية وانه سوف ينال الجميع حتى من كان قبل الاسلام . ولما كان آباء المشركين واجدادهم كفارا فسيكون مصيرهم

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٩ ، ٢١٣ ، ٣١٥ الطبري ج ٢ ص ٢٢٢ ،
٢٣٠ تفسير الطبري ج ٧ ص ٢٠٧ ج ١٥ ص ١١٠ .

النار . وقد تكرر في القرآن ورود انكار المشركين للبعث كما تكرر التأكيد عليه كثيرا بشكل يوحى بأنها من أهم الافكار الاسلامية التي عارضوها (انظر الانعام ٢٩ ، الرعد ٥ ، النحل ٢٨ ، الاسراء ٤٩ و ٩٨ ، المؤمنون ٨٢-٨٣ ، الفرقان ١١ ، النمل ٦٧-٦٨ ، سبأ ٣ و ٧ ، يس ١٦-١٧ ، الجاثية ٢٤ ق ١-٣ ، التغابن ٧ ، النازعات ١٠-١٢ ، القيامة ٣-٤ و ٣٦-٤٠ ، انظر ايضا فصلت ٥٤ ، الذاريات ١٠-١٢) .

الدوافع السياسية :

ثم ان المجتمع الجديد لا يدين بالطاعة الى الرؤساء القداماء ، بل يرتبط بالرسول الذي تأتي بواسطته احكام الاسلام . والقرآن يأمر باطاعة الرسول (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) (الاحزاب ٧١) (قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين) (آل عمران ٣٢) (واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) (آل عمران ١٣٢) (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم) (النساء ١٣) (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء الصالحين وحسن اولئك رفيقا) (النساء ٦٩) (من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا) (النساء ٨٠) (وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) (النساء ٦٤) (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم) (التوبة ٧١) . ومع ان اغلب هذه الآيات مدنية ، الا انها توضح ما ستؤديه دعوة الاسلام من منح الرسول مركزا اساسيا قويا يظفي على الباقيين . ومع ان الرسول كانت من مظاهر اخلاقه الدمائية والتواضع والرفقة والتسامح والعطف ، ومع ان القرآن أكد انه مذكر ومنذر وبشير لا يبغى اية منفعة مادية من دعوته (قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى) (الشورى ٢٣) (قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين) (ص ٨٦) (قل ما سألتكم من اجر فهو لكم ان اجري

الأعلى الله وهو على شيء شهيد) (سبأ ٤٧) (وما تسألهم عليه من أجر ان هو الا
ذكرى للعالمين) (يوسف ١٠٤) (ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون)
(القلم ٤٦ ، الطور ٤٠) .

غير ان القرشيين ارتاعوا من هذه الدعوة فكرهوا ان ينزل الوحي على رجل
منهم (وعجبوا ان جاءهم منذر منهم) (ص ٤ ق ٢) (أكان للناس عجباً ان اوحينا
الى رجل منهم ان أنذر الناس) (يونس) (أو نزل عليه الذكر من بيتنا بل هم
في شك من ذكرى) (ص ٨) (او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم
لينذركم) (الاعراف ٦٣ و ٦٩) (ابعت الله بشرا رسولا) (الاسراء ٩٤)
(واذا رأوك ان يتخذوا منك الا هزواً اهدأ الذي بعث الله رسولا) (الفرقان ٤١)
(وقالوا لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) (الزخرف ٣١) .

وينبغي الا يفسر موقفهم بأنه انتقاص من مركز النبي فانه من أعلى الاسر
الارستقراطية القرشية وفي القرآن شواهد على مركزه (أفلم يدبروا القول ام
جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون)
(المؤمنون ٦٩) (وجاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عتم) (التوبة ١٢٨) .
كل هذا يدل على حسن مركزه بين قريش . ولكنهم لم يقرؤا له لانه لم يكن من
الزعماء السياسيين في مكة ، ولانه لم يأت معه بصفات خارقة والواقع ان اشد
المقاومة جاءت من الارستقراطية والزعماء السياسيين كما سنين .

الدعوة ليست اشتراكية :

وقد ادعى بعض المستشرقين وخاصة كريمة^(٢) ان دعوة الرسول الاولى
كانت احتجاجاً على سوء توزيع الثروة ، وانها استهدفت اغائة المنكوبين والضعفاء
والفقراء ، وانها لذلك كان لها مظهر الاشتراكية . ومما اتخذوه من الادلة لتعزيز

(٢) تجد بحث كريمة في كتابه محمد (بالالمانية) وتجد اشارة ونقدا له
في المقال القيم الذي كتبه بوهل عن الرسول في دائرة المعارف الاسلامية ، وفي
كتاب وات (محمد في مكة) ص ٩٨-٩٩ .

دعوته ان الصدقات ومساعدة الضعيف والفقير والحض على اطعام المسكين وتحرير العبيد وفك رقابهم كان مؤكدا عليها منذ اوائل ادوار الدعوة الاسلامية . وكذلك التأكيد على حسن معاملة اليتامى والتشديد على من يظلمهم . وقد هدد الاغنياء الذين ينفقون ولا يعطون الفقراء ويكنزون الذهب والفضة ؛ يضاف الى ذلك ان الاغنياء كانوا من اشد المقاومين للاسلام ، وقد أشار القرآن الى عدد غير قليل من هؤلاء القرآن الذين قاموا الاسلام واوعدهم بالعقاب الشديد .

لقد كان كريمة متأثرا من النظريات الاشتراكية التي سادت القرن التاسع عشر وأراد أن ينظر بهذا المنظار الى تاريخ الرسول ، وفي رأيه تطرف فمساعدة الضعيف والرفيق واجب انساني ضروري ولم يتطرف الاسلام فيه ليجعله قريبا من الاشتراكية الحديثة ، كلا فان الصدقات وسنفضل الكلام عنها في الجزء الثاني كانت أقل من أن تطفئ الرأسمالية أو تخلق الاشتراكية ، هذا الى ان الاسلام أقر جمع الثروة ولم يهاجمها اذا كانت آتية من طريق مشروع^(٣) كما ان كثيرا من المسلمين الاول كانوا انفسهم من الاغنياء والتجار^(٤) . ويلاحظ ان الاشتراكية مذهب اقتصادي أما الدين الاسلامي فهدفه بالدرجة الاولى روحى دينى وأما المسائل الاقتصادية فكانت ثانوية بالنسبة لامور العقائد وخاصة في الادوار الاولى من الدعوة . كما ان اشد فكرة قاومها المشركون هي فكرة الآخرة . (اذا ذكر الله وحده استمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون) (الزمر ٤٦) (واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا) (الاسراء ٤٦) .

وفي القرآن آيات تدل على ان المسلمين الاول اغنياء (بل توثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى) (الاعلى ٦-١٧) (كلا بل لا تكرمون اليتيم . ولا تحضون

(٣) انظر كتابي عن (التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة)

الفصل التاسع .

(٤) المعارف ص ٢٤٩ .

على طعام المسكين • وتأكلون التراب أكلا لما • وتحبون المال حبا جما (الفجر
١٧-٢٠) (فلا اقتحم العقبة • وما ادراك ما العقبة • فك رقبه • او اطعام في يوم
ذى مسغبة • يتيما ذا مقربة • أو مسكينا ذا متربة) (البلد ١١-١٧) •

اساليب المقاومة :

لقد اتخذ المشركون اساليب وطرق متعددة لمقاومة الرسول والدعوة • وقد
اشار القرآن الى بعضها :

فقد اتهموه بأن ما جاء به لم يكن جديدا عليهم بل هو من اساطير الاولين
(الانعام ٢٥ ، النحل ٢٤ ، المؤمنون ٨٣ ، النمل ٦٨ ، الاحقاف ١٧ ، القلم ١٥ ،
انطفيين ١٣) •

واتهموه بأن اعجميا يلقنه اياها (وقال الذين كفروا ان هذا الا فلك افتراه
واعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا • وقالوا اساطير الاولين اكتسبها
فهى تملى عليه بكرة واصيلا) (الفرقان ٤-٥) (ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه
بشر لسان الذى يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربى مبين) (النحل ١٠٣)
وانتقدوا النسخ والمنسوخ (واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما
انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون) (النحل ١٠١) •

ثم اتهم سخروا من الرسول وهزؤا به وبدعوته (الصافات ١٢ و ١٤ ،
التوبة ٦٥ ، الانعام ٥ و ١٠ ، هود ٨ ، النحل ٣٤ ، الشعراء ٦ ، الروم ١٠ ،
يسين ٣٠ ، الزمر ٤٨ ، الزخرف ٧ الاحقاف ٢٦ ، الرعد ٣٢ ، الانبياء ٤١ ،
الحجر ٩٥ ، الكهف ٥٦ و ١٠٦ ، الفرقان ٤١ ، الجاثية ٩ و ٣٥) •
واتهموه بأنه ساحر وان ما جاء به سحر (الانعام ٧ ، يونس ٧٦ ، هود ٧ ،
النمل ١٣ ، سبا ٤٣ ، الصافات ١٥ ، الزخرف ٣٠ ، الاحقاف ٧ ، الطور ١٥ ،
القمر ٢ ، الصف ٦ ، المدثر ٢٤ ص ٤ ، الذاريات ٥٢ ، الاسراء ٤٧ ،
الفرقان ٨) •

كما اتهموه بأنه مجنون (الحجر ٦ ، الصافات ٣٦ ، القلم ٥١ ، المؤمنون

٢٥ و ٧٠) وقد رد على هذه التهمة (الاعراف ١٨٤ ، سبأ ٤٦ ، الطور ٢٩ ،
القلم ٢ ، التكويد ٢٢) .

واتهموه ايضا بأنه كذاب (ص ٤ ، القمر ٢٥ ، فاطر ٢٥ ، الحج ٤٢)
وانه مفتر (الفرقان ٤ ، سبأ ٤٣ ، الاحقاف ٨ و ١١ ، السجدة ٣ ، يونس ٣٨ ،
هود ١٣ و ٣٥ ، الانبياء ٥) .

ونسبوا اليه انه شاعر (الصافات ٣٦ ، الحاقة ٤٠ ، الانبياء ٥ ، الطور ٣٠)
وكاهن (الطور ٢٩ ، الحاقة ٤٢) .

كما اخذوا على الرسول انه بشر مثلهم فلم يصدقوا بأن الرسول يمكن أن
يكون بشرا (الانبياء ٣ المؤمنون ٢٤ و ٣٣ ، الاسراء ٩٤ ، القمر ٢٤) كما طلبوا
منه آية (الانعام ١٠٩ و ٢٧٩ ، يونس ٢٠ ، الرعد ٧ و ٢٧ ، الانبياء ٥ الشعراء ١٥) .
وطلبوا منه أن يأتي بالمعجزات (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من
من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفتجيرا
أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك
بيت من زخرف أو ترقي في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا
نقرؤه . قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا) (الاسراء ٩٠-٩٤) وقالوا
ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه
نذيرا . أو يلقي اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تبعون الا
وجلا مسحورا) (الفرقان ٧-٨) (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك أو ضائق به
صدرك أن يقولوا لولا انزل عليه كنز أو جاء معه ملك انما انت نذير والله على
كل شيء وكيل) (هود ١٢) .

كما قالوا له (آيت بقرآن غير هذا) (يونس ١٥) أو (لو نزل عليه القرآن
جملة واحدة) (الفرقان ٣٢) وعندما ذكر القرآن آيات الله قالوا (لن نؤمن حتى
تؤتي مثل ما أوتى رسل الله) (الانعام ١٢٤) كما انهم عندما كانت تتلى عليهم
آيات الله يقولون (قد سمعنا لو شئنا لقلنا مثل هذا) (الانفال ٣١) . وادعوا بأنهم

ما سمعوا بهذا في الملة الآخرة وان آباءهم لم يعرفوا ما جاء به النبي • وكانوا لا يسمعون ما يقول ويصدفون عنها (الاسراء ٤٦ ، فصلت ٤ و ٢٦ ، الاعراف ١٩٨ ، فاطر ١٤ ، النمل ٨٠ ، الروم ٥٢ ، المدثر ٤٩ ، الجاثية ٨ لقمان ٧) • وكانوا يشكون فيما جاء به (هود ٦٢ و ١١٠ ، ابراهيم ٩ ، الشورى ١٤ ، فصلت ٢٥ و ٤٥) ويجحدون آيات الله وينكرونها ويكفرون بها ومن ثم اطلق عليهم اسم الكافرين التي تتردد كثيرا في العصر المكي •

ويظهر انهم استغربوا من كلمة الرحمن التي هي مرادف لاسم الله تعالى (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا) (الفرقان ٦٠) (واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الهزوا لهذا الذي يذكر آلهتهم وهم بذكر الرحمن كافرون) (الانبياء ٢٦) (قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن أياما تدعون فله الاسماء الحسنی) (الاسراء ١١٠) (كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلوا عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب) (الرعد ٣٠) •

ثم انهم كانوا يسخرون من المسلمين (ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون • واذا مروا بهم يتغامزون • واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين • واذا رآوهم قالوا ان هؤلاء لضالون) (المطففين ٢٩-٣٢) (واذا تلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا) (الحج ٧٢) •

المقاومون

اشارات القرآن :

لم يرد في القرآن من اسماء مقاومي النبي الا اسم عمه ابي لهب وزوجته حمالة الحطب ، وقد ذكرا في سورة قصيرة • ولكن وردت في عدة آيات قرآنية اشارات الى اشخاص يدل ما نزل فيهم على انهم كانوا يقاومون الرسول ودعوته • ومع ان القرآن لم يذكر اسمهم بصراحة ، الا ان كتب التاريخ والتفسير تذكر اسماءهم • فمن هذه الآيات (ذرني ومن خلقت وحيدا • وجعلت له مالا ممدودا •

وبنين شهودا • ومهدت له تمهيدا • ثم يطمع ان ازيدا • كلا انه كان آياتنا عنيدا •
سأزهرقه صعودا • انه فكر وقدر • فقتل كيف قدر • ثم قتل كيف قدر • ثم نظر •
ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر • فقال ان هذا الا سحر يؤثر • ان هذا الا
قول البشر (المدثر ١١-٢٥) (أفرأيت الذي تولى واعطى قليلا واكدى اعنده
علم الغيب فهو يرى • أم لم ينبا بما في صحف موسى و ابراهيم الذي وفى • الا
تزر وازرة وزر اخرى • وان ليس للانسان الا ما سعى) (النجم ٢٣-٢٩)
وقد نزلت هاتان الآيتان في الوليد بن المغيرة المخزومي^(٥) الذي اشار اليه
القرشيون بقولهم (وقالوا لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)
(الزخرف ٣١)^(٦) •

(ويل لكل همزة لمزة • الذي جمع مالا وعدده • يحسب ان ماله اخذه
كلا لينبذ في الحطمة) (الهمزة ١-٤) وقد نزلت في امية بن خلف^(٧) •
(وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم • قل يحييها
الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم) (يسين ٧٨-٧٩) (يوم يعض الظالم
على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا • يا ويلتى يا ليتنى لم اتخذ
فلانا خليلا • لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا)
(الفرقان ٧-٢٩) • وقد نزلت هاتان الآيتان في ابى بن خلف^(٨) •

(أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا • اطلع الغيب ام اتخذ
عند الرحمن عهدا • كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا • ونرثه ما يقول

(٥) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٨٤ تفسير الطبرى ج ٢٥ ص ٤٠ ج ٢٩
ص ٩٦ الاشتقاق ص ٩٤ •

(٦) تفسير الطبرى ج ٢٥ ص ٤٠ •

(٧) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٧٩ ، ٤٢٣ •

(٨) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٨٥-٢٨٦ تفسير الطبرى ج ١٧ ص ٦

ج ٢٣ ص ٢٠ الاشتقاق ص ٨٠ •

ويأتينا فردا) (مريم ٧٧-٨٠) (ويل لكل أفك أنيم • يسمع آيات الله تلى عليه
ثم يصير مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى اذنيه وقر فبشره بعذاب أليم • واذا علم
من آياتنا شيئا اتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين) (الجاثية ٩) (أرأيت الذى
يكذب بالدين • فذلك الذى يدع اليتيم • ولا يحض على طعام المسكين) (الماعون
٣-١) • وقد نزلت هذه الآيات فى العاص بن وائل ^(٩) •

(ولا تطمع كل خلاف مهين • همار مشاء بنميم • مناع للخير معتد أنيم •
عتل بعد ذلك زنيم • ان كان ذا مال وبنين اذا تلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين
سنسسه على الخرطوم) (القلم ١٠-١٦) وقد نزلت فى الاخنس بن شريق ^(١٠) •

(فلا صدق ولا صلى • ولكن كذب وتولى • ثم ذهب الى اهله يتمطى اولى
لك فاولى • ثم اولى لك فاولى) (القيامة ٣١-٣٥) (فاصبر لحكم ربك ولا تطع
منهم آثما أو كفورا) (الانسان ٢٤) (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا
يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها) (الانعام ٢٢) •
وقد نزلت هذه الآيات فى ابى جهل ^(١١) •

(ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير • تانى
عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق)
(الحج ٨-٩) (وقال الذين كفروا ان هذا الا فك افتراء واعانه عليه قوم آخرون
فقد جاؤوا ظلما وزورا • وقالوا اساطير الاولين اكتبها فهى تملى عليه بكرة
واصيلا) (النور ٤-٥) وقد نزلت هاتان الآيتان فى النضر بن الحارث بن كلدة

(٩) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٨٠ ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١١٦

تفسير الطبرى ج ١٦ ص ٩١ الاشتقاق ص ٧٩ •

(١٠) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٨٤ تفسير الطبرى ج ٢٩ ص ١٤-١٥ •

(١١) تفسير الطبرى ج ٢٩ ص ١٢٤ ، ١٢٨ ج ٨ ص ١٧ ج ٢٥ ص ٨٠

سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٣٣ •

بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدارين قصي^(١٢) . ويروى عن ابن عباس انه قال
نزل فيه ثمان آيات من القرآن ، وكل ما ذكر فيه من الاساطير من القرآن نزل فيه .
ويقول ابن اسحق انه « كان النضر بن الحارث من شياطين قريش وممن كان
يؤذى رسول الله وينصب له العداوة وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها احاديث ملوك
الفرس واحاديث رستم واسفنديار ، فكان اذا جلس رسول الله (ص) مجلسا فذكر
فيه بالله وحذر قومه ما اصاب من قبلهم من الامم من نقمة الله ، خلفه في مجلسه ،
اذا قام ثم قال انا والله يا معشر قريش احسن حديثا منه فهلم الى فانا احدثكم احسن
من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار ثم يقول بماذا محمد
احسن حديثا مني^(١٣) . »

وقد أشار القرآن الكريم الى المستهزئين (انا كفيناك المستهزئين الذين
يجعلون مع الله الاها آخر فسوف يعلمون) (النحل ٩٥-٩٦) كما أشار الى
المقتسمين (كما انزلنا على المقتسمين . الذين جعلوا القرآن عضين) (النحل
٩٠-٩١) والمستهزون هم فيما يروى ابن اسحق عن عروة بن الزبير خمسة نفر
كانوا ذوى اسنان وشرف في قومهم من بنى اسد بن عبد العزى بن قصي الاسود
بن المطلب ابو زمعة . . ومن بنى زهرة الاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد
مناف بن زهرة ، ومن بنى مخزوم الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن مخزوم ، ومن
بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى ، العاص بن وائل بن هشام بن
سعيد بن سعد بن سهم ، ومن خزاعة الحرث بن الطلائة بن عمرو بن الحرث
بن عمرو بن ملكان^(١٤) .

أما المقتسمون فيقول السكري (انهم سبعة عشر رجلا من قريش اقساموا

(١٢) تفسير الطبرى ج ٧ ص ١٨٤ ج ٩ ص ١٥١ ج ١٧ ص ٩٢

ج ١٨ ص ١٣٦ .

(١٣) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٢٠ ، ٣٨٢ تفسير الطبرى ج ١٨ ص ١٣٩ .

(١٤) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٥ تفسير الطبرى ج ١٤ ص ٤٨-٥١ .

عقاب مكة ، فكانوا اذا حضروا الموسم يصدون عن رسول الله (ص) وهم على ما ذكر ابن الكلبي عن ابن عباس من بنى عبد شمس ثلاثة نفر حنظلة بن ابي سفيان وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ، ومن بنى مخزوم سبعة نفر أبو جهل ، والعاص ، وابو قيس بن الوليد ، وقيس بن الفاكهة ، وزهير بن ابي امية ، والاسود بن عبدالاسد ، وصيفي بن السائب . ومن بنى عبدالدار واحد هو النضر بن الحارث بن كلدة ، ومن بنى اسد بن عبدالعزيز اثنان ابو البختری بن هاشم وزمعة بن الاسود . ومن بنى سهم اثنان منه ونيه ابنا الحجاج . ومن بنى جمح اثنان امية بن خلف ، وأوس بن مسير اخو ابي محذورة وهما من أنفس بنى جمح^(١٥) .

وفي تفسير آية (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم) (الانعام ١٠٨) يروى الطبري عن السدي انه (لما حضر ابا طالب الموت قالت قريش انطلقوا بنا فلندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهي عنا ابن اخيه ، فانا نستحي أن نقتله بعد موته فتقول العرب كان يمنعه ، فلما مات قتلوه ، فانطلق ابو سفيان وابو جهل والنضر بن الحرث وامية ابن خلف وعقبة بن ابي معيط وعمرو بن العاص والاسود بن البختری وبعثوا رجلا منهم يقال له المطلب قالوا استأذن على ابي طالب . فأتى ابا طالب فقال هؤلاء مشيخة قومك يريدون الدخول عليك فأذن لهم فدخلوا عليه فقالوا يا ابا طالب انت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد آذانا وآذى آلهتنا فتحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولدعه واله^(١٦) .) .

ويروى ابن سحوق عن ابن عباس في تفسير آية (وقالوا لن نؤمن بـ) ان ابن عتبة وشيبة ابني ربيعة ، و ابا سفيان بن حرب ، ورجلا من بنى عبدالدار ، و ابا البختری اخا بنى اسد ، والاسود بن المطلب ، وزمعة بن الاسود ، والوليد بن

(١٥) المحبر ص ١٦٠-١٦١ .

(١٦) الطبري ج ٢ ص ٢١٩ تفسير الطبري ج ٧ ص ٢٧ .

المغيرة ، و ابا جهل بن هشام ، وعبدالله بن ابي امية ، وامية بن خلف ، والعاص ،
بن وائل ، ونبيها ومنها ابني الحجاج السهيمين ، اجتمعوا ومن اجتمع منهم بعد
غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه
وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان ايسراف قومك قد اجتمعوا اليك
ليكلموك^(١٧) . . .

رواية ابن سعد :

وقد روى ابن سعد انه (كان اهل العداوة والمباذاة لرسول الله (ص)
واصحابه الذين يطلبون الخصومة والجدل ابو جهل بن هشام ، وابو لهب بن
عبدالمطلب ، والاسود بن عبد يغوث ، والحارث بن قيس بن عدى وهو ابن الغيظة
والغيظة امه ، والوليد بن المغيرة ، وامية وأبي ابنا خلف ، وابو قيس بن الفاكه
بن المغيرة بن وائل ، والنضر بن الحارث ، ومنبه بن الحجاج ، وزهير بن ابي
امية ، والسائب بن صيفى بن عائد ، والاسود بن عبدالاسد ، والعاصي بن سعيد
بن العاص ، والعاص بن هاشم ، وعقبة بن ابي معيط ، وابي الاصدي الهذلي ،
والحكم بن ابي العاص ، وعدى بن الحمراء ، والذي كان تنتهى عداوة رسول الله
اليهم ابو جهل وابو لهب وعقبة بن ابي معيط . وكان عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو
سفيان بن حرب اهل عداوة ولكنهم لم يشخصوا بالنبي (ص) كانوا كنجو قريش .
قال ابن سعد ولم يسلم منهم احد الا ابو سفيان والحكم^(١٨) .

من هم اهل العداوة :

يتضمن ما اورده آنفا كل ما استطعت الحصول عليه من اسماء خصوم
النبي واهل العداوة له . ويلاحظ ان القرآن ، وقد اشار في عدد من الآيات الى
من قاوم الرسول ، لم يصرح باسماءهم الا اسم ابي لهب وزوجته ، وهذه الآيات

(١٧) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٦-٢٧٧ الطبري ج ٢ ص ٢١٨ تفسير
الطبري ج ١٥ ص ١٠٧-١١٠ .
(١٨) ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ١٢٣ .

المتعلقة بهم قد تكفى بالتلميح الى واحد فقط من موافقهم أو حججهم ، أو قد لا تلمح شيئا بل تكفى بالشدة عليهم . وقد اقتصر الرواة والمفسرون في شرح موقف واحد هو الذى أشار اليه القرآن فحسب ، من دون أن يوردوا أية معلومات اضافية ، بل حتى الايذاء والاستهزاء قلما يورد عنه الرواة اخبارا وافية . ولا ريب ان اشارة القرآن الى حادث واحد لكل منهم لا يستلزم حتما أن يكون هذا الحادث هو وحده مظهر ايذاءهم أو هزؤهم . فقد تكون هنالك اعمال اخرى لم يشر اليها القرآن . ثم ان اشارة القرآن اليهم لا تعنى انهم وحدهم المؤذون والمستهزؤون ، فقد يكون هناك غيرهم ممن قام بمثل تلك المقاومة دون أن يشير اليه القرآن .

لقد بينا ان الرواة ذكروا اسما من تعرضت لهم هذه الآيات ، فإذا افترضنا صحة ما أوردوه فإننا نلاحظ من المعلومات القليلة الواردة عنهم في الكتب ، انهم كانوا من عشائر متعددة ، وان اغلبهم كانوا ذوى سن وشرف وساهموا في اجتماعات دار الندوة^(١٩) ، وان كثيرا منهم كانوا من الاسخياء ، فالاسود بن المطلب والعاص بن وائل هم من ازواد الركب أى انهم كانوا اذا سافروا لم يختبر معهم احد ولم يطبخ^(٢٠) ؛ وفيهم عدد من المطعمين فى بدر كابى جهل ونيه ومنبه ابنى الحجاج والنضر بن الحارث وامية بن خلف^(٢١) .

ان هؤلاء المؤذنين والمستهزئين كان بعضهم يمت الى الرسول بصلة القرابة والنسب ، فابو لهب عم النبي وحمو بناته^(٢٢) ، والاسود بن عبد يغوث ابن خاله^(٢٣) ، وزهير وعبدالله ابنا ابى امية هما اولاد عاتكة عمه النبي^(٢٤) ، وكانت

(١٩) انظر ص ٩٣ .

(٢٠) المحبر ص ١٣٧ المنق ص ٢٩٤ (نبذة بهامش المحبر) .

(٢١) المحبر ص ١٦١-١٦٢ سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣١١ وانظر عن

سخاء ابى جهل ايضا المحبر ص ١٤٠ .

(٢٢) انظر ص ٢٨٨ .

(٢٣) مصعب الزبيرى : نسب قريش ص ٢٦٢ .

(٢٤) الطبرى ج ١٣ ص ٤٤ سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٩٩ ، ٣١٧ ، ٣٩٧ .

ج ٤ ص ١٨ ، ٣١ المحبر ص ٢٧٤ .

لبعضهم مواقف طيبة مع الرسول أو المسلمين فإن ابا البخترى وزهير بن ابي امية
وزمعة بن الاسود ساهموا في تمزيق صحيفة مقاطعة المسلمين والرسول (٢٥) ؛
كما ان العاص بن هاشم عندما اظهر عمر الاسلام منعه وحماء فيما يقال (٢٦) ، وقد
كان بعضهم صديقا لبعض المسلمين الاول فامية بن خلف كان صديق عبدالرحمن
بن عوف (٢٧) . ولا شك ان كثيرا منهم كان لهم بين المسلمين اقارب .

ان اغلب من ذكرنا قتلوا في بدر . وفيهم اثنان امر الرسول بقتلهم بعد ان
اسروا في الموقعة ، وهما النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط (٢٨) . كما ان
ابي بن خلف قتله الرسول بيده في غزوة احد (٢٩) .

غير اننا لا نعلم عن مناصبهم ووظائفهم ، والراجع انهم ، أو اكثرهم من
التجار ، ولا يوجد ما يدل على انهم رجال دين مع انهم قد يكونوا من
المتحمسين في الدفاع عن الدين . والراجع انهم لم يقوموا وحدهم بالمقاومة بل
ان آخرين كانوا معهم ولكن المصادر سكنت عن ذكرهم لاسباب .

مكانة المتهجمين والمقاومين :

وفي القرآن عدد من الآيات يستدل منها على ان المقاومين كانوا من المترفين
الاغنياء والارستقراطية المستكبرين الطغاة (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا
على آناهم مهتدون . وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها
انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آناهم مقتدون) (الزخرف ٢٢-٢٣) (فلو لا كان
من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا

-
- (٢٥) الطبري ج ٣ ص ٢٢٥-٢٢٩ سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٩٧
مصعب الزبيري ص ٣١٢ ، ٤٣١ .
(٢٦) مصعب الزبيري ص ٤٠٨ .
(٢٧) تفسير الطبري ج ١٦ ص ١٠٠ .
(٢٨) الطبري ج ٢ ص ٢٨٦ سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٨٦ المحبر
ص ١٧٤ ، ٤٧٨ .
(٢٩) الطبري ج ٣ ص ١٩ المحبر ص ١٤٠ مصعب الزبيري ص ٢٨٧ .

منهم واتبع الذين ظلموا ما اتروا فيه وكانوا مجرمين (هود ١١٦) (واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال • فى سموم وحميم • وظل من يحموم • لا بارد ولا كريم • انهم كانوا يقولون انما متنا وكنا ترابا وعظاما انا لمبعوثون • أو اباؤنا الاولون) (الواقعة ٤١-٤٨) (وذرنى والمكذبين اولى النعمة ومهلهم قليلا • انا لدينا انكالا وجحيما) (المزمّل ١٠-١١) (واما من اوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم اوت كتابه • ولم ادر ما حسابه • يا ليتها كانت القاضيه • ما اغنى عنى ماله • هلك عنى سلطانيه) (الحاقة ٢٥-٢٩) (ويل لكل همزة لمزة • الذى جمع مالا وعدده • يحسب ان ماله اخلده • كلا لينبذن فى الحطمة) (الهمزة ١-٤) (واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) (الاسراء ١٦) • (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لو لا اتم لكنا مؤمنين • قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كتم مجرمين • وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا واسروا التدامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال فى اعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون • وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون • وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين • قل ان ربي يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون • وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون) (سبأ ٣١-٣٨) (واذا يتحاجون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعاً فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار • قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد) (غافر ٤٧-٤٨) (وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعاً فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ • قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا اجرنا ام صبرنا ما لنا من محييص) (ابراهيم ٢١) • (يوم تقلب وجوههم فى النار

يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وکبراءنا فاضلونا
السيلا) (الاحزاب ٦٦-٦٧) (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح
لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك
نجزي المجرمين) (الاعراف ٤٠ ، انظر ايضا الاعراف ٣٦ ، الفرقان ٢١)
(وكذلك جعلنا في كل قرية اكبر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم
وما يشعرون) (الانعام ١٢٣) (ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم
طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم
تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) (الاحقاف ٢٠) (واما الذين
كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين) (الجنائبة ٣١)
(حتى اذا رآوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا واقبل عددا) (الجن ٢٤)
(فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى) (النازعات ٢٨-٢٩)
(ان جهنم كانت مرصدا • للطاغين ماآبا) (التبا ٢١-٢٢) •

الكفاح ضد المشركين

اضطهاد المشركين :

ان المقاومة التي أبداها المشركون للدعوة الاسلامية لم يكن لها أثر في إيقاف الرسول عن الاستمرار في دعوته ، فقد استمر على نشر الدعوة رغم ما بذلوه له من وعد ووعد . والواقع ان الرسول ناله كثير من الأذى والسخرية التي كان يقوم بها بعض الأشخاص ضده ، كسميته ابي كبشة^(١) ، ومذمم^(٢) ، أو رمى الأوساخ في طريقه^(٣) ، أو رمى جيرانه الحجارة عليه^(٤) ، بل بلغ الأمر حدا ان حاول ابو جهل مرة رميه بالحجارة^(٥) ، كما حاول مرة اخرى خنقه ، وكان ذلك (أشد ما رأيت فريشا بلغت منه قط)^(٦) .

على ان الرسول لم يعدم حماية ونصيرا ، وخاصة من عشيرته ؛ اذ ان النظام القبلي السائد آنذاك كان يقضي بهذا التأييد ، فلو تخلت عن الرسول عشيرته لربما استهانت بها بقية العشائر وتجرات عليها في ذلك المجتمع الذي يفتقد السلطة المركزية العليا الملزمة .

والواقع ان عمه ابا طالب لم يرض بالتخلي عن حماية الرسول عندما حاول المشركون اقتاعه بذلك^(٧) ، (و) حين رأى فريشا تصنع ما تصنع في بني هاشم وبني

-
- (١) تفسير الطبري ج ١٥ ص ٧٥ المحبر ص ١٢٩ الجاحظ : العثمانية ص ٧١ .
(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٧٩ .
(٣) الطبري ج ٢ ص ٢٢٩ .
(٤) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٥ .
(٥) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣١٨ .
(٦) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣١١ . الطبري ج ٢ ص ٢٢٣ .
(٧) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٦-٢٨٠ ، ٢٨٦ ج ٢ ص ٢٦ الطبري ج ٢ ص ٢١٨-٢٢١ تفسير الطبري ج ٧ ص ٢٠٧ .

المطلب ، فدعاهم الى ما هم عليه من منع رسول الله (ص) والقيام دونه ، فاجتمعوا اليه وقاموا معه ، واجابوا الى ما دعاهم اليه من الدفع عن رسول الله (ص) الا ما كان من ابي لهب . فلما رأى ابو طالب من قومه ما سره من جدهم معه ، وخذ بهم عليه جعل يمدحهم ويذكر فضل رسول الله فيهم ومكانه منهم ليشد لهم رأيهم^(٨) . ثم أن الحمزة عم النبي عندما سمع بتناول ابي جهل على الرسول ، جاء يريد الانتقام لابن اخيه ثم اسلم^(٩) .

لم تقتصر هذه المقاومة على الرسول وحده ، بل شملت بقية المسلمين ايضا ، حيث قام المشركون بعدة محاولات لا يذاتهم وفتنتهم ، وقد اشار القرآن الى ذلك ، كما ذكرت الكتب بعض الاخبار عنها فكان (ابو جهل الفاسق الذي يغرى بهم في رجال من قريش ، اذا سمع بالرجل قد اسلم له شرف ومنعة ابنه وخزاه وقال : تركت دين ابيك وهو خير منك : لنسفهن حلمك ولنقلن رأيك ، ولنضعن شرفك ، وان كان تاجرا قال والله لنكسدن تجارتك ، ولنهلكن مالك ، وان كان ضعيفا ضربه واغرى به^(١٠) . وهذا النص يشير الى الوسائل التي كانت تتخذ ، أو يراد اتخاذها من ضغط اجتماعي واقتصادي ، ومن ايذاء للضعفاء .

ومع وجود اشارات في الكتب الى الاذى الجسماني الذي وقع على بعض القرشيين ، كالتناول على ابي بكر واقرانه بطلحة بن عبيدالله مرة ، الا ان الراجح ان هذا كان قليلا نسبيا ، وانه اذا حدث ضغط على مسلم فانه يحدث من قبل العشيرة ، لان العشيرة هي السلطة الوحيدة التي يمكن أن تفرض العقوبات على الفرد . وجدير بالملاحظة انه لم تذكر أية محاولة لنفيهم ، كما ان ما روى من ايذاء كان قليل نسبيا على الصلوية .

(٨) الطبري ج ٢ ص ٢٢٠ سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٨١ .

(٩) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣١٢-٣١٣ الطبري ج ٢ ص ٢٢٤ .

(١٠) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٤٢ . اما عن عدم دفع العاص بن وائل

حق خباب بن الارت فانظر ص

غير انه رويت اخبار عن كثير من الاذى وقع على المستضعفين وهم على ما يقول
الواقدي (قوم لا عشائر لهم بمكة وليست لهم منعة ولا قوة فكانت قريش تعذبهم
فى الرمضاء بانصاف النهار ليرجعوا عن دينهم^(١١)) وقد رويت اخبار كثيرة عن
تعذيب بعض هؤلاء امثال عمار بن ياسر ، وصهيب الرومى وابو فكيهة وبلال
الجبشى^(١٢) .

ويلاحظ ان هؤلاء من العبيد الذين لاسيادهم الحق فى عقابهم ، وانهم ابدوا
تمسكا فى دينهم ، وقد قام كثير من المسلمين يعملون على تحريرهم لتخليصهم
مما ينالوه من اذى ، فاعتق ابو بكر بلالا وعامر بن فهيرة وام عيسى وزنيرة
والنهدية^(١٣) وابنتها . ويبدو ان الاعتاق كان يخلص العبد من الاذى .

ويظهر ان محاولاتهم قد ظفرت ببعض النجاح خصوصا فيمن لم يكن قلبه
متمكنا فى قلبه الايمان . وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك (ومن الناس من
يقول آمنا بالله فاذا اؤذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من
ربك ليقولن انا معكم اوليس الله باعلم مما فى صدور العالمين) (العنكبوت ١٠) .

الهجرة الى الحبشة :

لقد كان لهذه الازمة اثر على الجماعة الاسلامية ، وكان لابد للرسول من
معالجتها . وقد اورد الطبرى فى تاريخه نص كتاب لعروة بن الزبير الى عبدالملك
بن مروان قال فيه (اما بعد فانه ، يعنى رسول الله (ص) ، لما دعا قومه لما بعثه الله
من الهدى والنور الذى انزل عليه لم يبعثوا منه اول ما دعاهم وكادوا يسمعون له
حتى ذكر طواغيتهم ، وقدم ناس من الطائف من قريش لهم اموال ، وانكروا

(١١) ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١٧٧ .

(١٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٣٩-٣٤٣ تفسير الطبرى ج ١٤ ص

١٠٥ . الجاحظ : العثمانية ص ٢٩ .

(١٣) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٣٩-٣٤٠ . الجاحظ : العثمانية

ص ٣٣ ، ١٠٣ .

ذلك عليه واشتدوا عليه وكرهوا ما قال واغروا به من اطاعهم ، فانصفق عنه عامة الناس فتركوه الا من حفظه الله منهم وهم قليل فمكث بذلك ما قدر الله أن يمكث .
ثم اتمرت رؤوسهم بأن يفتنوا من تبعه عن دين الله من ابنائهم واخوانهم وقبائلهم ، فكانت فتنة شديدة الزلزال على من اتبع رسول الله (ص) من اهل الاسلام ، فافتن من افتن وعصم الله منهم من شاء . فلما فعل ذلك بالمسلمين امرهم رسول الله (ص) أن يخرجوا الى ارض الحبشة : وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشي لا يظلم احد بأرضه وكان يثنى عليه مع ذلك صلاح ، وكانت ارض الحبشة متجرا لقريش يتجرون فيها ، يجدون فيها رفاغا من الرزق وأمنا ومتجرا حسنا فأمرهم بها رسول الله (ص) فذهب اليها عامتهم لما قهروا بمكة وخاف عليهم الفتن ، ومكث هو فلم يبرح ، فمكث بذلك سنوات يشتدون على من اسلم منهم . ثم انه فشا الاسلام فيها ودخل فيها رجال من اشرافهم (١٤) .

ويقول ابن اسحق (فلما رأى رسول الله (ص) ما يصيب اصحابه من البلاء ، وما هو في العافية ، لمكانة من الله ومن عمه عبدالمطلب وانه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم : لو خرجتم الى ارض الحبشة ، فان بها ملكا لا يظلم عنده احد وهي ارض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما اتم فيه ، فخرج عند ذلك المسلمون من اصحاب رسول الله مخافة الفتنة وفرارا الى الله بدينهم ، فكانت اول هجرة كانت في الاسلام (١٥) .

المهاجرون :

يروى ابن سعد ان الهجرة الى الحبشة كانت على دفعتين احدهما مكونة من احدى عشر رجلا ، وقد بقوا فيها امدا حتى سمعوا بعقد الصلح بين الكفار والرسول على أثر قصة الغرانيق ، فعادوا وتبين لهم عدم صحة ما سمعوا ، ثم

(١٤) الطبري ج ٢ ص ٢٢١ .

(١٥) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٤٣ .

حدثت الهجرة الثانية ، بعد ذلك وكانت تشمل ثلاثة وثمانين شخصا^(١٦) .

اما ابن اسحق فيروي اسما عشر من المسلمين ، ويقول (فكان هؤلاء العشرة اول من خرج من المسلمين الى ارض الحبشة فيما بلغني . قال ابن هشام : وكان عليهم عثمان بن مضمون فيما ذكر لي بعض اهل العلم . قال ابن اسحق ثم خرج جعفر بن ابي طالب (رض) وتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة فكانوا بها ، منهم من خرج باهله ومنهم من خرج بنفسه لا اهل له معه^(١٧)) .

ومما يؤيد رواية ابن اسحق عن ان الهجرة حدثت تدريجيا ما رواه ابن سعد عن بنت خالد بن سعيد بن العاص (وكانت وايتها من مهاجري الحبشة) اذ قالت (قدم علينا عمي عمرو بن سعيد ارض الحبشة بعد مقدم ابي بستين فلم يزل هناك حتى حمل في السفينتين مع اصحاب رسول الله (ص) فقدموا على النبي وهو بخيبر^(١٨)) .

ان هؤلاء المهاجرين من مختلف القبائل : فمن بني هاشم واحد ، ومن عبد بن قصي واحد ، ومن نوفل واحد (حليف) ، ومن عبدشمس اثنان (منهم واحد حليف) ، ومن تيم اثنان ، ومن اسد بن عبدالعزى اربعة ، ومن عدى خمسة (منهم واحد حليف) ، ومن امية سبعة (منهم اربعة حلفاء) ، ومن زهرة سبعة (منهم ثلاثة حلفاء) ، ومن عبدالدار سبعة ، ومن مخزوم ثمانية (منهم واحد حليف) ، ومن عامر سبعة (منهم واحد حليف) ، ومن الحارث بن فهر ثمانية ، ومن جمح اثنا عشر ، ومن سهم اربعة عشر (منهم واحد حليف^(١٩)) .

ويلاحظ ان عدد من هاجر من القبائل التي اشتركت في تكوين حلف

(١٦) ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ١٣٦ ، ١٣٨ .

(١٧) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٤٥ .

(١٨) ابن سعد ج ٤ قسم ١ ص ٧٣ .

(١٩) انظر قائمة اسماءهم في آخر هذا الفصل .

الفضول قليل نسبيا ، وان عدد من كان من قبائل حلف لعقمة الدم (وهم مؤيدوا بنى
عبدالدار في خصومتهم ضد هاشم) كبير .

دوافع الهجرة :

لقد ناقش مونتجومرى وات خمسة افتراضات عن سبب الهجرة الى
الحبشة وملخصها^(٢٠) :-

(١) السبب الاول هو تجنب الاضطهادات والضغط الذى قام به المشركون
على المسلمين فى مكة . وهذا السبب هو الذى ارتآه كل من عروة بن الزبير وابن
اسحق فى كتابهما اللذين ذكرناهما آنفا . ومما يؤيد هذا السبب هو ان المسلمين
الذين لم يهاجروا اكثرهم من بنى هاشم والمطلب وزهرة وتيم وعدي الذين كانوا
قد كونوا حلف الفضول ، اما الذين هاجروا فكان منهم كافة مسلمى بنى مخزوم
وعبدشمس (الا اثنين هما الارقم المخزومى الذى كان قويا متنفذا ، وابو أحمد بن
جحش حليف عبدشمس الذى كان أعمى) .

ولكن يرد على هذا بالتساؤل عن سبب بقاء بعض المهاجرين فى الحبشة
الى السنة السابعة للهجرة^(٢١) ، وعدم عودتهم الى المدينة بعد هجرة الرسول اليها
حيث لقي ترحيبا وتأيدا ؛ مع العلم انه لم يرو عن الرسول انه اوعز اليهم بالبقاء
حتى ذلك الزمن المتأخر .

(٢) والسبب الثانى الذى يمكن أن تفسر به الهجرة الى الحبشة ، هو
لتجنب احتمال فتنهم نتيجة الاضطهاد . ولكن مما يضعف قيمة هذا السبب هو
ان المهاجرين الى الحبشة هم من اول المسلمين ، وقد عرفوا بقوة ايمانهم ، الذى
لا يقل قوة عن ايمان من لم يهاجر ، فلا يعقل أن يخشى الرسول عليهم دون غيرهم
من الفتنة أو يحرص على تخليصهم من الاضطهاد الذى لو وقع عليهم وهم

(٢٠) كتاب (محمد فى مكة) ص ١١٣-١١٧ .

(٢١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٤١٧ ، الطبرى ج ٢ ص ٢٢٩ .

افوياء الايمان ، لزيد من تمسكهم بعقيدتهم ولصاروا مثلا أعلى يستثيرهم الباقين ،
وتقديرهم . ثم ما هي نتيجة الهجرة الى الحبشة ؟ وكيف تخلصهم وهم سيعودوا
ان عاجلا أو آجلا الى مكة .

(٣) والسبب الثالث الذي يمكن افتراضه هو انهم ذهبوا الى الحبشة للقيام
بالتجارة بعد ان سدت ابوابها امامهم في مكة . وقد يؤيد هذا الرأي ما رواه ابن
اسحق من ان ابا جهل كان يهدد من يعتقد الاسلام باكساد تجارته واهلاك ماله (٢٢)
كما يؤيده ما جاء في رسالة عروة بن الزبير ان انه (كانت ارض الحبشة متجرا
لقريش يتجرون فيها ، يجدون فيها رفاغا من الرزق وأمنا ومتجرا حسنا) . غير انه
لا شك ان الرسول كان يحرص على العقيدة اكثر من حرصه على اوضاعهم
التجارية ، فلا بد أن تكون هجرتهم لأمر متعلق بالدعوة .

(٤) والافتراض الرابع الذي يمكن به تفسير الهجرة الى الحبشة هو ان
اهل مكة كانوا رغم حيادهم ، يتاجرون مع الساسانيين الذين كانوا آنذاك قد استولوا
على سوريا وفلسطين ومصر ، مما جعل موقفهم ضارا بالروم ومؤيديهم من
الاحباش ، لذلك أراد الرسول أن يقوى علاقته مع الاحباش الذين ربما لم يرضهم
موقف القرشيين من الساسانيين . ولعل الرسول أراد أن يحول عن مكة بعض
تجارها ، ويعزلها في عالم التجارة الدولية ، فيجعل التجارة بيد المسلمين الذين
يصبح مركزهم الحبشة مما تضرر به مكة . وقد يؤيد هذا ان الآية الاولى من
سورة الروم تظهر عطف المسلمين على الروم ذوى الصلة بالاحباش في صراعهم
مع الفرس (الم . غلبت الروم . في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون .
في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر
من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس
لا يعلمون) (الروم ١-٦) . ويروى الطبرى في تفسيره عدة روايات تبين ان
المشركين كانوا يميلون الى الفرس ويتمنون انتصارهم وان المسلمين كانوا يريدون

انتصار الروم^(٢٣) ، ولعل ارسال المشركين لوفد منهم يطلب من النجاشي^(٢٤) رد المسلمين كان يدفعه خوفهم من احتمال تأثير المسلمين في سياسة الاحباش تجاه مكة مما يضر بموقف مكة . غير ان هذا الافتراض لا يفسر لماذا بقي بعض المسلمين في الحبشة الى السنة السادسة من الهجرة .

(٥) والافتراض الخامس الذي يرجحه وات هو ان الهجرة حدثت بسبب احتمال حدوث انقسام بين جماعة المسلمين في مكة ، ويعتمد في رأيه على اساس ان عثمان بن مضمون هو الذي قاد الجماعة الاولى من المهاجرين الى الحبشة ، وانه كان قد حرم الخمر على نفسه في الجاهلية ، ثم جاء الى الرسول على رأس جماعة ليعلن اسلامه ، وان لم تكن له مكانة كبيرة في المجتمع الاسلامي فيما بعد ، وقد روى عن عمر انه عابه على موته في فراشه^(٢٥) . كما ان خالد بن سعيد بن العاص وهو من ابرز اوائل المسلمين وابن ابي احيحة الذي كان من اغنى اهل مكة لم يعد من الحبشة الا في سنة ٦ هـ^(٢٦) ، وان نعيم بن عبدالله النحام العدوي الذي كان من اوائل المسلمين البارزين لم يهاجر الى المدينة الا في السنة السادسة^(٢٧) . ثم ان عبيدالله بن جحش وهو احد مهاجري الحبشة تنصر هناك^(٢٨) . والحق ان في القرآن آية توضح ان بعض المسلمين لم يهاجروا الى المدينة (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا لم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا . الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فاولئك

-
- (٢٣) تفسير الطبري ج ٢١ ص ١١-١٦ انظر ايضا ج ٨ ص ١٢ .
(٢٤) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٥٦ فما بعد .
(٢٥) انظر ترجمته في ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ٢٨٦-٢٩١ انظر كذلك تفسير الطبري ج ٧ ص ٦ .
(٢٦) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٤١٧ ابن سعد ج ٤ قسم ١ ص ١٤٤ .
(٢٧) ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١١٢ .
(٢٨) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٤١٧ .

عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا) (النساء ٩٧-٩٩) .

يستتج وات من هذه الاخبار القليلة التي ساقها حدوث خلاف في الرأي بين المسلمين ، وخاصة مع ابي بكر الذي كانت له مكانة قوية عند الرسول ، ويرى ان الرسول اعز لمخالفى ابي بكر بالهجرة الى الحبشة تحاشيا للاخطار التي قد تنجم من هذا الخلاف .

غير ان الادلة التي يسوقها وات ليست قوية ، فان بعض من هاجر الى الحبشة كعثمان وطلحة كانوا من اصحاب ابي بكر ، وتروى بعض الروايات ان ابا بكر هو الذي جاء بهم الى الرسول ليسلموا كما ان اختفاء اسماء بعض المسلمين الاول المهاجرين وعدم لعبهم دورا رئيسيا في السياسة فيما بعد وخاصة في عهد ابي بكر لا يمكن أن يعزى الى خلافهم معه فقط ، بل قد يرجع الى انشغالهم بامور اخرى في الحياة . والواقع ان ابا بكر استعان بكثير ممن اسلم عند فتح مكة أو بعدها ، وباولاد كثير ممن قاوم الاسلام ، فجيوش الاسلام الكبرى في زمن ابي بكر كان يقودها عكرمة بن ابي جهل الذي اسلم بعد فتح مكة وكان ابوه على رأس المقاومين للرسول ، ويزيد وهو بن ابي سفيان رئيس مكة وقائد جيوشها في احد والخندق ، وعمرو بن العاص الذي ارسله القرشيون الى النجاشي ليفاضه على اخراج مهاجري المسلمين ، وخالد بن الوليد الذي كان قائد خيالة المشركين في غزوة احد ، وهذان الاخيران اسلما في السنة السادسة للهجرة . فلو اهمل ابو بكر رجلا ماضيه ، لكان الاجدر به أن يهمل هؤلاء ولا يسلمهم قيادة الجيوش الاسلامية التي احسنوا قيادتها .

والواقع ان الآيات القرآنية توحى بأن دافع الهجرة هو الاضطهاد الشديد الذي وقع على المسلمين والمحاولات التي بذلها المشركون لفنتتهم ، وانها هي التي دفعت الرسول الى الابعاز اليهم بالهجرة (الم . احسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) (العنكبوت ١-٣) (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم

يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) (البروج ١٠) (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذى في الله جعل فتنه الناس كعذاب الله ، ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين) (العنكبوت ١٠) (وقالوا ان تتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا او لم نمكن لهم حرما امنا يجيبى اليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون) (القصص ٥٧) (قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وارض الله واسعة انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) (الزمر ١٠) (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبؤنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون) (النحل ٤١) (ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم) (النحل ١١٠) .

انا وان كنا لا نستطيع التأكيد من ان هذه الآيات نزلت في الهجرة الى الحبشة الا ان المؤرخين يجمعون على ان الاضطهاد الشديد والفتنة وقعت على المسلمين قبيل الهجرة ، مما يحملنا على الاعتقاد بأن معظم هذه الآيات تتعلق بالهجرة الى الحبشة ، وتحملنا على ترجيح الاضطهاد وخوف الفتنة كسبب رئيسي للهجرة الى الحبشة .

حياة المهاجرين في الحبشة :

ليست لدينا معلومات وافية عن حياة المهاجرين في الحبشة . وتتفق الروايات على ان التجاشي وفر لهم ملجأ سياسيا ولم يضطهدهم ، ولكن ليس هناك دليل على انه قدم لهم منحا أو هبات . ولما كان هؤلاء المهاجرون من اهل مكة التي عرف اهلها بالنشاط التجاري ، فمن المرجح انهم ، أو بعضهم ساهم بالتجارة واعمال البيع والشراء ، واستطاع أن يكسب قوته منها . ولعل من اهم اسباب تأخر البعض عن العودة الى المدينة هو اشتغالهم بالتجارة .

العودة من الحبشة :

يروى ابن اسحق انه بلغ اصحاب رسول الله (ص) الذين خرجوا الى ارض

الجيشة اسلام اهل مكة ، فاقبلوا لما بلغهم من ذلك ، حتى اذا دنوا من مكة بلغهم ان ما كانوا تحدثوا به من اسلام اهل مكة كان باطلا ، فلم يدخل منهم احد الا بجوار أو مستخفيا فكان ممن قدم عليه مكة منهم فاقام بها حتى هاجر الى المدينة فشهد معه بدرا ومن حبس عنه حتى فاته بدر وغيره ومن مات بمكة (ثم يذكر اسماءهم) •• فجميع من قدم عليه مكة من اصحابه من ارض الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلا^(٢٩) . ويؤيد الطبري في رواية عن ابن اسحق ذلك ويضيف انها جاؤوا لما بلغهم من اسلام اهل مكة حين سجدوا مع رسول الله (ص) على أثر قصة الغرانيق^(٣٠) .

وفي السنة السادسة للهجرة بعث رسول الله (ص) الى النجاشي عمرو بن امية الضمري فحمل من بقي من المسلمين في سفيتين وقدم بهم الرسول (ص) وهو بخير بعد الحديدية ، وكان عددهم ستة عشر رجلا ، عدا النساء^(٣١) . ويذكر ابن اسحق اسماء من توفي في الحبشة وعددهم سبعة^(٣٢) .

فمجموع عدد من جاء قبل الهجرة ، وعند خيبر ، ومن توفي يبلغ ست وخمسون رجلا ، أما الباقون وهم جميع من تخلف عن بدر ولم يقدم على رسول الله (ص) مكة ومن قدم بعد ذلك ولم يحمل النجاشي في السفيتين اربعة وثلاثون رجلا ، واذا طرحنا من هذا الرقم من توفي وهم ٧ بقي ٢٧ لا تذكر هذه الروايات متى عادوا • سوى اربعة منهم اشتركوا في معركة احد مما يدل على انهم عادوا الى المدينة في زمن لم تعينه المصادر وهم قيس بن عبدالله ، وابو الروم بن عمير ، وابو قيس بن الحارث ، وسليط بن عامر •

(٢٩) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٨٨-٢٨٩ ، ٢٩١ •

(٣٠) الطبري ج ٢ ص ٢٢٧ •

(٣١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٤١٤-٣١٧ الطبري ج ٢ ص ٢٢٩ ابن

سعد ج ٤ قسم ١ ص ١٧٩ •

(٣٢) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٤٢٢ •

المقاطعة :

لم تؤد الهجرة الى الحبشة الى حل الازمة القائمة بين المسلمين والمشركين ،
اد بقى الرسول والمسلمون الاول في مكة وهم ثابتون على ايمانهم وملتزمون
بمبادئهم لا يحدون عنه . كما ان المشركين لم يوقفوا اعمالهم العدائية تجاه
الرسول والمسلمين . والواقع ان الاذى والاضطهاد من شأنه أن يصهر من يقع
عليهم فيزيد من تماسكهم وتكتلهم ويشير عطف الناس عليهم ، والواقع ان الحمزة
وعمر بن الخطاب أسلما في هذه الفترة فكان اسلامهما نصرا للمسلمين ، نظرا
لما لهما من نفوذ وقوة وقدرة على معاونة المسلمين ، لذا يمكن القول بأن تلك
المحاولات لم تحقق ما استهدفته من نجاح .

يقول ابن اسحق (فلما رأَت قريش ان اصحاب رسول الله قد نزلوا بلدا
اصابوا به أمنا وقرارا (في الحبشة) وان النجاشي قد منع من لجا اليه منهم ، وان
عمر قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبدالمطلب مع رسول الله (ص) واصحابه
وجعل الاسلام يفتشو في القبائل ؛ اجتمعوا واتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه
على بنى هاشم وبنى المطلب ، على أن لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم
شيئا ولا يتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواتقوا
على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على انفسهم . وكان كاتب
الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبدمناف بن عبدالدار بن قصي
(ويروى ابن هشام انه يقال النضر بن الحارث) فدعا عليه رسول الله (ص)
فشل بعض اصابعه . فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب الى ابي
طالب فدخلوا معه في شعبة فاجتمعوا اليه . وخرج من بنى هاشم ابو لهب
عبدالعزى بن عبدالمطلب الى قريش فظاهروهم (٣٣) .

(٣٣) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٧١-٣٧٢ الطبري ج ٢ ص ٢٢٥ انظر

ايضا ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ١٢٥ ، ١٣٥ .

دوافعها :

وبالاحظ ان هذا النص الذي لا نعرف نصا غيره عن المقاطعة ، بين ان المقاطعة لم تكن موجهة للمسلمين ، بل الى بنى هاشم ثم بنى المطلب . ولا ريب ان المسلمين لم يكونوا مقصودين على هاتين العشيرتين وحدهما ، بل كانوا من كافة العشائر ، كما ان بنى هاشم وبنى المطلب لم يكونوا كلهم من المسلمين . فلو كانت المقاطعة موجهة للمسلمين وحدهم ، لكان من الواجب أن تشمل كافة من مختلف القبائل ، وأن يخرج منها المشركون من بنى هاشم وبنى المطلب ، واذا كانت حماية بنى هاشم للاسلام هي الدافع الرئيسى للمقاطعة فلماذا ادخل فيها بنو المطلب ؟ ان هذه الاسئلة تحملنا على الاعتقاد بأن هناك اسبابا اخرى للمقاطعة غير مجرد حماية بنى هاشم للرسول .

ويمكننا أن نستتج الدوافع الاخرى من دراسة نقض الصحيفة ، فيروى ابن اسحق (ثم انه قام في نقض تلك الصحيفة التي تكاثرت فيها قريش على بنى هاشم وبنى المطلب نفر من قريش ، ولم يبل فيها احد احسن من بلاء هشام بن عمرو بن ربيعة . . بن عامر بن لؤى ، وذلك انه كان ابن اخى نضلة بن هاشم بن عبدمناف لأمه ، وكان هشام لبني هاشم واصلا وكان ذا شرف في قومه ، ثم انه مشى الى زهير بن ابي امية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، وكانت امه عاتكة بنت عبدالمطلب ، فقال ، يا زهير أقدم رضىت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء واخوانك حيث قد علمت لا يباعون ولا يتساع منهم ولا ينكحون ولا ينكح اليهم ، اما انى احلف بالله ان لو كانوا اخوال ابي الحكم بن هشام ثم دعوته الى مثل ما دعاك اليه منهم ما اجابك اليه ابدا ، قال ويحك يا هشام فماذا اصنع ؟ انما انا رجل واحد والله لو كان معى رجل آخر لقمتم فى نقضها حتى انقضها ، قال قد وجدت رجلا ، قال من هو ، قال انا ، قال له زهير ابغنا ناك ، فذهب الى المطعم بن عدى بن نوفل بن عبدمناف ، فقال له يا مطعم أقدم رضىت ان يهلك بطنان من بنى عبدمناف وانت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه اما والله لئن

امكتموهم من هذه لتجدنهم اليها منكم سريعا ، قال ويحك فماذا اصنع انما انا رجل واحد ، قال قد وجدت ثانيا ، قال من هو ، قال انا ، قال ابغنا ثالثا ، قال قد فعلت ، قال من هو قال زهير بن ابي امية ، قال ابغنا رابعا ، فذهب الى ابي البختری بن هشام ، فقال له نحوا مما قال للمطعم بن عدى ، فقال وهل من احد يعين على هذا ، قال نعم ، قال من هو ؟ قال زهير بن ابي امية والمطعم بن عدى وانا معك قال ابغنا خامسا ، فذهب الى زمعة بن الاسود بن المطلب بن اسد ، فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم ، فقال له وهل على هذا الامر الذى تدعونى اليه من احد ، قال نعم ثم سمي له القوم ، فاتعدوا له خطم الحجون التى بأعلى مكة فاجتمعوا هناك واجمعوا أمرهم وتعاهدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها ، وقال زهير انا ابدأكم فاكون اولكم يتكلم . فلما اصبحوا غدوا الى انديتهم وغدا زهير بن ابي امية عليه حلة فطاف بالبيت سبعا ثم اقبل على الناس فقال يا اهل مكة انا نأكل الطعام ونشرب الشراب ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يبايعون ولا يتباع منهم ، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة ، قال ابو جهل وكان فى ناحية المسجد كذبت والله لا تشق ، قال زمعة بن الاسود انت والله أكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت ، قال ابو البختری صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به ، قال المطعم بن عدى صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها ، قال هشام بن عمرو نحوا من ذلك ، قال ابو جهل هذا امر قضى بليل وتشوور فيه بغير هذا المكان وابو طالب جالس فى ناحية المسجد وقام المطعم بن عدى الى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد أكلتها الا ما كان من باسمك اللهم وهى فاتحة ما كانت تكتب فريش تفتح بها كتابها اذا كتبت (٣٤) .

ومن هذا النص يتبين ان الذين قاموا بالدور الرئيسى فى نقض الصحيفة هم هشام بن عمرو بن ربيعة (عامر بن لؤى) وزهير بن ابي امية (مخزوم) والمطعم

(٣٤) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٩٧-٣٩٩ انظر ايضا الطبرى ج ٢ ص ٢٢٨-٢٢٩ ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ١٤١ .

بن عدى (نوفل بن عبدمناف) وابو البخترى بن هشام (عبدالعزى) وزمعة بن الاسود (عبدالعزى) ، وان هؤلاء استطاعوا أن يقنعوا الناس بوجود ابطال المقاطعة ، ولعل اشارة ابى جهل الى أن هذا امر قضى بلبيل وتشوور فيه بغير هذا المكان ، يدل على انه شعر بأنهم قد مهدوا له مع قبائلهم فى ذلك ، كما ان قولهم بأنهم ما رضوا كتابها حين كتبت يوحى بأنهم لم يكونوا متحمسين قليلا لها ، لانها كانت تمس بالضرر بنى هاشم وبنى المطلب كلهم ، مع ان هؤلاء الذين مزقوا الصحيفة هم ممن ذكر اسمهم فى عدة مناسبات كعمارضين للرسول ، مما يدل على ان الصحيفة لا يقتصر دافع كتابتها على المسلمين فحسب ، بل ان هناك دوافع اخرى لها ، وان مسألة الاسلام هى حجة لتنفيذ سياسة ذات اهداف اخرى تصيب بنى هاشم والمطلب ، ويلاحظ ان اشد المدافعين عنها هو ابو جهل (من مخزوم) ، ولعل الدافع اليها هو حسد بنى هاشم على مكائتهم ومحاولة اضعافهم لتحل مخزوم محلها ، ثم اتخذ الاسلام حجة لتبرير هذا الحلف ضد هاتين العشيرتين ، وربما كان بنو امية ممن لعبوا دورا فى انشاء هذا الحلف ضد بنى هاشم وان كون معظم مهاجرى الحبشة من بنى امية ومن القبائل التى لم تشترك فى حلف الفضول دليل على ان هذه المقاطعة هى حركة سياسية موجهة ضد بنى هاشم الذين سترداد مكائتهم بانتشار الاسلام وازدياد اتباع الرسول الذى هو منهم .

آثرها :

لقد دامت المقاطعة حوالى ثلاث سنوات^(٣٥) ، ولكنها لم تكن ناجحة ، فقد كانت تصل اليهم سرا بعض الاشياء يخفيها من أراد صلتهم من قريش ، وقد روى من اسماء من كان يصلهم حكيم بن حزام^(٣٦) ، وهو ابن اخى خديجة زوجة الرسول ، وكذلك ابو البخترى الذى دافع عن عمل حكيم عندما أراد ابو جهل

(٣٥) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٥ . ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ١٢٥ ، ١٤١ .
(٣٦) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٧٥-٣٧٦ .

منعه من امداد المسلمين^(٣٧) ، والراجح ان هناك آخرين كانوا يمدونهم بالمساعدة •
ثم ان تجاراتهم لم تقف ، فقد كانوا يخرجون في المواسم ليتبايعوا مع
القبائل^(٣٨) ، الامر الذي جعل هذه المقاطعة غير تامة • ولما كانت هذه المقاطعة
موجهة ضد بنى هاشم والمطلب ، فان المسلمين من العشائر الاخرى لم يكونوا
داخلين فيها ، فكانت لهم حرية التجارة ، ونظرا لروابطهم الدينية باخوانهم
المسلمين ، فمن المحتمل انهم كانوا يمدون اخوانهم ، وربما يتاجرون لهم ، مما
جعل هذه المقاطعة لا تحقق اغراضها تماما ، فلم تقض على المسلمين ولا على مكانة
بنى هاشم •

ولكن نظرا الى ان الحجة الرئيسية للمقاطعة هي حماية المسلمين ، وانه كان لها
تأثير سيء في اعمال بنى هاشم ، فالراجح انهم ادركوا الاضرار التي تنجم عن
استمرار حمايتهم للرسول • ويبدو انهم بعد موت ابي طالب بدأوا يتخلون عن
حماية الرسول ، ويتجلى هذا من الاحداث التالية •

وفاة خديجة وابي طالب :

لم تؤثر المقاطعة في الرسول مثلما أثرت فيه وفاة خديجة وابي طالب بعد
انتهاء المقاطعة بأمد قصير^(٣٩) • وقد خسر في خديجة الزوجة الوفية الحنون
المشجعة والمنصرة ، والتي كان من ثروتها وعشيرتها ما يعين الرسول • اما ابو
طالب فقد كان عمه الذي رعاه وحامى عنه ، وصد كثيرا مما حاولت قريش
والمشركون في اذاه • ولعل ابا طالب هو العامل الاكبر في استنهاض همم بنى
هاشم لمساندة الرسول وحمايتهم له ، فلما مات خففت هاشم من تأييدها^(٤٠) ، وربما

(٣٧) مصعب الزبيري : نسب قريش ص ٢١٣ •

(٣٨) ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ١٤١ •

(٣٩) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٥ •

(٤٠) يروي ابن سعد ان ابا لهب ، الذي صار زعيم آل عبدالمطلب بعد

وفاة ابي طالب وعد ان يؤيد الرسول ، ولكنه تخلى عنه بعد امد قصير (ابن سعد

ج ١ قسم ١ ص ١٤١) •

ادركت بعد المقاطعة ما يصيبها من اضرار مادية ومعنوية اذا استمرت في حمايته ،
لذا أخذت تتخلى عن ذلك ؛ ويتجلى هذا واضحا مما يرويه الطبري من ان الرسول
بعد رجوعه من الطائف عرض على الاخنس بن شريق الثقفي (حليف بني
زهره) ، ثم على سهل بن عمرو (بني عامر) أن يجيراه فلم يوافقا ، فعرض
ذلك على مطعم بن عدي (بني نوفل) أن يجيره عند رجوعه الى مكة (٤١) .
وهؤلاء الاشخاص كلهم ليسوا من بني هاشم ، الامر الذي يدل على انه كان يعلم
ان بني هاشم قد تخلوا عن نصرته .

محاولة بث الدعوة في الطائف :

ان هذه الاحوال والاحداث اقمعت الرسول بعدم جدوى الاستمرار في
الاعتماد على بث الدعوة في مكة ، وبضرورة البحث عن ميادين اخرى لنشرها ،
لذلك التفت الى الطائف ، وهي بلدة تقع على مسافة ستين ميلا من مكة ، في ارض
توفر فيها الينابيع والمياه ، وتكثر فيها المزارع والبساتين ، وخاصة الكروم
والاعناب . وكان سكانها منقسمون على انفسهم ، وفيهم عشيرتان بارزتان هم
بنو مالك والاحلاف . فاما بنو مالك فكانت علاقتهم وثيقة بهوازن ، واما الاحلاف
فكانت علاقتهم اوثق بمكة .

وللطائف اهمية تجارية نظرا لما تنتجه من محاصيل ، ولوقوعها على طريق
التجارة اليمانية ، وكانت لاهل مكة علاقة وثيقة بها ، فلبعضهم بساتين فيها (٤٢) ،
وللبعض الآخر اموال موظفة وقروض تعطى بربا فاحش (٤٣) . وفي الطائف
ايضا كانت اللات وسدنتها من بني مالك (٤٤) .

(٤١) الطبري ج ٢ ص ٢٣١ المحبر ص ١١ .
(٤٢) اوفى بحث عن الطائف هو الكتاب الذي الفه عنها لامنس . انظر
ايضا مقاله عن الطائف في دائرة المعارف الاسلامية .
(٤٣) تفسير الطبري ج ٣ ص ٧٠ سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٨ ، ٢٣ .
(٤٤) انظر ص ١٥٩ .

لا توجد نصوص صريحة عن الدوافع التي دفعت الرسول لاختيار الطائف دون غيرها لنشر الدعوة بعد مآلاته من عقبات ومصاعب في مكة . وربما شعر الرسول بسوء استغلال المكيين لاهل الطائف ، أو انه لاحظ مصالح المكيين فيها فأراد أن ينشر بينهم الاسلام ليفصلهم عن اهل مكة ويهدد بهم تجارة المكيين مع اليمن .

ومهما يكن الدافع ، فإن الرسول وصل الطائف ، وفاوض ثلاثة من آل عبد ياليل ، فلم يلق منهم تأييدا ، بل (اغروا به سفاهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس والجاؤوه الى حائط لعنة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه^(٤٥)) .

ايمان الجن :

يتبين مما تقدم ان الطائف لم تكن خيرا من مكة في تلقيها الدعوة الاسلامية ، لذا عاد الى مكة . وفي طريق عودته اليها وصل الى نخلة فوقف يصلى ، وقد سمعه نفر من الجن فآمنوا به^(٤٦) كما ذكر القرآن في سورة الجن (قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا . .) (واذا صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا ، فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم . يا قومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويحركم من عذاب أليم . ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض وليس له من دونه اولياء اولئك فى ضلال مبين) (الاحقاف ٢٩-٣٢) .

ولا بد ان ايمان الجن بالرسول ورسالته قد عوضت له بعض ما لقيه فى الطائف ، كما شجعتة على عدم قصر بث الدعوة على مكة وحدها ، بل الى محاولة نشرها بين القبائل الاخرى .

(٤٥) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٩-٣٠ الطبرى ج ٢ ص ٢٢٩-٢٣٠ .

(٤٦) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣١ الطبرى ج ٢ ص ٢٣١ .

وبعد رجوع الرسول الى مكة اسرى به الله تعالى^(٤٧) ، كما جاء في القرآن الكريم (سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) (الاسراء ١) . ويروى الطبري ان آيتين اخريين نزلتا في الاسراء (ولقد رآه نزلة اخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . اذ يغشى السدرة ما يغشى) (النجم ١٣-١٦)^(٤٨) (وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن) (الاسراء ٦٠)^(٤٩) .

عرض الدعوة على القبائل :

ثم ان الرسول أخذ يعرض نفسه على القبائل في المواسم ويدعوها الى الاسلام . ويروى ابن اسحق انه عرض الدعوة على كندة ، وبنى عبدالله (احدي عشائر كلب) ، وحنيفة ، وعامر بن صعصعة^(٥٠) ، وكل هذه القبائل تقيم في مناطق بعيدة عن مكة . ولا نعلم فيما اذا كان الرسول قد عرض نفسه على قبائل اخرى اغفل المؤرخون ذكرها لاسباب خاصة . ولكن المهم ان الدعوة لم تلق ترحيبا عندهم ، حتى لاقى فريقا من بنى عبد الأشهل الخزرجيين القاطنين في المدينة ، فلقى منهم اذنا صاغية لدعوته^(٥١) ، وفي السنة التالية بايعوه على أن يهاجر الى بلدهم ، فأخذ المسلمون يهاجرون اليها ، ثم هاجر هو نفسه ، وبدأت في تاريخ الاسلام صفحة جديدة ، فلا عجب أن اعتبرها المسلمون نقطة حاسمة في تاريخ الاسلام ، واتخذوها بداية للتقويم الذي ساروا عليه منذ ذلك الوقت الى ما شاء الله .

(٤٧) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢ فما بعد .

(٤٨) تفسير الطبري ج ٢٧ ص ٢٩ .

(٤٩) تفسير الطبري ج ١٥ ص ٧٩ .

(٥٠) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣١-٣٤ الطبري ج ٢ ص ٢٣٢ .

(٥١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٦ فما بعد .

اسماء المسلمين في مكة

ان القائمة التي نوردتها ادناه تضم اسماء الرجال الذين اسلموا في العهد المكي وهاجروا الى الحبشة والمدينة واشتركوا في بدر . ولا يدخل فيها اسماء من اسلم ثم فتن أو من تخلف عن الهجرة الى المدينة نظرا لعدم امكان حصرهم .

وتضم هذه القائمة ايضا اسماء المشركين الذين قتلوا أو اسروا في بدر ، وهم لا يسئلون كافة المشركين ، لان فريقا غير قليل آذى الرسول أو اشترك في الغزوات والحروب الاخرى ضد المسلمين ، ولكن لم يساهم في بدر ، كما ان عددا غير قليل تراجع وانهزم من بدر دون أن يصيبه القتل أو الاسر .

لقد اعتمدت فيما اوردته من الاسماء على « سيرة الرسول » لابن هشام التي تضم ما اورده ابن اسحق مع اضافات كثيرة . وهي لا تختلف كثيرا عما اورده ابن سعد في كتاب الطبقات . وقد دقت قائمتي مع القائمة التي نشرها موتنجومري وات في الملحق الاخير من كتابه (محمد في مكة) وهي تعتمد على القوائم التي اوردها كايثاني في كتابه « حوليات الاسلام » . ويعتمد كايثاني بدوره على ابن هشام وابن سعد مع بعض الاضافات الواردة في الكتب الاخرى . وهي اضافات قليلة جدا .

لقد صنفت الاسماء في هذه القائمة حسب العشائر ، ورتبت العشائر تبعا لقرب نسبتها من عشيرة الرسول ، وهو الترتيب الذي اتبعه المؤرخون الاولي ، والذي هو اقرب الى روح ذلك العصر .

وقد رمزت لمهاجري الدفعة الاولى الى الحبشة (أ) ، والى مهاجري الدفعة الثانية (ب) والى الذين عادوا قبل هجرة الرسول الى المدينة (ج) والى الذين عادوا في السنة السابعة ، عندما كان الرسول يغزو خيبر (خ) . اما الذين اشتركوا في بدر فقد رمزت اليهم (ب) . اما (ج) فتشير الى ان الشخص حليف للعشيرة .

الاسم
ع- بيرة الام
الهجرة الى الحبشة
والعودة منها
الاشترك في بدر

بنو هاشم والمطلب :

ب	زهرة	الرسول
ب	هاشم	علي بن أبي طالب
ب	زهرة	الحزبة
ب	هاشم	جعفر بن أبي طالب
ب	خ	زيد بن حارثة . مولى
ب		ابو مرثدح (غني)
ب		مرثد بن أبي مرثدح (غني)
ب		انه . مولى
ب		ابو كبشه . مولى
ب		عبدة بن الحارث بن المطلب ثقيف
ب		الطفيل
ب		الحصين
ب		مسطح بن اثانة المطلب

وقد اسر من كفارهم في بدر السائب بن عبيد بن عبد يزيد ، ونعمان بن عمرو بن علقمة وعبيد بن عمرو بن علقمة ، وعقيل والعباس ، واربعة من حلفائهم .

بنو عبدشمس :

ب	ع ٢ + ١	عبدشمس	عثمان بن عفان
ب	ع ٢ + ١	كنانه	ابو حذيفة بن عتبة
ب	خ ٢	كنانه	خالد بن سعيد بن العاص

الاسم	عشيرة الام	المجرة الى الحبشة والعددة منها	الاشترك في بدر
عمرو بن سعيد	مخزوم	٢ نخ	
عبد الله بن جحش ح خزيمه		٢ ع	ب
ابو يزيد بن رقيش			
عكاشه بن محصن			
ابو سنان بن محصن			
شجاع بن وهب			
عقبه بن وهب			
ربيعه بن اكرم			
محرز بن نضله			
اربد بن حمير			
سنان بن أبي سنان			
مالك بن عمرو . ح . سليم			
مدلاج بن عمرو			
ثقف بن عمرو			
ابو احمد بن جحش . ح . خزيمه			
عمرو بن محصن			
سعيد بن رقيش			
فيس بن خابر			
منقذ بن نباته			
الزبير بن عبيده			

الاسم
عشيرة الام
الهجرة الى الحبشة
والعودة منها
الاشترك في بدر

تام بن عبيده

سخبره بن عبيده

محمد بن عبد الله بن جحش

قتل من شركتهم في بدر حنظلة بن ابي سفيان ، وعبيدة بن سعيد بن العاص .
والعاص بن سعيد بن العاص ، وعقبة بن ابي معيط ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن
ربيعة والوليد بن عتبة . كما اسر منهم عمرو بن ابي سفيان ، والحارث بن ابي
وجزة ، وابو العاص بن الربيع ، وابو العاص بن نوفل ، وخالد بن اسيد بن
العاص واثني عشر من حلفائهم ومواليهم .
بنو نوفل :

ع ٢ عتبه بن غزوان ح (سليم)

ب جناب مولى عتبه

قتل من كفارهم في بدر الحارث بن عامر ، وطعيمة بن عدى ، واسر منهم
عدى بن الخيار واثان من حلفائهم ومواليهم .
بنو اسد بن عبد العزى :

ب الزبير بن العوام هاشم ١ + ٢ ع

ب الاسود بن نوفل عبد شمس ٢ خ

ب عمرو بن امية بن الحارث تيم ٢ (توفى)

ب يزيد بن زمعة بن الاسود مخزوم ٢ ؟

ب حاطب بن ابي بلتعح (الحم)

ب سعد مولى حاطب

قتل من كفارهم في بدر زمعة بن الاسود بن المطلب ، والحارث بن زمعة ،
وعقيل بن الاسود ، وابو البختری بن هشام ، ونوفل بن خويلد . واسر منهم
انسائب بن ابي حبشة ، والجويرث بن عباد .

الاسم عشيرة الام المهجرة الى الحبشة
الاشترك في بدر والعودة منها

بنو عبدالدار :

ب	ع ٢ + ١	عامر	مصعب بن عمير بن هاشم
	٢	رومية	ابو الروم بن عمير
ب	ع ٢	خزاعة	سويبط بن سعد
	٢	تيم	فراص بن النضر
	خ ٢	المطلب	جهم بن قيس
	خ ٢		خزيمة بن جهم
	خ ٢		عمرو بن جهم

قتل من كفارهم في بدر النضر بن الحارث ، واسر ابو عزيز بن عمير بن هشام ، وثلاثة من الحلفاء والموالي . كما قتل سبعة منهم في غزوة احد .

بنو عبد بن قصي :

ب	ع ٢	هاشم	طليب بن عمير
---	-----	------	--------------

بنو زهرة :

ب	ع ٢ + ١	زهرة	عبد الرحمن بن عوف
ب		عبد شمس	سعد بن أبي وقاص
ب		عبد شمس	عمير بن أبي وقاص
	خ ٢	عبد شمس	عامر بن أبي وقاص
	٢	المطلب	المطلب بن أزر
ب	٢		مالك بن ابيب
ب		زهرة	ذوالشمالين عمير بن عمرو
ب	ع ٢ + ١		عبد الله بن مسعود ح (هذيل)

الاسم
عشيرة الام
الهجرة الى الحبشة
والعودة منها
الاشترك في بدر

عنه بن مسعود ح (هذيل)
المقداد بن عمرو ح (قضاعه)
خباب بن الارت ح (خزاعه)
مسعود بن ربيعة ح (القاره)
بنو تميم بن مرة :

ابو بكر الصديق
طلحه بن عبيدالله
الحارث بن خالد
عمرو بن عثمان بن عمرو
صهيب مولى
بلال بن رباح مولى
عامر بن فهيره مولى

ب
ب
ب
ب
ب
ب
ب

٢ خ
٢ ع
٢ خ
٢ ع

ب
ب
ب

قتل من كفارهم في بدر عمير بن عثمان بن عمرو ، وعثمان بن مالك بن
عبيدالله ، ومالك بن عبيدالله بن عثمان ، وعمرو بن عبدالله بن جدعان ، واسر منهم
مسافع بن عياض وحليف واحد .
مغزوم :

ابو سلمه بن عبدالاسد هاشم
الارقم بن عبدمناف
شمام بن عثمان
عياش بن ابي ربيعة بن المغيرة
سلمه بن هشام بن المغيرة

ب
ب
ب
ب
ب

١ ع
٢ ع
٢ ع
٢ ع

الاشترار في بدر	المهجرة الى الحبشة والعودة منها	عشيرة الام	الاسم
	ع ٢	بجيلة	الوليد بن الوليد بن المغيرة
	ع ٢	مخزوم	هاشم بن ابي حذيفة بن المغيرة
	ع ٢	عامر	هبار بن سفيان
	ع ٢	عامر	عبدالله بن سفيان
ب			عمار بن ياسر مولى
ب	ع ٢		معتب بن عوف ح (خزاعة)
			عيهامه ح (خزاعة)

قتل من كفارهم في بدر ابو جهل بن هشام بن المغيرة ، والعاص بن هشام بن المغيرة ، ومسعود بن ابي امية بن المغيرة ، وابو قيس بن الوليد بن المغيرة ، وابو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، ورفاعة بن ابي رفاعه ، والمنذر بن ابي رفاعه ، وعبدالله بن المنذر بن ابي رفاعه ، والسائب بن ابي السائب ، والاسود بن عبدالاسد ، وحاجب بن السائب بن عويسر ، وعويسر بن السائب بن عويسر ، وحذيفة بن ابي حذيفة بن المغيرة ، وهشام بن ابي حذيفة بن المغيرة ، وزهير بن ابي رفاعه ، والسائب بن ابي رفاعه ، وعائذ بن السائب .

وقد اسر منهم في بدر خالد بن هشام بن المغيرة ، وامية بن حذيفة بن ابي المغيرة ، والوليد بن الوليد بن المغيرة ، وعثمان بن عبدالله بن المغيرة ، وصيفى بن ابي رفاعه بن عابد ، وابو المنذر بن رفاعه ، وابو عطاء عبدالله بن ابي السائب ، والمطلب بن حنطب ، كما قتل واسر ثمانية من حلفائهم .

بنى سهم :

ع ٢	سهم	خنيس بن حذافة
ع ٢	كنانه	عبدالله بن حذافة
ع ٢	كنانه	ابو قيس بن حذافة

الاسم	عشيرة الام	المهجرة الى الحبشة والعودة منها	لاشتراك في بدر
هشام بن العاص	مخزوم	٢٢	
عبدالله بن الحرث	كنانه	٢ نوفي	
السائب بن الحرث	كنانه	٢	
الحجاج بن الحرث	كنانه	٢	
ابو قيس بن الحرث	حضر موت	٢	
تيم بن الحرث	صعصعه	٢	
سميد بن الحرث	جمع	٢	
معمربن الحرث	جمع	٢	
الحرث بن الحرث		٢	
بشر بن الحرث		٢	
عمير بن رثاب	جمع	٢	
عميره بن جزوح (زبيد)		٢ خ	

قتل من كفارهم في بدر منبه ونيه ابنا الحجاج ، والعاص بن منبه بن الحجاج ، وابو العاص بن قيس ، وعاصم بن ابي عوف ، وعامر بن ابي عوف ، والحاتر بن منبه بن الحجاج .

واسر منهم ابو وداعة بن ضيرة ، وفروة بن قيس بن عدى ، وحنظلة بن قبيصة بن حدافة ، والحجاج بن الحرث . كما اسر احد مواليتهم .

بنى جمع :

عثمان بن مضمون	جمع	١ + ٢ ع	ب
عبدالله بن مضمون	جمع	٢ ع	ب
قدامة بن مضمون	جمع	٢ ع	ب

الاشترار في بدر	المجرة الى الحبشه والعودة منها	عشيرة الام	الاسم
ب	ع ٢	سليم	السائب بن عثمان
ب		جمح	معمر بن الحرث
	٢ توفي	جمح	حاطب بن الحرث
	٢ توفي	جمح	حطاب بن الحرث
	٢ خ		محمد بن حاطب
	٢ خ		الحارث بن حاطب
	٢	يمن	سفيان بن معمر
	٢		جابر بن سفيان
	٢		جناده بن سفيان
	٢ خ		نبيه بن عثمان

قتل من كفارهم في بدر امية بن خلفا ، وعلى بن امية ، واوس بن مسير .
 واسر منهم عمرو بن ابي ، وعمر بن عبدالله ، ووهب بن عمير ، وربيع بن
 دراج ، وابي بن خلف وخمسة من حلفائهم ومواليهم .
 بنى عدي :

ب	مخزوم	عمر بن الخطاب
ب	اسد	زيد بن الخطاب
ب	خزاعة	سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل
ب	جمح	عمرو بن سراقه بن معتمر
	عدي	نعيم بن عبدالله
٢ خ	اشعر	معمر بن عبدالله بن فضله
٢ توفي	سهم	عدي بن فضله بن عبدالعزيز

الاسم	عشيرة الام	الهجرة الى الحبشه والعودة منها	الاشترك في بدر
عمرو بن ابي ائانه	عنزہ	٢ توفي	
عبدالله بن سراقه	جمع		ب
عبدالله بن عمرو	جمع		
خارجہ بن حذافہ	عدي		
مالک بن خولی			ب
عامر بن ربعه ح (عنزہ)		١ + ٢ ع	ب
عافل بن المنسکدر ح (کنانہ)			
خالد	»		
ایاس	»		
عامر	»		
واقد بن عبدالله ح (تیم)			
خولی بن ابي خولی ح (مدجج)			
مهجع بن صالح مولى			
بنی عامر بن لؤی :			
أبو سبره بن ابي رم	هاشم	١ + ٢ ع	ب
عبدالله بن مخرمه	کنانہ	٢ ع	ب
أبو حاطب بن عمرو	اشجع	١ خ	
عبدالله بن سهيل	نوفل	٢ ع	ب
سليط بن عمرو	يمن	٢ ع	
السكران بن عمرو	خزاعه	٢ ع	
مالک بن زمعه		٢ خ	ب

الاسم	عشيرة الأم	الهجرة الى الحبشة والعودة منها	الاشترك في بدر
وهب بن سعد بن أبي سرح			
عمير بن عوف مولى			
سعد بن خوله مولى			
وقد اسر من مشركيهم في بدر سهيل بن عمرو ، وعبد بن زمعة ، وعبدالرحمن بن مشوء ، وحبيب بن جابر ، والسائب بن مالك . واثنان من حلفائهم .			
بنى الحارث بن فهر :			
أبو عبيده بن الجراح	الحارث	ع ٢	ب
سهيل بن بيضاء	»	ع ٢ + ١	ب
صفوان بن بيضاء	»		ب
معمر بن أبي سرح	عامر	ع ٢	ب
حاطب بن عمرو			ب
عياض بن أبي زهير	الحارث	؟ ٢	
عمرو بن أبي عمرو			
عمرو بن الحارث	عامر	ع ٢	ب
عثمان بن عبد غنم	زهرة	؟ ٢	
سعيد بن عبد قيس		؟ ٢	
الحارث بن عبد قيس		ع ٢	خ
عمرو بن عبد غنم		ع ٢	ب
اسر من كفارهم في بدر الطفيل بن ابي قنبح ، وعتبة بن عمرو بن جحدم ، كما اسر حليفان لهم .			

فهرس ابجدي عام

- | | |
|----------------------------------|-------------------------------|
| الجيل الاخضر ٧ | (١) |
| الاخس بن شريق ٢٥٧ - ٣١٠ | اب يدع ريام ٢١ |
| ادم ٩٥ | ابان بن عثمان ٢١٥ - ٢٢١ |
| الادوميين ٢٨ | ابي بن خلف ٣٠٩ |
| اذينة ٣٦ - ٣٧ | ابراهيم (الخليل) ٥٧-٥٨-٦١-٨٦- |
| اراميين ٥ | ١٧٤ - ١٧٨ - ١٩٠ - ١٩٢ - |
| اريتريا ٤ | ٢٠٣ - ٢٤٥ - ٢٥٠ - ٢٥٣ - |
| الاردن ٢٨ | ٢٥٥ - ٢٧٧ - ٢٨٠ |
| ارسطو ١٠ | ابراهيم الحربي ٢٢١ |
| الارقم بن ابي الارقم ١١٢ - ٣٢٣ - | ابرهة ٧٩ - ٨١ - ٢٣٠ |
| ٣٤٣ | الابشيطي ٢٢٢ |
| ارميا ٩ | ابليس ٢٦٣ - ٢٦٦ |
| ازنو ١٥ | اناركيس ٣٣ |
| ارياط ٢٠ | انرولا ١٧ |
| الازد ١١٤ - ١٥٩ | ابن الاثير ٢٢٣ |
| اساف ١٠٥ - ١٤٥ - ١٥٢ - ١٨٢ - | اجا ٧ |
| ١٨٥ - ١٨٨ | اجياد ١٧٧ |
| اسباط ٢٤٥ | احد ١٠١ - ٣٢٦ - ٣٢٨ |
| الاسبديون ١١٢ - ١٤٧ | احمد امين ١٠٦ |
| اسحق (النبي) ٢٤٥ | احمد بن الحارث الخزاز ٢٢١ |
| ابو اسحق التلمساني ٢٢٢ | ابو احمد الدماطي ٢٢٢ |
| اسد ٧١ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٩ - ١١٢ | احمد بن عبدالله الرقي ٢٢١ |
| اسد بن خزيمة ٢٥٨ | ابو احمد بن جحش ٣٢٣ - ٣٣٩ |
| اسد بن عبدالعزيز ١٧٧ - ١٨٥ - | اخامين ٣٥ |
| | الاخسف ١٥٣ - ١٧٩ |

- الشرح ٢٤ - ٢٥
الكرب يهنم ٢٤
الياس ٢٨٠
اليسع ٢٨٠
اليقع وقه ٢٢
اليقع ينع ٢٢
اليقع ٢٢
اليقع يشر ٢٣
اليوس كالوس ٧٩
بنو امامة ٢٠٧
ابو امامة ٢٠٧ - ٢٢٢
امرى القيس ٧٣ - ٧٥
آمنة بنت وهب ٢٣٢
امون ١٠
بنى امية ١٠١ - ٣٢٢
امية بن خلف ٣٩ - ٣١٢
امية بن ابي الصلت ٢٥٨
امية بن حذيفة ٣٤٣
ام اياس ٦٩
اميمة بنت عبدالمطلب ٥٨
اميمة بنت العباس ٢٨٨
اندريه (تور) ٢٢٥
انسة ٣٣٨
انستاسيوس ٧٠
الانصار ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٥
انطاكية ٣٦ - ٣٧
اسار يهنم ٢٤
- ٢٢٧ - ٢٣٥ - ٢٥٨ - ٣٠٢
٣١١ - ٣١٢ - ٣٥٢
اسرحدون ١٣
اسعد كامل ٢٥
اسعد ابو كرب ٢٠ - ٢٥
اسفنديار ٣١١
الاسكندرية ١٠ - ٣٢
اسكا ١٧
اسماء ٧١
اسماعيل بن مجمع ٢٢٢
اسماعيل بن اسحق القاضي ٢٢١
الاسود بن عبد يغوث ٣١٣ - ٣١٤
الاسود بن عبدالاسد ٣١٤
الاسود بن المطلب ٣١٤
الاسود بن نوفل ٣٤٠
الاشعث بن قيس ٢١٦
اشعيا ٩ - ٢١
الاشوريين ٩ - ١٣ - ٢٨
اشور بانيبال ١١
ابو الاصدي الهذلي ٣١٣
الاغريق ١٣ - ٣٩
اعسطوس ١٧ - ٣١ - ٣٦
افروديتي ١٥٧
افريقية ٤ - ٨
الاقصر ١٨٢ - ٢٠٦
الأكاديين ٥
البرابت ٢٣

ابو البخترى ٩٣ - ٢٢١ - ٣١٢ -

٣٤٠ - ٣١٤

بدر ٨٣ - ١١٢ - ٣٣٧

بدرالدين محمود الحنفى ٢٢٢

بشر بنذر ٢٢٨

البرامكة ٢١٩

بروكوبوس ١٥٧ - ٢٣٠

برسع ٣٨

ابن برى ٢٠٧ - ٢٥٦ - ٢٥٨

البل ١٩٦

البسوس ٧٠

بشر بن الحرث ٣٤٢

بعل ١٠ - ١٩ - ٣٨ - ١٦٢

بعلبك ٧٥

بصرى ٣١ - ٨١ - ٢٣٤

بظليموس ١٣ - ٨٦

البطالسة ١٧ - ٢٩ - ٣٦

بظرا ٢٦ فما بعد

البطحاء ٢٥٧

بكر بن عبدمناة ١٨٥

بكر بن وائل ١١٢ - ١١٤ - ١٤٧ -

١٦٦

ابو بكر ٢٢ - ٢٢٠ - ٢٣٥ - ٣٢٦ -

٣٤٢

بكيل ١٦ - ٢٤ - ١١١

بل (ريشارد) ٢١٢

بلال الحبشى ٣٢٠

انوشروان ٧١ - ٧٩

اورليان ٣٧

الاوس ١١٢ - ١٨٥ - ٢٢٠

اوس بن قلام ٢٦ - ١٨٥

اوس بن مسير ٣١٢ - ٣٤٥

اوسان ١٣

اوليرى ١٠٦

اياد ٧٥ - ١١٣ - ١٨٥

اياس بن المنكدر ٣٤٦

ايران ٣٦

ايسخلوس ٩

ايلاف ١٣ - ٢٢٨

ايلة ٣٢ - ٨١

ايمان بن خزيمه ٢٥٦

(ب)

باب المنذب ٤ - ١٢

بابل ١٠ - ١١ - ١٦

البابليين ١١ - ١٦

بارتون ٤

البارثيين ٢٩ - ٣٦

بارق ١٨٥

باقوم ١٧٧

بجيلة ١٨٥

البحرين ٨ - ٢٦ - ٢٧ - ٤٧ -

٦٩ - ٧١

ابو بحر ٥

البخارى ١٢٥ - ٢١٤ - ٢١٦

تسيم ٧١ - ٧٢ - ١١٤ - ١١٨ -

١٦١ - ١٨٥ - ١٩٠ - ٢٢٧

تنوخ ١١٤

النوراة ١ - ١٣

تيم الادرم ٨٩ - ٩٠

تيم بن الحرث ٣٤٤

نسي تيم بن مرة ٣٨ - ٨٩ - ٩١ -

١٧٧ - ٢٣٥ - ٢٢٠ - ٣٢٣ -

٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢

تيم الله ٣٦

تيماء ١٤٧

تيمرسون ٣٨

(ث)

تاران يعق يعنعم ٢٥

تقف بن عمر ٣٣٩

تقيف ١٨٥ - ٢٠٧ - ٣٣٨

تعلبة ٩٥ - ١١٢

تمود ٢٨٠

نور ١١٢ - ١٦١

نور بن مرتع ٦٩

نيوفانوس ٦٩ - ٧١

(ج)

جابر بن سفيان ٣٤٥

الجاد ٨١

الجيت ١٥٦

جبريل ٢٤١ - ٢٤٤ - ٢٤٦

جبير بن مطعم ٩٣

يلما ٣٨

يلقيس ١٣ - ٣٨

يليني ١٣ - ٣٨

يهثة ١١٢

يهستون ٩

يواط ١٨٣

يومبي ١٧ - ٣٠

يوهل ٢١٢ - ٢٢٥

اليضاء ١٧

يشة ٥ - ٧٤

(د)

التباغة ٦٨

تباله ١٦٥

تبع كرب ٢٣

تبوك ٨٢

تجيب ١٧٧

تدمر ٦ - ٣٥ - ٥٠ - ٩٩

تراجان ٣١ - ٣٦

تركيا ٣٥

تركستان ١٨

الترمذي ٢١٤

تغلب ٧٠ - ٧١ - ٧٤ - ١١٤ -

١٤١ - ١٤٧

تغلات فلاسر ١١ - ١٣ - ٣٥

تمام بن عبيدة ٣٤٠

تمنا ١٢

٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٩ - ٣٢٣ -

٣٤٣

جهم بن قيس ٣٤١

جهينة ١١٤

الجودي ٣

الجوف ١١ - ١٣ - ١٤

جويدي ٣ - ٤

(ح)

حاجب بن السائب ٣٤٣

حاجي خليفة ٢٢٢

الحارث الاول ٣٠ - ٣٤

الحارث الثاني ٣٠ - ٣٤

الحارث الثالث ٣٠ - ٣٤

الحارث الكندي ٦٩

الحارث بن جبلة ٧٠ - ٧١

الحارث بن خالد ٣٤٢

الحارث بن حاطب ٣٤٥

الحارث بن زمعة ٣٤٠

الحارث بن عبدمناة ١٨٥ - ١٨٩ -

١٩٠

الحارث بن عامر ٣٤٠

الحارث بن عمرو ٧٠

الحارث بن غبشان ١٦١

الحارث بن فهر ٨٩ - ٩٠ - ٢٢٧ -

٢٣٥ - ٣٢٢ - ٣٤٧

الحارث بن كلدة ٨٠

الحارث بن كنانة ١٠٠

جحش ١١٢

جديبة ٧٥

جدة ٧ - ١٧٧

جذام ١١٤ - ١٨٢ - ١٨٥ - ٢٠٦

جران العود ٢٥٧

الجرمان ٣٧

جرهم ٨٦ - ٩٤

جرير ٢٥٨

جساس ١٤١

جستيان ٧١

جشم ١٨٥

جعفر بن ابي طالب ٣٣٨

جعل ١١٢

جفنة ١١٢

جلسد ١٧٤

جلبلة بنت المهلهل ١٢٠

بني جمح ٨٩ - ٩٠ - ٩٣ - ١٧٧ -

٣١٢ - ٣٢٢ - ٣٤٤

الجمرات ١٥٦ - ١٩٢

وقعة الجمل ٢٢٠

جميل بن معمر ٢٦١

الجناب ١٨٥

جناب مولى عتبة ٣٤٠

جناب بن هبل ١٨٥

جنادة بن عوف ٩٤

الجن ٢٥٣ - ٢٦٠

جهار ١٨٢

ابو جهل ٩٣ - ٢٩٢ - ٣١٠ -

الحسن بن فهم ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢
الحسين بن علي ٢٢٠
الحصين بن الحارث ٣٣٨
حضر موت ٩ - ١٠ - ١٢ - ١٦ -
١٧ - ١٨ - ٦٨ - ٧٣ - ١٨٥ -
٣٤٢
خطاب بن الحرث ٣٤٥
حفن ذرح ٢٢
حفن صدق ٢٢
حفن ريام ٢٣
حفن يتع ٢٣
الحكم بن ابي العاص ١٣ - ٣
حكم اليفع وقه ٢٣
ام الحكم بنت الزبير ٢٨٨
حكيم بن حزام ٩٣ - ١٨١ - ٣٢٣ -
٣٣٢
ام حكيم بنت عبدالمطلب ٢٨٨
حلف الفضول ٩١ - ٣٢٣
حليل الخزاعي ٢٢٦
الحلة ١٨٤ - ١٨٦
حليمة السعدية ٢٣٣
حمالة الحطاب ٣٠٨ - ٣١٣
حماء ٧٥
حمامة ١١٢
الحمزة ٩٣ - ٣٢٩ - ٣٣٨
الحمس ١٨٥ - ١٨٦
حمص ٣٥ - ٣٨ - ٧٥
حميد بن زهير ٩٨

الحارث بن منبه ٣٤٤ - ٣٤٥
حاشد ١٦ - ١٧ - ١١١ - ٣٥٧
حاطب بن ابي بلتعة ٣٤٠ - ٣٤١
حاطب بن الحارث ٣٤٥ - ٣٤٦
حام ١
حبابذ ١٥
الحبشة ١٩ - ٢٠ - ٨٠ - ٨١ -
٢٥٨ - ٣٢١ - ٣٢٨ - ٣٣٧
الاحابيش ١٠٠
حبيب بن جابر ٣٤٧
ام حبيب ٢٥٨ - ٢٨٨
الحجاج بن الحرث ٣٤٤
حدا ١١٢
الحديبية ٣٢٨
الحديدة ٧
حذيفة بن قسيم ٩٣
ابو حذيفة بن عتبة ٣٣٨ - ٣٣٩
حرارة ٢٣٨
حرب بن امية ٩٢ - ١٠١
حربد ١٧ - ٧٧ - ٧٧ - ٨٠
الحرث بن الحرث ٣٤٤ - ٣٤٥
الحرث بن الطلائع ٣١١
الحرث بن عامر ٩٣
الحرث بن عبدقيس ٣٤٧
حزقيا ٩
حسان تبع ٦٩
حسل ٩٠
الحسن بن علي ٢٢٠

٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤
٢٥٩ - ٣٣١ - ٧١ - ١١٤
خزاعة ٧٩ - ٨٦ - ٨٨ - ٩٤ - ٩٦
١١٩ - ١٥٨ - ١٨٥ - ٢٠٧
٢٢٦ - ٣١١ - ٣٤٣
الخزرج ١٨٥ - ٢٢٠
خزيمة بن جهم ٣٤١
خزيمة بن مدركة ١٥٣ - ٨٥٢
خطم الحجون ٣٣١
بنى خطمة ٢١٦
ابن خلدون ٢٢٣ - ٨٨٠
الخلصة ١٦٥ - ٢٠٧
الخليج الفارسي ٧ - ٣٤ - ٧١١
خبيس بن حذافة ٣٤٣ - ٨٧٦
الخنديق ١٠١ - ١٢١ - ٣٢٦
الخورنق ١٣٥
خولان ١٢ - ١٦٦ - ١٩٣ - ١٩٧
خولى بن ابي خولى ٣٤٦ - ٨٧٧
خويلد بن اسيد ٩٢
خير ٨ - ٧١ - ٧٧ - ١٤٧
٣٢٨ - ٣٣٧
١٤
دار الندوة ٩٢
دارا ٩
داروايل ١٦
دائرة جليل ٧٣
بنو دارم ٧٣ - ١٤٧

حمر ١٨ - ٢٢ - ٦٩ - ١١٢ - ١١٤
حمورابي ١٠٦
حدج ٧٣
حشش ١١٢
حنظلة بن الحرث ٣٤٤ - ٧١ - ٨١
حنظلة بن ابي سفيان ٣٤٠ - ٧٣٦
حنظلة بن زيد مائة ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٩٤
٩٤
حنظلة بن قبيصة ٣٤٤
حنيفة ١٩٣ - ١٩٨ - ٢٠٥ - ٣٣٦
الحنيفية ٢٧٥ - ٢٨٧
الحواريون ٢٤٥ - ٢٥٠
الحوراء ٧
حوران ٣٠
الحويزت بن عباد ٣٤٠
ابن حيان ٢٢٢
الحيا ١٠٠
الحيرة ١٩ - ٧٠ - ٧١ - ٨٠ - ٣١١
(خ)
خارجة بن حذافة ٣٤٦ - ٥٨١
خالد بن سعيد بن العاص ٣٢٥ - ٣٣٨
خالد بن سنان ٢٨٩ - ٨٠
خالد بن المنكدر ٣٤٦ - ٥٧
خالد بن الوليد ١٥٨ - ٢١٨ - ٣٢٦
خباب بن الارت ٣٤٣ - ٦٦
خثعم ٩٦ - ١٩٥ - ٥٨١
خديجة (ام المؤمنين) ٨٢ - ١٢٠ -
١٢١ - ٢١٦ - ٢٣٤ - ٣٣٦

ذو شرى ٣٣ - ١٦٥
ذو قردة ٨٣
ابو ذؤيب ٢٥٧
ذؤيب بن كعب ٩٥
الذهبي ٢٢٣
(ر)
الرباب ٧١
الربع الخالى ٥ - ٧
ربيع بن دراج ٣٤٥
ربيعه ٧٢ - ١١٤ - ١٣٥ - ١٨٥ -
٢٨٨
ربيعه بن اكم ٣٣٩
ربيعه بنت الحارث ٢٨٨
الرجيع ٨٦
ردم بنى جمح ٧٧
ردم آل عبدالله ٧٨
الرشيد ٢١٩ - ٢٢١
رفاعة بن ابى رفاعة ٣٤٣
وادى الرمة ٥ - ٨
رقية بنت الرسول ٢٨٨
الروح الامين (جبريل) ٢٤٦ - ٢٥٣ -
٣٤١
رودس ٣٢
ابو الروم بن عمير ٣٢٨
روما ٣٠ - ٣٢
الرومان ١٧
ربيل الاول ٣٤
ربيل الثانى ٣٤

الدانوب ٣٧
داود ٢٨٠ - ٢٨٥
ابو داود ٢١٤
دب ١١٢
الدبران ١٦٥
دبية ١٥٨
ابن درباس ٢٢٢
دروزة (محمد عزة) ٢١٢ - ٢٢٥
درمنجهيم ٢٢٥
دمون ٦٨ - ٧٣
الدهناء ٧
دوفرتى ١١
دؤل ١١٢
دومة الجندل ١٦٢
ديلوس ١٢ - ١٣ - ٢٩ - ٣٩
ديودورس ١٣ - ٣٢
(ذ)
ذبان ٩٨
ذريح ١٨٢
ذمار ١٧
ذمر على ١٥
ذمر على بين ٢٤ - ٢٥
ذمر على ذرح ٢٤
ذمر على وتر ١٤ - ٢٤
ذمر على يحابر ٢٤
ذات نكف ١٠١
ذو جدان ٧٤
ذو الخلصة ٧٤ - ١٦٥

(س)

سام ١
الساميين ١ - ٦ - ١١٩ - ٢٠٦
سابور ٣٦
السائب بن ابي السائب ٣٤٣
السائب بن صيفي ٣١٣
السائب بن ابي حنيفة ٢٤٠
السائب بن الحرث ٣٤٤
السائب بن عبيد ٣٣٨
السائب بن عثمان ٣٤٥
السائب بن ابي رفاعه ٣٤٣
السيابيين ١٣ - ١٨ - ٢٢
ابو سبرة بن ابي رهم ٣٤٦
سترايو ١٧
سجاح ١٢١
سحنون ٢١٣
السخاوي ٢٢٢
سخيرة بن عبيدة ٣٤٠
بشر سخلة ٢٢٨
السراة ٧
سرجون ٥
وادي سرحان ٨
سعد مولى حاطب ٣٤٠
سعد بن خولة ٣٤٧
سعد بن زيد مناة ٩٤ - ١١١ - ١١٤
سعد بن ابي وقاص ٣٤٥
سعد هذيم ٢٣٣
سعيد بن الحرث ٣٤٤

(ز)

زينان ١ - ٢
زاغرس ١
الزبابة ٣٧ - ١٢١
زبداء ٣٧
الزبير ٨
الزبير بن العوام ٣٤٠
الزبير بن عبدالمطلب ٩٢ - ٩٨ - ٢٨٨
الزبير بن عبيدة ٣٣٩
زكريا ٢٦٣ - ٢٨٠
زمزم ٩ - ١٧٩ - ٢٢٧
زمنة بن الاسود ٩٣ - ٣١٢ - ٣٣١ - ٣٤٠
ابو زمعة ٣١٠
زنبيرة ٣١٥
زهرة ٥ - ٨٩ - ٩٠ - ١٧٧ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٣٠ - ٣٣٨
زهير بن ابي رفاعه ٣٤٣
زهير بن ابي امية ٣٣٠ - ٣٣١
زياد ١٣٠
زيد ٨٩
زيد بن حارثة ٨١ - ٢١١ - ٣٣٨
زيد الخيل ١٢٠ - ٢٠١
زيد بن عمرو بن نفيل ٢٥٨
زيد اللات ١١١
زينب بنت الرسول ٢٨٨
زينوفون ٩

السمهودى ٢٢٣
سميفع اشوع ٢١ - ٢٥
سمية ١٣٠
السؤال ٧٥
ستان ٨١
ستان بن ابى ستان ٣٣٩
ابو ستان بن محصن ٣٣٩
سنجاريب ١٣ - ١٤
سواع ١٥٧ - ١٦٣ - ١٨٢ - ٢٠٧
السومريين ١١
سويبط بن سعد ٣٤١
سهل بن عمرو ٣٣٤
سهيل بن عمرو ٣٤٧
سهيل بن بيضاء ٣٤٧
بنى سهم ٨٩ - ٩٠ - ٩٢ - ١٧٧ -
٢٢٨ - ٣١٠ - ٣١٢ - ٣٢٢
(ش)
الشاهى ٢٢٢
شبرنجر ٢١٢ - ٢٢٤
شجاع بن وهب ٣٣٩
شرحيل ٧١ - ٧٣
شرحيل بن سعد ٢١٦
شرحيل يعفر ٢٥
شرحيل يكييف ٢٤ - ٢٩
الشعري ١٥٧ - ١٦٧
شعيب ٢٨٠
شلمانصر الثالث ٩
شماس بن عثمان ٣٤٢

سعيد بن العاص ٩٢
سعيد بن عبد قيس ٣٤٧
سعيد بن رقيش ٣٣٩
سعيد بن زيد ٣٤٥
سعير ١٦٦
ابو سفيان ٩٢ - ٩٣ - ٢٨٨ - ٣١١ -
٣١٣
سفيان بن مجاشع ٩٥
سفيان بن معمرة ٣٤٥
السكران بن عمرو ٣٤٦
السكون ٦٨
سلمة ٧١ - ٧٢
سلمة بن هشام بن المغيرة ٣٤٢
جبل سلمى ٧
سليط بن عامر ٣٢٨ - ٣٤٦
حرة سليم ٨
سليم ١١٠ - ١١٤
سليمان (النبي) ١٣ - ٢٨ - ٣٥ -
٧٣ - ٢٥١ - ٢٦٧
سليمان بن عبد الملك ٢١٧
سلوقس ٢٨ - ٢٩
السلوقيون ٣٠ - ٣٦
سلوقية ٣٢
سمت (روبرتسن) ١١٠ - ١١٢ -
١١٣ - ١٢٠
سمة على ١٤ - ٢٤
سمة على ذرح ٢٤
سمة على نيف ١٤ - ٢٤

صور ٢٩ - ٣٢
صوفة ٩٣
الصومال ٤ - ٨١
صهيب ٨١ - ٣٢٠ - ٣٤١
صيدا ٣٢
صيلع ٧٣
الصين ٣٢

(ض)

ضبة ١١٢ - ١٦١
ضيعة ١١٢
ضحجان ٨٦

(ط)

الطاغوث ١٥١ - ١٩٩
ابو طالب ٩٢ - ٢٣٤ - ٢٣٨

٢٦١ - ٢٨٨ - ٣٣٣

الطائف ٨ - ٣١٥ - ٣٣٣ - ٥

طعيمة بن عدى ٩٣ - ٣٤٠

الطفيل بن ابي قنيع ٣٤٧

الطفيل بن الحارث ٣٣٨

طلحة بن عبدالله ١٧٩ - ٣٢٦ - ٣٤٢

الطلس ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٧ - ١٨٨

١٨٩

طلب بن عمير ٣٤١

طوروس ١

طوطمية ١١٢

طي ٧٣ - ٧٥ - ٩٦ - ١١٤ - ١٤٧

ابن ابي طي ٢٢٣

طيسفون ٣٧

شماتس ١١

جبل شمر ٧ - ٧١

شمر برعش ١٥

الشمس ١٦١ - ١٨٢

شمعون ٣٨

ابن الشهيد ٢٢٢

بنو شيان ١٥٨ - ٢٠٧

شبية بن ابي سفيان ٣١٣

شبية بن ربيعة ٩٣ - ٢٣٥ - ٣٤٠

شيزر ٧٥

شيزر ٣٨

النسبة ١٢٧

الشیطان ٢٦٥ - ٦

(ص)

صخر ١٠٢

صخر الغي ٢٥٦ - ٢٥٨

صرواح ١٤ - ١٥

الصعب بن عكابة ٧٤

الصفا ١٥ - ٢١ - ١٥٦ - ١٧٧

١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥

٢٢٩

صفوان بن بضاء ٣٤٧

بنی صفوان ٢٢٦

صفي بن السائب ٣١٢

صفي السباب ١٩٢

صلصل بن اوس ٩٥

الصمان ٧

صنعاء ١٥ - ٢١

عاملة ١٢١ - ١٦٦
عامر بن لؤى ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٣٩
فما بعد
عبادة الاول ٣٤
عبادة الثاني ٣٤
عبادة الثالث ٣٤
العباس بن عتبة بن الخاطب ٢٨٨
العباس بن عبدالمطلب ٩٢ - ٩٨ -
٩٩ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٤١ - ٣٣٨
عباس محمود العقاد ٢٢٥
عبد بن قصي ٨٩ - ٩٠
ابن عبدالبر ٢٢٢
عبدالدار ٨٩ - ٩٠ - ٩٧ - ٩٨ -
١٠٠
عبد الاشهل ٣٣٦
عبدالرحمن بن عوف ٨٢ - ٣١٥ -
٣٤١
عبدالرزاق الصنعاني ٢٢١
عبدشمس ٨٩ - ١١١ - ٢٨٨ -
٣١٢ - ٣٢٣ - ٣٣٨
عبدالغزى ٨٩ - ٩٠ - ٣٣٢
عبدالغنى النابلسي ٢٢٢
عبد قيس ١٦١
عبد كلال ٢٥
عبدالله ابو الرسول ٣٣٦
عبدالله بن ابي بكر ٢١٧ - ٢١٩ -
عبدالله بن جحش ٣٣٩
عبدالله بن جدعان ٨٠ - ٩١ - ٢٣٤

(ظ)

ظالم بن اسعد ١٥٨
ظبيان ١١٢
ظويلم ٩٨ - ٩٩
(ع)
عائدة ١٢١٥
عائذ بن السائب ٣٤٣
عائشة بنت ابي بكر ٢٥ - ١٩٥ -
١٩٦ - ٢٤٧
عالم ١٦٦
عادلة بنت عبدالمطلب ٣٣٠
عاد ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢
العاص بن سعيد ٣١٢ - ٣٤٠
العاص بن هاشم ٣١٥
العاص بن وائل السهمي ٢٣٤ -
٣١٠ - ٣١١ - ٣١٣ - ٣١٤
ابو العاص بن ربيع ٢٨٨ - ٣٤٠
ابو العاص بن نوفل ٣٤٠
عاصم بن عمرو ٩٧ - ٢١٨ - ٢١٩
عاصم بن ابي عوف ٣٤٤
عافل بن المنكدر ٣٤٦
شوق عامر الاجداد ٢٠٧
عامر بن ربيعة ٣٤٦
عامر بن صعصعة ٢٣٤ - ٣٣٤ - ٣٣٦
عامر بن الضرب ٩٤
عامر بن فهيرة ٣٢٠ - ٣٤٢
عامر بن ابي عوف ٣٤٤
عامر بن ابي وقاص ٣٤١

عبد الله بن حذافة ٣٤٣
عبد الله بن الحرث ٣٤٤
عبد الله بن سفيان ٣٤٣
عبد الله بن سراقه ٣٤٦
عبد الله بن الزبير ١٨٠
عبد الله بن سهيل ٣٤٦
عبد الله بن عمرو ٣٤٦
عبد الله بن مسعود ٣٤١
عبد الله بن مخزومه ٣٤٦
عبد الله بن المنذر ٣٤٣
عبد الله بن مضعون ٣٤٤
عبد الله بن عبدالمطلب ١١٩ - ٢٠٣ -
٢٣٢
عبدالمطلب ٩١ - ٩٨ - ١١٩ - ٢٠٣ -
٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٤
عبدالمملك بن عمر بن حزم ٢٢١
عبدالمملك بن مروان ٢١٥ - ٢١٦ -
٢١٧
عبد بن هشام ٩٢
عبدمناف ٣٣ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢
عبد ياليل ٣٣٥
عبيد بن الابرص ٧٢
عبيد بن عمرو بن علقمة ٣٣٨
عبيدالله بن جحش ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٣٢٥
عبيدة بن الحارث ٣٣٨
عبيدة بن سعيد بن العاص ٣٤٠
ابو عبيدة بن الجراح ٣٤٧

عبد بن ابي سفيان ٣١٣
عبد بن عمر ٣٤٧
عبد بن ربيعة ٢٠٣ - ٢٣٥ - ٢٨٨ -
٣٤٠
عبد بن غزوان ٣٤٠
عبد بن مسعود ٣٤٢
عبد بن عائد ٢٣٥
عبد بن ١١
عبد بن الحويرث ٧٩ - ٩٢ - ٢٥٧
عبد بن عبدالله ٣٤٣
عبد بن عبد غنم ٣٤٧
عبد بن عفان ٨٢ - ١٨٠ - ٣٢٠ -
٣٣٨
عبد بن مالك ٣٤٢
عبد بن مضعون ٣٢٠ - ٣٢٢ -
٣٢٥ - ٣٤٤
عبدان ١٣
عبدان ٩٤ - ١٨٥
عدي بن الحمراء ٣١٣
عدي بن الخيار ٣٤٠
عدي بن نضلة ٣٤٥
عدي بن كعب ١٦١ - ١٧٧ - ٢٢٨ -
٣٢٢ - ٣٤٧
العراق ٣ - ٤ - ٥ - ١١ - ٧٥ -
٨٠
البحر العربي ٧ - ١٠
عرفة ٨٦ - ٩٩ - ١١٧ - ١٨٩ - ١٩٠
عروة بن الزبير ٢١٦ - ٢١٧ - ٢٣٨

عمر بن الحارث ٣٤٧
 عمرو بن سراقه ٣٤٥
 عمرو بن حجر ١٢١ - ١٥٦
 عمر بن سعيد ٣٣٩
 عمر بن ابي سفيان ٣٤٠
 عمر بن شعبة ١٥٦
 عمر بن عبدالله بن جدعان ٣٤٢
 عمرو بن عبد غنم ٣٤٧
 عمرو بن عثمان ٣٤٢
 عمرو بن ابي عمرة ٣٤٧
 عمرو بن عدى ٦٦
 عمرو المقصور ٧٠
 عمرو بن هند ٦٧
 عمرو بن امية الضمري ٣٢٨
 عمرو بن العاص ٨١ - ٣٢٦
 عمرو بن لحي الخزاعي ١٥٣ - ١٧٩
 عمرو بن محسن ٣٣٩
 عمار بن ياسر ٣٢٠ - ٣٤٣
 العمورين ٥
 عندل ٧٣
 عميانس ١٦٦ - ١٩٧
 عمير بن رئاب ٣٤٤
 عمير بن عثمان ٣٤٢
 عمير بن عوف ٣٤٧
 عمير بن ابي وقاص ٣٤١
 عمير بن جزء ٣٤٤
 عميلة بن الاعزب ٩٣
 عوف بن محلم ٧١ - ١٢١

عزالدين بن جماعة ٢٢٢
 العزى ١٥٧ - ١٨٢ - ٢٠٣ - ٢٠٧
 ٢٨٥
 عسير ٨
 عشروت ١١ - ١٥٧
 عقبه بن وهب ٣٣٩
 عقبه بن ابي معيط ٣١٢ - ٣١٥
 ٣٤٠
 عقيل ٣٣٨
 عكرمة بن ابي جهل ٣٢٦ - ٨
 عكاظ ٨٠ - ٩٠ - ٩٥ - ١٦٦
 عكل ١٦١
 علي بن امية ٣٤٤
 علي بن ابي طالب ٢٢٨ - ٣٣٨
 العلاء الزمكاني ٢٢٢
 العلاء علي بن محمد البغدادي ٢٢٢
 علاف ١٨٥
 عليا ٧٢ - ٧٣
 عليان نهضان ٢٢ - ٥ - ٢٢ - ٨
 عم شع نعت ٢٢ - ٢٨١ - ٥٢١
 عمان ١٤٧
 عمر بن الخطاب ٧٨ - ١١٠ - ١٨٠
 ١٨٥ - ٢١٣ - ٢٦١ - ٣٤٥
 عمر بن عبدالله ٣٤٤
 عمر بن عبدالعزيز ٢١٣
 عمر بن ابي ٣٤٤
 عمرو بن ابي ائانة ٣٤٦
 عمرو بن جهنم ٣٤١ - ٢ - ٥

غى القوم ٤٠
(ف)
فاخته بنت المقوم ٢٨٨
فارس ١٣٥
فاطمة (ام امرى القيس) ٧٣
فاطمة (بنت الرسول) ٢٨٨
الفاكهى ٢٢٣
فالريان ٣٦
الفجار ١٠١
فدك ٨ - ١٤٧
الفرس ٢٢ - ٧٩ - ٣٢٣
الفرات ٧١
فراس بن النضر ٣٤١
فرنسا ٣٩
فروة بن قيس ٣٤٤
الفسطاط ٢٢
الفضل بن العباس ١٧٨
ابو فكيهة ٣١٥
فلبى ٨ - ٢٢ - ٢٥
الفلس ١٦٥ - ١٨٢
فلسطين ٥ - ٦ - ٢٧ - ٢٩ - ٣٠ -
٧ فما بعد ٨١ - ٣٢٣
فنحاص ٣٠
فهد ١١٢
فهر بن مالك ٨٩
فولو كاسكرتة ٣٩
فيتشهرت ٦٧
الفينيقين ٥ - ١٢ - ١٣

عوافة ٩٥
عويمر بن السائب ٣٤٣
عنترة ١١٢
بنى عبس ٢٨٠
عياض ابن ابى ربيعة ٣٤٢
عيسى بن مريم ١٧٨ - ٢٥١ - ٢٥٤
عين التمر ٢١٨
عياض ابن ابى زهر ٣٤٧
عياض ابن عمار المجاشعى ١٨٧
عيهامة ٣٤٣
(غ)
الغال ٣٩
غالب بن فهر ٨٩
غير ١١٢
غراب ٥٥
الغرانيق ٢٨٥
الغريين ٥٥
الغساسنة ٤٤ - ٥٠ - ١٣٨ - ١٤٧ -
١٥٩
غزة ٣١ - ٨١ - ٢٢٩
ظفان ٧١ - ٩٦ - ١١٤ - ١١٦ -
١٨٥
غمدان ١٦٤
عمر كندة ٦٩
غوث ١٨٥
الغياطة ١٥٢
ابن الغيطلة ٣١٢
غيلان بن سلمة ٨١

ام قطام ٧١ - ٢٢ - ٥٨١ - ٢٨
 القطب الحلبي ٢٢٢ - ١٨ - ٥٥
 القلمس ٤ - ٩ - ٩٦ - ١٨١ - ٥٢١
 قمر ٣٩ - ٢٠٢ - ٨٢١ - ٦٢١
 قيس بن خابر ٣٣٩ - ٧٠ - ٥٠٧
 قيس عيلان ٧١ - ٧٢ - ٨٩ - ١١٤
 قيس بن عاصم ١١٨ - ١٣٥ - ٢٧١
 قيس بن عدى ٩١ - ٥٨١
 ابو قيس بن الفاكه ٣١٢ - ٣٤٣
 ابو قيس صرمة ٢٥٩
 ابو قيس بن الحارث ٣٢٨ - ٣٤٤
 قيس بن عبدالله ٣٢٨ - ٨٥١
 ابو قيس بن الوليد ٣١٢ - ٣٤٣
 قيصر ٢٥٨ - ٢٦٦ - ٨٦١

(ك)

الكاشيون ١٦ - ٩٨ - ٢٢ - ١٥٥
 كاهل ٧٣ - ٧٥١
 كاتاني ٤ - ٢١٢ - ٢٢٤ - ٣٣٧
 ابو كبشة ٣٣٨ - ٣١١
 كرخ ميسان ٣٨ - ٢٦٦
 كرة ٢٧ - ٧٠٢ - ٢٨١ - ٧٥١
 كرز بن ربيعة ٢٨٨ - ٢٦٦
 كرب آل بين ١٤ - ٢٤ - ٢٥
 كرب آل وتر ١١ - ٢٤ - ٢٥
 ابو كرب اسعد ٢٥ - ٢٥١
 ابو كرب ينغ ٢٢ - ٢٨١ - ٢٥
 كرب بن صفوان ٩٥ - ٨٢٢
 كسكر ٦١ - ١٥٧ - ٢٨ - ٢٢

(ق)

قابوس ٦٧ - ١٢٣ - ١٤٦ - ١٥١
 قابيل ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٨٠٦
 قباذ ٧٠ - ٧١ - ٢٦٦
 جبل ابي قيس ١٤٥ - ١٧٩ - ٢٦٦
 قبان ١٢ - ١٦ - ٢٦٦ - ٢٦٦
 قحطان ١١٣ - ٥٨١ - ٥٨١
 قدامة بن مضعون ٣٤٤ - ٥٨١
 القدس ٣٠ - ٨١٢
 ام القرى ٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٧
 وادي القرى ٨ - ٢٦٦ - ٢٦٦
 فرد ١١٢ - ٢٦٦
 فرمل ٧٤ - ٢٦٦
 قرناو ١٠ - ٢٦٦
 قريش ٨٦ - ١٠١ - ١٨٠ - ١٨٢ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٩٦ - ١٩٧
 ٢٢٦ فما بعد
 قريش بن بدر ٨٧ - ٢٦٦
 قزح ١٥٦ - ٢٦٦
 قر- بن ساعدة ٢٥٩ - ٢٦٦
 القسطنطينية ٧٢ - ٢٦٦
 قصي ٧٨ - ٧٩ - ٨٨ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٩ - ١٧٧ - ١٨٠ - ١٨٢
 ١٨٥ - ١٨٦ - ١٩٦ - ١٩٧
 ٢٠٧ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٥٨١
 قضاة ٧٩ - ٨٨ - ١١٣ - ١١٤ - ١٦٦ - ١٨٢ - ١٨٥ - ٢٠٦
 ٢٢٦ - ٢٦٦

لوط ٢٨٠
ابو لهب ٢١١ - ٢٦١ - ٢٨٨
٣٠٨ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣٢٩

(م)
ابن ماجة ٢١٤
مأرب ١٤ - ١٦ - ٦٨
مازن بن مالك ٩٥ - ١٨٥
مالك ١٨٥ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٦
٢١٨

مالك بن عبدالله ٣٤٢
مالك بن خولي ٣٤٦
مالك بن زمعة ٣٤٦
مالك بن عمرو ٣٣٩
مالك بن اصب ٣٤١

المأمون ٢٢٠
ابو مجدورة ٣١٢
محرز بن نضلة ٣٣٩
المحرق ١٦٦ - ١٨٢
محمد بن حاطب ٣٤٥

محمد بن سفيان ٩٥
محمد بن عبدالله بن جحش ٣٤٠
مخزوم ١٦٦ - ١٨٤ - ٢٢٨ - ٣١١
٣١٢ - ٣٢٢ - ٣٣١ - ٣٣٢

مدلاج بن عمرو ٣٣٩
مدليج ١٨٥
مذحج ١١٤ - ١٨٢
مرتع بن معاوية ٦٩
مرتد ٧٤

كعب ٨٩ - ١٨٥ - ٢٢٦
الكعبة ٥٠ - ٨١ - ٨٥ - ٩٢ - ٩٣
١٧٥ - ١٨٦ - ١٨٩
١٩٣ - ١٩٨ - ٢٠٢ - ٢٠٤

٢٠٧ - ٢٠٥
كعب ١١٤ - ١٨٥
كليب ٧٢ - ١٤١
كلاب ١٨٥
كلازر ١٥

كلثوم (بنت الرسول) ٢٨٨
كنانة ١٨ - ٧١ - ٧٤ - ٨٩ - ١١٤
١٥٨ - ١٨٩ - ٢٣٤ - ٣٣٨
كندة ٢١ - ٥٥ - ٦٨ - ٧٦ - ٩٦
١٣٨ - ٣٣٦

الكنعانيون ٥
الكوفة ٢٢ - ٣٩ - ٦٥ - ١١٠
كوز ١٥٧
كوك ١٥٧
كهلان ١١٤

(ل)
اللات ١٥٧ - ١٨٢ - ٢٠٧ - ٢٨٥
٣٣٤
اللبا ١٨٢

اللحيانون ٢٩
بنو لحيان ٢٠٧
لخم ٥٩ - ١٨٢ - ٢٠٦
لعقة الدم ٢٢٨ - ٣٢٣
لؤي ٨٩ - ٩٨

- | | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| معاوية بن حجر ٦٩ | مرثد بن ابي مرثد ٣٣٨ |
| معاوية بن شريق ٩٥ - ٧٥١ | ابو مرثد ٣٣٨ |
| معتب ٢٨٨ | مرحب ١٨٢ |
| معتب بن عوف ٣٤٣ | ابن مرحل ٢٢٢ |
| معدى كرب ٧٠ - ٧١ - ٧٢ | مرة بن واصل ١٤١ |
| ابو معشر ٢٢٠ | مرة بن عوف ٢٢٦ |
| المعلى ٧٥ | مريتا ٧١ |
| معمر بن ابي سرح ٣٤٧ | المزوة ١٥٦ - ١٩٢ - ١٩٥ |
| معمر بن الحارث ٣٤٥ | المزدكية ٧١ |
| معمر بن راشد ١٨ - ٢٢٠ | المزدلفة ١٨٦ - ١٨٩ - ١٩٠ - |
| معمر بن عبدالله ٣٤٥ | ١٩١ - ٢٢٧ |
| مغلطاي ٢٢٢ | مساقر بن عمرو ٨٠ |
| المغيرة بن شعبة ٨٠ | مسطح بن ائانة ٣٣٨ |
| المغيرة بن عبدالله المخزومي ٩٨ | مسعود ٢٠٧ |
| المقريزي ٢٢٢ | مسعود الثقفي ٢٨٨ |
| مكارابو ٧٩ - ٨٦ | مسعود بن ابي امية ٣٤٣ |
| ملا لاس ٧٠ - ٧١ | المسعودي ٢٢٣ |
| ملكان ١٨٥ - ٢٠٢ | المسيح ٢١٩ - ٢٥٣ - ٢٢٦ |
| ملائكة ١٧٩ - ٢٦٣ - ٢٦٤ | مسيلمة ٢٥٩ |
| مليكة ٧٣ | مصر ٣٢٣ |
| منى ٩٧ - ٩٩ - ١٥٦ | المصطلق ١٠٠ |
| مناف ١٥٦ | مصعب بن عمير ٣٤١ |
| مناة ١٥٧ - ١٨٢ - ٢٠٦ - ٢٨٥ | مضر ١١٤ - ١١٩ - ١٣٨ |
| منبه بن الحججاج ٣١٢ - ٣١٣ | مطعم الطير ١٥٢ - ٣٣٠ - ٣٣٤ |
| ٣١٤ - ٣٤٤ | المطلب ٩٨ - ٣٢٣ - ٣٣٠ - ٣٣٣ |
| المناذرة ٥١ - ٦٧ - ٦٩ - ٨٠ | المطلب بن ازهر ٣٤١ |
| ١٣٨ - ١٤٧ | المطلب بن حنطب ٣٤٣ |
| المنذر بن ابي رفاعه ٣٤٣ | معاوية ٦٨ - ١٣٠ - ٢١٨ |

النعمان الأسود ٧٠
النعمان بن المنذر ٥٦ - ٥٨
نعيم بن عبدالله النحام ٣٢٥ - ٣٤٥
النمر بن قاسط ٧١
النهدية ٣٢٠
نهم ٢٠٧
نهيك ١٥٢
نوح ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٤ - ٢٨٠
نولدكه ٢١٢
نوفل ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٢٠ - ٢٢٢ -
٢٢٣ - ٢٣٠ - ٢٣٤
نوفل بن خويلد ٣٤٠
(هـ)
هابيل ٢٦٥
هاشم ٨١ - ٢٢٨ - ٢٢٩
بنو هاشم ٢٠٢ - ٢٣٤ - ٢٢١ -
٢٢٣ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٢ -
٢٢٣ - ٢٢٧
هاشم بن ابي حذيفة ٣٤٣
ابو هالة ٢٣٥
هبان بن سفيان ٣٤٣
هبل ١٥٣ - ١٧٧ - ١٧٩ - ١٨٢
هذيل ١٨٥ - ٢١٦ - ٢١١
هذيم ٢٢٩
هشام بن ابي حذيفة ٣٤٣
هشام بن العاص ٣٤٤
هشام بن عروة ٢١٨
هشام بن عمرو ٢٣٠ - ٢٣١

المنذر بن ماء السماء ٧٠ - ٧٢
١٥٧ - ٢٠٣
المنصور ١٨٠
منقذ بن نباتة ٣٣٩
المهدى ١٨٠
مهلهل ٧٤
موسى ٢٤١ - ٢٤٥ - ٢٥١ - ٢٥٣ -
٢٥٤
موسى بن عقبة ٢١٨ - ٢٢٠ - ٢٨١
موبر ٢١٢ - ٢٢٤
ميكائيل ٢٦٣
(ن)
نائلة ١٤٥ - ١٥٢ - ١٨٨ - ٢٥٤
الانباط ٢٦ - ٣٤ - ١٥٨
نيه بن عثمان ٣٤٥
نيه بن الحجاج ٣١٣ - ٣١٤ - ٣٤٣
نهبان ٧٥
بنو النجار ٢٢٩ - ٢٥٩
النجاشي ٨١ - ٢٢٨ - ٢٢١ - ٢٢٥
نجد ٧١ - ٧٢
نختين ٨٦ - ٢٥١ - ٢٢٢
النساطرة ١٤٧
نسر ١٥٧ - ١٦٤ - ٢٨١ - ٢٥١
ابو نصر الخضر اوى القصرى ٢٢٢
النضر بن الحارث ٣١١ - ٣١٢ -
٣١٤ - ٣٣٠ - ٣٤١
بنو النضر ٨٧
نعامة ١١٢

الوليد بن الوليد ٣٤٣	همام ١٤١
وهب بن سعد ٣٤٧	همدان ١١١ - ١١٤
وهب بن عبد بن قصي ٩٨	هند بنت ظالم ٦٩
وهب بن عمير ٣٤٥	هند بنت عبدالمطلب ٨٢
وهب بن كيسان ٢٣٣ - ٢٨٨	هند ام معاوية ١٢١
وهب بن منبه ٢١٦	الهند ٨٠
وهب اللات ١١١	هوازن ١١٢ - ١١٤ - ١٥٨ - ٣٣٨
(٥)	الهيثم بن عدى ٢٢١
يئرب ٧٧	هيكل (محمد حسين) ٢٢٥
يربوع ١١٢ - ١٨٥	(٥)
ابو يزيد بن رقيش ٣٣٩	وات (موتجومرى) ٢٢٥ - ٣٢٣ -
يزيد بن زمعة ٣٤٠	٣٢٧
يزيد بن ابي سفيان ٣٢٦	وادي بيشة ٧٤
يزيد الثاني ٢١٦	وادي الرمة ٧١
يسار ٢١٨	وادي عبقر ١٥٢
يعقوب ٢٤٥ - ٢٨٠	وادي القري ١٤٧
اليعاقبة ١٤٧	واقد بن عبدالله ٣٤٧
يعوق ١١٢ - ١٥٧ - ١٦٤	وائل ١١٤
يعقوث ١١٢ - ١٥٧ - ١٦٣ - ١٨٢ -	وج ١٧٤
٢٠٧	ود ٢٠٧
اليسامة ٦٩ - ٧١ - ٧٣ - ١٤٧ -	ورقة بن نوفل ١١٨ - ٢٤١ - ٢٤٣ -
٢٥٩	٢٤٤ - ٢٥٨
يوخنا الممندان ٢٦١	ولكن ١٢١
يوسف ٢٥٠	الوليد بن المغيرة ١٧٧ - ١٨٠ -
يونس ٢٨٠	١٨١ - ٣٠٨ - ٣١٣

قائمة المحتويات

١ - د المقدمة

القسم الاول : الدول العربية القديمة

١ - الفصل الاول : الساميون

- الساميون ١ • أساس تميزهم ١-٣ • اصلهم : نظريات جويدى وبارتون وكايتانى ٣-٥ • الهجرات السامية ٥-٦ • جغرافية جزيرة العرب ٦-٨ • تسمية العرب ٩ •

٢ - الفصل الثانى : اليمن

- موقعها واهميتها ١٠-١١ • علاقتها بالعراق ١١ • المعينون ١١-١٢ • القتبانيون ١٢ • حضارة المعينين ١٢-١٣ • السبأيون ١٣ • المكارب ١٤ • سد مأرب ١٥ • تطور دولتهم ١٦ • حملة اليوس كالوس ١٦-١٧ • الملاحة فى المحيط الهندى ١٨ • الحميريون ١٨ • المسيحية ١٩ • غزو الاحباش الاول ١٩ • التبابعة ١٩-٢٠ • اضطهاد المسيحية ٢٠ • الاحتلال الحبشى ٢١ • الاحتلال الساسانى ٢١ • مجىء الاسلام ٢٢ • قائمة اسماء الملوك المعينين ٢٢-٢٣ • السبأين ٢٤-٢٥ • الحميريين ٢٥ •

٣ - الفصل الثالث : بطرا والانباط

- تجارة الهند ٢٦ • الطرق التجارية ٢٦-٢٧ • اثرها فى نشوء الحضارة ٢٧-٢٨ • منطقة الاردن ٢٨ • علاقتها مع الآشوريين والاعريق والبطالسة ٢٨-٣٠ • دور التوسع والازدهار ٣٠ • الرومان ٣١ • سقوط دولة الانباط ٣١ • مدينة الانباط : اهمية القوافل ٣١-٣٢ • الابنية ٣٢ • اللغة ٣٣ • الدين ٣٣-٣٤ • قائمة اسماء ملوك الانباط ٣٤ •

٤ - الفصل الرابع : تدمر

- موقع تدمر ونشؤها ٣٥ • علاقتها بالسلوقيين والرومان ٣٦ • اذينة ٣٦ •

السامون
محمد رسول الله

- الزباء ٣٧ • توسيع رقعة بلادها ثم سقوطها ٣٨ •
الحضارة التدمرية : الطبقات الاجتماعية ٣٨-٣٩ • الدين ٣٩-٤٠ •
الإدارة ٤٠-٤١ • العمران ٤١-٤٢ • الزراعة ٤٢ • التجارة ٤٢-٤٣ •

٥ - الفصل الخامس : الفساسة

- بادية الشام ٤٤ • أصل الفساسة ٤٥ • الحارث بن جبلة ٤٥ • المنذر ٤٦ •
تفكك الإمارة ٤٧ • الأمراء المتأخرون ٤٨-٥٠ • حضارة الفساسة ٥٠ •

٦ - الفصل السادس : المناذرة

- حدود العراق الغربية ٥١ • التوخيون ٥١ • مالك بن فهم ٥٢ • جذيمة
٥٢ • عمرو بن عدى ٥٣ • امرئ القيس ٥٣ • النعمان الأعور ٥٤ • المنذر بن
ماء الساء ٥٤-٥٥ • عمرو بن هند ٥٥ • النعمان أبو قابوس ٥٦ • ذى قار ٥٧ •
المنذر الغرور ٥٨ • الحيرة في العهد الإسلامي ٥٨-٥٩ •

- حضارة المناذرة : الحيرة ٥٩ • السكان : عرب الضاحية ٦٠ • العباديون ٦٠ •
الإحلاف ٦٠ • النبط ٦٠ • اليهود والفرس ٦١ • بلاط المناذرة ٦١ • الجيش ٦٢ •
الصناعة ٦٢ • الدين ٦٤ • النصاري ٦٥ • التعليم الديني ٦٦ • قائمة ملوك
المناذرة ٦٦-٦٧ •

٧ - الفصل السابع : كندة

- أصل ملوكهم ٦٨ • حجر ٦٩ • عمرو المقصور ٧٠ • الحارث بن عمرو
٧٠ • حجر بن الحارث ٧٢ • امرئ القيس ٧٣-٧٥ • حضارة كندة ٧٥-٧٦ •

٨ - الفصل الثامن : مكة

- أهميتها ٧٧ • مناخها ٧٧ • التجارة ٧٨ • مع العراق ٨٠ • مع الشام ٨٠ •
مع الحبشة ٨١ • مع اليمن ٨٢ • التجار ٨٢ • الصيرفة ٨٣ • الربا ٨٤ •
الطوبوغرافيا ٨٥ • السكان ٨٦ • قریش ٨٦ • قصى ٨٨ • قریش البطاح ٨٨ •
قریش الطواهر ٩٠ • التنظيم السياسي والرؤساء ٩١ • دار الندوة ٩٢ • الوظائف
الدينية ٩٤ • النسيء ٩٥ • الحجابة ٩٧ • عمارة البيت ٩٧ • الرفادة ٩٧ •
السقاية ٩٩ • الأمن والجيش ٩٩ • القضاء ١٠١ •

القسم الثاني : الحياة البدوية ونظمها

٩ - الفصل التاسع : النظم البدوية قبيل ظهور الاسلام

- أهميتها ١٠٤ • في الدين الاسلامي ١٠٤ • في الدولة الاسلامية ١٠٤ • في الفكر الاسلامي ١٠٥ • في تاريخ الاسلام ١٠٥ • في التاريخ عامة ١٠٥ • عزلة الصحراء ١٠٦ • صفات البدوي ١٠٦ • القبيلة ١٠٨ • تطورها في العهد الاسلامي ١٠٩ • نظرية سمث ١١٠ • اهمية النسب ١١١ • اسماء القبائل ١١١ • الطوطمية ١١٢ • القحطانيون والعدنانيون ١١٣ • جدول باهم القبائل ١١٤

١٠ - الفصل العاشر : التنظيمات الاجتماعية عند البدو

- الصلية ١١٥ • الحلفاء ١١٥ • العيد ١١٧ • المرأة ١١٧ • الواد ١١٨ • مكانة المرأة ١٢٠ • الامومة ١٢٠ • الزواج ١٢٢ • الزواج بالاباعد ١٢٢ • الزواج الداخلي ١٢٣ • المهر ١٢٣ • تعدد الزوجات ١٢٤ • التسرى ١٢٥ • نكاح الرهط ١٢٥ • المتعة ١٢٦ • الطلاق ١٢٧ • العدة ١٢٨ • المخادنة ١٢٨ • الزنا ١٢٨ • الفاحشة والسفاح ١٢٩ • البغاء ١٣٠

١١ - الفصل الحادي عشر : التنظيمات السياسية عند البدو

- القبيلة ١٣١ • الفردية والتماسك ١٣٢ • العلاقات السياسية ١٣٣ • المجلس ١٣٤ • الرئيس ١٣٤ • صفات الرئيس ١٣٥ • واجباته ١٣٦ • العلاقات الخارجية ١٣٨ • الحروب ١٣٨ • المحالفات ١٣٩

١٢ - الفصل الثاني عشر : المفاهيم القانونية عند البدو

- التقاليد ١٤٠ • القانون الجنائي : القصاص ١٤٠ • الخلع ١٤٠ • النار ١٤١ • الدية ١٤١ • الحكم ١٤٢ • تعديلات الاسلام ١٤٢ • السرقة ١٤٢ • الارث ١٤٢

١٣ - الفصل الثالث عشر : الدين الجاهلي (١) المعبودات

- الدين ١٤٣ • علاقة الآلهة بالمجتمع ١٤٣ • الاساطير ١٤٤ • العقلية البدائية ١٤٤ • مصادر دراسة الدين الجاهلي ١٤٥ • الاديان الخارجية ١٤٧ • ديانة مكة ١٤٨ • عبادة الله ١٤٨ • الشركاء ١٤٩ • بنات الله ١٤٩ • الجبت والطاغوت ١٥١ • الجن ١٥٢ • هبل ١٥٣ • اساف ونائلة ١٥٤ • نهيك ومطعم الطير ١٥٦

- اصنام منى ١٥٦ • مناف ١٥٦ • قزح ١٥٦ • العزى ١٥٧ • اللات ١٥٩ • مناة
١٥٩ • الشعري ١٦١ • الشمس ١٦١ • بعل ١٦٢ • ود ١٦٢ • سواع ١٦٣ •
يعوق ١٦٤ • يعوق ١٦٤ • نسر ١٦٤ • ذو شرى ١٦٥ • الخلصة ١٦٥ • الفلس
١٦٥ • آلهة اخرى ١٦٦ • الاصنام ١٦٧ • الاوثان ١٦٨ • الانصاب ١٦٩ •
الاشجار المقدسة ١٧١ • الحرم ١٧٢ • البيوت المقدسة ١٧٥ • الكعبة ١٧٥

١٤ - الفصل الرابع عشر : الدين الجاهلي (٢) الطقوس والعبادات ورجال الدين

- الحج ١٨٢ • مواعده ١٨٣ • الحلة والحمس ١٨٤ • الحمس ١٨٥ •
الحلة ١٨٦ • الطلس ١٨٨ • طقوس الحج ١٨٩ • العمرة ١٩٤ • الهدايا ١٩٦ •
انواع الهدايا ١٩٧ • البحيرة ١٩٩ • السائبة ١٩٩ • الحامى ١٩٩ • الوصيلة ١٩٩ •
تعريف ابن اسحق ٢٠٠ • الاضاحى ٢٠١ • الهدى ٢٠٣ • الاشعار والتقليد
٢٠٤ • حلق الشعر ٢٠٥ • رجال الدين ٢٠٦ • الكهان والعرافون ٢٠٧

القسم الثالث : حياة الرسول والدعوة الاسلامية فى مكة

١٥ - الفصل الخامس عشر : مصادر دراسة حياة الرسول

- القرآن ٢١٠ • الاحاديث والسنة ٢١٣ • المؤرخون ٢١٥ • ابان بن عثمان
٢١٥ • عروة بن الزبير ٢١٦ • شرحبيل بن سعد ووهب بن منبه وابن حزم وابن
عاصم ٢١٧ • الزهرى وتلامذته ٢١٧ • ابن اسحق ٢١٨ • الواقدى ٢١٩ • ابن
سعد ٢٢٠ • مؤلفون آخرون : رواية ابن التديم ٢٢٠ • رواية ياقوت ٢٢١ •
رواية السخاوى ٢٢٢ • رواية حاجى خليفة ٢٢٢ • كتب البلدان ٢٢٣ • ابحاث
مستشرقين ٢٢٤ • الابحاث العربية الحديثة ٢٢٥

١٦ - الفصل السادس عشر : اجداد الرسول وحياته قبل البعثة

- قصى ٢٢٦ • هاشم ٢٢٨ • عبدالمطلب ٢٢٩ • حملة الاحباش ٢٣٠ •
عبدالله ٢٣١ • ولادة الرسول ٢٣٢ • نشأته ٢٣٣ • الفجار وحلف الفضول ٢٣٤ •
زواجه بخديجة ٢٣٥ • بناء الكعبة ٢٣٦

١٧ - الفصل السابع عشر : الوحي

- التحنت ٢٣٨ • زمن نزول الوحي ٢٣٩ • كيفية نزوله ٢٤٠ • كلمة الوحي
٢٤٤ • تأثر طبيعة الرسول ٢٤٦ • الاعجاز ٢٤٨ • الوحي والمعرفة ٢٤٨

١٨ - الفصل الثامن عشر : مبادئ الإسلام الأولى ✓

- الإسلام ٢٥٠ • الوجدانية ٢٥٢ • الحنيفية ٢٥٤ • الصابئة ٢٦٠ • التوحيد
- في الإسلام ٢٦٢ • الملائكة ٢٦٣ • إبليس ٢٦٤ • الشيطان ٢٦٥ • الجن ٢٦٦ •
- البعث والقيامة ٢٦٧ • جهنم ٢٦٩ • الجنة ٢٧٠ • أهمية فكرة البعث ٢٧٢ •
- المقاييس الأخلاقية ٢٧٢ •

١٩ - الفصل التاسع عشر : الأدلة القرآنية على تطور الدعوة

- آيات الله ٢٧٥ • الرسول بشر ٢٧٧ • رسول الله ٢٧٨ • التذكير بالأمم
- الأخرى ٢٧٩ • عيب آلهة المشركين ٢٨٠ • مهاجمة المشركين ٢٨٢ • مكائد
- المشركين ٢٨٣ • تهديد الرسول ٢٨٣ • الصبر ٢٨٥ • المقاطعة ٢٨٥ •

٢٠ - الفصل العشرون : السابقون الأولون في الإسلام

- دعوة أهل مكة ٢٨٧ • علاقة الرسول مع العشائر ٢٨٨ • حرم مكة ٢٩٢ •
- السرية ٢٩٣ • خلق الرسول ٢٩٣ • السابقون الأولون ٢٩٣ • دوافع اعتناق
- الإسلام ٢٩٧ •

٢١ - الفصل الواحد والعشرون : مقاومة المشركين للدعوة الإسلامية ✓

- دوافع المقاومة ٢٩٩ • الدافع الديني ٢٩٩ • روح المحافظة ٣٠٠ • الدوافع
- الاجتماعية ٣٠١ • الدوافع السياسية ٣٠٣ • الدعوة ليست اشتراكية ٣٠٤ •
- أساليب المقاومة ٣٠٦ • المقاومون : اشارات القرآن ٣٠٨ • رواية ابن سعد ٣١٣ •
- من هم أهل العداوة ٣١٣ • مكانة المنهجين والمقاومين ٣١٥ •

٢٢ - الفصل الثاني والعشرون : الكفاح ضد المشركين ✓

- اضطهاد المشركين ٣١٨ • الهجرة الى الحبشة ٣٢٠ • المهاجرون ٣٢١ •
- دوافع الهجرة ٣٢٣ • حياة المهاجرين في الحبشة ٣٢٧ • العودة من الحبشة ٣٢٧ •
- المقاطعة ٣٢٩ • دوافعها ٣٣٠ • اثرها ٣٣٢ • وفاة خديجة وابي طالب ٣٣٣ •
- محاولة بث الدعوة في الطائف ٣٣٤ • ايمان الجن ٣٣٥ • الاسراء ٣٣٦ • عرض
- الدعوة على القبائل ٣٣٦ •

قائمة باسماء المسلمين ٣٣٧-٣٤٧ •

الفهرس الابجدي ٣٤٨ •

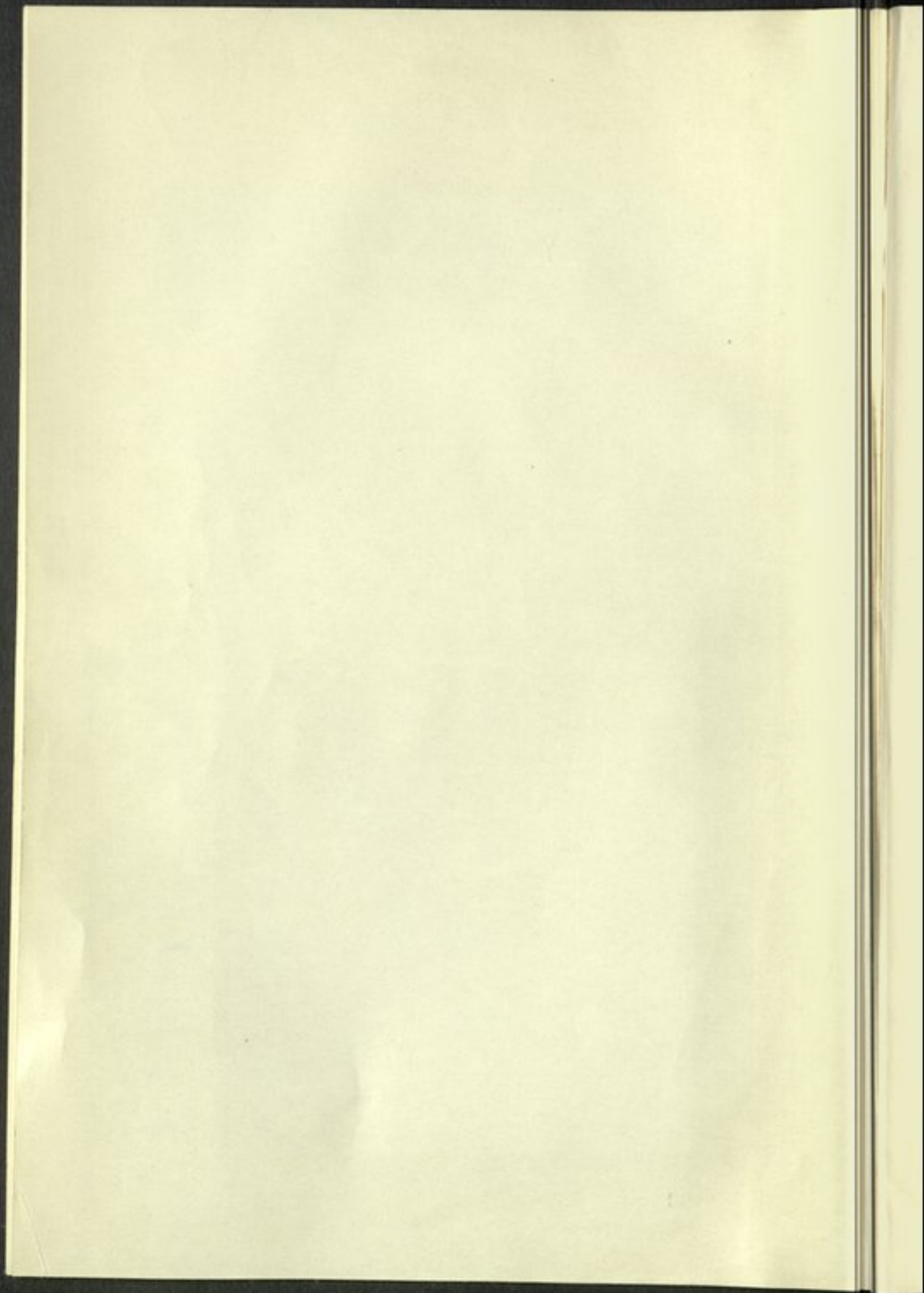
قائمة المحتويات ٣٦٨ •

الخطأ والصواب

رغم ما بذل من جهد في الطبع فقد وقعت بعض الاغلاط نذكر فيما يلي أهمها :

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٢	١٢	يربهن	يرهن
١٤	١٤	الذين قدموا لسنحاريب	الذين قدموا الجزية لسنحاريب
٢٥	٨	على ملوك	ملوك
٢٥	٩	اسمه	سمة
٢٩	١٣	اولماني	المواني
٣١	١٨	بطرا	بصرى
٣٩	٣	ممر وبنى	قمر وبنى
٥٢	٢١	مختلفة	مختلفة
٥٥	٢٠	الغريين	الغريين
٥٦	١٧	كسرى	كسرى
٥٩	٥	الوولة	الدولة
٦٠	١٩	وبكر	بكر
٦٤	٥	النعمان المنذر	النعمان بن المنذر
٧١	٦	العرب البيزنطيين	العرب في دولة البيزنطيين
٨٣	١٠	هشام	هاشم
١٠٩	٥	حيرة	صغيرة
١٣٤	١٢	وشعت	وشعت
١٤٩	١٧	اندانا	اندادا
١٦٤	٢	به نجران	به الى نجران

الصواب	الخطأ	السطر	الصحيفة
ما قطعتم	فاقطعتم	١١	١٧٢
الخدمة	الخدق	٢٤	١٧٧
معتدين	معتدين	١٠	٢٢٤
وانا	وان	١١	٢٥٢
بأنه	تابه	٥	٢٩٧
تعيب	تصيب	٦	٢٩٩
هؤلاء الذين	هؤلاء القرآن الذين	٧	٣٠٥



JAFET LIB. DATE DUE

~~26 NOV 1993~~

~~JAFET LIB.~~

~~4 NOV 1988~~

~~6 APR 1987~~

JAFET LIB.

JAFET LIB.

~~2 NOV 1980~~

~~7 FEB 1989~~

~~APR 1987~~

JAFET LIB.

JAFET LIB.

~~21 MAY 1987~~

~~3 DEC 1988~~

11 JAN 2016

Circulation Dept.

JAFET LIB.

JAFET LIB.

JAFET LIB.

~~17 DEC 1988~~

LIB.

~~19 JAN 1989~~

~~56 JAN 1992~~

JAFET LIB.

953:A391mA:c.1

العلوي، صالح احمد

محاضرات في تاريخ العرب

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01051476

953:A391mA

V.1

العلوي، صالح احمد

محاضرات في تاريخ العرب

MAR 23

F22

OCT 3

F135

~~RA~~

~~Arabid~~

APR 4

A847

~~Histor~~

AUG 29

F388

JAN 22

953

A391mA

V.1

